

تصنيف الإمام العلامة

محمد بن أحمد بن سالم بن سليمان السفاريني الحنبلي

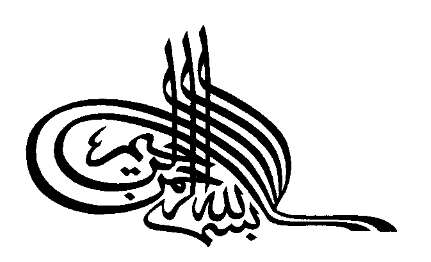
تحقيق

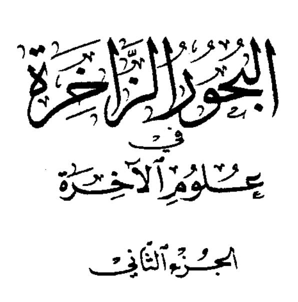
محمد إبراهيم شلبي شومان

(ت ١١٨٨هـ)

الجزء الثاني






البحور الزاخرة
في
علوم الآخرة
الجزء الثاني

الطبعــة الأولى

١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧م



الكويت - شارع الصحافة - مقابل مطابع الرأي العام التجارية

هاتف: ٤٨١٩٠٣٧ فاكس ٤٨٣٨٤٩٥

الكويت - الخالدية: ص. ب: ١٧٠١٢ - الرمز البريدي: ٧٢٤٥١

Website: www. gheras. com

E-Mail: info@ gheras.com

الباب الثامن
في الانصراف من الموقف وذكر شفاعة النبي ﷺ الخاصة وشفاعة بقية الأنبياء والعلماء والصالحين

قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ [الزلزلة: ٦].

قال المفسرون: يصدرون من موقف الحساب، فيأخذ أهل الجنة ذات اليمين، وأهل النار ذات الشمال.

وذكر الثعلبي في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥] عن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**إذا حان الانصراف من بين يدي الله تعالى تلقت الملائكة المؤمنين بنوق بيض، رحالها وأزمتها الذهب، على كل مركب حلة لا تساويها الدنيا، فيلبس كل مؤمن حلته، ثم يستوون على مراكبهم، فتهوي بهم النوق حتى تنتهي بهم إلى الجنة، فتتلقاهم الملائكة ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣]**»[(١)].

وقد ورد من قول علي رضي الله عنه: ما يحشرون والله على أرجلهم ولكن على نوق، رحالها ذهب، ونجائب سرجها يواقيت، إن هموا بها سارت، وإن نهموها صارت.

وأما ما يجدون من ريح الجنة قبل الوصول إليها، ففي حديث أبي

---

(١) ذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٢٧١) رقم ٥٦٢١ باختلاف يسير، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٣٩)، وابن كثير في التفسير (٣/ ١٨٥)، والهندي في كنز العمال (٢/ ٤٦٢) رقم ٤٥٠٤ وسيأتي تخريجه والحكم عليه في (ص١٤٤).

هريرة: «إن ريحها يوجد من مسيرة خمسمائة عام»[١].

وعن جابر رضي الله عنه: «ألف عام»[٢].

وعن علي رضي الله عنه أن أهل الجنة يجدون على باب الجنة شجرة يخرج من تحت ساقها عينان، يعمدون إلى أحدهما، فيتطهرون، فتجري عليهم نضرة النعيم، فلن تتغير نضارتهم بعدها أبداً كأنما دهنوا بالدهن، ثم يعمدون إلى الأخرى فيشربون منها، فيذهب ما في بطونهم من أذى وقذى، وتتلقاهم الملائكة على أبواب الجنة يقولون: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الزمر: ٧٣] أو كما قال.

وهل يجدون أبواب الجنة مفتحة أو لا؟

فيه خلاف بين العلماء.

فقيل: مفتحة، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾ [ص: ٥٠] فظاهر هذه الآية أن أبوابها مفتحة.

وقيل: بل مغلقة لقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧٣] فظاهر هذه الآية أنهم يجدونها مغلقة ثم تفتح لهم.

قال أهل القول الأول: بل يجدونها مفتحة حتى لا يقفوا هناك، لأن دار الفرح والسرور لا تغلق بخلاف أهل النار، فإنهم يجدونها مغلقة

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ (٢/ ٩١٣) رقم ١٦٢٦، والحاكم في المستدرك (١/ ١٠٥) رقم ١٣٤ من حديث أبي بكرة.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٦/ ١٨) رقم ٥٦٦٤، وأحمد (٥/ ٢٧) رقم ٢٠٣٣٠، و(٤٦) رقم ٢٠٤٨٧، و(٥١) رقم ٢٠٥٣٤ والحاكم (٢/ ٨٧) رقم ٢٥٧٩ وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

الأبواب كما هو حال السجون فيقفون هناك حتى تفتح لهم إهانة لهم.

قال بعضهم: يرد على هذا قوله ﷺ: **«أنا أول من يفتح باب الجنة»**(١).

وفي الحديث: **«آتي باب الجنة فأستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول محمد، فيقول لك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك»**(٢) رواه الإمام أحمد، ومسلم عن أنس رضي الله عنه.

والجواب: أنه ﷺ يسبقهم إلى الجنة فيفتحها لهم، فيأتي أهلها بعد ذلك فيجدونها مفتحة.

ثم إنهم يزدحمون على أبواب الجنة.

ففي الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً: **«باب أمتي الذي يدخلون منه عرضه مسيرة الراكب المجد ثلاثاً، ثم إنهم ليضغطون عليه حتى تكاد مناكبهم تزول»**(٣).

وفي صحيح مسلم عن عتبة بن غزوان قال: ذكر لنا أن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة، وليأتين عليها يوم وهو كظيظ من الزحام. فتتلقاهم الغلمان.

---

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده (١٢/٧) رقم ٦٦٥١ بلفظ: «يفتح له باب الجنة»، وذكره الهيثمي (٨/٢٦٩) رقم ١٣٥١٩ وقال: رواه أبو يعلى وفيه عبد السلام بن عجلان وثقه أبو حاتم وابن حبان وقال يخطئ ويخالف وبقية رجاله ثقات.

(٢) رواه أحمد (٣/١٣٦) رقم ١٢٤٢٠، ومسلم ١٩٧.

(٣) رواه الترمذي (٤/٦٨٤) رقم ٢٥٤٨، باختلاف يسير جداً، وقال: هذا حديث غريب سألت محمداً عن هذا الحديث فلم يعرفه وقال: لخالد بن أبي بكر مناكير عن سالم بن عبد الله. وأبو يعلى في مسنده (٩/٤٠٧) رقم ٥٥٥٤.

قال الثعلبي عن علي كرم الله وجهه: أنهم إذا اغتسلوا تلقتهم الملائكة، قال: وتلقى كل غلمان صاحبهم يطوفون به ويقولون: أبشر فقد أعد الله لك كذا وكذا، فينطلق غلام من غلمانه يسعى إلى أزواجه من الحور العين، فيقول: هذا فلان - باسمه الذي كان في الدنيا - قد قدم، فيستخفهن الفرح حتى يخرجن إلى أُسْكُفَّة الباب[1]، فيجيء فيدخل الدار، فإذا ﴿سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾ [الواقعة: ١٥] أي منسوجة كما توضن حلق الدرع فيدخل بعضها في بعض.

قال المفسرون: منسوجة بالذهب والجواهر.

وقال الضحاك: «موضونة» مرصوفة.

وقال في «شرح غريب القرآن العظيم»: «موضونة»: منسوجة باليواقيت والجواهر.

و﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾ [الغاشية: ١٤]: هو جمع كوب، الإبريق الذي لا عروة له، «**ونمارق**» أي وسائد ومرافق، «**مصفوفة**» بعضها بجنب بعض، «**وزرابي**» أي بسط عريضة.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: هي الطنافس التي لها خَمْل مبثوثة أي مبسوطة ممهدة، وقيل: مفرقة في المجالس، ثم ينظر إلى تأسيس بنيانه فإذا هو قد أسس على جبل من اللؤلؤ ما بين أخضر وأصفر وأبيض، من كل لون، ثم يتكئ على أريكه - أي سرره التي في الحجال، فلا يكون أريكة إلا إذا اجتمعا - ثم يرفع طرفه إلى سقفه، فيراه كالبرق فيقول: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣] قال:

---

(١) الأُسْكُفَّةُ والأُسْكُوفَةُ: عتبة الباب التي يوطأ عليها. لسان العرب/ مادة: سكف.

فتناديهم الملائكة: ﴿تِلْكُمُ(١) ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣].

وسنذكر إن شاء الله ما يشفي ويكفي في صفة الجنة.

وأما أهل النار، فقد قال تعالى: ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم: ٨٦] أي عطاشاً مشاة على أرجلهم قد تقطعت أعناقهم من العطش.

والورد: جماعة يردون الماء.

وقال الفخر: يساقون إلى النار إهانة لهم واستخفافاً بهم كنعم عطاش تساق إلى الماء.

وقال الواحدي: يساقون إليها وهم ظماء والورد: الجماعة التي ترد الماء، ولا يَرِدُ أحد الماء إلا بعد العطش، انتهى.

وقال الثعلبي في قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ [الزمر: ٧١] أي يساقون سوقاً عنيفاً يسحبون على وجوههم إلى النار زمراً، أفواجاً بعضها على إثر بعض، كل أمة على حدة بعد أن يقفوا على بابها حتى تفتحت أبوابها، لأنها لا تفتح إلا بعد مجيئهم، وفي وقوفهم ثَمَّ مذلة ومهنة(٢)، وهكذا حال السجون في الدنيا ولا ريب أن النار سجن الآخرة، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يعافينا منها بمنه وكرمه.

وأما أهل الجنة فلا يقفون على أبوابها بل يجدون الأبواب مفتحة على ما يأتي تحريره إن شاء الله تعالى.

---

(١) في الأصل (تلك) والمثبت هو الصواب.
(٢) كذا بالأصل.

ثم إذا دخلوا النار دفعتهم الزبانية إليها كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ [الطور: ١٣] أي يدفعون دفعاً، فإذا وقفوا على النار قالوا: ﴿يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا﴾ [الأنعام: ٢٧] والواحد من خزنة النار يسوق الأمة وحده، وعلى رقبته جبل يرميهم في النار ويرمي الجبل عليهم.

قال عمرو بن دينار: إن الواحد منهم يدفع بالدفعة الواحدة في جهنم أكثر من ربيعة ومضر.

وقال الثعلبي وغيره في قوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ [الفرقان: ١٢] أي صوتاً بالغيظ، وزفيراً: غلياناً يفور كالغضبان إذا غلي صدره من الغضب.

قال مطرف: التغيظ لا يسمع، والمعنى: إذا رأوا لها تغيظاً وسمعوا لها زفيراً.

وقال الواحدي: «**من مكان بعيد**» مسيرة مائة عام.

«**سمعوا لها تغيظاً**» هو الغضب «**وزفيراً**» قال عبيد بن عمير: إن جهنم لتزفر زفرة لا يبقى نبي مرسل ولا ملك مقرب إلا خر لوجهه.

وقال في قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا﴾ [الفرقان: ١٣] من جهنم ﴿مَكَانًا ضَيِّقًا﴾ [الفرقان: ١٣] قال المفسرون: تضيق عليهم كما يضيق الزج في الرمح.

وقال رسول الله ﷺ في هذه الآية: «**والذي نفسي بيده إنهم يستكرهون كما يستكره الوتد في الحائط**»[1].

---

(١) ذكره ابن كثير في التفسير (٣/ ٤١٣)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٢٤٠) وعزاه لابن أبي حاتم.

﴿مُقَرَّنِينَ﴾ [الفرقان: ١٣] موثقين في الحديد، قرنوا مع الشياطين ﴿دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [الفرقان: ١٣] دعوا بالويل على أنفسهم والهلاك، كما يقول القائل: واهلاكاه.

نكتة:

أخرج الواحدي بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**أول من يكسى يوم القيامة إبليس**، يعني من أهل النار، **يكسى حلة من النار يضعها على حاجبيه، فيسحبها من خلفه، وذريته من خلفه وهو يقول: واثبوراه، وهم ينادون: يا ثبورهم، حتى يقفوا على النار فينادي: يا ثبوراه، وينادون يا ثبورهم، فيقول الله تعالى:** ﴿لَّا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ **[الفرقان: ١٤]**»[١].

قال الزجاج: أي هلاككم أكثر من أن تدعو مرة واحدة.

وقال البغوي في قوله تعالى: ﴿إِذَآ أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا﴾[٢] [الملك: ٧] هو أول شهيق الحمار، وذلك أقبح الأصوات.

﴿وَهِىَ تَفُورُ﴾ [الملك٧]. تغلي بهم كغلي المرجل أي القدر.

وقال مجاهد: تفور كما يفور الماء الكثير بالحب القليل.

﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ﴾ [الملك: ٨] أي تتقطع.

---

(١) أخرجه ابن جرير في التفسير (٩/ ٣٧٠)، وأحمد (٣/ ١٥٢) رقم ١٢٥٥٨، وابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ٥٤) رقم ٣٤١٦٨، و(٢٦٢) رقم ٣٥٩٠٧، وذكره الهيثمي (١٠/ ٧١٩) رقم ١٨٦١١، وقال: رواه أحمد والبزار ورجالهما رجال الصحيح غير علي بن زيد وقد وثق.

(٢) في الأصل (وإذا ألقوا فيها يسمعوا لها شهيقاً) والمثبت هو الصواب.

﴿مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ [الملك: ٨] أي: من تغيظها عليهم.

وقال ابن قتيبة: تكاد تنشق غيظاً على الكفار.

وقال العلامة: أي تكاد جهنم تتفرق وتتقطع من الغيظ على الكفار.

وسيأتي الكلام على صفة النار مستوفى إن شاء الله تعالى.

* * *

فصل في الشفاعة الخاصة

وهي فيمن استحق النار من المؤمنين أن لا يدخلها، وفيمن دخلها منهم أي يخرج منها، كما تقدم عن شيخ الإسلام قدس الله روحه.

وهي التي تنكرها المبتدعة، فأرجو أن يحرموها، ومن حججهم على ذلك: قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾ [البقرة: ٤٨] وقوله تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨].

وزعمت أن من دخل جهنم يخلد فيها، لأنه إما كافر أو صاحب كبيرة مات بلا توبة.

هذا رأي المعتزلة ومن وافقهم من أهل الأهواء.

وهو رأي فاسد، ومذهب باطل لا ينظر إليه ولا يعول عليه بإجماع أهل السنة والجماعة، أيدهم الله بعلو الكلمة والشفاعة، إنه على ذلك قدير، وبالإجابة جدير.

أخرج البخاري في صحيحه عن سيدنا عمر رضي الله عنه أنه خطب فقال: إنه سيكون في هذه الأمة قوم يكذبون بالدجال، ويكذبون بالشفاعة ويكذبون بقوم يخرجون من النار بعد ما امتحشوا[(١)].

(١) لم أقف عليه في البخاري، وأخرج نحوه عبد الرزاق في المصنف (٣/٥٨٨) رقم ٦٧٥١، والحارث في مسنده (٢/ ٧٥٥) رقم ٧٥١ موقوفاً عند الجميع على عمر بن الخطاب.

قال في «النهاية»: أي بعد ما احترقوا، والمحش: احتراق الجلد وظهور العظم، ويروى: امْتُحِشُوا لما لم يسم فاعله، انتهى.

وعن أنس رضي الله عنه أنه قال: من كذب بالشفاعة فلا نصيب له فيها، ومن كذب بالحوض فليس له فيه نصيب.

وقيل له: إن قوماً يكذبون بالشفاعة، فقال: لا تجالسوا أولئك.

وأخرج البيهقي قال: ذكروا عند عمران بن حصين رضي الله عنه الشفاعة، فقال رجل: يا أبا نجيد إنكم لتحدثونا أحاديث لم نجد لها أصلًا في القرآن؟ فغضب عمران بن حصين، وقال للرجل: أقرأت القرآن؟ قال: نعم، قال: فهل وجدت صلاة العشاء أربعاً وصلاة المغرب ثلاثاً، وصلاة الفجر ركعتين، والظهر أربعاً، والعصر أربعاً؟ قال: لا، قال: فعن من أخذتم هذا؟ ألستم عنا أخذتموه، وأخذناه عن النبي ﷺ؟ ووجدتم في كل أربعين درهماً درهماً، وفي كل كذا شاة كذا، وفي كل كذا بعير كذا، أوجدتم في القرآن هكذا؟ قال: لا، قال: ووجدتم في القرآن: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩] أوجدتم طوفوا سبعاً، واركعوا ركعتين خلف المقام، أوجدتم هذا في القرآن؟ عمن أخذتموه؟ ألستم أخذتموه عنا، وأخذناه عن رسول الله ﷺ؟ قالوا: بلى إلى أن قال: فإن الله قال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧] وإنا قد أخذنا عن النبي ﷺ أشياء ليس لكم بها علم.

وأخرج الطبراني في الكبير والصغير بإسناد حسن عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما مرفوعاً: «**يدخل من أهل هذه القبلة النار من لا يحصي عددهم إلا الله بما عصوا الله واجترأوا على معصيته، وخالفوا طاعته، فيؤذن لي في الشفاعة، فأثني على الله ساجداً كما أثني عليه قائماً،**

فيقال لي: ارفع رأسك، وسل تعطه، واشفع تشفع»[١].

وأخرج البزار والطبراني وأبو نعيم، بسند حسن عن علي كرم الله وجهه عن النبي ﷺ أنه قال: **«أشفع لأمتي حتى يناديني ربي تبارك وتعالى أرضيت يا محمد؟ فأقول: أي رب رضيت»**[٢].

وأخرج الإمام أحمد، والطبراني والبزار بسند جيد عن معاذ وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: **«إن ربي خيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة أو الشفاعة فاخترت لهم الشفاعة، وعلمت أنها أوسع لهم وهي لمن مات لا يشرك بالله شيئاً»**[٣].

وأخرج الطبراني مثله عن أنس رضي الله عنه[٤].

وأخرج الإمام أحمد، والطبراني، والبيهقي بسند صحيح عن ابن عمر

---

(١) أخرجه الطبراني في الصغير (١/ ٨٠) رقم ١٠٣، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٢٣٩) والهيثمي (١٠/ ٦٨٣) رقم ١٨٥١١ وقال: رواه الطبراني في الأوسط والصغير وإسناده حسن.

(٢) أخرجه البزار في مسنده (٢/ ٢٣٩) رقم ٦٣٨، والطبراني في الأوسط (٢/ ٣٠٧) رقم ٢٠٦٢، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢/ ٢٤٨) بلفظ «قلت رضيت» بدل: «فأقول أي رب رضيت»، وذكره الهيثمي (١٠/ ٦٨٠) رقم ١٨٥١٦ وقال: رواه البزار والطبراني في الأوسط وفيه محمد بن أحمد بن زيد المداري ولم أعرفه، وبقية رجاله وثقوا على ضعف في بعضهم.

(٣) جزء من حديث أخرجه أحمد (٥/ ٢٣٢) رقم ٢٢٠٧٨ بلفظ: «أتاني آت في منامي فخيرني بين أن يدخل الجنة نصف أمتي أو شفاعة، فاخترت لهم الشفاعة، فقلنا: فإنا نسألك بحق الإسلام وبحق الصحبة لما أدخلتنا الجنة، قال: فاجتمع عليه الناس فقالوا له مثل مقالتنا وكثر الناس، فقال: إني أجعل شفاعتي لمن مات لا يشرك بالله شيئاً» وروى نحوه في (٤/ ٤١٥) رقم ١٩٧٣٩ وابن حبان في صحيحه (١/ ٤٤٢) رقم ٢١١ عن عوف ابن مالك، والطبراني في الكبير (١٨/ ٧٣) رقم ١٣٤، وابن أبي شيبة (٦/ ٣٢٠) رقم ٣١٧٥١ .

(٤) في الأوسط (٢/ ١٠٤) رقم ١٣٩٥ .

رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«خيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل نصف أمتي فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفى، وإنها ليست للمتقين ولكنها للمذنبين الخاطئين المتلوثين»**(١).

وأخرج أبو داود، والبزار، والطبراني، وابن حبان في صحيحه والبيهقي عن أنس رضي الله عنه وابن حبان والبيهقي عن جابر رضي الله عنه قالا: قال رسول الله ﷺ: **«شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»**(٢).

وأخرج الحاكم، والبيهقي وصححاه عن أم حبيبة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: **«أريت ما تلقى أمتي من بعدي، وسفك بعضهم دماء بعض، فأحزنني وسبق ذلك من الله كما سبق في الأمم قبلهم، فسألته أن يوليني فيهم شفاعة يوم القيامة ففعل»**(٣).

وأخرج الإمام أحمد والبيهقي والطبراني عن بريدة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: **«إني أشفع يوم القيامة لأكثر مما على وجه الأرض من شجر ومدر»**(٤).

---

(١) رواه أحمد (٢/ ٧٥) رقم ٥٤٥٢ وفيه بعد وأكفى «أترونها للمتقين؟ لا ولكنها للمتلوثين الخطاءون، قال زياد: أما إنها لحن ولكن هكذا حدثنا الذي حدثنا» وابن ماجة (٢/ ١٤٤) رقم ٤٣١١ من غير لحن وقال في الزوائد: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

(٢) أخرجه أبو داود (٢/ ٦٤٩) رقم ٤٧٣٩، والترمذي (٤/ ٦٢٥) رقم ٢٤٣٥ وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، وابن حبان (١٤/ ٣٨٦) رقم ٦٤٦٧، والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ٢٨٧) رقم ٣١٠، وفي السنن الكبرى (١٠/ ١٩٠) رقم ٢٠٥٦٣.

(٣) أخرجه الحاكم (١/ ١٣٨) رقم ٢٢٨ باختلاف في بعض الألفاظ، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه، والطبراني في الكبير (٢٣/ ٢٢٢) رقم ٤١٠، وأحمد (٦/ ٤٢٧) رقم ٢٧٤٥٠، والشيباني في الآحاد والمثاني (٥/ ٤٤١) رقم ٣٠٧٧.

(٤) أخرجه أحمد (٥/ ٣٤٧) رقم ٢٢٩٩٢ بلفظ: «إني لأرجو أن أشفع يوم القيامة عدد ما على الأرض من شجرة ومدرة» وأخرج نحوه الطبراني في الأوسط (٤/ ٢٤٦) رقم ٤١٠٠، وذكره الهيثمي (١٠/ ٦٨٨) رقم ١٨٥٢٥ وقال: رواه أحمد ورجاله وثقوا على ضعف كثير في إسرائيل الملائي.

وأخرج الطبراني عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «**آتي جهنم فأضرب بابها[١] فتفتح لي، فأدخلها، فأحمد الله بمحامد ما حمد أحد قبلي مثله، ولا تحمده أحد بعدي، ثم أخرج منها من قال: لا إله إلا الله مخلصاً، فيقوم إلي أناس من قريش فينتسبون إليَّ فأعرف نسبهم، ولا أعرف وجوههم فأتركهم في النار**»[٢].

وأخرج البخاري عن عمران بن حصين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ: «**يخرج قوم من النار بشفاعة محمد ﷺ ويدخلون الجنة ويسمون الجهنميين**»[٣].

وأخرج الطبراني وأبو نعيم، عن أبي أمامة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عنه ﷺ أنه قال: «**نعم الرجل أنا لشرار أمتي**، قيل: وكيف يا رسول الله؟ قال: **أما أشرار أمتي فيدخلهم الجنة بشفاعتي، وأما خيارهم فيدخلهم الجنة بأعمالهم**»[٤].

قلت: المراد يدخلهم الجنة بفضله، ويقتسمون المنازل بأعمالهم، أو يدخلهم الجنة بسبب أعمالهم، وعلى كل إنما يدخلون الجنة بفضله تعالى، كيف وهو الذي وفقهم للعمل الصالح، وقبله منهم بفضله، والله الموفق.

وأخرج ابن أبي عاصم عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما**

---

(١) في الأصل (فأضرب بها) والمثبت هو الصواب.

(٢) جزء من حديث أخرجه الطبراني في الأوسط (٤/ ١٥١) رقم ٣٨٤٥، وذكره الهيثمي (١٠/ ٦٨٨) رقم ١٨٥٢٨ وقال: رواه الطبراني عن شيخه علي بن سعيد الرازي، وفيه لين وفيه من لم أعرفه.

(٣) البخاري رقم ٦٥٦٦ .

(٤) رواه الطبراني في الكبير (٨/ ٩٧) رقم ٧٤٨٣، باختلاف في بعض الألفاظ وزيادة لفظ الجلالة بعد الجنة في الموضعين، وابن عدي في الكامل في ترجمة جميع بن ثوب الرحبي (٢/ ١٦٤) ترجمة رقم ٣٥٣، وذكره الهيثمي (١٠/ ٦٨٥) رقم ١٨٥١٨، وقال: رواه الطبراني في الكبير وفيه جميع بن ثوب الرحبي قال عنه البخاري: منكر الحديث وقال النسائي: متروك الحديث.

زلت أشفع إلى ربي ويشفعني، وأشفع ويشفعني حتى أقول: أي رب شفعني فيمن قال لا إله إلا الله، فيقول: هذا ليس لك يا محمد ولا لأحد، هذه لي وعزتي وجلالي، ورحمتي، لا أدع في النار أحداً يقول: لا إله إلا الله»[١].

لطيفة:

أخرج البيهقي بسند جيد عن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**من غش العرب لم يدخل في شفاعتي**»[٢] أي من لم ينصح العرب، لأن الغش عدم النصح، فإما أن يقال: من عامل العرب بضد النصيحة بل بالغش بأن يزين لهم غير المصلحة.

ومنه حديث: «**من غشنا ليس منا**»[٣].

قال في النهاية: أي ليس من أخلاقنا، ولا على سنتنا.

أو يقال: من لم ينصحهم.

والثاني أشد كما يفهمه من له دقة فهم.

والعرب: اسم مؤنث، ولذا يوصف بالمؤنث، فيقال: العرب العاربة، وهم: الذين يتكلمون بلسان يعرب بن قحطان، وهو اللسان القديم، والمراد هنا: بنوا إسماعيل عليه الصلاة والسلام ومن والاهم.

---

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٥/ ١٧٣) رقم ٢٧٨٦، وابن خزيمة في كتاب التوحيد (٢/ ٦٩٤) رقم ٤٣٩، والصنعاني في رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار (١٣٢) رقم ١٣١ .

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٧٢) رقم ٥١٩، وعبد بن حميد في مسنده/ ٤٨) رقم ٥٣، وابن أبي شيبة (٦/ ٤١٠) رقم ٣٢٤٧١، والترمذي (٥/ ٧٢٤) رقم ٣٩٢٨ وفيه «ولم تنله مودتي» وقال: هذا حديث غريب، وضعفه الألباني في الجامع الصغير وزيادته رقم ١٢٤٩٠، وحكم بوضعه في تخريجه لمشكاة المصابيح رقم ٥٩٩٠، وفي السلسلة الضعيفة رقم ٥٤٥ .

(٣) رواه مسلم رقم ١٠١ عن أبي هريرة رضي الله عنه، وأحمد (٢/ ٤١٧) رقم ٩٣٨٥، والترمذي (٤/ ٥٩) رقم ١٤٥٩ .

وفي نهاية ابن الأثير: العرب اسم لهذا الجيل المعروف من الناس، ولا واحد له من لفظه، وسواء أقام بالبادية أو المدن. انتهى.

ومن ثم قال العلماء: ونعرف للعرب حقها، وفُضِّلَ لسان العرب على غيره، لكونه ﷺ عربياً، ولكون القرآن نزل به، ولكون لسان أهل الجنة به، ويأتي إن شاء الله تعالى.

ولذا يشفع النبي ﷺ في العرب قبل غيرهم.

أخرج الطبراني عن عمر[1] رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**أول من أشفع له من أمتي أهل بيتي، ثم الأقرب فالأقرب من قريش، والأنصار، ثم من آمن بي واتبعني من أهل اليمن، ثم سائر العرب، ثم الأعاجم، وأول من أشفع له أولي الفضل**»[2]. وفي رواية: «**أول من أشفع له من أمتي أهل المدينة، وأهل مكة، وأهل الطائف**»[3].

تنبيه:

المراد بشفاعته ﷺ للعرب قبل العجم الشفاعة لهذا الجنس قبل هذا الجنس، ولا يمنع أن يشفع لبعض أفراد العجم قبل بعض أفراد العرب قطعاً، وهذا كما تقول: الرجل خير من المرأة أي هذا الجنس خير من هذا الجنس، وإن كان بعض أفراد النساء خيراً من بعض أفراد الرجال.

ولذا قال ﷺ: «**وأول من أشفع له أولي الفضل**»، فتأمل فإني لم أر من صرح به والله أعلم.

---

(١) هكذا بالأصل والصواب (ابن عمر).

(٢) رواه الطبراني في الكبير (١٢/ ٤٢١) رقم ١٣٥٥٠، وذكره الهيثمي (١٠/ ٦٩١) رقم ١٨٥٣٨ وقال: رواه الطبراني وفيه من لم أعرفهم.

(٣) الطبراني في الأوسط (٢/ ٢٢٩) رقم ١٨٢٧، وذكره الهيثمي (١٠/ ٢٧) رقم ١٦٦١٢، وقال: رواه البزار والطبراني في الكبير والأوسط وفيه من لم أعرفهم.

والجواب عن شبه أهل الاعتزال والزيغ والضلال، لأن المراد بقوله: ﴿لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾ [البقرة: ٤٨] الكفار، للآيات الواردة، والأخبار الثابتة في الشفاعة.

قال البيضاوي: قد تمسكت المعتزلة بهذه الآية على نفي الشفاعة لأهل الكبائر.

وأجيب: بأنها مخصوصة بالكفار، ويؤيد هذا أن الخطاب معهم، والآية نزلت رداً لما كانت اليهود تزعم أن أباهم شفع لهم. انتهى.

وقوله تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨] المراد بالظالمين الكافرين.

قالوا: قال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾ [آل عمران: ١٩٢] وقال: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨] وقال: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ﴾ [النجم: ٢٦].

قالوا: ومن ارتضاه الله لا يخزيه، قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ الآية [التحريم: ٨].

قلنا: الجواب عن الآية الأولى ما قاله سيدنا أنس رضي الله عنه خادم رسول الله ﷺ: معنى «من تدخل» من تخلد.

وقال قتادة: «تدخل» مقلوب تخلد، ولا نقول كما قالت أهل حروراء.

فعلى هذا قوله: «قد أخزيته» على بابه من الهلاك، أي: أهلكته، وأبعدته، ومقته.

ولهذا قال سعيد بن المسيب: الآية جاءت خاصة في قوم لا يخرجون

من النار، دليله قوله في آخر الآية: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [آل عمران: ١٩٢] أي للكفار.

وإن سلم أن الآية في عصاة الموحدين، فالمراد بالخزي الحياء، يقال: خزي يخزي خزاية إذا استحيى فهو خزيان، وامرأة خزيا، كذا قال أهل المعاني، فخزي المؤمنين يومئذ استحياؤهم من دخول النار مع أهل الكفر والاحتقار، ثم يخرجون منها بشفاعة النبي الكريم، ورحمة الرءوف الرحيم.

وأما خزي الكفار فهو هلاكهم فيها من غير موت، وأما المؤمنون فإنهم يموتون فيها، كما سنذكره بعد إن شاء الله تعالى.

فافترق الخزي والخسارة كما فهم ذلك من العبارة.

فالمؤمنون يخرجون من النار بشفاعة الشافعين، ورحمة أرحم الراحمين، والكافرون يخلدون فيها، والحمد لله رب العالمين.

وأما قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ أي: لا يعذبه، ولا يعذب الذين آمنوا معه، وإن عذب العصاة وأماتهم فإنه يخرجهم بالشفاعة وبرحمته الواسعة.

والحاصل: أن الإيمان بالشفاعة واجب، ومن أنكرها حرمها، ويكون من إخوان الشيطان، من الفرقة المعتزلة الضالة عن سواء السبيل، فنسأل الله أن يجعلنا من أهل الشفاعة، وأن يوفقنا بمنه للطاعة، وأن يرينا وجه نبينا ﷺ من غير سابقة عذاب، إنه ولي ذلك، وأن يعافينا من جميع أنواع العقاب، وأسباب المهالك[١].

***

(١) في حاشية الأصل/ بلغ مقابلة.

فصل في شفاعة الأنبياء والملائكة والعلماء والشهداء والصالحين والمؤذنين والأولاد

أخرج البيهقي عن ابن مسعود رضي الله عنه: لا يشفع أحد في أكثر مما يشفع فيه - يعني النبي ﷺ - ثم الملائكة ثم النبيون، ثم الصديقون، ثم الشهداء.

وعنه: يشفع نبيكم رابع أربعة، جبريل، ثم إبراهيم، ثم موسى أو عيسى، ثم نبيكم ﷺ ثم الملائكة ثم النبيون، ثم الصديقون، ثم الشهداء، ويبقى قوم في جهنم فيقال لهم: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾﴾ إلى قوله: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٢-٤٨]

قال القرطبي: قد قيل إن هذا المقام المحمود لنبينا ﷺ، خرجه أبو داود الطيالسي عن ابن مسعود قال: ثم يأذن الله عز وجل في الشفاعة، فيقوم روح القدس جبريل عليه السلام ثم يقوم عيسى أو موسى عليهما السلام - بالشك - ثم يقوم نبيكم ﷺ رابعاً فيشفع، لا يشفع لأحد بعده في أكثر مما يشفع وهو المقام المحمود الذي قال الله تعالى: ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩].

وأخرج ابن ماجه والبيهقي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه مرفوعاً: «**يشفع يوم القيامة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء**»[١].

---

(١) رواه ابن ماجه (٢/ ١٤٤٣) رقم ٤٣١٣، وقال: الحديث ضعيف ففي الزوائد: في إسناده علاق بن أبي مسلم، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٢٦٥) رقم ١٧٠٧ .

وأخرجه البزار أيضاً وزاد في آخره: «ثم المؤذنون»[١].

وأخرجه الديلمي عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً: «**يقال للعالم اشفع في تلامذتك، ولو بلغت عدد نجوم السماء**»[٢].

وأخرج أبو داود وابن حبان عن أبي الدرداء مرفوعاً: «**الشهيد يشفع في سبعين من أهل بيته**»[٣].

وأخرج الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الرجل من أمتي ليشفع للفئام من الناس، فيدخلون الجنة بشفاعته، وإن الرجل ليشفع في الرجل وأهل بيته فيدخلون الجنة بشفاعته**»[٤].

قوله: «الفئام من الناس» الفئام: مهموز، الجماعة الكثيرة، ذكره ابن الأثير في نهايته.

وأخرج الإمام أحمد بسند جيد عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الرجل ليشفع للرجلين والثلاثة**»[٥].

وروى ابن حبان في صحيحه بإسناد قال الحافظ ابن المنذر: لا أعلم

---

(١) البزار في مسنده (٢/ ٢٧) رقم ٣٧٢ .

(٢) روى البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٢٦٨) رقم ١٧١٧ عن جابر قال: قال رسول اللّه ﷺ: «يبعث العالم والعابد، فيقال للعابد ادخل الجنة، ويقال للعالم أثبت حتى تشفع للناس بما أحسنت أدبهم» وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٥٧) رقم ١٣٤، والألباني في ضعيف الترغيب والترهيب وقال: موضوع.

(٣) أبو داود (٢/ ١٩) رقم ٢٥٢٢، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ١٦٤) رقم ١٨٣٠٨، وابن حبان في صحيحه (١٠/ ٥١٧) رقم ٤٦٦٠ .

(٤) أخرجه أحمد (٣/ ٢٠) رقم ١١١٦٤، و(٦٣) رقم ١١٦٢٣ بزيادة.

(٥) أخرجه أحمد في آخر الحديث السابق بلفظ: «وإن الرجل ليشفع للثلاثة وللرجلين وللرجل»، ولم أقف عليه في المسند من حديث أنس.

فيه مطعناً عن حذيفة رضي الله عنه مرفوعاً: «**يقول إبراهيم يوم القيامة يا رباه، فيقول الرب جل وعلا: يا لبيكاه، فيقول إبراهيم: يا رب أحرقت بني، فيقول: أخرجوا من النار من كان في قلبه ذرة أو شعيرة من إيمان**»[١].

وأخرج الطبراني عن يزيد الرقاشي عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً: «**يشفع الله تبارك وتعالى آدم يوم القيامة من [جميع] ذريته في مائة ألف ألف وعشرة آلاف ألف**»[٢].

وأخرج الإمام أحمد بإسناد جيد عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ليدخلن الجنة بشفاعة رجل ليس بنبي مثل الحيين ربيعة ومضر**» فقال رجل: يا رسول الله، وما ربيعة من مضر؟ قال: «**إنما أقول ما أقول**»[٣].

وأخرج ابن حبان في صحيحه، وابن ماجه أن النبي ﷺ قال: «**ليدخلن الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من بني تميم**» قيل: سواك يا رسول الله؟ قال: سواي[٤].

قال بعض الناس: يقال: إن ذلك عثمان بن عفان رضي الله عنه.

وأخرج الحاكم وصححه: «**إن من أمتي من يدخل الجنة بشفاعته أكثر**

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه (١٦/ ٣٨٣) رقم ٧٣٧٨ .

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٧/ ٥٧) رقم ٦٨٤٠، وذكره الهيثمي (١٠/ ٦٩٢) رقم ١٨٥٤٠ وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه يزيد الرقاشي وهو ضعيف.

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٢٥٧) رقم ٢٢٢٦٩، / ٢٦١) رقم ٢٢٣٠٤، و(٢٦٧) رقم ٢٢٣٥١، وأخرج نحوه الحاكم (٣/ ٤٥٧) رقم ٥٧٢١، والطبراني في الكبير (٨/ ١٤٣) رقم ٧٦٣٨ .

(٤) رواه ابن حبان (١٦/ ٣٧٦) رقم ٧٣٧٦ عن عبد الله بن شقيق، وابن ماجة (٢/ ١٤٤٣) رقم ٤٣١٦ وأحمد في (٣/ ٤٧٠) رقم ١٥٨٩٦ .

من مضر، وإن من أمتي من سيعظم للنار حتى يكون أحد زواياها»[١].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه فيما رواه الطبراني: لا تزال الشفاعة بالناس وهم يخرجون من النار حتى إن إبليس الأبالس ليتطاول لها رجاء أن تصيبه.

وعنده عن جابر رضي الله عنه مرفوعاً: «**أنا سيد ولد آدم، ولا فخر، وأول داخل الجنة ولا فخر، وإني لأشفع فأشفع حتى إن من أشفع له فيشفع، حتى إن إبليس ليتطاول في الشفاعة**»[٢].

وأخرج أبو يعلى، والبيهقي عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً: «**إن رجلًا من أهل الجنة يشرف يوم القيامة على أهل النار، فيناديه رجل من أهل النار؛ يا فلان أما تعرفني؟ فيقول: لا والله لا أعرفك من أنت؟ فيقول: أنا الذي مررت بي في الدنيا فاستسقيتني شربة من ماء فسقيتك، قال: قد عرفت، قال: فاشفع لي بها إلى ربك، فيسأل الله، فيشفعه فيه، ويخرج من النار**»[٣].

وأخرج ابن ماجه عن أنس مرفوعاً: «**يمر الرجل على الرجل فيقول: يا فلان أما تذكر يوم بعثتني بحاجة كذا وكذا فذهبت لك فيشفع له**»[٤].

---

(١) أخرجه الحاكم (١/ ١٤٢) رقم ٢٣٨، عن الحارث بن قيس وقال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم، ووافقه الذهبي و(٤/ ٦٣٥) رقم ٨٧٥٢، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٢) جزء من حديث أخرجه الطبراني في الأوسط بزيادة بعض الألفاظ (٥/ ٢٠٢) رقم ٥٠٨٢، وبنحوه في (٥/ ٢٥٠) رقم ٥٢٢٧ عن حذيفة، وذكره الهيثمي (١٠/ ٦٨٢) رقم ١٨٥٠٩، وقال: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله وثقوا على ضعف كثير في عبيد بن إسحاق العطار والقاسم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عقيل.

(٣) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٦/ ٢١٠) رقم ٣٤٩٠ باختلاف في بعض الألفاظ، وابن عدي في الكامل (٥/ ٢٠٢ ترجمة) رقم ١٣٥٥، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٦٩٥) رقم ١٨٥٥٠ وقال: رواه أبو يعلى وفيه أبو علي بن أبي سارة وهو متروك.

(٤) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٢١٥) رقم ٣٦٨٥ بنحوه، وأبو يعلى في مسنده (٧/ ٧٨) رقم =

وأخرجه أبو يعلى بلفظ: «**تعرض أهل النار يوم القيامة صفوفاً فيمر بهم المؤمنون، فيرى الرجل من أهل النار الرجل من المؤمنين قد عرفه في الدنيا، فيقول: يا فلان أما تذكر يوم استعنتني في حاجة كذا وكذا؟ فيذكر ذلك المؤمن، فيشفع له إلى ربه، فيشفعه فيه**»[١].

وأخرجه البيهقي بلفظ: «**أما تذكر يوم اصطنعت إليك في الدنيا معروفاً**»[٢].

وفي مسند إسحاق بن راهويه مرفوعاً: «**ما من مسلمين يموت لهما ثلاثة من الولد أطفال لم يبلغوا الحلم إلا جيء بهم حتى يوقفوا على باب الجنة، فيقال لهم: ادخلوا الجنة، فيقولون: أندخل ولم يدخل أبوانا؟ فيقال لهم في الثانية أو الثالثة: ادخلوا أنتم وآباؤكم**»[٣].

قلت: ورواه الإمام أحمد طيب الله ثراه.

قال: أخبرنا إسحاق أخبرنا عوف عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من مسلمين يموت لهما ثلاثة أولاد لم يبلغوا الحنث إلا أدخلهم الله الجنة وأباهم بفضل رحمته، قال: يقال لهم:**

= ٤٠٠٦ والطبراني في الأوسط (٦/ ٣١٧) رقم ٦٥١١ باختلاف يسير في بعض الألفاظ، وذكره الهيثمي (١٠/ ٦٩٤) رقم ١٨٥٤٧ وقال: رواه أبو يعلى والطبراني في الأوسط وفيه يوسف بن خالد السمتي وهو كذاب.

(١) انظر الحديث السابق.

(٢) البيهقي في شعب الإيمان (٦/ ١٢٥) رقم ٧٦٨٧، وذكره ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٥١٥) رقم ٨٥٣ وقال في آخره: هذا حديث لا يصح تفرد به الأخنس، قال البخاري: منكر الحديث يتكلمون فيه.

(٣) أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده (٤/ ٢٥١) رقم ٢٠٧٤ باختلاف يسير، وقال محققه عبد الغفور البلوشي: في إسناده صدوق تغير بآخره، ولكنه يتقوى بشواهده والحديث صحيح.

ادخلوا الجنة، قال: يقولون: حتى يجيء أبوانا، قال ثلاث مرات، فيقولون: مثل ذلك قال: فيقال لهم: ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم»[١].

والحنث: هو البلوغ، بأن لم يبلغ الحلم، وكأنه مأخوذ من الذنب، لأنه لا يكتب عليه إلا بعد بلوغه الحلم.

فقوله: «لم يبلغوا الحنث» أي لم يبلغوا أن يكتب عليهم الحنث، وهو الذنب.

وأخرج أحمد من حديث المغيرة ثنا جرير ثنا شرحبيل بن شفعة عن بعض الصحابة أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**يقال للولدان يوم القيامة: ادخلوا الجنة، فيقولون: يا ربنا حتى يدخل آباؤنا وأمهاتنا، قال: فيقول الله تعالى: ما لي أراكم محنبطين**[٢]، ادخلوا الجنة، أنتم وآباؤكم»[٣].

وأخرج أيضاً من حديث شرحبيل بن شفعة قال: سمعت عتبة بن عبد السلمي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من رجل مسلم يتوفى له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث إلا تلقوه من أبواب الجنة الثمانية من أيها شاء**»[٤].

وأخرج ابن ماجه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن السقط ليراغم ربه عز وجل إذا أدخل أبويه النار، فيقال: أيها**

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٥١٠) رقم ١٠٦٣٠، والنسائي في سننه (٤/ ٢٥) رقم ١٨٧٦، وفي السنن الكبرى (١/ ٦١٥) رقم ٢٠٠٤، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٦٨) رقم ٦٩٣٦، وأبو يعلى في مسنده (١٠/ ٤٦٤) رقم ٦٠٧٩، وأخرج البخاري أوله) رقم ١٢٤٨ .

(٢) هكذا بالأصل وفي المسند (مُحْبَنطئين)، والمحبنطئ المغضب المستبطئ للشيء.

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ١٠٥) رقم ١٧٠١٢، بزيادة بعض الكلمات وانظر تخريج الحديث السابق.

(٤) أخرجه أحمد (٤/ ١٨٣) رقم ١٧٦٧٦، والطبراني في الكبير (١٧/ ١١٩١) رقم ٢٩٤ و(١٢٥) رقم ٣٠٩ .

السقط المرغم ربه أدخل أبويك الجنة»[١].

وأخرج ابن شاهين والحافظ ابن عساكر عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا كان يوم القيامة نودي في أطفال المسلمين: أن اخرجوا من قبوركم، فيخرجون من قبورهم، ثم ينادى أن امضوا إلى الجنة زمراً، فيقولون: ربنا ووالدانا معنا، فينادي فيهم الثانية: أن امضوا إلى الجنة زمراً، فيقولون: يا ربنا ووالدانا معنا، قال: فيبتسم الرب جل وعلا في الرابعة، فيقول: ووالداكم معكم، فيثب كل طفل إلى أبويه، فيأخذون بأيديهم فيدخلونهم الجنة، لَهُم أعرف بآبائهم وأمهاتهم يومئذ من أولادكم الذين في بيوتكم**»[٢].

تنبيه:

قد وردت الأحاديث الصحيحة، والأخبار الصريحة بشفاعة الإسلام، والقرآن، والأعمال الصالحة.

أخرج مسلم عن النواس بن سمعان: «**يؤتى بالقرآن يوم القيامة، وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمهم سورة البقرة وآل عمران، كأنهما غمامتان أو غيايتان أوظلتان سوداوان بينهما شرق، أو كأنهما فرقان**[٣] من طير صواف تحاجان عن صاحبهما»[٤].

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١/ ٥١٣) رقم ١٦٠٨ وفي آخره «فيجرهما بسرره حتى يدخلهما الجنة»، وأبو يعلى في مسنده (١/ ٣٦٠) رقم ٤٦٨، والبزار (٣/ ٥٧) رقم ٨١٥ بلفظ «بسرارهما» وابن أبي شيبة في المصنف (٣/ ٣٧) رقم ١١٨٧، وضعف لأجل مندل بن علي وقد وثقه الهيثمي في غير موضع من مجمع الزوائد.

(٢) لم أقف عليه عند ابن عساكر وقد ذكره أبو عبد الله المنجي في كتابه «تسلية أهل المصائب» (١٢٢) وعزاه لابن شاهين وابن عساكر.

(٣) بالأصل رفرفان.

(٤) رواه مسلم رقم ٨٠٥ باختلاف يسير في بعض الألفاظ.

وأخرج الحاكم، وابن خزيمة عن أبي موسى الأشعري مرفوعاً: «**إن الله يبعث الأيام يوم القيامة على هيئتها، ويبعث الجمعة زهراء منيرة، أهلها يحفون بها كالعروس تهدى إلى كريمها، تضيء لهم، يمشون في ضوئها، كالثلج بياضاً، وريحهم يسطع كالمسك، يخوضون في جبال الكافور، ينظر إليهم الثقلان لا يطرقون تعجباً حتى يدخلوا الجنة، لا يخالطهم أحد إلا المؤذنون المحتسبون**»[١].

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جداً.

منها: حديث المنام الطويل الذي يقول فيه: «**رأيت رجلًا من أمتي قد بسط عليه عذاب القبر، فجاءه وضوءه، فاستنقذه من ذلك، ورأيت رجلًا من أمتي قد احتوشته الشياطين، فجاءه ذكر الله عز وجل فطرد الشياطين عنه، ورأيت رجلًا من أمتي قد احتوشت ملائكة العذاب، فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم، ورأيت رجلًا من أمتي يلتهب عطشاً كلما دنا من حوضي منع منه وطرد، فجاءه صيامه شهر رمضان فأسقاه وأرواه، ورأيت رجلًا من أمتي ورأيت النبيين حلقاً حلقاً كلما دنا إلى حلقة طرد، فجاءه غسله من الجنابة فأخذ بيده فأقعده إلى جنبي، ورأيت رجلًا من أمتي من بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة، وعن يمينه ظلمة، وعن شماله ظلمة، ومن فوقه ظلمة، وهو متحير، فجاءه حجه وعمرته فاستخرجاه من الظلمة وأدخلاه في النور، ورأيت رجلًا من أمتي يتقي بيده وجهه وهج النار**

---

(١) أخرجه الحاكم (١/ ٤١٢) رقم ١٠٢٧ وفيه (ألوانهم) قبل (كالثلج بياضاً) وقال: هذا حديث شاذ صحيح الإسناد، وابن خزيمة في صحيحه (٣/ ١١٧) رقم ١٧٣٠ وقال قبله: «إن صح الخبر فإن في النفس من هذا الإسناد» والطبراني في مسند الشاميين (٢/ ٣٨٩) رقم ١٥٥٧، وذكره الهيثمي (٢/ ٣٧٤) رقم ٣٠٠٤ وقال: رواه الطبراني في الكبير عن الهيثم بن حميد عن حفص بن غيلان، وقد وثقهما قوم وضعفهما آخرون وهما محتج بهما.

وشررها، فجاءته صدقته فصارت سترة بينه وبين النار، وظلًا على رأسه، ورأيت رجلًا من أمتي يكلم المؤمنين ولا يكلمونه، فجاءته صلته لرحمه فقالت: يا معشر المؤمنين إنه كان واصلًا لرحمه، فكلموه، فكلمه المؤمنون وصافحوه وصار فيهم، ورأيت رجلًا من أمتي قد احتوشته الزبانية، فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذه من أيديهم، وأدخله في ملائكة الرحمة، ورأيت رجلًا من أمتي جاثياً على ركبتيه، وبينه وبين الله عز وجل حجاب، فجاءه حسن خلقه فأخذ بيده فأدخله على الله عز وجل، ورأيت رجلًا من أمتي قد هوت صحيفته من قبل شماله فجاءه خوفه من الله عز وجل فأخذ صحيفته فوضعها في يمينه، ورأيت رجلًا من أمتي خف ميزانه، فجاءه أفراطه[١] فثقلوا ميزانه، ورأيت رجلًا من أمتي قائم على شفير جهنم، فجاءه رجاؤه من الله عز وجل فاستنقذه من ذلك ومضى، ورأيت رجلًا من أمتي قد هوى في النار فجاءته دمعته التي بكا من خشية الله عز وجل فاستنقذته من ذلك، ورأيت رجلًا من أمتي قائماً على الصراط يرعد كما ترعد السعفة في ريح عاصف، فجاءه حسن ظنه بالله عز وجل فسَكَّن رعدته ومضى، ورأيت رجلًا من أمتي يزحف على الصراط، ويحبو أحياناً، ويتعلق أحياناً، فجاءته صلاته عليَّ فأنقذته وأقامته على قدميه، ورأيت رجلًا من أمتي انتهى إلى أبواب الجنة فغلقت الأبواب دونه، فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله ففتحت له أبواب الجنة، وأدخلته الجنة»[٢].

---

(١) جاء في النهاية يقال: افترط فلان ابناً له صغيراً إذا مات قبله، ومنه الدعاء للطفل الميت «الهم اجعله لنا فرطا» أي أجراً يتقدمنا.
النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير مادة: فرط.

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٤/٤٠٦) باختلاف يسير في بعض الألفاظ، والطبراني في الأحاديث الطوال (٢٨١) رقم ٣٩، وذكره الهيثمي (٧/٣٧١) رقم ١١٧٤٦ وقال: رواه الطبراني بإسنادين في أحدهما سليمان بن أحمد الواسطي وفي الآخر خالد بن عبد الرحمن المخزومي وكلاهما ضعيف.

هذا الحديث أخرجه أبو القاسم الحافظ ابن عساكر، قال: أخبرنا أبو العز أحمد بن عبيد الله العكبري ببغداد، ثنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري، أنا أبو الحسن علي بن محمد الوراق، ثنا أبو حفص عمر بن أيوب السقطي، ثنا أبو الوليد بشر بن الوليد القاضي، ثنا الفرج بن فضالة، ثنا هلال أبو جبلة عن سعيد بن المسيب عن عبد الرحمن بن سمرة ﵁ قال: خرج علينا رسول الله ﷺ يوماً ونحن في صفة بالمدينة فقام علينا فقال: «**إني رأيت البارحة عجباً، رأيت رجلًا من أمتي أتاه ملك الموت ليقبض روحه فجاءه بره بوالديه فطرد ملك الموت عنه** . . .»[(١)] وساق جميع ما ذكرنا.

قلت: وهذا الحديث ذكر غير واحد من الحفاظ أن لوائح الصحة ظاهرة عليه، وأن القلب يركن إلى متنه، وفيه بشارة عظيمة للأمة عامة.

فإن قيل: هذه المذكورات أعراض فكيف تصح شفاعتها، وكيف تصدر الشفاعة من عرض وهو مفتقر لمحل يقوم فيه؟ قلنا: لا جرم أن الأعمال والمعاني مخلوقة لله تعالى، ولها صور عند الله سبحانه، وإن كنا لا نشاهد تلك الصور، وقد نص أرباب الحقيقة على أن من أنواع الكشف: الوقوف على حقائق المعاني وإدراك صورها بصورة الأجسام، والأحاديث شاهدة لذلك.

هذا محصل جواب العلامة ملخصاً.

قلت: وهذا ليس بشيء[(٢)] والتحقيق عندي أن الله يخلق من ثواب

---

(١) الحديث السابق.

(٢) في حاشية الأصل/ قوله: وهذا ليس بشيء إلخ، فيه نظر وما زعمه أنه التحقيق عنده =

القرآن ملائكة يأتون مع أهل القرآن.

وقد جاء في الخبر: من قرأ ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ١٨]. خلق الله سبعين ألف ملك يستغفرون له إلى يوم القيامة[١].

= صرف لصريح الأحاديث عن ظاهرها لغير ضرورة ولا حاجة داعية إلى التأويل فإنه لا يترتب على مجيء القرآن والصلاة والصيام وسائر الأعمال الصالحة وشفاعتها لأهلها محذور، وهو مما تظاهرت به النقول، وما ذكره من السؤال قد جرى بعينه في زمن الحافظ السيوطي، وألف في الجواب عنه رسالة سماها «المعاني الدقيقية في إدراك الحقيقة» وهي دون الكراسة، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد الديباجة: وأقول: التحقيق الشامل لذلك ولغيره أن جميع المعاني المعقولة عندنا مصورة عند الله تعالى بصورة الأجسام ومشخصة بهيئة الأشخاص، وإن كنا لا نحس ذلك لكوننا محجوبين عنه، وذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ جملة أحاديث كلها تدل على تشخص الأعمال وتجسدها، منها حديث «إذا زنى الرجل خرج منه الإيمان فكان عليه كالظلة، فإذا أقلع رجع إليه الإيمان» وفي لفظ «من زنى أو شرب الخمر ينزع الله منه الإيمان كما يخلع الإنسان القميص في رأسه» وفي لفظ «الإيمان سربال يستر به الله من يشاء، فإذا زنى العبد نزع منه سربال الإيمان، فإذا تاب رده عليه» وقال وفي هذا الحديث دليل على أن الإيمان شيء مخلوق له صورة وتشخص شخوصاً، قوله: «فكان عليه كالظلة» فإنه بعيد القبول للتأويل...

وقال أيضاً في هذه الرسالة المذكورة بعد أن ذكر أحاديث في كبش الموت: فائدة: قال الشيخ عبد الغفار القوصي في كتاب «الوجد» المعانى تتشكل ولا يمتنع ذلك على الله تعالى، فقد ورد في الحديث الصحيح أن الموت يؤتى به في صورة كبش ويذبح بين الجنة والنار، والموت معنى من المعاني، وقد ورد أن العبد إذا قال: لا إلاه إلا الله خرج من فيه طائر أبيض يرفرف تحت العرش، فيقال له اسكن، فيقول: وعزتك لا أسكن حتى تغفر لقائلها. انتهى. وحكى بعد ذلك حكايات كثيرة عن بعض الصالحين كلها شاهدة بأن المعاني تشخص ويشاهدها من كشف الله بصيرته ونور سريرته، والخبر الذي أورده المؤلف نفى التشخص والتصور كما ذكرنا، ولا يفيد أكثر من أن الله يخلق سبعين ألف ملك يستغفرون لمن قرأ «شهد الله أنه» الآية بل قوله فيه «إلى يوم القيامة شاهد على هذا الخلق والاستغفار في الدنيا، وقول المؤلف: ولعله مراد العلامة إلخ، ممنوع، بل مراد العلامة ومراد السيوطي فيما نقلناه عنه وله فتأمل وانصف. كاتبه/ محمد الباقاني.

قلت: الحديث الذي ذكره «من قال لا إلاه إلا الله خرج من فيه طائر أبيض» إلخ حديث موضوع.

(١) ذكره الشوكاني في الفوائد المجموعة (٣١٢) رقم ٤٩ وقال: في إسناده وضاع.

وهنا كذلك يخلق الباري جل شأنه وتعالى سلطانه من ثواب القرآن والصيام، وكذلك سائر الأعمال الصالحة ملائكة يشفعون له.

ثم رأيت القرطبي ذكره في «التذكرة» عن الإمام عبد اللّه ابن المبارك قدس الله روحه في دقائقه.

والحاصل أن الصور نفس ثواب القرآن كبقية الأعمال، لا أن القرآن نفسه يتصور ولعله مراد العلامة، بل هو مراده قطعاً، وإن أوهم خلافه، فتنبه، والله أعلم.

* * *

فصل

في سعة رحمة الله تعالى

قال عز وجل: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ [الزمر: ٥٣] وقال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩] ثم قال: ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٥٠] إلى غير ذلك من الآيات القرآنية.

ومما ينبغي أن يعلم أن الله سبحانه وتعالى أرحم بعبده من الأم الشفوقة على ولدها، وأنه تعالى أرحم بنا من أنفسنا، كيف وهو الذي أفاض على العباد من هذه البركات، وأتى بهذه الخيرات، وامتن بهذه النعم التي ملأت ما بين الأرض والسموات، واستخرج عبادة من ظلمات الكفر، واستنقذهم من غمرات الجهل، وهو الذي يغفر الذنوب جميعاً، ويستر العيوب، وينفس عن المكروب، ويجيب المضطر إذا دعاه، وإن كان[1] قد أكل رزقه وعصاه، وعتى عن ذكر ربه وتولى سواه، سبحانه من إله، ارتدى بالعظمة، وتسربل بالكبرياء، فلا يحد كرمه، ولا تعد نعمه.

ولله در القائل:

حدث عن الجود وعن فيضه ... فالأمر مبني على الجود
واذكر لنا بعض أعاجيبه ... فلست تحصيه بتعديد
هيهات ما جود مليك الورى ... وخالق الخلق بمحدود
حدث عن البحر وما البحر في ... بعض أياديه بموجود

أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ

(١) هنا نهاية الجزء الأول من نسخة الأصل، وبداية الجزء الثاني.

يقول: «**إن الله خلق الرحمة[١] يوم خلقها مائة رحمة، فأمسك عنده تسعة وتسعين رحمة، وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة، ولو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار**»[٢].

وأخرج الإمام أحمد، والبزار، وأبو يعلى بسند صحيح عن أنس ﷺ قال: مر رسول الله ﷺ ونفر من أصحابه وصبي في الطريق، فلما رأت أم الصبي القوم خشيت على ولدها أن يوطأ، فأقبلت تسعى وتقول: ابني ابني، وسعت فأخذته، فقال القوم: يا رسول الله، ما كانت هذه لتلقي ابنها في النار، فقال ﷺ: «**ولا الله، لا يلقي حبيبه في النار**»[٣].

وأخرجه الشيخان من حديث عمر بن الخطاب ﷺ وفيه: وقال

---

(١) في حاشية الأصل/ قوله: خلق الرحمة إلخ، لا يذهب عليك أن هذه الرحمة مخلوقة للّه سبحانه وتعالى لا أنها صفته، تعالى اللّه عن ذلك، فإن اللّه وصفاته قديم وهي قديمة، فالرحمة التي هي صفة اللّه تعالى قديمة قائمة بذاته لا تشابه صفات المخلوقين، ولا نردها إلى الإرادة كما ذهب إليه المتكلمة، لزعمهم أن الرحمة هي الرقة، أي رقته تعالى والميل، واللّه تعالى منزه عن ذلك، قلنا رحمة اللّه غير رحمة العبد كما أي سمعه وبصره وعلمه وكلامه وقدرته وإرادته كلها بخلاف صفة العبد، فصفات اللّه قديمة، وصفات العبد محدثة، وحقيقة صفات اللّه غير حقيقة صفات العبد، فاللّه قديم بصفاته وأسمائه، إذ صفة القديم قديمة، والعبد محدث مخلوق، وصفاته كذلك، ومن زعم أن الرحمة ترد إلى الإرادة فقد وقع فيما فر منه كما يعلم من له دقة فهم، وأما هذه الرحمة التي خلقها فهي غير صفته تعالى، لأن صفته لا تنفك عنه ولا تتجزأ كما لا يخفى على من له تحقيق واللّه ولي التوفيق، مؤلف.

(٢) رواه البخاري رقم ٦٤٦٩، ومسلم في موضعين رقم ٢٧٥٢، عن أبي هريرة، ورقم ٢٧٥٣ عن سلمان.

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ١٠٤) رقم ١٢٠٣٧ وأبو يعلى في مسنده (٦/ ٣٩٧) رقم ٣٧٤٧، والحاكم (٤/ ١٩٥) رقم ٧٣٤٧، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

رسول الله ﷺ : **«الله أرحم بعباده من هذه بولدها»**(١).

وأخرج البزار بسند صحيح عن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان في بعض مغازيه فبينما هم يسيرون إذ أخذوا فرخ طير، فأقبل أحد أبويه حتى سقط في يد الذي أخذه، فقال رسول الله ﷺ : **«لا تعجبوا، فإن هذا الطير أُخذ فرخه فأقبل حتى سقط في أيديهم، فوالله لله أرحم بخلقه من هذا الطير بفرخه»**(٢).

وفي سنن أبي داود في أوائل كتاب الجنائز من حديث عامر الرام - أخي الخضر - بفتح الخاء وإسكان الضاد المعجمتين، فرد في الأسماء قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ أقبل رجل عليه كساء، وفي يده شيء قد التف عليه، فقال: يا رسول الله، إني لما رأيتك أقبلت فمررت بغيطه شجر، فسمعت فيها أصوات فراخ طائر، فأخذتهن فوضعتهن في كسائي، فجاءت أمهن فاستدارت على رأسي، فكشفت لها عنهن، فلبثت معهن فلففتهن بكسائي، فهن أولاء، فقال: دعهن عنك، فوضعتهن، فأبت أمهن إلا لزومهن، فقال رسول الله ﷺ: **«أتعجبون لرحمة أم هؤلاء عليهن؟»** قالوا: نعم، يا رسول الله، قال: **«فوالذي بعثني بالحق لله أرحم بعباده من أم الفراخ بفراخها، ارجع بهن حتى تضعهن من حيث أخذتهن وأمهن معهن»**(٣). فرجع بهن.

---

(١) أخرجه البخاري رقم ٥٩٩٩، ومسلم رقم ٢٧٥٤ .

(٢) رواه البزار في مسنده (١/ ٤١١) رقم ٢٨٧، وذكره الهيثمي (١٠/ ٦٩٧) رقم ١٨٥٥٣ وقال: رواه البزار من طريقين ورجال إحداهما رجال الصحيح.

(٣) جزء من حديث أخرجه أبو داود (٢/ ١٩٩) رقم ٣٠٨٩، وابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله (٣٠) رقم ٢٠ .

تنبيه :

في هذه الحديث أنه ﷺ أمر الرجل الذي أتى بالفراخ وأمهن أن يرجعها بفراخها إلى موضعهن، وقد نص الفقهاء أنه لا يجوز إعتاق الطيور[١].

قال إمام الحنابلة ومحققهم سيدنا الإمام العلامة ابن عقيل طيب الله ثراه: لا يجوز أعتقتك في حيوان مأكول، لأنه فعل الجاهلية.

وفي (الفروع): وتبعه في (الإقناع)، وإذا أرسل صيداً، وقال: أعتقتك لم يزل ملكه عنه كما لو أرسل البعير أو البقرة. انتهى.

وفي (حياة الحيوان): لا يجوز عتقها - يعني الطيور - على الأصح، وقيل: يجوز لما روى الحافظ أبو نعيم عن أبي الدرداء، أنه كان يشتري العصافير ويرسلها.

قال ابن الصلاح: والخلاف فيما يملك بالاصطياد، أما البهائم الأنسية فإعتاقها من قبيل السوائب الجاهلية، وذلك باطل قطعاً. انتهى.

وأخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إن لله مائة رحمة قسم منها رحمة في دار الدنيا، فمن ثم يعطف الرجل على ولده والطير على فراخه، فإذا كان يوم القيامة صيرها مائة رحمة فعاد بها على الخلق**»[٢].

وقال أيوب السختياني: إن رحمة الله ما هو أكثر من ذلك إن شاء الله.

---

(١) اعتاق الطير إرساله وإطلاقه بعد صيده، وقد بحثها الفقهاء وخصوصاً الحنابلة وهي مسألة خلافية. انظر الشرح الكبير (١١/ ٤٢)، والإنصاف (١٠/ ٤٤٠).
(٢) مسلم رقم ٢٧٥٢ بألفاظ قريبة.

وأخرج أبو القاسم عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً: «**إذا فرغ الله من القضاء بين خلقه، أخرج كتاباً من تحت العرش، إن رحمتي سبقت غضبي، وأنا أرحم الراحمين**». قال: فيخرج من النار مثل أهل الجنة، قال: وأكثر ظني أنه قال: «**مثلي أهل الجنة مكتوب بين أعينهم عتقاء الله**»(١).

وعند البيهقي عن أبي هريرة مرفوعاً: «**أمر الله بعبد إلى النار، فلما وقف على شفيرها التفت، فقال: أما والله يا رب إن كان ظني بك لحسنا، فقال: ردوه أنا عند ظني عبدي بي**»(٢).

وأخرج الحاكم وصححه، والطبراني عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**تحشر هذه الأمة يوم القيامة على ثلاثة أصناف، صنف يدخلون الجنة بغير حساب، وصنف يحاسبون حساباً يسيراً، ويدخلون الجنة، وصنف يجيئون على حمائلهم كأمثال الجبال الراسية، فيقول الله للملائكة وهو أعلم بهم: من هؤلاء؟ فيقولون: ربنا عبيد من عبيدك كانوا يعبدونك لا يشركون بك شيئاً، وعلى ظهورهم الخطايا والذنوب، فيقول الله: حطوها عنهم وضعوها على اليهود والنصارى، وأدخلوهم الجنة برحمتي**»(٣).

---

(١) أخرجه الطبري في التفسير (٥/ ١٥٤)، وعبد الرزاق في مصنفه (١١/ ٤١١) رقم ٢٠٨٥٨، وذكره ابن كثير في التفسير (١/ ١٨١) وعزاه لابن مردويه، والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ٧٢).

(٢) جزء من حديث أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٩) رقم ١٠١٥، وذكره العجلوني في كشف الخفا (١/ ٢٣٣) عند حديثه عن حديث «أنا عند ظن عبدي بي» والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ١٣٦) رقم ٥١٣٢.

(٣) أخرجه الحاكم (١/ ١٢٦) رقم ١٩٣ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وفي (٤/ ٢٨٢) رقم ٧٦٤٥ باختصار وأخرج نحوه الطبراني في الكبير (١٨/ ٧٩) رقم ١٤٩ عن عوف بن مالك، وذكره الهيثمي (١٠/ ٦٢١) رقم ١٨٣٥٧.

وعند البيهقي وابن ماجه عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً: «**إذا كان يوم القيامة دفع إلى كل رجل من المسلمين رجل من المشركين، فيقال: هذا فداؤك من النار**»(١).

وأخرج مسلم عن أبي موسى رضي الله عنه رفعه: «**يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال يغفرها الله لهم ويضعها على اليهود**»(٢).

وأخرج مسلم أيضاً من وجه آخر: «**إذا كان يوم القيامة دفع إلى كل مسلم يهودياً أو نصرانياً، فيقول: هذا فداؤك من النار**»(٣).

و«أو» هنا ليست للشك، بل للتخيير والتنويع، أي يدفع له رجل من اليهود أو النصارى.

قال القرطبي في «التذكرة»: ومعنى وضع ذنوب المذنبين من المسلمين على اليهود والنصارى أنه يضاعف عليهم عذاب كفرهم وذنوبهم بقدر جرمهم وجرم مذنبي المسلمين لو أخذوا بذلك؛ لأنه سبحانه وتعالى لا يؤاخذ أحداً بذنب أحد، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤] وله أن يضاعف لمن يشاء العذاب، ويخفف عمن شاء بحكم إرادته ومشيئته، وهو الفاعل المختار.

لطيفة:

سمع أعرابي ابن عباس رضي الله عنهما يقرأ ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٤٣٤) رقم ٤٢٩٢، وأحمد (٤/ ٤٠٩) رقم ١٩٦٨٥ باختلاف يسير عن أبي موسى والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ٣٤٠) رقم ٣٧٥ .
(٢) رواه مسلم رقم ٢٧٦٧ بلفظ «فيغفرها الله لهم ويضعها على اليهود والنصارى».
(٣) رواه مسلم رقم ٢٧٦٧ بلفظ: «إذا كان يوم القيامة دفع الله عز وجل إلى كل مسلم يهودياً أو نصرانياً فيقول هذا فكاكك من النار».

فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ [آل عمران: ١٠٣] فقال الأعرابي: والله ما أنقذهم منها وهو يريد أن يوقعهم فيها، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: خذوها من غير فقيه.

بشارة:

أخرج مسلم عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله حرم الله عليه النار**»[1].

وسنذكر تحقيق هذا الباب بعد إن شاء الله تعالى.

* * *

---

(١) رواه مسلم رقم ٢٩ .



الكتاب الرابع

في ذكر الجنة وصفاتها وذكر نعيمها ولذاتها، جعلنا الله تعالى من أهلها من غير سابقة عذاب، ولا مناقشة حساب

في ذكر الجنة وصفاتها وذكر نعيمها ولذاتها، جعلنا الله تعالى من أهلها من غير سابقة عذاب، ولا مناقشة حساب

قد تقدم أن الجنة لا تُدخل بالأعمال، وإنما تُدخل برحمة الكريم المتعال، وفضل ذي المنة والنوال. وقد ذكرنا أيضاً أنها موجودة الآن، ولكن لابد من زيادة هذا المقام توضيحاً وتحريراً وتنقيحاً.

قال الإمام المحقق ابن القيم في كتابه «حادي الأرواح إلى منازل الأفراح»: لم تزل أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون وتابعوهم وأهل السنة والحديث قاطبة، وفقهاء الإسلام، وأهل التصوف والزهد، على اعتقاد ذلك وإثباته، مستندين في ذلك إلى نصوص الكتاب والسنة وما علم بالضرورة من أخبار الرسل عليهم الصلاة والسلام، كلهم من أولهم إلى آخرهم، فإنهم دعوا الأمم إليها وأخبروا بها، إلى أن نبعت نابعة من القدرية والمعتزلة، فأنكرت أن تكون الجنة الآن مخلوقة، قالت: بل الله ينشئها يوم القيامة والمعاد، وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد، الذي وضعوا به شريعة فيما يفعله الله، وأنه ينبغي له أن يفعل كذلك، ولا ينبغي له أن يفعل كذا، وقاسوه على خلقه في أفعاله، فهم مشبهة في الأفعال، ودخل التجهم فيهم فصاروا مع ذلك معطلة في الصفات، وقالوا: خَلْقُ الله الجنة قبل الجزاء عبث، فإنها تصير معطلة مُدَداً متطاولة ليس فيها سكانها، قالوا: ومن المعلوم أن ملكاً لو اتخذ داراً وأعد فيها ألوان الأطعمة والآلات والمصالح، وعطلها من الناس ولم يمكنهم من دخولها قروناً متطاولة، لم يكن ما فعله واقعاً على وجه الحكمة، ووجد العقلاء سبيلًا إلى الاعتراض عليه. قال

المحقق قدس الله روحه: هؤلاء حجروا على الرب بعقولهم الفاسدة وآرائهم الباطلة، وشبهوا أفعاله تعالى بأفعالهم، وردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة، يعني شريعتهم الباطلة التي وضعوها، وحكموا ببدعة وضلال من خالفهم فيها، والتزموا لها لوازم أضحكوا عليهم فيها العقلاء، ولهذا يذكر السلف في عقائدهم أن الجنة والنار مخلوقتان، ويذكره من صَنَّفَ في المقالات أن هذه مقالة أهل السنة والحديث قاطبة، لا يختلفون فيها، ثم ذكر عقائد أهل السنة ومقالاتهم، ثم ذكر الأحاديث والآيات الواردة الدالة على أن الجنة كالنار موجودتان الآن، وأطال بما لم أر في سائر كتب الإسلام أغزر منه تحقيقاً، ولا أظهر منه تدقيقاً، فجزاه الله خيراً.

احتج المخالف أنها لو كانت الآن مخلوقة لوجب أن تفنى، وأن يهلك كل ما فيها ويموت، لقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨] و ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] قال: فتموت الحور العين التي فيها والولدان، قالوا: والدار دار خلود، وقد أخبر سبحانه بأنها دار خلود، فلا يموت من فيها ولا يبيد، وخبره لا يجوز خُلْفه ويستحيل نسخه، أي: لأنه خبر محض، وهو غير جائز. وقد أخرج الترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «**لقيت إبراهيم ليلة أسري بي، فقال: يا محمد أقرئ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسهما سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله والله أكبر**»(١) قال الترمذي: حديث حسن غريب.

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٥١٠) رقم ٣٤٦٢ وقال: هذا حديث حسن غريب، والطبراني في الكبير (١٠/ ١٧٣) رقم ١٠٣٦٣ باختلاف يسير.

وأخرج أيضاً عن جابر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «**من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة في الجنة**»[١] قال: حديث حسن صحيح.

قال المخالف: فلو كانت الجنة مخلوقة مفروغاً منها لم تكن قيعاناً، ولم يكن لهذا الغرس معنى، وقد قال تعالى حاكياً عن امرأة فرعون أنها قالت: ﴿رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ﴾ [التحريم: ١١] ومحال أن يقول قائل لمن نسج ثوباً أو بنى بيتاً، انسج لي ثوباً وابن لي بيتاً، وأصرح من هذا قوله ﷺ: «**من بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة**»[٢] متفق عليه.

وهذه جملة مركبة من شرط وجزاء تقتضي وقوع الجزاء بعد الشرط بإجماع أهل العربية، وهذا ثابت عن النبي ﷺ من رواية عثمان، وعلي بن أبي طالب، وجابر بن عبد الله، وأنس بن مالك وعمرو بن عبسة رضي الله عنهم.

قال المخالف: وقد جاءت آثار بأن الملائكة تغرس فيها وتبني للعبد ما دام يعمل، فإذا فتر فترت الملائكة عن العمل، قال: وقد روى ابن حبان في صحيحه والإمام أحمد في مسنده من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعاً: «**إذا قبض الله ولد العبد، قال: يا ملك الموت قبضت قرة عينه وثمرة فؤاده؟ قال: نعم، قال: فما قال عبدي؟ قال: حمدك واسترجع، قال: ابنوا له بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد**»[٣].

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٥١١) رقم ٣٤٦٤، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، وابن حبان في صحيحه (٣/ ١٠٩) رقم ٨٢٦ والحاكم (١/ ٦٨٠) رقم ١٨٤٧ وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٢) أخرجه البخاري رقم ٤٥٠ باختلاف في بعض الألفاظ ومسلم رقم ٥٣٣ عن عثمان بن عفان.

(٣) رواه ابن حبان (٧/ ٣١٠) رقم ٢٩٤٨، والترمذي (٣/ ٣٤١) رقم ١٠٢١، وقال: هذا حديث حسن غريب، وأحمد (٤/ ٤١٥) رقم ١٩٧٤٠ .

وفي المسند أيضاً من حديثه أيضاً قال ﷺ: «**من صلى في يوم وليلة ثنتي عشرة ركعة سوى الفريضة بني له بيت**[١] **في الجنة**»[٢]. قال المخالف: وليس هذا من أقوال أهل البدع والاعتزال كما زعمتم.

فهذا ابن مزين قد ذكر في تفسيره عن نافع - وهو من أئمة السنة - أنه سئل عن الجنة: أمخلوقة هي؟ فقال: السكوت عن هذا أفضل، هذه شبه أهل الاعتزال والزيغ والضلال.

والجواب مع ما تقدم عن هذه الشبه أن تقول لهم: ما تعنون بقولكم: لم تخلق بعد؟ أتريدون أنها الآن عدم محض لم تبرز إلى الوجود كالنفخ في الصور، وقيام الناس من القبور؟ فهذا باطل مردود، وقائله مدحوض مبعود بالأحاديث الصحيحة والأخبار الصريحة، وهو قول مخترع، لم يقله أحد من السلف، ولا من أهل السنة، وهو رأي أهل البدع، ويرده وتزيفه أئمة السنة والجماعة والأكابر قطعاً، أم تريدون أنها لم تخلق بكمالها، وجميع ما أعد الله لأهلها من نسائها ورجالها، وأنها لا يزال الله يحدث فيها شيئاً بعد شيء؟ وإذا دخلها المؤمنون أحدث الله فيها عند دخولهم أموراً أخر؟ فهذا حق لا يمكن رده، وأدلتكم إنما تدل على هذا القدر.

وحديث ابن مسعود، وحديث جابر صريحان في أن أرضها مخلوقة، وأن الذكر الذي ينشئ الله سبحانه وتعالى لقائله منه غراساً في تلك الأرض، وكذا بناء البيوت بالأعمال المذكورة، والعبد كلما وسع في الأعمال الصالحة وسع الله له في الجنة، وكلما عمل خيراً غرس له هناك

---

(١) في الأصل (بيتا) والمثبت هو الصواب.
(٢) رواه أحمد (٤/ ٤١٣) رقم ١٩٧٢٤ بلفظ: «ثنتي عشر» وروى نحوه أبو داود (١/ ٤٠١) رقم ١٢٥٠ عن أم حبيبة، ومسلم رقم ٧٢٨ .

غراس، وبني له بيت، ونشئ له من العمل أنواع مما يتمتع به، وهذا لا يدل على أن الجنة لم تخلق بعد، ولا يسوغ إطلاق ذلك أبداً.

وأما احتجاجكم بقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:٨٨]. فإنما أوتيتم ذلك من عدم فهمكم معنى الآية، واحتجاجكم بها على عدم وجود الجنة والنار الآن، نظير احتجاج إخوانكم بها على فنائهما وخرابهما وموت أهلهما، فلا أنتم وفقتم لفهم معناها ولا إخوانكم، وإنما وفق لذلك السلف وأئمة الإسلام.

قال البخاري في صحيحه قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:٨٨] أي إلا ملكه ويقال: إلا ما أريد به وجهه.

وقال إمام السنة سيدنا الإمام أحمد - طيب الله ثراه - في رواية ابنه عبد الله: فأما السماء والأرض فقد زالتا، لأن أهلهما صاروا إلى الجنة وإلى النار، وأما العرش فلا يبيد ولا يذهب، لأنه سقف الجنة، والله سبحانه وتعالى عليه فلا يهلك ولا يبيد.

وأما قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:٨٨] وذلك أن الله تعالى أنزل: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن:٢٦] فقالت الملائكة: هلك أهل الأرض، وطمع أهل السماء في البقاء، فأخبر سبحانه عن أهل السماوات والأرض أنهم يموتون، فقال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾، لأنه حي لا يموت، فأيقنت الملائكة عند ذلك بالموت.

وقال في رواية أبي العباس، قال: قال أبو عبد الله الإمام أحمد بن حنبل ﷺ: هذه مذاهب أهل العلم، وأصحاب الأثر، وأهل السنة المتمسكين بعروتها المقتدى بهم فيها من لدن أصحاب نبينا ﷺ إلى يومنا هذا، وأدركت من أدركت من أهل الحجاز والشام وغيرهم عليها، فمن

خالف هذه المذاهب أو طعن فيها، أو عاب قائلها فهو مخالف مبتدع، خارج عن الجماعة، زائل عن منهج أهل السنة وسبيل الحق.

فَسَاق أقوالَهم إلى أن قال: وقد خلقت الجنة وما فيها، وخلقت النار وما فيها، خلقهما الله عز وجل وخلق كل شيء انخلق لهما، فلا يفنيان ولا يفنى ما فيهما أبداً.

فإن احتج مبتدع أو زنديق بقول الله عز وجل: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨] وبنحو هذا من متشابه القرآن قيل له: كل شيء مما كتب عليه الفناء والهلاك هالك، والجنة والنار خلقتا للبقاء لا للفناء والهلاك، وهما من الآخرة لا من الدنيا، والحور العين لا يَمُتْن عند قيام الساعة ولا عند النفخة، ولا يذقن الموت أبداً، لأن الله عز وجل خلقهن للبقاء لا للفناء، ولم يكتب عليهن الموت، فمن قال خلاف هذا فهو مبتدع، وقد ضل عن سواء السبيل.

قال: وخلق سبع سماوات بعضها فوق بعض، وسبع أرضين بعضها أسفل من بعض، وبين الأرض العليا والسماء الدنيا مسيرة خمس مائة عام، وبين كل سماء إلى سماء مسيرة خمس مائة عام، والماء فوق السماء السابعة، وعرش الرحمن عز وجل فوق الماء، والله على العرش، والكرسي موضع قدميه، وهو يعلم ما في السماوات والأرضين السبع وما بينهما، وما تحت الثرى وما في قعر البحر، ومنبت كل شعرة وشجرة وزرع وكل نبات، ومسقط كل ورقة، وعدد كل كلمة، وعدد الرمل والحصا والتراب، ومثاقيل الجبال، وأعمال العباد وآثارهم، وكلامهم وأنفاسهم، ويعلم كل شيء لا يخفى عليه من ذلك شيء، وهو على العرش فوق السماء السابعة، ودونه حجب من نار ونور وظلمة وما هو أعلم بها، قال:

فإن احتج مبتدع ومخالف بقول الله عز وجل: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق:١٦] وقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ [الحديد:٤]. ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [المجادلة:٧] وقوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة:٧] ونحو هذا من متشابه القرآن، فقل: إنما يعني بذلك العلم، لأن الله عز وجل على العرش فوق السماء السابعة العليا، يعلم كل ذلك كله، وهو بائن من خلقه، لا يخلو من علمه مكان. وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ أيضاً في رواية أبي جعفر الطائي محمد بن عوف بن سفيان الحمصي، قال الخلال في حقه: حافظ إمام في زمانه، معروف بالتقدم في العلم والمعرفة، كان الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ يعرف له ذلك، ويقبل منه، ويسأله عن الرجال من أهل بلده، قال: أملى علي الإمام أحمد بن حنبل فذكر من رسالته في السنة ثم قال في أثنائها: وإن الجنة والنار مخلوقتان قد خلقتا، كما جاء في الخبر قال النبي ﷺ: «**دخلت الجنة فرأيت فيها قصراً وأريت الكوثر واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها كذا وكذا**»(١).

فمن قال: إنهما لم يخلقا فهو مكذب لرسول الله ﷺ وبالقرآن، كافر بالجنة والنار، يستتاب، فإن تاب وإلا قتل وقد قال في رواية عبدوس بن مالك العطار وذكر رسالة في السنة، أن قال: والجنة والنار مخلوقتان كما جاء عن رسول الله ﷺ قال: «**اطلعت في الجنة، فرأيت أكثر أهلها كذا وكذا، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها كذا وكذا**»(٢).

فمن زعم أنهما لم يخلقا، فهو مكذب بالقرآن وأحاديث رسول الله

---

(١) روى البخاري رقم ٣٢٤١ عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ قال: «اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء» ورواه مسلم رقم ٢٧٣٧ عن ابن عباس.
(٢) انظر تخريج الحديث السابق.

ﷺ، ولا أحسبه يؤمن بالجنة والنار، لخصت هذا كله من كلام الإمام المحقق في (حادي الأرواح) وقد أجاد وأفاد، قدس الله روحه، ونور ضريحه.

تنبيه:

لا يذهب وهمك من كلام الإمام أحمد رضي الله عنه إلى نوع تشبيه أو تمثيل، معاذ الله، فهو رضي الله عنه أبعد خلق الله من ذلك، ولكن نؤمن بأن الله كما أخبر، لا كما يخطر للبشر، فهو مستو على عرشه استواء يليق بذاته، من غير تشبيه ولا تعطيل ولا تأويل ولا تمثيل، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك، والله أعلم.

إذا علمت أن الجنة مخلوقة، وأنها موجودة الآن فلنتكلم على صفاتها في خمسة عشر باباً.

❊ ❊ ❊

الباب الأول

في ذكر أبوابها وما يتعلق بذلك

قال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣] وقال في صفة النار: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧١] بغير واو، فزعمت طائفة أن هذه الواو واو الثمانية، دخلت في أبواب الجنة لكونها ثمانية، بخلاف أبواب النار فإنها سبعة، وذكره الإمام ناصر السنة ابن الجوزي في (التبصرة) وانتصر له، قال في (التبصرة) عند قوله تعالى: ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ في هذه الواو ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها زائدة، قاله الفراء.

والثاني: أن الواو زيدت لأن أبواب الجنة ثمانية، وأبواب النار سبعة، والعرب تعطف في العدد بالواو على ما فوق السبعة، فيقولون خمسة ستة سبعة وثمانية، ومثله قوله تعالى: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ﴾ [التوبة: ١١٢] فلما ذكر سبع خصال، قال: ﴿وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ١١٢] وكذلك ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف: ٢٢].

والثالث: أنها واو الحال، فالمعنى جاءوها وقد فتحت أبوابها، فدخلت الواو لبيان أن الأبواب كانت مفتحة قبل مجيئهم، وحذفت الواو من قصة أهل النار لبيان أنها كانت مغلقة قبل مجيئهم، قال: ووجه الحكمة في ذلك من ثلاثة أوجه:

أحدها: أن أهل الجنة لما رأوا أبوابها مفتحة استعجلوا السرور،

وأهل النار يأتونها والأبواب مغلقة ليكون أشد لحرها.

والثاني: أن الوقوف على الباب المغلق ذل، فصين عنه أهل الجنة دون أهل النار.

والثالث: أنه لو وجد أهل الجنة باباً مغلقاً لأثر انتظار فتحه في كمال الكرم، ومن كمال الكرم غلق أبواب النار إلى مجيء أصحابها، لأن الكريم يعجل المثوبة ويؤخر العقوبة. انتهى كلامه.

والإمام المحقق لا يرتضي ذلك كله، بل قال: هذا قول ضعيف لا دليل عليه، ولا تعرفه العرب، ولا أئمة العربية، وإنما هذا من استنباط بعض المتأخرين. وقال عن القول بأنها زائدة: هو ضعيف أيضاً، فإن زيادة الواو غير معروف في كلامهم، ولا يليق بأفصح الكلام أن يكون فيه حرف زائد بغير معنى ولا فائدة، واختار بأن الواو عاطفة على قوله تعالى: ﴿جاؤها﴾ وأن الجواب محذوف، قال: وهو اختيار أبي عبيدة والمبرد والزجاج وغيرهم، قال المبرد: حذف الجواب أبلغ عند أهل العلم، قال أبو الفتح ابن جني: وأصحابنا يدفعون زيادة الواو ولا يجيزونه ويرون أن الجواب محذوف للعلم به.

فإن قيل: ما السر[1] في حذف الجواب في آية أهل الجنة، وذكره في آية أهل النار؟

---

(١) في حاشية الأصل/ قوله: ما السر؟ إلخ - اعلم أن الإمام ناصر السنة ابن الجوزي طيب الله ثراه ذكر أن الجواب في كلا الآيتين محذوف، فإن قال قائل: أين جواب (حتى إذا جاءوها) فالجواب أنه محذوف، قاله أبو عبيدة والمبرد والزجاج، قال وتقدير هذا المحذوف في حق أهل النار (هلكوا) وفي حق أهل الجنة (سعدوا)، هذا كلامه وأنت خبير مما قررنا أن المحذوف إنما هو في آية أهل الجنة حسب، وأما في آية أهل النار فالجواب فتحت، كما صرح به المحقق وهو ظاهر لا غبار عليه، والله أعلم. مؤلف

فالجواب: أن هذا أبلغ في الموضعين، فإن الملائكة تسوق أهل النار إليها وأبوابها مغلقة، حتى إذا جاءوها فتحت في وجوههم، ففجأهم العذاب بغتة، فحين انتهوا إليها فتحت أبوابها بلا مهلة، فإن هذا شأن الجزاء المرتب على الشرط أن يكون عقيبة، فإنها دار الإهانة والخزي، فلم يستأذن لهم في دخولها، وأما الجنة فدار كرامته تعالى، ومحل خواصه وأوليائه، فإذا انتهوا إليها صادفوها مغلقة، فيرغبون إلى صاحبها ومالكها أن يفتحها لهم، ويستشفعون إليه بأولي العزم من رسله، فكلهم يتأخر عن ذلك، حتى تقع الدلالة على خاتمهم وسيدهم وأفضلهم، فيقول: «**أنا لها**»، فيأتي تحت العرش ويخر ساجداً لربه، فيدعه ما شاء الله أن يدعه، ثم يأذن له في رفع رأسه، وأن يسأل حاجته، فيشفع إليه سبحانه في فتح أبوابها، فيشفعه ويفتحها تعظيماً لخطرها، وإظهاراً لمنزلة رسوله وكرامته عليه، وأن مثل هذه الدار التي هي دار ملك الملوك إنما يدخل إليها بعد تلك الأهوال العظيمة التي أولها من حين عقل العبد في هذه الدار إلى أن ينتهي إليها، وما ركبه من الأطباق طبقاً فوق طبق. قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الانشقاق: ١٩] يعني: الشدائد والأهوال، الموت، ثم البعث، ثم العرض. وقال عكرمة: حالًا بعد حال، رضيعاً، ثم فطيماً، ثم غلاماً، ثم شاباً ثم شيخاً، هذا معنى الآية الكريمة. وقيل غير ذلك من الشدائد والمصائب، شدة بعد أخرى، حتى يأذن الله سبحانه لنبيه وخاتم رسله أن يشفع إليه في فتحها لهم، وهذا أبلغ وأعظم في تمام النعمة وحصول الفرح والسرور، ولئلا يتوهم الجاهل أنها بمنزلة الخان الذي يدخله من شاء فجنة غالية، ومنزلة عالية بين الناس، وبينها من العقاب والمفاوز والأخطار ما لا تنال إلا به، فما لمن أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني ولهذه الدار، فليعد عنها إلى ما هو أولى به، وقد خلق لها وهيئ له.

قلت: وكلامه كله في الاحتجاج على أن أبواب الجنة يصادفها أهلها مغلقة كما أن أبواب النار يصادفها أهلها كذلك، وهذا فيه نزاع مشهور بين العلماء، والذي ذهب إليه ابن الجوزي وغيره وتلاهم العلامة في (بهجته) خلاف ما نحاه الإمام المحقق.

فإن قلت ما الذي تختاره؟ قلت: كلام المحقق أبلغ، وكلام الجمهور أظهر، وأنا أختار ما قاله المحقق. فإنا إذا قلنا: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ [الزمر:٧٣] دلالة ظاهرة على ما نحاه. وتقدير الكلام: حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها سعدوا وفازوا ونعموا، وقال لهم خزنتها، وأما قوله تعالى: ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ﴾ [ص:٥٠] أي: بعد دخولهم، كما نقرره إن شاء الله تعالى.

وتأمل ما في سوق الفريقين إلى الدارين زمراً، من فرحة هؤلاء بإخوانهم واستبشارهم وقوة قلوبهم، وخزي أولئك وغمهم، يساقون إلى النار زمراً يلعن بعضهم بعضاً، فإن ذلك أبلغ في الخزي والفضيحة من أن يساقوا واحداً واحداً، فلا تهمل تدبر قوله تعالى: ﴿زُمَرًا﴾ وتأمل قول خزنة الجنة لأهلها: ﴿طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا﴾ [الزمر:٧٣] أي سلامتكم ودخولها بطيبكم، فإن الله حرمها إلا على الطيبين، فيبشرونهم بالسلام والطيب والدخول والخلود، وأما أهل النار فإنهم لما انتهوا إليها على تلك الحالة من الهم والغم والخزي والحزن، فتحت لهم أبوابها، فوقفوا عليها وزيدوا على ما هم عليه من الخزي والنكال توبيخ خزنتها وتبكيتهم بقولهم: ﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ﴾ فاعترفوا وقالوا: ﴿قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [الزمر:٧١].

وكلمة العذاب قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة:١٣] وحقت بمعنى: وجبت، فيبشرونهم حينئذ بدخولها والخلود فيها، وأنها بئس المثوى، وتأمل قول خزنة الجنة لأهلها: ﴿ٱدْخُلُوهَا﴾، وقول خزنة النار لأهلها: ﴿ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾، تجد تحته سراً لطيفاً ومعنى بديعاً ظريفاً، وهو أنها لما كانت دار العقوبة وأبوابها أفظع كل شيء، وأشده حراً وأعظمه غماً، يستقبل الداخل من العذاب ما هو أشد منها، ويدنو من الغم والخزي بدخول الأبواب، فقيل ادخلوا أبوابها صغاراً لهم وإذلالاً وخزياً، ثم قيل لهم: لا يقتصر بكم على مجرد ذلك، ولكن وراء ذلك الخلود في النار، وأما الجنة فهي دار الكرامة، والمنزل الذي أعد الله لأوليائه فيبشرون من أول وهلة بالدخول إلى المقاعد والمنازل والخلود فيها، وتأمل قوله تعالى: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ۝٥٠ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾ [ص: ٥٠-٥١] كيف تجد تحته معنى بديعاً، وهو أنهم إذا دخلوا الجنة لم تغلق أبوابها عليهم، بل تبقى مفتحة كما هي، بخلاف النار، فإذا دخلوها أغلقت عليهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ [الهمزة:٨] أي: مطبقة. وفيه سمي الباب وصيداً، وهي مؤصدة في عمد ممدة، قد جعلت العمد ممسكة للأبواب من خلفها كالحجر العظيم الذي يجعل خلف الباب. قال مقاتل: يعني أبوابها عليهم مطبقة فلا يفتح لها باب، ولا يخرج منها غم ولا اكتئاب ولا يدخل فيها نسيم آخر الأبد، وأيضاً: فإن في فتح الأبواب إشارة إلى تصرف أهل الجنة وذهابهم وإيابهم وتبوئهم من الجنة حيث شاءوا، ودخول الملائكة عليهم من كل باب في كل وقت بالتحف والألطاف من ربهم، وأيضاً إشارة إلى أنها دار من لا يحتاج إلى غلق الأبواب كما في الدنيا. هذا ملخص كلام الإمام المحقق مختصراً، وهو صريح في أن الجنة يصادفها أهلها مغلقة الأبواب، وقد علم الجواب عن قوله تعالى: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً

لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾ [ص: ٥٠] وهو أنها تكون كذلك بعد دخولهم، واستقرارهم.

ويؤيده قوله ﷺ: **«آتي باب الجنة فأستفتح وقول الخازن بك أمرت ألا أفتح لأحد قبلك»**[(١)]. وهذا ظاهر والله الموفق.

وأخرجه الشيخان عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«في الجنة ثمانية أبواب، باب منها يسمى الريان، لا يدخله إلا الصائمون»**[(٢)]. وفيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«من أنفق زوجين من شيء من الأشياء في سبيل الله دعي من أبواب الجنة، يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة، دعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان»**. فقال أبو بكر رضي الله عنه والله يا رسول الله ما على أحد من ضرورة من أيها دعي؟ فهل يدعى منها كلها أحد يا رسول الله؟ قال: **«نعم، وإني لأرجو أن تكون منهم»**[(٣)(٤)].

قال القرطبي: قيل الدعاء من جميعها دعاء تنوية وإكرام، ثم يدخل من الباب الذي غلب عليه العمل.

---

(١) أخرجه مسلم رقم ١٩٧ عن أنس بلفظ: «آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح، فيقول الخازن من أنت؟ فأقول محمد، فيقول بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك» وأحمد (٣/ ١٣٦) رقم ١٢٤٢٠ .

(٢) أخرجه البخاري رقم ٣٢٥٧، وروى نحوه مسلم رقم ١١٥٢ .

(٣) رواه البخاري رقم ١٨٩٧ وفي أوله: «من أنفق زوجين في سبيل الله نودي من أبواب الجنة» الحديث ومسلم رقم ١٠٢٧ ، والترمذي (٥/ ٦١٤) رقم ٣٦٧٤ .

(٤) في حاشية الأصل/ وفي لفظ (بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما على من دعى من تلك الأبواب من ضرورة فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال: نعم وأرجو أن تكون منهم) مؤلف.

وأخرج مسلم عن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو فيسبغ الوضوء، ثم يقول: أشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم اجعلني من التوابين، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية، يدخل من أيها شاء**»(١). زاد الترمذي: «**واجعلني من المتطهرين**»(٢). زاد الإمام أحمد وأبو داود: «**ثم رفع نظره إلى السماء فقال: اللهم اجعلني**»(٣) الحديث.

وعند الإمام أحمد، عن أنس رضي الله عنه يرفعه: «**من توضأ فأحسن الوضوء، ثم قال: ثلاث مرات: أشهد ألا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فتح له ثمانية أبواب الجنة، من أيها شاء دخل**»(٤). وأخرج عبد الله بن الإمام أحمد، وابن ماجه، عن عتبة بن عبد الله السلمي مرفوعاً: «**ما من مسلم يتوفى له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث إلا تلقوه من أبواب الجنة الثمانية من أيها شاء دخل**»(٥).

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: وضعت بين يدي رسول الله ﷺ قصعة من ثريد ولحم، فتناول الذراع، وكان أحب الشاة إليه، فنهس نهسة، وقال: «**أنا سيد الناس يوم القيامة**. ثم نهس نهسة أخرى، وقال: **أنا سيد الناس يوم القيامة**، فلما رأى أصحابه لا يسألونه، قال: ألا

---

(١) مسلم رقم ٢٣٤ وليس فيه «وحده لا شريك له» «اللهم اجعلني من التوابين».
(٢) الترمذي (١/ ٧٨) رقم ٥٥ .
(٣) رواه أحمد (١/ ١٩) رقم ١٢١ ، و(٤/ ١٥٠) رقم ١٧٤٠١ وليس فيه «اللهم اجعلني».
(٤) أخرجه أحمد (٣/ ٢٦٥) رقم ١٣٨١٨ بلفظ: «فتحت له من الجنة ثمانية أبواب» وابن ماجه بلفظه (١/ ١٥٩) رقم ٤٦٩ ، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٧٨) رقم ٣٧٤ عن عمر، وكذا الطبراني في مسند الشاميين (١١٥) رقم ١٧٦ .
(٥) رواه أحمد (٤/ ١٨٣) رقم ١٧٦٧٦ وفي (١٨٤) رقم ١٧٦٨١ وابن ماجه (١/ ٥١٢) رقم ١٦٠٤ .

تقولون كيف؟ قالوا: كيف يا رسول الله؟ قال: **يقوم الناس لرب العالمين فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر**». فذكر حديث الشفاعة بطوله. وفي آخره: فأنطلق فآتي العرش فأقع ساجداً لربي فيقيمني رب العالمين مقاماً لم يقمه أحداً قبلي، ولن يقيمه أحد بعدي، فأقول: «**يا رب أمتي، فيقول: يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، والذي نفس محمد بيده إن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر أو هجر ومكة**»[1]. وفي لفظ: «**كما بين مكة وهجر، أو كما بين مكة وبصرى**»[2]. وفي لفظ خارج الصحيح بإسناد: «**إن ما بين عضادتي الباب كما بين مكة وهجر**»[3].

قوله: «ينفذهم البصر» هو بالذال المعجمة كما في النهاية، يقال: نفذني بصره إذا بلغني وجاوزني، قال في النهاية: قيل المراد به: ينفذهم بصر الرحمن حتى يأتي عليهم كلهم، وقيل: ينفذهم بصر الناظر لاستواء الصعيد، قال أبو حاتم: أصحاب الحديث يروونه بالذال المعجمة، وإنما هو بالمهملة أي: يبلغ أولهم وآخرهم حتى يراهم كلهم ويستوعبهم، من نفد الشيء، وأنفدته، وحمل الحديث على بصر المبصر أولى من حمله على بصر الرحمن، لأن الله سبحانه يجمع الناس يوم القيامة في أرض يشهد جميع الخلائق فيها محاسبة العبد الواحد على انفراده، ويبصرون ما يصير إليه، انتهى.

وأخرج الإمام أحمد عن حكيم بن معاوية، عن أبيه، أن رسول الله

---

(١) رواه البخاري ٣٣٤٠، ورقم ٤٧١٢ باختلاف في بعض الألفاظ وزيادة ونقص، ومسلم رقم ١٩٤ .

(٢) مسلم رقم ١٩٤ .

(٣) رواه ابن حبان (١٤/ ٣٨٠) رقم ٦٤٦٥ .

ﷺ قال: **«أنتم توفون سبعين أمة، أنتم آخرها وأكرمها على الله، وما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين عاماً، وليأتين عليه يوم وله لكظيظ»**(١).

فهذا الحديث إن صح محمول على أحد الأبواب وهو أعظمها، وأخرج أبو الشيخ عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً: **«الباب الذي يدخل منه أهل الجنة مسيرة الراكب المجد ثلاثاً، ثم أنهم ليضغطون عليه حتى تكاد مناكبهم تزول»**(٢) ورواه أبو نعيم عنه أيضاً.

قال الإمام المحقق: وهذا مطابق للحديث المتفق عليه: **«إن ما بين المصراعين كما بين مكة وبصرى»**(٣). فإن الراكب المجود غاية الإجادة على أسرع هجين لا يفتر ليلًا ولا نهاراً يقطع هذه المسافة في هذا القدر أو قريب منه. كذا قال وهو بعيد جداً.

تنبيه:

حديث حكيم بن معاوية مضطرب قال المحقق: والصحيح هو المتفق على صحته، والله أعلم.

روى ابن مسلم عن خليد، عن الحسن في قوله تعالى: ﴿مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾ [ص: ٥٠] ترى أي تشاهد وتنظر.

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٣) رقم ٢٠٠٣٧، وعبد بن حميد في مسنده (١٥٦) رقم ٤١١، وذكره الهيثمي (١٠/ ٧٣٢) رقم ١٨٦٤٥ وقال: رواه أحمد ورجاله ثقات.

(٢) رواه الترمذي (٤/ ٦٨٤) رقم ٢٥٤٨ وقال: هذا حديث غريب، وأبو يعلى في مسنده (٩/ ٤٠٧) رقم ٥٥٥٤، وذكره ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٩٣٠) رقم ١٥٥٠ وذكر كلام الترمذي عنه حيث قال: «هذا حديث غريب» وسألت محمداً - يعني البخاري - عن هذا الحديث فلم يعرفه وقال: لخالد بن أبي بكر مناكير عن سالم بن عبد الله.

(٣) سبق ص ٥٩ .

وذكر أيضاً عن خليد عن قتادة قال: أبواب يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، تتكلم وتكلم، وتفهم ما يقال لها، انفتحي انغلقي.

وأخرج أبو الشيخ عن عبد الله بن عتاب الفزاري قال: لكل مؤمن في الجنة أربعة أبواب، فباب يدخل عليه زواره من الملائكة، وباب يدخل عليه أزواجه من الحور العين، وباب مقفل فيما بينه وبين أهل النار، يفتحه إذا شاء ينظر إليهم، لتعظم النعمة عليه، وباب فيما بينه وبين دار السلام، يدخل فيه على ربه إذا شاء[1] لا يشتبه على ذي فهم، والله أعلم.

وفي حادي الأرواح عن أنس مرفوعاً: «**أنا أول من يأخذ بحلقة باب الجنة، ولا فخر**»[2]. وفي حديث الشفاعة عنه أيضاً أن رسول الله ﷺ قال: «**فآخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها**»[3].

قال المحقق: وهذا صريح في أنها حلقة حسية تقعقع وتحرك.

ويذكر عن علي كرم الله وجهه: من قال لا إله إلا الله الملك الحق المبين، في كل يوم مائة مرة كان له أمان من القبر، وأومن من وحشة القبر، واستجلب بها الغنى، واستقرع به باب الجنة، قال: ولما كانت الجنان درجات بعضها فوق بعض كانت أبوابها كذلك، وباب الجنة العالية أوسع من باب الجنة التي تحتها، وكلما علت الجنة اتسعت، فعاليها أوسع مما دونه، وسعة الباب بحسب وسع الجنة، قال: ولعل هذا وجه الخلاف الذي

---

(١) ذكره ابن رجب في التخويف من النار (٢١٨).
قلت: هذه أمور غيبية يجب أن تقوم على الدليل الصحيح، وحيث لا دليل فلسنا ملزمين بها.

(٢) رواه أبو يعلى في مسنده (٧/ ٢٨١) رقم ٤٣٠٥، وقال: محققه حسين سليم أحمد: إسناده ضعيف، قلت: له شاهد وهو الحديث الآتي بعده.

(٣) رواه الترمذي (٥/ ٣٠٨) رقم ٣١٤٨ وقال: هذا حديث حسن صحيح.

جاء في مسافة ما بين مصراعي الباب. قال: ولهذه الأمة باب مختص بهم يدخلونها منه دون سائر الأمم، أخرج الإمام أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**باب أمتي الذي يدخلون منه الجنة عرضه مسيرة الراكب ثلاثاً، ثم إنهم يضغطون عليه حتى تكاد مناكبهم تزول**»(١). قوله: يضغطون، أي: يزدحمون حتى يحصل لهم بسبب ذلك ضيق وقهر من شدة الزحمة، والمراد: أنه مع سعته يكون عليه ازدحام، والله أعلم.

وأخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**أتاني جبريل فأخذ بيدي فأراني باب الجنة الذي تدخل منه أمتي**»(٢). الحديث. قال في (حادي الأرواح): روينا في معجم الطبراني أن لقيط بن عامر خرج وافداً إلى رسول الله ﷺ قال قلت: يا رسول الله فما الجنة والنار؟ قال: «**لعمر إلهك إن للنار سبعة أبواب، ما منهن بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاماً، وأن للجنة ثمانية أبواب، ما منهن بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاماً**»(٣).

وذكر الحديث بطوله، ثم قال: وهذا الظاهر منه أن هذه المسافة بين الباب والباب، لأن ما بين مكة وبصرى لا يحتمل التقدير بسبعين عاماً، ولا يمكن حمله على باب معين، لقوله «ما منهن بابان»، قلت: وإلى هذا أشار المحقق في النونية بقوله:

---

(١) سبق ص ٦٠ ولم أقف عليه في المسند.

(٢) رواه أبو داود (٢/ ٦٢٤) رقم ٤٦٥٢، والطبراني في الأوسط (٣/ ٩٣) رقم ٢٥٩٤، والحاكم (٣/ ٧٧) رقم ٤٤٤٤ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. ولم أقف عليه عند أحمد.

(٣) جزء من حديث رواه الطبراني في الكبير (١٩/ ٢١١) رقم ٤٧٧، والحاكم (٤/ ٦٠٥) رقم ٨٦٨٣ وقال: هذا حديث جامع في الباب صحيح الإسناد كلهم مدنيون ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي بقوله: يعقوب بن محمد بن عيسى الزهري ضعيف.

أبـوابهـا حـقـاً ثـمـانـيـة أتـت ... في النص وهي لصاحب الإحسان
باب الجهاد وذاك أعلاها وبا ... ب الصوم يدعى الباب بالريان
ولكل سعي صالح باب ورب الـ ... ـسـعـي مـنـه داخـل بـأمـان
ولسوف يدعى المرء من أبوابها ... جمعاً إذا وافى حلى الإيمان
منهم أبو بكر هو الصديق ذا ... ك خليفة المبعوث بالقرآن
سبعون عاماً بين كل اثنين منـ ... ـهـا قـدرت بـالـعـد والـحـسـبـان
هذا حديث لقيط المعروف بالـ ... ـخبر الطويل وذا عظيم الشأن
وعـلـيـه كـل جـلالـة ومـهـابـة ... ولـكـم حـواه بـعـد مـن عـرفـان
لـكـن بـيـنـهـمـا مـسـيـرة أربـعـيـ ... ـن رواه حـبـر الأمـة الـشـيـبـانـي
في مسند بالرفع وهو لمسلم ... وقـف كـمـرفـوع بـوجـه ثـانـي
ولـقـد روى تـقـديـره بـثـلاثـة الـ ... أيـام لـكـن عـنـد ذي الـعـرفـان
أعني البخاري الرضى هو منكر ... وحـديـث راويـه فـذو نـكـران

فبين رحمه الله ورضي عنه أن بين كل بابين مسيرة سبعين عاماً، وبين كل مصراعين من تلك الأبواب مسيرة أربعين يوماً، وبين أن البخاري ينكر حديث تقدير ما بين المصراعين بثلاثة أيام وأن راويه يروي الأحاديث المنكرات، والله أعلم.

* * *

فصل في مفتاح الجنة

اعلم أن الباب لابد له من مفتاح، وأن مفتاح الجنة هي كلمة الإخلاص، وهي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً ﷺ عبده ورسوله. أخرج الإمام أحمد، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه مرفوعاً: «**مفتاح الجنة: شهادة أن لا إله إلا الله**»[١]. قال الحافظ ابن رجب في كتابه (التوحيد): إسناده منقطع.

وفي صحيح البخاري عن وهب بن منبه أنه قيل له: أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله؟ قال: بلى ولكن ليس من مفتاح إلا وله أسنان، فإن أتيت بمفتاح له أسنان فتح لك، وإلا لم يفتح.

وأخرج أبو نعيم عن أنس رضي الله عنه قال: قال أعرابي: يا رسول الله ما مفتاح الجنة؟ قال: «**لا إله إلا الله**»[٢].

وأخرج أبو الشيخ عن مجاهد عن يزيد بن شجرة قال: إن السيوف مفاتيح للجنة.

وفي المسند عن معاذ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أدلك على باب من أبواب الجنة؟** قلت: بلى، قال: **لا حول ولا قوة إلا بالله**»[٣] قال في حادي الأرواح: ولقد جعل الله لكل مطلوب مفتاحاً يفتح به،

---

(١) رواه أحمد (٥/ ٢٤٢) رقم ٢٢١٥٥، وذكر المصنف الحكم عليه.
(٢) روى نحوه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٨/ ١٩٥).
(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٢٤٢) رقم ٢٢١٥٢ وفي (٣/ ٤٢٢) رقم ١٥٥١٨ عن قيس بن سعد بن عبادة، والطبراني في الكبير (١٨/ ٣١٥) رقم ٨٩٣، والحاكم (٤/ ٣٢٣) رقم ٧٧٨٧ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

فجعل مفتاح الصلاة الطهارة، كما قال ﷺ : «**مفتاح الصلاة الطهور**»[١] ومفتاح الحج: الإحرام، ومفتاح البر: الصدق، ومفتاح الجنة: التوحيد، ومفتاح العلم: حسن السؤال وحسن الإصغاء، ومفتاح النصر والظفر الصبر، ومفتاح المزيد: الشكر، ومفتاح الولاية: المحبة، ومفتاح المحبة: الذكر، ومفتاح الفلاح: التقوى، ومفتاح التوفيق: الرغبة والرهبة، ومفتاح الإجابة: الدعاء، ومفتاح الرغبة في الآخرة: الزهد في الدنيا، ومفتاح الإيمان التفكر فيما دعا الله عباده إلى التفكر فيه، ومفتاح الدخول على الله إسلام القلب وسلامته له، والإخلاص له في الحب والبغض، والفعل والترك، ومفتاح حياة القلب: تدبر القرآن والتضرع بالأسحار، وترك الذنوب والأوزار، ومفتاح حصول الرحمة: الإحسان في عبادة الخالق والسعي في نفع عبيده، ومفتاح حصول الرزق: السعي مع الاستغفار والتقوى، ومفتاح العز: طاعة الله ورسوله، ومفتاح الاستعداد للآخرة: قصر الأمل، ومفتاح كل خير: الرغبة في الله والدار الآخرة، ومفتاح كل شر حب الدنيا، وطول الأمل.

وهذا باب عظيم من أنفع أبواب العلم، أعني: معرفة مفاتح أبواب الخير والشر، فإن الله جعل لكل خير وشر مفتاحاً وباباً يدخل منه إليه، كما جعل الشرك والكبر والإعراض عما بعث به رسوله، والغفلة عن ذكره والقيام بحقه مفتاحاً للنار، والخمر مفتاح كل إثم، والغناء مفتاح الزنا، وإطلاق النظر في الصور مفتاح الطلب والعشق، والكسل والراحة مفتاح الخيبة والحرمان، والمعاصي مفتاح الكفر، والكذب مفتاح النفاق، والشح

---

(١) أخرجه أبو داود (١/ ٦٣) رقم ٦١، والترمذي (١/ ٨) رقم ٣ وقال: هذا الحديث أصح شيء في هذا الباب.

والحرص مفتاح البخل، وقطيعة الرحم وأخذ المال من غير حله، والإعراض عما جاء به الرسول مفتاح كل بدعة وضلالة، فسبحان مسبب الأسباب، والله الموفق وإلى المفتاح أشار في النونية بقوله:

هذا وفتح الباب ليس بممكن ... إلا بمفتاح على أسنان

مفتاحه شهادة الإخلاص والـ ... توحيد تلك شهادة الإيمان

أسنانه الأعمال وهي شرائع ال ... إسلام والمفتاح بالأسنان

لا تلغين هذا المثال فكم به ... من حل إشكال لذي العرفان

* * *

الباب الثاني

في مكان الجنة ومنشورها وتوقيعها وتوحد طريقها

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾ [النجم: ١٣-١٥] قال في (حادي الأرواح): وقد ثبت أن سدرة المنتهى فوق السماء وسميت بذلك، لأنه ينتهي إليها ما ينزل من عند الله فيقبض منها، وما يصعد إليه فيقبض منها. وقال جل ذكره: ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢] قال مجاهد: الجنة، وقال ابن المنذر عن مجاهد: هو الجنة والنار، قال المحقق: وهذا يحتاج إلى تفسير، فإن النار في أسفل سافلين، ليست في السماء، ومعنى هذا ما قاله في رواية ابن أبي نجيح عنه، وقاله أبو صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما: الخير والشر كلاهما يأتي من السماء، وعلى هذا المعنى أسباب الجنة والنار مقدر ثابت في السماء من عند الله.

وأخرج أبو نعيم عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: إن أكرم خلق الله أبو القاسم ﷺ وأن الجنة في السماء.

ورواه معمر بن راشد عن محمد بن أبي يعقوب مرفوعاً: وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «الجنة في السماء السابعة، ويجعلها حيث يشاء يوم القيامة، وجهنم في الأرض السابعة».

وأخرج ابن منده عن عبد الله قال: «الجنة فوق السماء الرابعة، فإذا كان يوم القيامة جعلها الله حيث شاء، والنار في الأرض السابع، فإذا كان يوم القيامة جعلها الله حيث شاء»[1].

---

(١) لم أقف عليه، وما أراه يصح.

وقال مجاهد: قلت لابن عباس: أين الجنة؟ قال: فوق سبع سماوات، قلت: وأين النار؟ قال: تحت سبعة أبحر مطبقة. رواه ابن منده وأما الأثر الذي قد رواه ابن أبي شيبة عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: الجنة مطوية، يظهر منه التناقض بين أول كلامه وآخره، قال المحقق: ولا تناقض فيه، فإن الجنة المعلقة بقرون الشمس ما يحدثه الله سبحانه بالشمس في كل سنة مرة من أنواع الثمار والفواكه، جعله الله مذكراً لتلك الجنة، وإلا فالجنة التي عرضها السموات والأرض ليست معلقة بقرون الشمس، وهي فوق الشمس وأكبر منها.

وفي الصحيحين عنه ﷺ أنه قال: «**إن الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض**»[١]. وهذا يدل على أنها في غاية العلو والارتفاع، قال المحقق: والحديث له لفظان، هذا أحدهما. والثاني: «**إن في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض أعدها الله للمجاهد في سبيله**»[٢].

قال: شيخنا - يعني شيخ الإسلام ابن تيمة - طيب الله ثراه يرجح هذا اللفظ: [[٣]وهو لا ينافي أن يكون درج الجنة أكثر من ذلك. ونظير هذا: «**إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة**»[٤] أي: من جملة أسمائه هذا القدر.

قال: ويدل هذا على أن منزلة نبينا ﷺ فوق هذا كله، في درجة في

(١) رواه البخاري رقم ٧٤٢٣ .

(٢) أخرجه البخاري رقم ٢٧٩٠ بتقديم وتأخير، ومسلم رقم ١٨٨٤ باختلاف في بعض الألفاظ.

(٣) من هنا يوجد سقط في نسخة الأصل حتى (ص٧٣) عند قوله (هذه سبيل الله وعلى) وقد أثبتنا هذا السقط وقابلناه على النسخة الأخرى وهي نسخة (أ).

(٤) رواه البخاري رقم ٢٧٣٦ بزيادة «مائة إلا واحداً» عن أبي هريرة، ومسلم رقم ٢٦٧٧ .

الجنة ليس فوقها درجة، وتلك المائة تنالها آحاد أمته ﷺ كالمجاهد، والجنة مقبية، أعلاها أوسعها وأوسطها وهو الفردوس، وسقف العرش، كما قال ﷺ في الصحيح: **«إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه وسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة»**[١].

قال المحقق: قال شيخنا أبو الحجاج المزي: والصواب رواية من رواه فوقه - بضم القاف - على أنه اسم لا ظرف، أي وسقفه عرش الرحمن، فإن قيل: فالجنة جميعها تحت العرش، والعرش سقفها. فإن الكرسي وسع السموات والأرض، والعرش أكبر منه؟ فالجواب: لما كان العرش أقرب إلى الفردوس مما دونه من الجنان، بحيث لا جنة فوقه دون العرش كان سقفاً له، دون ما تحته من الجنان، ولعظم سعة الجنة وغاية ارتفاعها يكون الصعود من أدناها إلى أعلاها بالتدريج شيئاً فشيئاً، ودرجة فوق درجة كما يقال لقارئ القرآن: **«اقرأ وارق فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها»**[٢].

وهذا يحتمل شيئين: أن تكون منزلته عند آخر حفظه، وأن تكون عند آخر تلاوته لمحفوظه، انتهى كلامه في (حادي الأرواح).

وفهم مما ذكرنا إشكالين[٣]، أحدهما: أن العرش ليس هو سقفاً للفردوس فقط بل غير الفردوس كهي.

---

(١) رواه البخاري رقم ٢٧٩٠ عن أبي هريرة.

(٢) جزء من حديث أخرجه أحمد (٢/ ١٩٢) رقم ٦٧٩٩، وأبو داود (١/ ٤٦٣) رقم ١٤٦٤ وابن حبان في صحيحه (٣/ ٤٣) رقم ٧٦٦، والحاكم (١/ ٧٣٩) رقم ٢٠٣٠ كلهم عن عبد الله بن عمرو، وذكره الهيثمي (٧/ ٣٣٧) رقم ١١٦٤٧ وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(٣) هكذا بالأصل وهو نسخة (أ) التي اتخذناها أصلًا في هذه الصفحات من (ص٦٨) حتى (ص٧٣).

والجواب: أن الفردوس أعلى الجنة، وأن العرش سقفه حقيقة، وأما غير الفردوس فبينه وبينه حائل، فالفردوس سقف لما تحته وهلم جر، والعرش سقف للفردوس، فالفردوس وسقفه سقف لما تحته، وهكذا.

الثاني: أن الكرسي تحت العرش، والعرش فوقه، فكيف يكون العرش سقفاً للجنة دون الكرسي؟

والجواب عن هذا: أن الجنة فوق السماء السابعة كما أن الكرسي فوقها، فيكون العرش سقفاً للجنة والكرسي معاً، ويكون الكرسي محاذياً للجنة، وفي كلام شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه: أن العرش سقف المخلوق، وهو عال عليها من جميع الجوانب والجهات. أو نقول: الكرسي قدام العرش وأمامه، ولا يلزم من هذا أن يكون سقفاً للجنة، إذ العرش أكبر وأعظم من الجنة. إذا ليس في مخلوقات الله أعظم من العرش، ومن ثم يتمدح به تعالى، يقول: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ﴾ [البروج: ١٥] ﴿إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٤٢] إلى غير ذلك من الآيات والآثار. والله الموفق.

* * *

فصل

وأخرج الطبراني عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يدخل الجنة أحد إلا بجواز بسم الله الرحمن الرحيم: هذا كتاب من الله لفلان ابن فلان، ادخلوه جنة عالية قطوفها دانية**»[(١)].

وأخرج الإمام المحقق في «حادي الأرواح» بسنده إلى سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: «**يعطى المؤمن جوازاً على الصراط بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لفلان أدخلوه جنة عالية قطوفها**»[(٢)]. ورواه ابن منده أيضاً قال الإمام المحقق: قلت: وقع المؤمن في قبضه أصحاب اليمين يوم القبضتين ثم كتب من أهل الجنة يوم نفخة الروح فيه، ثم يكتب في ديوان أهل الجنة يوم موته، ثم يعطي هذا المنشور يوم القيامة، والله المستعان. وفي كلام الرب جل ثناؤه: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: ١٨-٢١].

أخبر تعالى: إن كتاب الأبرار كتاب مرقوم تحقيقاً لكونه مكتوباً كتابة حقيقية، وخص كتاب الأبرار بأنه يكتب ويوقع لهم به بمشهد المقربين من الملائكة والنبيين وسادات المؤمنين، ولم يذكر هذا لكتاب الفجار تنويها

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٦/ ٢٧٢) رقم ٦١٩١، وفي الأوسط (٣/ ٢٢٤) رقم ٢٩٨٧، وذكره الهيثمي (١٠/ ٧٣٥) رقم ١٨٦٥٤، وقال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط.

(٢) ذكره ابن كثير في التفسير (٤/ ٥٣٣)، وأخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (١١/ ٣١٩) رقم ٦١٢٦، وفي (١٢/ ٦٧) رقم ٦٤٦٤، وذكره ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٩٢٩) رقم ١٥٥٠ وقال: هذا حديث لا يصح عن رسول اللّه ﷺ.

بكتاب الأبرار وما وقع لهم به وإشهاداً وإظهاراً بين خواص خلقه كما تكتب الملوك تواقيع من تعظمه بين الأمراء وخواص أهل المملكة تنويها باسم المكتوب له، وإشادة بذكره. وفي مسند الإمام أحمد، وصحيح ابن حبان، وأبي عوانة الإسفراييني من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما المتقدم، فيقول الله جل وعلا: «اكتبوا كتاب عبدي في عليين، وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم ومنها نخرجهم تارة أخرى»[1]. والله أعلم.

* * *

(١) رواه أحمد (٤/ ٢٨٧) رقم ١٨٥٥٧ بلفظ «أخرجهم» وهناد في الزهد (٢٠٦) رقم ٣٣٩، وذكره الهيثمي (٣/ ١٧٠) رقم ٤٢٦٦ وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

فصل في توحيد طريق الجنة

اعلم أن الله سبحانه وتعالى قد سد جميع الطرق، إلا طريقاً بينه المصطفى ﷺ فلا يوصل إلى الله إلا من طريقه وطريق أنبيائه وهي طريق واحدة.

قال في «حادي الأرواح»: هذا مما اتفقت عليه الرسل من أولهم إلى خاتمهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وأما طرق الجحيم فأكثر من أنت تحصى، ولهذا يوحد سبيله، ويجمع سبيل النار. كقوله تعالى: ﴿هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه خط لنا رسول الله ﷺ خطاً وقال: «**هذه سبيل الله، ثم خط خطوطاً عن يمينه، وعن يساره، ثم قال: هذه سبل الله وعلى[(١)] كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ الآية**»[(٢)].

فإن قيل: قال الله تعالى: ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [المائدة: ١٦].

فالجواب: هي سبل تجتمع في سبيل واحد، وهي بمنزلة الجواد والطرق في الطريق الأعظم، فهذه هي شعب الإيمان يجمعها الإيمان، كما

(١) هنا آخر السقط في نسخة الأصل والمثبت من نسخة (أ).

(٢) رواه أحمد (١/ ٤٣٥) رقم ٤١٤٢، والدارمي (١/ ٧٨) رقم ٢٠٢، وابن حبان في صحيحه (١/ ١٨٠) رقم ٦، والبزار في مسنده (٥/ ٢٥١) رقم ١٨٦٥، وذكره الهيثمي (٧/ ٩٠) رقم ١١٠٠٥ وقال: رواه أحمد والبزار وفيه عاصم بن بهدلة وهو ثقة وفيه ضعيف.

أن ساق الشجرة يجمع أغصانها، وهذه السبل هي إجابة داعي الله بتصديق خبره وطاعة أمره، فطريق الجنة إجابة الداعي إليها ليس إلا.

وروى البخاري في صحيحه عن جابر رضي الله عنه قال: «**جاءت ملائكة إلى النبي ﷺ فقال بعضهم: إنه نائم وقال بعضهم: العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا: إن لصاحبكم هذا مثلًا فاضربوا له مثلًا، فقالوا: مثله مثل رجل بنى داراً، وجعل فيها مأدبة، وبعث داعياً، فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار، ولم يأكل من المأدبة، فقالوا: أوِّلوها يفقهها، فقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان، الدار الجنة، والداعي محمد، فمن أطاع محمد فقد أطاع الله، ومن عصى محمداً فقد عصى الله، ومحمداً فَرْق بين الناس**»[1].

ورواه الترمذي عنه بلفظ: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «**إني رأيت في المنام كأن جبريل على رأسي، وميكائيل عند رجلي**»[2]. فذكر نحو ما تقدم. وفيه: «**فالله هو الملك، والدار الإسلام، والبيت الجنة، وأنت يا محمد رسول، فمن أجابك دخل الإسلام، ومن دخل الإسلام دخل الجنة ومن دخل الجنة أكل مما فيها**»[3].

وصحح الترمذي من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: صَلَّى رسول الله ﷺ العشاء، ثم انصرف، فأخذ بيدي ثم خرج بي إلى بطحاء مكة، فأجلسني ثم خط على خطة، ثم قال: لا تبرحن خطك فإنه سينتهي إليك

---

(١) رواه البخاري رقم ٧٢٨١ .

(٢) رواه الترمذي (٥/ ١٤٥) رقم ٢٨٦٠، وقال: هذا حديث مرسل، سعيد بن أبي هلال لم يدرك جابر بن عبد الله، والحاكم (٢/ ٣٦٩) رقم ٣٢٩٩، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٣) الحديث السابق.

فأجلسني ثم خط على خطة، ثم قال: لا تبرحن خطك فإنه سينتهي إليك رجال فلا تكلمهم، فإنهم لا يكلمونك، ثم مضى ﷺ حيث أراد، فبينا أنا جالس في خطي إذ أتاني رجال كأنهم الزط[1]، أشعارهم وأجسامهم لا أرى عورة ولا أرى قشراً، وينتهون إليَّ، لا يجاوزون الخط، ثم يصدرون إلى رسول الله ﷺ حتى إذا كان من آخر الليل، لكن رسول الله ﷺ قد جاءني وأنا جالس، فقال: **لقد رآني منذ الليلة، ثم دخل علي في خطي فتوسد فخذي فرقد، وكان رسول الله ﷺ إذا رقد نفخ، فبينا أنا قاعد، ورسول الله متوسد فخذي إذ أنا برجال عليهم ثياب بيض، الله أعلم ما بهم من الجمال، فانتهوا إليَّ فجلس طائفة منهم عند رأس رسول الله ﷺ وطائفة منهم عند رجليه، ثم قالوا: ما رأينا عبداً قد أوتي مثل ما أوتي هذا النبي، إن عينيه تنامان وقلبه يقظان، اضربوا له مثلًا: مثل سيد بنى قصراً ثم جعل مأدبة فدعا الناس إلى طعامه وشرابه، فمن أجابه أكل من طعامه وشرب من شرابه، ومن لم يجبه عاقبه أو قال: عذبه، ثم ارتفعوا، واستيقظ رسول الله ﷺ عند ذلك، فقال: سمعت ما قال هؤلاء؟ وهل تدري من هم؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: هم الملائكة فتدري ما المثل الذي ضربوه؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: الرحمن بنى الجنة، ودعا إليها عباده[2]، فمن أجابه دخل الجنة، ومن لم يجبه عذبه»**[3].

ولشيخ الإسلام ابن تيمية طيب الله ثراه كلام حسن في جزء سماه: «وجوب الاعتصام بالرسالة» فمنه:

---

(١) الزط: جنس من السودان والهنود. النهاية في غريب الحديث مادة: زطا.
(٢) في الأصل (جادة).
(٣) أخرجه الترمذي (٥/ ١٤٥) رقم ٢٨٦١ بلفظ «ثم خط عليه خطا» واختلاف يسير في بعض الألفاظ وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

اعلم أن السعادة والهدى في متابعة الرسول ﷺ وأن الضلال والشقاء في مخالفته، وأن كل خير في الوجود إما عام وإما خاص، فمنشؤه من جهة الرسول، وأن كل شر بالعالم، وكل شر يختص بالعبد فسببه مخالفة الرسول، أو الجهل بما جاء به، وأن سعادة العباد في معاشهم ومعادهم باتباع الرسالة، والرسالة ضرورية للعباد لابد لهم منها، وحاجتهم إليها فوق حاجتهم إلى كل شيء، والرسالة روح العالم ونوره وحياته، فأي صلاح للعالم إذا عدم الروح والحياة والنور؟!

والدنيا مظلمة ملعونة كلها إلا ما طلعت عليه شمس الرسالة، وكذلك العبد ما لم يشرق في قلبه شمس الرسالة، ويناله من حياتها وروحها، فهو في ظلمة، وهو من الأموات، قال: وقال رسول الله ﷺ: «**إن الله نظر إلى أهل الأرض، فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب**»[1]. وهذا المقت كان لعدم هدايتهم بالرسل، فرفع الله عنهم هذا المقت برسول الله ﷺ، فبعثه الله رحمة للعالمين، ومحجة للسالكين، وحجة على الخلائق أجمعين.

قال: وافترض الله سبحانه وتعالى على العباد طاعة نبيه ورسوله ومحبته، وتعزيره، وتوقيره، والقيام بأداء حقوقه، وسد إليه جميع الطرق فلم يفتح لأحد إلا من طريقه. انتهى.

وبلغنا أن بعض العلماء رأى النبي ﷺ في المنام فسأله عن ابن سينا؟ فقال: ذاك أراد أن يصل إلى الله من غير طريقنا فقطع، أو قال: فقطعناه.

---

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم رقم ٢٨٦٥ عن عياض بن حمار، وابن حبان في صحيحه (٢/ ٤٢٢) رقم ٦٥٣، ٦٥٤، وعبد الرزاق في المصنف (١١/ ١٢٠) رقم ٢٠٠٨٨.

والله سبحانه المسئول أن يوفقنا لسلوك طريق الرسول، وأن يوقفنا على معالم الهدى وحق اليقين، وأن يقذف في قلوبنا من نور المعارف وعوارف اليقين ما ينجاب به عن القلب غياهب الشكوك الرديئة، وحوادس[1] الظنون الدنيئة، بمنه وكرمه.

* * *

(١) الحدس: التوهم في معاني الكلام، وأنا أحْدُسُ فيه أي أقول بالظن والتوهم. لسان العرب: ماده حدس.

الباب الثالث

في درجات الجنة وأعلاها، وما اسم تلك الدرجة؟

قال الله تعالى: ﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٩٥-٩٦].

قال ابن محيريز: هي سبعون درجة ما بين الدرجتين عدو الفرس الجواد المضمر سبعين عاماً، وأخرج ابن المبارك عن الضحاك في قوله تعالى: ﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الأنفال: ٤] قال: بعضهم أفضل من بعض، فيرى الذي قد فضل به فضيلته، ولا يرى الذي أسفل منه أنه فضل عليه أحد من الناس.

قلت: وهذا من تمام نعم الله على عبده، لأن الأنفس مطبوعة على التألم بمشاهدة من هو فوقها إلا من وفقه الله، وهنا نكتة عنَّ لي أن أنبه عليها وهي أن العاقل ينبغي له أن يتألم بسبق غيره له في الطاعات ووجوه الخير، فيبادر إلى فعل مثل ما فعل ذلك المبادر، فيحصل له من المزية مثل ما حصل لذلك، وما أحسن قول من قال:

إذا أعجبتك خلال امرئ ... فكنه تكن مثل من يعجبك
فليس على الجود والمكرمات ... إذا جئتها حاجب يحجبك

والله الموفق

قال المحقق في قوله تعالى: ﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ﴾ الآيتين: أوقع التفضيل أولا بدرجة، ثم أوقعه ثانياً بدرجات، فقيل: الأول بين القاعد

المعذور والمجاهد. والثاني: بين القاعد بلا عذر والمجاهد.

وقال تعالى: ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٣] وقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢-٤].

وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدري الغابر من الأفق، من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم**، قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال: **بلى والذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله، وصدقوا المرسلين**»(١) ولفظ البخاري: في الأفق، وهو أبين.

قال في «حادي الأرواح»: الغابر هو الذاهب الماضي الذي قد تدلى للغروب.

وفي التمثيل به دون الكوكب المسامت للرأس وهو أعلى فائدتان: إحداهما: بعده عن العيون، والثانية: أن الجنة درجات بعضها فوق بعض، وأعلى من بعض، وإن لم تسامت العليا السفلى كالبساتين الممتدة من رأس الجبل إلى ذيله. انتهى.

وأخرج الشيخان عن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أهل الجنة ليتراءون الغرفة في الجنة كما تراءون الكوكب في أفق السماء**»(٢).

---

(١) رواه البخاري رقم ٣٢٥٦، ومسلم رقم ٢٨٣١ .

(٢) رواه البخاري رقم ٦٥٥٥ ، ومسلم رقم ٢٨٣٠ وليس فيه «أفق».

وأخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ : «**إن أهل الجنة ليتراءون في الجنة كما تراءون أو ترون الكوكب الدري الغارب في الأفق الطالع في تفاضل الدرجات**، قالوا: يا رسول الله، أولئك النبيون؟ قال: **بلى والذي نفسي بيده، وأقوام آمنوا بالله وصدقوا المرسلين**»[١].

قال في «حادي الأرواح»: ورجال الإسناد احتج بهم البخاري في صحيحه وفي هذا الحديث الغارب، وفي حديث أبي سعيد: الغابر. وقوله: الطالع صفة للكوكب، وصفه بكونه غارباً وبكونه طالعاً، وقد خرج هذا المعنى في الحديث الذي رواه ابن المبارك عن فليح بن سليمان عن هلال بن علي عن عطاء، عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ : «**إن أهل الجنة ليتراءون في الغرف كما يرى الكوكب الشرقي والكوكب الغربي في الأفق في تفاضل الدرجات**، قالوا: يا رسول الله، أولئك النبيون؟ قال: **بلى، والذي نفسي بيده، وأقوام آمنوا بالله، وصدقوا المرسلين**»[٢].

قال: وهذا على شرط البخاري أيضاً.

وفي المسند عن أبي سعيد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن المتحابين لترى غرفهم في الجنة كالكوكب الطالع الشرقي والغربي، فيقال: هؤلاء المتحابون في الله عز وجل**»[٣].

وفي المسند من حديث أبي سعيد أيضاً عن النبي ﷺ قال: «**إن الجنة**

---

(١) رواه أحمد (٢/ ٣٣٥) رقم ٨٤٠٤ باختلاف في بعض الألفاظ وله شاهد في الصحيحين.
(٢) رواه الترمذي (٤/ ٦٩٠) رقم ٢٥٥٦ باختلاف يسير في بعض الألفاظ، وقال: هذا حديث حسن صحيح.
(٣) رواه أحمد (٣/ ٨٧) رقم ١١٨٤٧، وذكره الهيثمي (١٠/ ٧٨٢) رقم ١٨٧٧٤ وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

مائة درجة ولو أن العالمين اجتمعوا في إحداهن وسعتهم»[١]. وفيه عنه أيضاً عن النبي ﷺ قال: «**يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة: اقرأ واصعد، فيقرأ ويصعد بكل آية درجة، حتى يقرأ آخر شيء معه»**[٢]. قال المحقق: وهذا صريح في أن درج الجنة تزيد على مائة وأما حديث البخاري عن أبي هريرة مرفوعاً: «**إن الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله، بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه وسط الجنة، وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة»**[٣].

فالجواب عنه: أنه يحتمل أن تكون هذه المائة درجة من جملة الدرج، أو تكون نهايتها هذه المائة، وفي ضمن كل درجة درج دونها، قلت: والثاني أَوْجَه، لأن لفظ حديث البخاري معرف الطرفين، فيفيد الحصر على رأي البيانيين، وإن استوجه المحقق الأول، واستدل له بما أخرجه الترمذي، عن معاذ رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من صلى هؤلاء الصلوات الخمس وصام شهر رمضان كان حقاً على الله أن يغفر له، هاجر أو قعد حيث ولدته أمه**، قلت: يا رسول الله ﷺ ألا أخرج فأؤذن الناس؟ قال: **لا، ذر الناس يعملون، فإن في الجنة مائة درجة، بين كل درجتين منهما مثل ما بين السماء والأرض، وأعلى درجة منها الفردوس، وعليها يكون العرش، وهي أوسط شيء في الجنة، ومنها تفجر**

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٢٩) رقم ١١٢٤٥، وأبو يعلى في مسنده (٢/ ٥٣٠) رقم ١٣٩٨، والترمذي (٤/ ٦٧٦) رقم ٢٥٣٥، وقال: هذا حديث غريب.

(٢) رواه أحمد (٣/ ٤٠) رقم ١١٣٧٨، وابن ماجه (٢/ ١٢٤٢) رقم ٣٧٨٠، وقال: في الزوائد في إسناده عطية العوفي وهو ضعيف، قلت: لكن له شواهد صحيحة.

(٣) رواه البخاري رقم ٧٤٢٣ .

أنهار الجنة، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس»[١].

فرواه بلفظة «في» وأخرج أيضاً عن عبادة بن الصامت مرفوعاً: «**في الجنة مائة درجة. . .**»[٢] فذكر نحوه، وعنده أيضاً عن أبي هريرة، أن النبي ﷺ قال: «**في الجنة مائة**»[٣]. وذكر نحوه وقال: حديث حسن غريب.

وفيه عن أبي سعيد مرفوعاً: «**إن في الجنة مائة درجة لو أن العالمين اجتمعوا في إحداهن لوسعتهم**»[٤].

ورواه الإمام أحمد بدون لفظة «في»[٥] كما تقدم. فرويت هذه الأحاديث بلفظة «في» وبدونها، فإن كان المحفوظ ثبوتها فهي من جملة درجها، وإن كان المحفوظ سقوطها فهي الدرج الكبار المتضمنة للدرج الصغار، ولا تناقض بين تقدير ما بين الدرجتين بالمائة وتقديرها بالخمس مائة، لاختلاف السير في السرعة والبطء، والنبي ﷺ ذكر هذا تقريباً للأفهام، يدل له حديث أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً: «**مائة درجة في الجنة، ما بين الدرجتين ما بين السماء والأرض، وأبعد مما بين السماء والأرض**، قلت: يا رسول الله لمن؟ قال: **للمجاهدين في سبيل الله**»[٦].

* * *

(١) رواه الترمذي بنحوه (٤/ ٦٧٥) رقم ٢٥٣٠، ورواه بلفظ قريب جداً من لفظ المصنف الطبراني في الكبير (٢٠/ ١٥٧) رقم ٣٢٧، وله شاهد في البخاري رقم ٢٧٩٠ .

(٢) الترمذي (٤/ ٦٧٥) رقم ٢٥٣١ .

(٣) الترمذي (٤/ ٦٧٤) رقم ٢٥٢٩ .

(٤) الترمذي (٤/ ٦٧٦) رقم ٢٥٣٢ .

(٥) أحمد (٢/ ٢٩٢) رقم ٧٩١٠ .

(٦) أخرجه عبد بن حميد في مسنده (٢٨٨) رقم ٩٢٢ بزيادة يسيرة في بعض الألفاظ، وروى أوله ابن ماجه (٢/ ١٤٤٨) رقم ٤٣٣١، وله شواهد كثيرة تقدم بعضها.

فصل

وأخرج مسلم عن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **«إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علي، فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه عشراً، ثم سلوا لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة»**[(١)].

وأخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: **«إذا صليتم عليَّ فاسألوا الله لي الوسيلة**، قيل: يا رسول الله ﷺ وما الوسيلة؟ قال: **أعلى درجة في الجنة لا ينالها إلا رجل واحد، وأرجو أن أكون أنا هو»**[(٢)]. هكذا الرواية «أن أكون أنا هو» ووجهها كما قال المحقق: أن تكون الجملة خبراً عن اسم كان المستتر فيها، ولا يكون أنا فصلًا، ولا توكيداً، بل مبتدأ، والله أعلم.

وأخرج البخاري ومسلم عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، حلت له الشفاعة يوم القيامة»**[(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم رقم ٣٨٤ بلفظ «صلى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا الله لي الوسيلة» الحديث، وأبو داود (١/ ١٩٩) رقم ٥٢٣، والترمذي (٥/ ٥٨٦) رقم ٣٦١٤.

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٢٦٥) رقم ٧٥٨٨، وعبد الرزاق في المصنف (٢/ ٢١٦) رقم ٣١٢٠ وشاهده الحديث قبله.

(٣) رواه البخاري رقم ٦١٤ بلفظ «شفاعتي» بدل «الشفاعة» وأخرجه بلفظ المصنف أبو داود (١/ ٢٠١) رقم ٥٢٩، ورواه مسلم بنحوه رقم ٣٨٤.

هكذا لفظ الحديث: مقام بالتنكير ليوافق لفظ الآية، ولأنه لما تعين وانحصر نوعه في شخص جرى مجرى المعرفة، فوصف بما توصف به المعارف، وهذا ألطف من جعل «الذي وعدته» بدلًا.

وأخرج الإمام أحمد، عن أبي سعيد مرفوعاً: **«الوسيلة درجة عند الله عز وجل ليس فوقها درجة، فاسألوا الله لي الوسيلة»**(١).

وأخرج أبو نعيم عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، والله إنك لأحب إلي من نفسي وإنك لأحب إلي من أهلي وأحب إلي من ولدي، وإني لأكون في البيت، فأذكرك فما أصبر حتى آتيك فأنظر إليك، وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين، وإني إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك، فلم يرد عليه النبي ﷺ حتى نزل جبريل بهذه الآية: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾(٢) [النساء: ٦٩].

قال الحافظ أبو عبد الله المقدسي: لا أعلم بإسناد هذا الحديث بأساً. قال المحقق: سميت درجة النبي ﷺ الوسيلة، لأنها أقرب الدرجات إلى عرش الرب تبارك وتعالى، وهي أقرب الدرجات إلى الله.

وأصل اشتقاق لفظة الوسيلة من القرب وهي فعيلة، من وسل إليه:

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٨٣) رقم ١١٨٠٠، والطبراني في الأوسط (٢/ ١٢٦) رقم ١٤٦٦، وذكره الهيثمي (٢/ ٩٣) رقم ١٨٧٦ وقال: رواه أحمد والطبراني في الأوسط وفيه ابن لهيعة وفيه ضعف.

(٢) رواه أبو نعيم (٤/ ٢٤٠)، و(٨/ ١٢٥)، والطبراني في الأوسط (١/ ١٥٢) رقم ٤٧٧، وفي الصغير (١/ ٥٣) رقم ٥٢، وذكره الهيثمي (٧/ ٦٣) رقم ١٠٩٣٧ وقال: رواه الطبراني في الصغير والأوسط ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن عمران العابدي وهو ثقة.

إذا تقرب إليه.

قال لبيد رضي الله عنه: بلى كل ذي رأي إلى الله واسل

ومعنى الوسيلة من الوصلة، ولهذا كانت أفضل الجنة.

لطيفة:

قال الفضيل بن عياض: إنما حسنت الجنة، لأن عرش رب العالمين سقفها. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: نور سقف منازلهم نور عرشه.

وقال الحسن: إنما سميت عدن، لأن فوقها العرش، ومنها تفجر أنهار الجنة، وللحور العدنية الفضل على سائر الحور.

تنبيه:

قوله ﷺ في حديث الوسيلة: **«حلت عليه شفاعتي»**[١]. يروى: حلت عليه[٢]، وحلت له. فمن رواها باللام فمعناها حصلت له، ومن رواها بالعين فمعناها وقعت عليه شفاعتي.

ذكره الإمام المحقق في «حادي الأرواح»، والله الموفق.

* * *

(١) أبو داود (١/ ١٩٩) رقم ٥٢٣ بلفظ «حلت عليه الشفاعة».
(٢) أبو داود السابق والترمذي (٥/ ٥٨٦) رقم ٣٦١٤ وقال: هذا حديث حسن صحيح.

الباب الرابع

في عرض الرب الجنة على العباد، وعدد الجنان وأسمائها وذكر السابقين إليها وأن أكثر أهلها هذه الأمة

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الآية [التوبة: ١١١].

فجعل سبحانه وتعالى الجنة ثمناً لنفوس المؤمنين وأموالهم، بحيث إذا بذلوها استحقوا الثمن، وعقد معهم هذا العقد، وأكده بأنواع من التأكيد: أحدها: إخباره به سبحانه بصيغة الخبر المؤكد، بأداة: «إن».

الثاني: الإخبار بذلك بالصيغة الفعلية الماضوية الذي مفهومها: وقع، وثبت، واستقر.

الثالث: إضافة هذا الفعل إلى نفسه وأنه هو الذي اشترى هذا المبيع.

الرابع: بأنه أخبر بأنه وعد تسليم هذا الثمن وعداً لا يخلفه.

الخامس: إنه أتى بصيغة «على» التي للوجوب، إعلاماً لعباده بأن ذلك حقاً عليه، أحقه هو على نفسه، وإن كان سبحانه لا يجب عليه شيء، ولكن هذا واجب الوقوع؛ لأنه وعد به، وهو لا يخلف الميعاد.

السادس: أنه أكد ذلك بكونه حقاً عليه سبحانه، ويقال: حق الشيء إذا ثبت ووجب؛ ولهذا قيل لمرافق الدار حقوقها، أي: حقاً إيقاعه، وإن كان غير واجب عليه تعالى.

السابع: إخباره عن محل هذا الوعد، وأنه في أفضل كتبه المنزلة من

السماء، وهي التوراة، والإنجيل، والقرآن.

الثامن: إعلامه لعباده بصيغة الاستفهام الإنكاري، أنه لا أحد أوفى بعده منه سبحانه.

التاسع: أنه أمرهم أن يبشروا بهذا العقد الثابت الذي لا يثبت فيه خيار، ولا يعرض له ما يفسخه.

العاشر: أنه أخبرهم إخباراً مؤكداً، أن ذلك هو الفوز العظيم. والبيع هنا بمعنى المبيع الذي أخذوه بهذا الثمن، وهو الجنة، ودلت الآية على عظم خطر النفس الإنسانية، فإن السلعة إذا خفي قدرها فانظر إلى المشتري من هو، وانظر إلى الثمن المبذول فيها ما هو، وانظر إلى من جرى على يده العقد، فالسلعة النفس، والمشتري الباري جل شأنه، والثمن جنان النعيم، والسفير هو البشير النذير ﷺ، لقد عظم قدرك أيها المؤمن حيث اشتراك خالقك ومولاك، وجعل الجنة ثمنك ومثواك، فنعم المشتري الملك الجبار، ونعم الدلال والسفير المصطفى المختار ﷺ، ونعم الثمن دار القرار.

قد رشحوك لأمر لو فطنت له فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

فإن قلت: لم اشتر الأنفس والأموال دون القلوب والأوصال؟

فالجواب: أن الآية نزلت في الحث على الجهاد، والجهاد يكون بالنفس والمال، والنفس يراد بها هذا الهيكل جملة، فالمراد بالنفس جملة البدن.

فإن قلت: أين كان هذا البيع؟ فالجواب: كان في عالم الذر كما ذكره الجلال السيوطي، والحكمة في هذا - والله أعلم - ليعلم العبد أنه إذا

تصدق وأنفق ماله في وجوه الخير، وبذل نفسه في الجهاد، ومنفعة العباد لا يكون له في ذلك نوع مِنَّة، لأنه لا نفس له ولا مال، بل هو وماله لله رقاً ومبيعاً، وثمنه جنة عدن، وثَمَّ حِكَمٌ أخر ليس هذا محل ذكرها، والله أعلم.

وأخرج الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة**»(١). قال الترمذي: حديث حسن غريب.

قوله: أدلج أي: سار الليل كله، والمعنى: بالغ في السير إلى الله تعالى، واجتهد وشمر عن ساق الجد والاجتهاد في طاعة الملك الجواد، وعند أبي نعيم عن أنس رضي الله عنه أنه قال: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ قال: ما ثمن الجنة؟ قال: «**لا إله إلا الله**»(٢). قال في «حادي الأرواح»: وشواهد هذا الحديث كثيرة.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ جاءه أعرابي فقال: دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة، قال: «**تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان**». قال: والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا شيئاً أبداً ولا أنقص منه، فلما ولَّىٰ

---

(١) رواه الترمذي (٤/ ٦٣٣) رقم ٢٤٥٠، والحاكم (٤/ ٣٤٣) رقم ٧٨٥١، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) رواه ابن عدي في الكامل (٦/ ٣٤٨) ترجمه موسى بن إبراهيم رقم ١٨٣٠ وقال: حدث بالمناكير عن قوم ثقات - وفي آخره - وهو بَيِّن الضعف على رواياته وأحاديثه، ورواه ابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ١٩٩) رقم ٣٥٣١٣ موقوفاً على الحسن، وذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (١/ ٢٩٧) وقال عنه العراقي وأحاديث أخرى في الباب لا يصح شيء منها.

قال: «**من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة، فلينظر إلى هذا**»[١].

وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنهما قال: «**أتى النعمان بن قوقل إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله أرأيت إذا صليت المكتوبة، وحرمت الحرام، وأحللت الحلال، أدخل الجنة؟ فقال النبي ﷺ: «نعم»**»[٢] وفيه عن عثمان مرفوعاً: «**من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة**»[٣]. وفي المسند، وسنن أبي داود عن معاذ رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة**»[٤] وفي الصحيحين عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أتاني آت من ربي فأخبرني، أو قال: فبشرني أنه من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة**، قلت: وإن سرق، وإن زنا؟، قال: **وإن زنا، وإن سرق، وإن زنا وإن سرق**». وفي لفظ: قلت: وإن زنا، وإن سرق؟ قال: «**وإن زنا، وإن سرق**، قلت: وإن زنا وإن سرق؟ **قال: وإن زنا وإن سرق رغم أنف أبي ذر في الثانية أو في الثالثة**»[٥].

وفي الصحيحين أيضاً عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه مرفوعاً: «**من قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق، وأن النار حق أدخله الله من أي أبواب الجنة الثمانية شاء**»[٦] وفي

---

(١) رواه البخاري رقم ١٣٩٧ وليس فيه «ولا أنقص» ومسلم رقم ١٤ بلفظ المصنف، ولا توجد بالأصل كلمة (رجل من).

(٢) مسلم رقم ١٥، وأحمد (٣/٣١٦) رقم ١٤٤٣٤ .

(٣) مسلم رقم ٢٦ وأحمد (١/ ٦٥) رقم ٤٦٤ .

(٤) رواه أبو داود (٢/ ٢٠٧) رقم ٣١١٦، وأحمد (٥/ ٢٣٣) رقم ٢٢٠٨٧ ولكن بلفظ «وجبت له» بدل «دخل»، و(٢٤٧) رقم ٢٢١٨٠، والحاكم (١/ ٥٠٣) رقم ١٢٩٩، و(٦٧٨) رقم ١٨٤٢ وقال فيهما: هذا حديث صحيح الإسناد.

(٥) رواه البخاري رقم ٥٨٢٧، ومسلم رقم ٩٤ .

(٦) رواه البخاري رقم ٣٤٣٥، ومسلم رقم ٢٨ .

لفظ: «أدخله الله الجنة على ما كان من عمل»(١).

وفي صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ أعطى أبا هريرة نعليه فقال: **«اذهب بنعلي هاتين، فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة»**(٢). وقال الحسن: ثمن الجنة: لا إله إلا الله، وأخرج أبو نعيم بإسناد صحيح عن جابر رضي الله عنه مرفوعاً: **«لا يدخل أحداً منكم عملُه الجنة، ولا يجيره من النار، ولا أنا إلا بتوحيد الله»**(٣) وأصل الحديث في الصحيح.

وهنا نكتة لابد من التنبيه عليها، وهي أنا قدمنا أن الجنة إنما تدخل برحمة الله تعالى، وليس عمل العبد مستقلًا بدخولها، وإن كان فيه نوع سبب لدخولها، وهو كذلك، فإن قلت: قد أثبت الله تعالى دخول العباد الجنة بالأعمال في غير موضع من كلامه القديم، كقوله تعالى: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢] ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف: ٧٢] ونفى رسول الله ﷺ دخولها بالأعمال في غير حديث كقوله ﷺ: **«لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله»**(٤).

فالجواب: أنه لا تنافي بين كلام الله وكلام حبيبه ورسوله ﷺ أصلًا لوجهين:

أحدهما: ما ذكره سفيان وغيره قال: كانوا يقولون: النجاة من النار بعفو الله، ودخول الجنة برحمته، وانقسام المنازل والدرجات بالأعمال.

---

(١) رواه مسلم رقم ٢٨، وأحمد (٥/٣١٣) رقم ٢٢٧٢٧ .

(٢) جزء من حديث رواه مسلم رقم ٣١ .

(٣) روى مسلم رقم ٢٨١٧ عن جابر قال: «سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: لا يدخل أحد منكم عمله الجنة ولا يجيره من النار ولا أنا إلا برحمة من اللّه»

(٤) تقدم غير مرة ويأتي نحوه بعد حديثين.

ويدل على هذا حديث أبي هريرة رضي الله عنه : «**إن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم**»[١] رواه الترمذي.

الثاني: الباء التي نفت الدخول باء المعاوضة التي يكون فيها أحد العوضين مقابلًا للآخر، والباء التي أثبتت الدخول باء السببية التي تقتضي سببية ما دخلت عليه لغيره. وإن لم يكن مستقلًا بحصوله، وقد جمع النبي ﷺ بين الأمرين في قوله: «**سددوا وقاربوا وأبشروا واعلموا أن أحداً منكم لن ينجو بعمله**» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته**»[٢].

* * *

(١) جزء من حديث أخرجه الترمذي (٤/ ٦٨٥) رقم ٢٥٤٩، وقال: هذا حديث غريب، وابن ماجة (٢/ ١٤٥٠) رقم ٤٣٣٦، وابن حبان في صحيحه (١٦/ ٤٦٦) رقم ٧٤٣٨.
(٢) رواه مسلم رقم ٦٤٦٧، ومسلم رقم ٢٨٢٨.

فصل

واعلم أن أهل الجنة ينبغي لهم أن يطلبوها ويجتهدوا في طلبها. قال تعالى حاكياً عن أولي الألباب من عباده: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ١٩٤] فالمعنى: آتنا ما وعدتنا من دخول الجنة ونعيمها، وما أعددته لنا فيها على ألسنة رسلك صلوات الله وسلامه عليهم، ولا تخزنا يوم القيامة، بإدخالنا النار، وإظهار ما اقترفنا من الذنوب والأوزار، واستر علينا فإنك أنت الستار، واغفر ذنوبنا إنك أنت الغفار.

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا﴾ [الفرقان: ١٥-١٦] يسأله إياه عباده المؤمنون، ويسأله إياه ملائكته المقربون لهم، والجنة تسأل ربها أهلها، وأهلها يسألونه إياها، والرسل يسألونه إياها لهم ولأتباعهم.

وأخرج أبو نعيم عن أنس رضي الله عنه والترمذي والنسائي وابن ماجه عن يزيد بن أبي مريم، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من مسلم يسأل الله الجنة ثلاثاً إلا قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة، ومن استجار بالله من النار ثلاثاً، قالت النار: اللهم أجره من النار**»[1].

---

(١) رواه الترمذي (٤/ ٦٩٩) رقم ٢٥٧٢ بلفظ «من سأل اللّه الجنة ثلاث مرات قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة، ومن استجار من النار ثلاث مرات قالت النار اللهم أجره من النار»، والنسائي (٨/ ٢٧٩) رقم ٥٥٢١، وابن ماجه (٢/ ١٤٥٣) رقم ٤٣٤٠، وأحمد (٣/ ١٥٥) رقم ١٢٦٠٧ بلفظ: «ما سأل رجل مسلم اللّه عز وجل الجنة ثلاثا...» الحديث وابن حبان في صحيحه (٣/ ٣٠٨) رقم ١٠٣٤.

وأخرج ابن أبي شيبة عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما سأل الله عبد الجنة في يوم سبع مرات إلا قالت الجنة: يا رب إن عبدك فلاناً سألني، فأدخلنيه»**[١].

وأخرج أبو يعلى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما استجار عبد من النار سبع مرات، إلا قالت النار: يا رب إن عبدك فلاناً استجار مني فأجره، ولا يسأل عبد الجنة سبع مرات، إلا قالت الجنة: يا رب إن عبدك فلاناً سألني فأدخله الجنة»**[٢].

قال في (حادي الأرواح): إسناده على شرط الصحيحين.

وعند أبي داود عنه مرفوعاً: **«من قال: أسأل الله الجنة سبعاً، قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة»**[٣]. وعند الحسن بن سفيان، عن أبي هريرة أيضاً مرفوعاً: **«أكثروا مسألة الله الجنة، واستعيذوا بالله من النار، فإنهما شافعتان مشفعتان، وإن العبد إذا أكثر مسألة الله الجنة قالت الجنة: يا رب عبدك هذا الذي سألنيك فأسكنه إياي، وتقول النار: يا رب، عبدك هذا الذي استعاذ بك مني فأعذه»**[٤].

واعلم أن جماعة من السلف امتنعوا أن يسألوا الله الجنة، وقالوا:

---

(١) لم أقف عليه عند ابن أبي شيبة، وأخرجه الطيالسي في مسنده (٣٣٦) رقم ٢٥٧٩ بلفظ «من قال: أسأل اللّه الجنة سبعاً قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة، ومن استعاذ من النار سبعاً قالت النار: اللهم أعذه من النار» وأخرجه كذلك إسحاق بن راهويه في مسنده (١/ ٢٤٩) رقم ٢١٣ .

(٢) رواه أبو يعلى في مسنده (١١/ ٥٤) رقم ٦١٩٢ بزيادة يسيرة جداً.

(٣) لم أقف عليه عند أبي داود، وله شواهد في الأحاديث السابقة.

(٤) ذكر الهيثمي (١٠/ ٢٦٩) رقم ١٧٣٥١ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ما استعاذ عبد من النار سبعاً إلا قالت النار: اللهم أعذه مني، ولا سأل الجنة سبعاً إلا قالت الجنة: اللهم أسكنة إيايا، أو كلمة نحوها» وقال: رواه البزار وفيه يونس بن خباب وهو ضعيف، وهذا الحديث وما قبله يقوي بعضهم بعضا.

حسبنا أن يجيرنا من النار، منهم أبو الصهباء، وعطاء السليمي، روي أن أبا الصهباء صلى ليلة إلى السحر، ثم رفع يديه وقال: اللهم أجرني من النار، أو مثلي يجترئ أن يسألك الجنة؟ وكان عطاء السلمي لا يسأل الجنة، فقال له صالح المري: إن أبان حدثني عن أنس، أن النبي ﷺ قال: «**يقول الله عز وجل: انظروا في ديوان عبدي، فمن رأيتموه سألني الجنة أعطيته، ومن استعاذني من النار أعذته**»[1] فقال عطاء: كفاني أن يجيرني من النار، ذكرهما أبو نعيم، هكذا رأى هؤلاء السادة مع أنه أخرج أبو داود، عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يسأل بوجه الله إلا الجنة**»[2].

وأخرج أيضاً أن النبي ﷺ قال للفتى يعني الذي شكاه: «**كيف تصنع يابن أخي إذا صليت؟**» قال: أقرأ بفاتحة الكتاب، وأسأل الله الجنة، وأعوذ به من النار، وإني لا أدري ما دندنتك ودندنة معاذ، فقال النبي ﷺ: «**إني ومعاذ حولها ندندن**»[3] وفي الحديث: «**ما من يوم إلا والجنة والنار يسألان، تقول الجنة: يا رب، قد طابت أثماري، واطردت أنهاري، واشتقت إلى أوليائي، فعجل إلي بأهلي**»[4]. الحديث.

---

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٦/ ١٧٥، وقال: غريب وفي (٢٢٦) .

(٢) أخرجه أبو داود (١/ ٥٢٤) رقم ١٦٧١، والبيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٢٧٦) رقم ٣٥٣٧، وفي السنن الكبرى (٤/ ١٩٩) رقم ٧٦٧٨ بلفظ: «لا تسأل بوجه الله إلا الجنة» وابن عدي في الكامل (٣/ ٢٥٧) في ترجمة سليمان بن قرم الضبي رقم ٧٣٥ وتكلم عنه بما يدل على توثيقه

(٣) رواه أبو داود (١/ ٢٧٠) رقم ٧٩٢، ورقم ٧٩٣، وابن ماجة (١/ ٢٩٥) رقم ٩١٠، و(٢/ ١٢٦٤) رقم ٣٨٤٧، وأحمد (٣/ ٤٧٤) رقم ١٥٩٣٩، وابن حبان (٣/ ١٤٩) رقم ٨٦٨، وابن خزيمة (١/ ٣٥٨) رقم ٧٢٥ وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٩/ ٢٥٠) في ترجمة يونس الكوفي رقم ١٠٤٤ .

(٤) جزء من حديث رواه الطبري في التفسير (٨/ ٣) عن أبي هريرة، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٢٤٦)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٢٣٦) رقم ٣٣٥ وقال: رواه البزار ورجاله موثقون.

فالجنة تطلب أهلها بالذات وتجذبهم إليها جذباً، والنار كذلك، وقد أمرنا النبي ﷺ بدوام ذكرهما، وحثنا على ذلك حثاً بليغاً، أخرج أبو يعلى الموصلي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تنسوا العظيمتين**، قلنا: وما العظيمتان يا رسول الله؟ قال: **الجنة والنار**»[1] وعند أبي بكر الشافعي عن كليب بن حزن مرفوعاً: «**اطلبوا الجنة جهدكم، واهربوا من النار جهدكم، فإن الجنة لا ينام طالبها، وإن النار لا ينام هاربها، وإن الآخرة اليوم محفوفة بالمكاره، وإن الدنيا محفوفة باللذات والشهوات، فلا تلهينكم عن الآخرة**»[2] قال الإمام ناصر السنة ابن الجوزي قدس الله روحه: اعلم أن الجنة محفوفة بالمكاره، فمتى أردتها فاصبر على ما تكره، لعلك تنال ما تحب، واعلم أن الدنيا والآخرة ضرتان، فمتى أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى، والعاقل يشغل قلبه بمولاه، ويطلب بكل جهده رضاه.

شعر لمؤلفه:

ومن لي بأن ترضى علي ولم يكن ... لنفسي مطلوب سواك ومقصد
وتسكن في قلبي المحبة والرضا ... وأمسي لديك الله أسعى وأحفد

* * *

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في الرقة والبكاء (٩٧) رقم ١٠٢، وذكره ابن رجب في التخويف من النار/ ٥١، ولم أقف عليه عند أبي يعلى.

(٢) رواه الطبراني في الكبير (١٩/ ٢٠٠) رقم ٤٤٩، وفي الأوسط (٤/ ٧٣) رقم ٣٦٤٣، باختصار يسير، وذكره الهيثمي (١٠/ ٢٩٧) رقم ١٧٧٠٨ وقال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط باختصار عنه وفيه يعلى ابن الأشرق وهو ضعيف جداً.

فصل

في أسماء الجنة ومعانيها واشتقاقها

قال في «حادي الأرواح»: لها عدة أسماء باعتبار صفاتها، ومسماها واحد باعتبار الذات، فهي مترادفة من هذا الوجه، وتختلف باعتبار الصفات، فهي متباينة من هذا الوجه، وهكذا أسماء الرب تعالى، وأسماء كتابه، وأسماء رسوله، وأسماء اليوم الآخر، وأسماء النار.

الاسم الأول: الجنة، وهو العام المتناول لتلك الدار جملة، وما اشتملت عليه من أنواع النعيم، وأصل اشتقاقه من الستر والتغطية، ومنه الجنين لاستتاره في البطن، والجان لاستتارهم عن عيون الإنس، والمجن لستره ووقايته الوجه، والمجنون لاستتار عقله وتواريه عنه. والجان وهي الحية الصغيرة الدقيقة، ومنه سمي البستان جنة، لأنه يستر ما داخله من الأشجار.

ولا يطلق هذا الاسم إلا على موضع كثير الشجر، مختلف الأنواع. والجنة بالضم ما يستجن، أي: ما يتوقى به من نحو ترس. وبالكسر الجن كما في قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [الناس:٦].

الثاني: دار السلام، وقد سماها الله بهذا الاسم في قوله تعالى: ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام:١٢٧] وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس:٢٥] وهي جديرة بهذا الاسم، لسلامتها من كل بلية وآفة، وأيضاً فإن الله هو السلام وهي داره، فمن أسمائه الحسنى: السلام، فالله سبحانه سلم هذه الدار وسلم أهلها من كل نكبة وداهية، وتحيتهم فيها سلام، والرب تعالى يسلم عليهم من فوقهم، والملائكة يدخلون عليهم من

كل باب سلام عليكم وكلامهم كله فيها سلام، ولا يسمعون فيها لغواً إلا سلاماً.

وأما قوله تعالى: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٩٠-٩١]. فحقق في «حادي الأرواح»: أن المعنى سلام لك أيها الراحل من الدنيا حال كونك من أصحاب اليمين، أي: فسلامة لك كائناً من أصحاب اليمين، الذين سلموا من الدنيا وأنكادها، والنار وعذابها، فبشر بالسلامة عند ارتحاله من الدنيا وقدومه على الله تعالى كما يبشر الملك روحه عند أخذها بقوله: «**أبشري بروح وريحان ورب غير غضبان**»[1] وهذه أول البشرى التي للمؤمنين في الآخرة.

الثالث: **دار الخلد** وسميت بذلك لأن أهلها لا يظعنون عنها أبداً، واشتقاقه من الخلد، وهو دوام البقاء، تقول: خلد الرجل يخلد خلوداً، وأخلده الله سبحانه إخلاداً، وخلده تخليداً: أبقاه، وأخلدت إلى فلان ركنت إليه، وأخلد بالمكان أقام به، وأما الخلد بالتحريك فالبال. يقال: سنح في خلدي، أي: خطر في روعي وبالي وقلبي. والخلد أيضاً ضرب من الجراذين أعمى. والله أعلم.

الرابع: **دار المقامة**. قال تعالى حكاية عن أهلها: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [فاطر: ٣٤-٣٥] قال مقاتل: أنزلنا دار الخلود، أقاموا فيها أبداً لا يموتون ولا يتحولون. قال أهل اللغة: والمقامة والإقامة بمعنى.

---

(١) جزء من حديث أخرجه ابن ماجة (٢/ ١٤٢٣) رقم ٤٢٦٢، وأحمد (٢/ ٣٦٤) رقم ٨٧٥٤، والنسائي في السنن الكبرى (٦/ ٤٤٣) رقم ١١٤٤٣ عن أبي هريرة.

الخامس: جنة المأوى، وهو مفعل من أوى يأوي، أي: انضم إلى المكان، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١﴾ [النازعات: ٤٠-٤١] وقال في النار: ﴿فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٣٩] وقال تعالى: ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾ [النجم: ١٤-١٥] قال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما هي الجنة التي يأوي إليها جبريل والملائكة، وقال مقاتل: هي جنة تأوي إليها أرواح الشهداء، وقال كعب: جنة المأوى جنة فيها طير خضر ترعى فيها أرواح الشهداء، وقالت عائشة رضي الله عنها: هي جنة من الجنات، قال المحقق: والصحيح أنه اسم من أسماء الجنة.

السادس: جنات عدن. قيل: هو اسم لجنة من جملة الجنان، قال المحقق: والصحيح أنه اسم لجملة الجنان فكلها جنات عدن، قال تعالى: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ [مريم: ٦١] وقال: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ [فاطر: ٣٣] وقال تعالى: ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ [الصف: ١٢] والاشتقاق يدل على أن جميعها جنات عدن، فإنه من الإقامة والدوام، يقال: عدن بالمكان إذا أقام به، وعدنت البلد توطنته، وعدنت الإبل بمكان كذا لزمته فلم تبرح منه، قال الجوهري: ومنه جنات عدن، أي: جنات إقامة، وثَمَّ قول بأن جنة عدن اسم لموضع من الجنة مخصوص، وهو جنة من جملة الجنان.

قلت: ولا مانع من كونه اسماً[١] لموضع مخصوص، ويطلق على الكل أنه عدن أي أقام وخلد واستمر، وأما أنه جنة مخصوصة من جملة الجنان، فهذا أظهر من الشمس الصاحية لورود الأحاديث الثابتة بذلك،

---

(١) في الأصل (اسم).

وكنت تابعت الإمام المحقق في المسودة على أنها اسم لجميع الجنان، وليست هي جنة بنفسها مستقلة ثم ظهر لي أن الحق: أن جنة عدن اسم لموضع مخصوص في الجنات، وإن جاز إطلاقه على جملة الجنات، لصدق ذلك على جملتها كما فهم مما قررنا، وحجة ما اخترناه ما أخرج الطبراني في المعجم عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ينزل الله تعالى في آخر ثلاث ساعات يبقين من الليل، فينظر الله في الساعة الأولى منهن في الكتاب الذي لا ينظر فيه غيره، فيمحو ما يشاء ويثبت، ثم ينظر في الساعة الثانية في جنة عدن، وهي مسكنه الذي يسكن، لا يكون معه فيها أحد إلا الأنبياء والشهداء والصديقون، وفيها ما لم يره أحد، ولا خطر على قلب بشر، ثم يهبط آخر ساعة من الليل فيقول: ألا مستغفر يستغفرني فأغفر له، ألا سائل يسألني فأعطيه، ألا داع يدعوني فأستجيب له حتى يطلع الفجر، قال تعالى:** ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨] **فيشهده الله وملائكته**»[(١)].

وأخرج الدارمي عن ابن عمر موقوفاً: خلق الله أربعة أشياء بيده، العرش، والقلم، وعدن، وآدم ثم قال لسائر الخلق: كن فكان.

وأخرج الدارمي عن ميسرة: أن الله لم يمس شيئاً من خلقه بيده غير ثلاث: خلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس جنة عدن بيده.

وأخرج عن كعب قال: لم يخلق الله بيده غير ثلاث: خلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس جنة عدن بيده، ثم قال لها: تكلمي، قالت:

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٨/ ٢٧٩) رقم ٨٦٣٥، وذكره الهيثمي (١٠/ ٢٣٧) رقم ١٧٢٥١ وقال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط والبزار بنحوه، وفيه زيادة بن محمد الأنصاري وهو منكر الحديث.

﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ وذكر الحاكم عن مجاهد: إن الله تعالى غرس جنات عدن بيده، فلما تكاملت أغلقت فهي تفتح كل سحر، فينظر الله إليها فيقول: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً: «**خلق الله جنة عدن بيده، لبنة من درة بيضاء، ولبنة من ياقوتة حمراء، ولبنة من زبرجدة خضراء ملاطها[1] المسك، وحصباؤها: اللؤلؤ وحشيشها الزعفران**» ثم قال لها: انطقي فقالت: قد أفلح المؤمنون فقال الله عز وجل: وعزتي وجلالي لا يجاورني فيك بخيل[2]. ثم تلا رسول الله ﷺ ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

فهذه الجنة في الجنان كآدم في نوع الحيوان، بجامع أن كلًا منهما خلقه الله بيده جل شأنه وتعالى سلطانه، قال في «حادي الأرواح»: تأمل هذه العناية كيف جعل الجنة التي غرسها بيديه لمن خلقه بيديه، ولأفضل ذريته اعتناء وتشريفاً وإظهاراً لفضل ما خلقه بيده على غيره. فهذا كله يدل على أن جنة عدن اسم لموضع من الجنان مخصوص. ويطلق على جملة الجنات إما حقيقة لوجود الحقيقة وهي الإقامة والدوام والاستمرار، وإما

---

(١) المَلَاطُ: الذي يملُط بالطين، يقال: ملطت ملْطا، وملط الحائط ملطا وملطه طلاه. لسان العرب مادة: ملط.

(٢) أخرج أبو نعيم في حلية الأولياء (٦/ ٢٠٤) عن أبي سعيد قال: قال رسول اللّه ﷺ «إن اللّه بنى جنات عدن بيده، وبناها لبنة من ذهب ولبنة من فضة، وجعلها ملاطها المسك، وترابها الزعفران، وحصباءها اللؤلؤ، ثم قال لها: تكلمي، فقالت: قد أفلح المؤمنون». وروى نحوه الترمذي (٤/ ٦٧٢) رقم ٢٥٢٦، وأحمد (٢/ ٣٠٤) رقم ٨٠٣٠، و(٤٤٥) رقم ٩٧٤٢، والدارمي (٢/ ٤٢٩) رقم ٢٨٢١، وابن حبان في صحيحه (١٦/ ٣٩٦) رقم ٧٣٨٧، والطبراني في الأوسط (٤/ ٩٩) رقم ٣٧٠١، وذكره الهيثمي في عدة مواضع حسّن بعضها.

مجازاً من باب إطلاق البعض على الكل، هذا ما ظهر لي، والله تعالى أعلم.

السابع: من أسماء الجنة دار الحيوان، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: ٦٤] والمراد الجنة. قال أهل التفسير: والدار الآخرة يعني الجنة لهي الحيوان، هي دار الحياة التي لا موت فيها، قال أهل اللغة: الحيوان بمعنى الحياة.

قال أبو عبيدة وابن قتيبة: الحياة: الحيوان. وقال أبو عبيدة: الحياة والحيوان والحي - بكسر الحاء - واحد. قال أبو علي: يعني أنها مصادر، فالحياة فعله كالجبلة، والحيوان كالتروان والغليان.

والحِيُّ كالعي. وقال أبو زيد: الحيوان ما فيه روح، والموتان والموات: ما لا روح فيه. والصواب: أن الحيوان يقع على ضربين، أحدهما: مصدر، كما حكاه أبو عبيدة، والثاني: وصف، كما حكاه أبو زيد، فعلى قول أبي زيد يكون المعنى: أنها الدار التي لا تفنى ولا تنقطع ولا تبيد، كما تفنى الأحياء في هذه الدار، فهي أحق بهذا الاسم من الحيوان الذي يفنى ويموت، والأول أظهر. والله أعلم.

الثامن: الفردوس قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠-١١] وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف: ١٠٧].

قال المحقق: والفردوس اسم يقال على جميع الجنة، ويقال على أفضلها وأعلاها، كأنه أحق بهذا الاسم من غيره من الجنات، وأصل الفردوس البستان، والفراديس البساتين، قال كعب: هو البستان الذي فيه الأعناب، وقال الليث: الفردوس جنة ذات كروم، يقال: كرم مفردس أي:

مغرس وقال الضحاك واختاره المبرد: إنها الجنة الملتفة بالأشجار. وقيل: إنه ليس بعربي وإنما رومي، ومعناه بالعربية: البستان، قاله الزجاج، وقال: حقيقته: البستان الذي يجمع كل ما يكون في البساتين. قال: حسان بن ثابت رضي الله عنه:

وإن ثواب الله كل مخلد جنان من الفردوس فيها يخلد

التاسع: جنات النعيم. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ﴾ [لقمان: ٨] وهو اسم جامع لجميع الجنات، لما اشتملت عليه من النعيم المقيم.

العاشر: المقام الأمين، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ [الدخان: ٥١] فالمقام موضع الإقامة. والأمين: الآمن من كل سوء ومكروه.

الحادي عشر والثاني عشر: مقعد الصدق وقدم الصدق، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ [القمر: ٥٤، ٥٥] فسمى الجنة مقعد صدق لحصول ما يراد من المقعد الحسن، كما يقال: مودة صادقة إذا كانت ثابتة تامة، وموضوع هذه اللفظة في كلامهم: الصحة والكمال، ومنه قوله ﷺ: «**الصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة**»[1]. ومنه الصدق في الحديث، والصدق في العمل، والصديق الذي يصدّق قوله بالعمل. وفسر قدم الصدق بالجنة، وفسر بالأعمال التي تنال بها الجنة. وفسر بالسابقة التي سبقت لهم من الله، وفسر بالرسول الذي على يده وهدايته نالوا ذلك.

(١) رواه البخاري رقم ٦٠٩٤، ومسلم رقم ٢٦٠٧ عن عبد الله بن مسعود.

قال المحقق: والتحقيق أن الجميع حق، فإنهم سبقت لهم من الله السابقة بالأسباب التي قدرها لهم على يد رسوله، وادخر لهم جزاءها يوم القيامة، ولسان الصدق: هو لسان الثناء الصادق بمحاسن الأفعال وجميل الطرائق، وفي كونه لسان صدق إشارة إلى مطابقته للواقع، وأنه ثناء بحق لا بباطل، ومدخل الصدق ومخرج الصدق، هو المدخل والمخرج الذي يكون صاحبه فيه ضامناً على الله، وهو دخوله وخروجه بالله ولله.

وهذه الدعوة من أنفع الدعاء للعبد، فإنه لا يزال داخلًا في أمر وخارجاً من آخر، فمتى كان دخوله لله وبالله، وخروجه كذلك، كان قد أدخل مدخل صدق، وأخرج مخرج صدق. والله أعلم.

* * *

فصل
في عدد الجنات وأنواعها

تقدم أن الجنة اسم شامل لجميع ما حوته من البساتين والمساكن والقصور، وهي مع ذلك جنات كثيرة جداً، كما روى البخاري عن أنس ﷺ: أن أم الربيع بنت البراء وهي أم حارثة بن سراقة ﷺ أتت رسول الله ﷺ فقالت: يا نبي الله، ألا تحدثني عن حارثة - وكان قتل يوم بدر أصابه سهم غَرْبٌ - فإن كان في الجنة صبرت، وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء؟ قال: «**يا أم حارثة، إنها جنان عدن، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى**»[١].

وأخرج الشيخان عن أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**جنتان من ذهب آنيتهما وحليتهما وما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وحليتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن**»[٢].

وقال القرطبي في (التذكرة): قيل: الجنان سبع، دار الجلال، ودار السلام، ودار الخلد، وجنة عدن، وجنة المأوى، وجنة نعيم، والفردوس، وزاد بعضهم: عليين.

ففي حديث البراء مرفوعاً: «**إن عليين تحت العرش**»[٣] وقد قال

---

(١) رواه البخاري رقم ٢٨٠٩ بلفظ: «إنها جنان في الجنة» بدل «إنها جنان عدن»، والترمذي (٥/٣٢٧) رقم ٣١٧٤ .
(٢) رواه البخاري رقم ٧٤٤٤ بلفظ «الكبر» بدل «الكبرياء» ومسلم رقم ١٨٠ واللفظ له.
(٣) ذكره القرطبي في التفسير (١٦/٢٢٩) بلفظ: «عليون في السماء السابعة تحت العرش» وأخرجه البغوي في معالم التنزيل (١/٣٦٣) .

تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦] فذكرهما، ثم قال: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٢] فهذه أربع. واختلف في قوله: ﴿وَمِن دُونِهِمَا﴾ فقيل: فوقهما، وقيل: تحتهما، وظاهر كلام المحقق اعتماد الثاني. واستدل له بعشرة أوجه: أحدها: قوله تعالى: ﴿ذواتا أفنان﴾ أي: أغصان أو أصناف شتى من الفواكه وغيرها، ولم يذكر ذلك في اللتين بعدهما.

الثاني: قوله: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ [الرحمن: ٥٠] وفي الأخرتين: ﴿عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٦] والنضاخة هي الفوارة، والجارية هي السارحة الفوارة وهي أحسن من الفوارة فإنها تتضمن الفوران والجريان.

الثالث: قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ [الرحمن: ٥٢] وفي الأخرتين: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨] ولا ريب أن وصف الأولتين أكمل، فقيل: الزوجان الرطب واليابس الذي لا يقصر في فضله وجودته عن الرطب، وقيل: صنف معروف وصنف من شكله غريب. وقيل: الحلو والحامض، والأبيض والأحمر، قاله المحقق. وفيه أنهم قالوا ليس في الجنة حامض؛ لأنه إنما تطلبه الأنفس السقيمة، ولا سقم في الجنة. والله أعلم.

الرابع: أنه قال: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرحمن: ٥٤] وهذا تنبيه على فضل الظهائر وخطرها، وفي الأخرتين قال: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ [الرحمن: ٧٦] وفسر الرفرف بالمجالس والبسط، وفسر بالمجالس فوقها. وعلى كل قول فلم يصفه بما وصف به فرش الجنتين الأولتين.

الخامس: أنه قال: ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرحمن: ٥٤] أي: قريب

سهل يتناولونه كيف شاءوا، ولم يذكر ذلك في الأخرتين.

السادس: أنه قال: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ [الرحمن: ٥٦] أي قد قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم، لرضاهن بهم ومحبتهن لهم، وذلك يتضمن قصرهن لطرف أزواجهن عليهن، فلا يدعهم حسنهن أن ينظروا إلى غيرهن، وقال في الآخرتين: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢] ومن قصرت طرفها على زوجها باختيارها أكمل ممن قِصُرَتْ بغيرها.

السابع: أنه وصفهن بشبه الياقوت والمرجان في صفاء اللون وإشراقه وحسنه، ولم يذكر ذلك في التي بعدها.

الثامن: أنه سبحانه قال في الأولتين: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠] وهذا يقتضي أن أصحابهما من أهل الإحسان المطلق الكامل، فكان جزاؤهم بإحسان كامل.

التاسع: أنه بدأ بوصف الجنتين الأولتين، وجعلهما جزاء لمن خاف مقام ربه، وهذا يدل على أنهما أعلى جزاء الخائف لمقامه، فرتب الجزاء المذكور على الخوف ترتيب المسبب على سببه، ولما كان الخائفون نوعين، مقربين وأصحاب يمين، ذكر جنتي المقربين ثم ذكر جنتي أصحاب اليمين.

العاشر: أنه قال: ﴿وَمِن دُونِهِمَا﴾ والسياق يدل على أنه يقتضى فوق، كما قال الجوهري: انتهى كلامه مختصراً ملخصاً. قلت: ويدل لما قال قول ابن زيد: هي يعني دار الآخرة أربع: جنتان للمقربين السابقين، فيهما من كل فاكهة زوجان، وجنتان لأصحاب اليمين والتابعين. وأخرج البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان عرش الرحمن الله عز وجل على الماء، ثم

اتخذ لنفسه جنة، ثم اتخذ دونها أخرى، ثم أطبقهما بلؤلؤة واحدة.

فإن قيل: كيف انقسمت هذه الجنان الأربع على من خاف مقام ربه؟

فالجواب: أنه لما كان الخائفون نوعين: مقربين وأصحاب يمين، ذكر جنتي المقربين، ثم ذكر جنتي أصحاب اليمين. فالمقربون لهم الجنتان العاليتان، واللتان دونهما للذين دونهم، وهم أصحاب اليمين، جعلنا الله من عباد المقربين، ومن حزبه المفلحين.

فإن قيل: هل الجنتان لمجموع الخائفين أم لكل واحد جنتان، وهما البستانان؟ فالجواب: إن للمفسرين في هذا قولين، وظاهر كلام المحقق ترجيح الثاني، وذكر لترجيحه وجهين:

أحدهما: من جهة النقل وهو قوله ﷺ: «**هما بستانان في رياض الجنة**»[1].

والثاني: من جهة المعنى، وهو أن إحدى الجنتين جزاء أداء الأوامر، والثانية: جزاء اجتناب المحارم.

* * *

(١) ذكره القرطبي في التفسير (١٧/ ١٥٢) من حديث ابن عباس وفيه (عرض) بدل (رياض) وقال: ذكره المهدوي والثعلبي أيضاً من حديث أبي هريرة، والسيوطي في الدر المنثور (٧/ ٧٠٨) وعزاه لابن مردويه.

فصل

وقد اتخذ الله سبحانه وتعالى من الجنان داراً اصطفاها لنفسه وخصها بالقرب من عرشه، وغرسها بيده فهي سيدة الجنان، والله سبحانه يختار من كل نوع أعلاه وأفضله، كما اختار من الملائكة جبريل[١] ومن البشر محمداً ﷺ، ومن السماوات العليا، ومن البلاد مكة، ومن الأشهر الأشهر الحرم، ومن الليالي ليلة القدر، ومن الأيام يوم الجمعة، ومن الليل وسطه، ومن الأوقات: أوقات الصلوات إلى غير ذلك. ذكره في «حادي الأرواح» وأشار إليه في أول «الهَدْى» وذكرته مطولًا في رسالتي: «اللمعة في فضل الجمعة».

وأخرج الحسن بن سفيان عن أنس مرفوعاً: «**إن الله بنى الفردوس بيده، وحظرها على كل مشرك، وكل مدمن الخمر سكير**»[٢].

وأخرج الدارمي والنجار وغيرهما عن عبد الله بن الحارث مرفوعاً: «**خلق الله تبارك وتعالى ثلاثة أشياء بيده: خلق آدم بيده، وكتب التوارة بيده، وغرس الفردوس بيده. ثم قال: وعزتي وجلالي لا يدخلها مدمن خمر، ولا الديوث** - كذا هو بتنكير خمر وتعريف الديوث - **قالوا: يا**

---

(١) في حاشية الأصل/ قوله: ومن الملائكة جبريل، هذا يشعر بأن جبريل أفضل الملائكة وهو اختيار جماعة، وظاهر كلام المحقق ابن القيم بل صريحه أنه أفضل الملائكة كما يفهم من كلامه في حادي الأرواح والهدى وإغاثة اللهفان وغيرها من كتبه، والمشهور أن أفضل الملائكة إسرافيل لأنه أقرب الملائكة إلى الله، وهو الذي يبلغ جبريل ما يأمر الله به وينهي ويقضى كما ثبت ذلك في الأحاديث، والحاصل الصحيح المشهور أن إسرافيل أفضل الملائكة، والله تعالى أعلم. مؤلف

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٥/ ١١) رقم ٥٥٩٠، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٩٥ وقال: غريب من حديث داود عن أنس، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٣/ ٣٠٦).

رسول الله، قد عرفنا مدمن الخمر، فما الديوث؟ قال: - الذي يقر السوء في أهله»[١]. قال المحقق: قلت: المحفوظ أنه موقوف.

ثم ذكر من طريق الدارمي عن ابن عمر موقوفاً: خلق الله أربعة أشياء بيده: العرش، والقلم، وعدن، وآدم.

وأخرج أبو الشيخ عن شمر بن عطية قال: خلق الله جنة الفردوس بيده فهو يفتحها كل يوم خميس، فيقول: ازدادي طيباً لأوليائي، ازدادي حسناً لأوليائي.

وأخرج البيهقي عن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً: «**إن الله أحاط حائط الجنة لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، وغرس غرسها بيده، وقال لها تكلمي، فقالت: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ فقال: طوبى لك منزل الملوك»**[٢]. فإن قلت: علم من هذه الآثار أن الله خلق عدن والفردوس والعرش والقلم وآدم بيده، وكتب التوراة بيده وفيها[٣]: لم يخلق الله بيده إلا ثلاثة: آدم، وكتب التوراة، وغرس جنة عدن، وفيها القصر على أربعة: العرش، والقلم وعدن، وآدم فما وجه الجمع؟

فالجواب: والله أعلم ليس الحصر على بابه، بل عبر أولًا بما ذكر ثم

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٢٠٧).

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٤/ ٩٩) رقم ٣٧٠١ بزيادة واختلاف يسيرين، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٢٠٤)، وذكره الهيثمي (١٠/ ٧٣٢) رقم ١٨٦٤٢ وقال: رواه البزار مرفوعاً وموقوفاً والطبراني في الأوسط إلا أنه قال عن النبي ﷺ قال: «إن الله خلق جنة عدن بيده لبنة من ذهب ولبنة من فضة» والباقي بنحوه، ورجال الموقوف رجال الصحيح، وأبو سعيد لا يقول هذا إلا بتوقيف.

(٣) في حاشية الأصل/ لم أر أحداً تعرض لهذا الإشكال وهو وارد، ولعل سكوتهم عن التعرض له على مقتضى ما اختاره المحقق أن عدن اسم لمجموع الجنة وأن. . . المراد غرس جميع الجنة وبناء جميع الجنة، فليتأمل ذلك وليحرر، والله أعلم. مؤلف

أعلمنا بأنه خلق أشياء أخر، إما أنه تعالى أعلمه بذلك بعد أن أعلمه بالأول، وأما أنه ذكر الأول لمناسبة اقتضت ذلك، كما تقول: ليس في الدار إلا زيد، وإن كان فيها غيره، وأردت أن الذي ينبغي أن ينوه بذكره إنما هو زيد، هذا ما ظهر لي، وفيه نظر، والله أعلم.

وفي صحيح مسلم عن المغيرة بن شعبة، عن النبي ﷺ قال: «**سأل موسى ربه: ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال: رجل يجيء بعدما أدخل أهل الجنة الجنة، فيقال له: ادخل الجنة، فيقول: أي رب، كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت رب، فيقول له: لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله فقال في الخامسة: رضيت رب، قال: رب فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردتُ غرست كرامتهم بيدي، وختمت عليها، فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر، ومصداقه من كتاب الله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]**»[١].

* * *

(١) رواه مسلم رقم ١٨٩، وفيه بعد (رضيت رب) الأولى «فيقول له: هذا لك وعشرة أمثاله ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك فيقول: رضيت رب».

فصل

في ذكر أول من يقرع باب الجنة

تقدم أن أول من يقرع باب الجنة رسول الله ﷺ وأول من يدخلها من الأمم أمته، وأخرج الطبراني عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«آتي باب الجنة فأستفتح فيقوم الخازن، فيقول: لا أفتح لأحد قبلك، ولا أقوم لأحد بعدك»**(١). وذلك أن قيامه إليه ﷺ خاصة إظهاراً لمزيته ومرتبته، ولا يقوم في خدمة أحد بعده، بل خزنة الجنة دونه، يقومون في خدمته وهو كالملك عليهم، وقد أقامه الله في خدمة عبده ورسوله، حتى مشى إليه وفتح له الباب.

وأخرجه مسلم في صحيحه عنه بلفظ: **«آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك»**(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: **«أنا أول من يفتح له باب الجنة، إلا أن امرأة تبادرني، فأقول لها: مالك أوما أنت؟ فتقول: أنا امرأة قعدت على أيتامي»**(٣).

---

(١) رواه مسلم رقم ١٩٧ دون قوله: «ولا أقوم لأحد بعدك» وزيادة أخرى يسيرة، ولم أقف عليه عند الطبراني.

(٢) أنظر تخريج الحديث السابق.

(٣) رواه أبو يعلى في مسنده (١٢/ ٧) رقم ٦٦٥١ وفيه «إلا أنه تأتي امرأة» وفي آخرة «أيتام لي» وذكره الهيثمي (٨/ ٢٩٦) رقم ١٣٥١٩ وقال: رواه أبو يعلى وفيه عبد السلام بن عجلان، وثقه أبو حاتم وابن حبان وقال: يخطئ ويخالف، وبقية رجاله ثقات.

وفي الترمذي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: جلس ناس من أصحاب النبي ﷺ ينتظرونه فخرج، حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون، فسمع حديثهم، فقال بعضهم: عجباً إن للّه من خلقه خليلًا اتخذ الله إبراهيم خليلًا، وقال آخر: ماذا بأعجب من كلامه موسى، كلمه تكليماً، وقال آخر: فعيسى كلمة الله وروحه، وقال آخر: آدم اصطفاه الله، فخرج عليهم فسلم، وقال: **«سمعت كلامكم وعجبكم إن إبراهيم خليل الله وهو كذلك، وموسى نجي الله وهو كذلك، وعيسى روحه وكلمته وهو كذلك، وآدم اصطفاه الله وهو كذلك، ألا وأنا حبيب الله ولا فخر، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر، وأول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من يحرك حلق الجنة، فيفتح لي فأدخلها، ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر، وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر»**[1]. قوله ﷺ: **«ولا فخر»** أي: ولا فخر أعظم من هذا الفخر، قاله بعضهم.

وعندي: أن معناه أني لا أقول ذلك افتخاراً واستكباراً، بل على سبيل التنويه والتعريف والتذكر بنعم الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١] فما قاله صلى الله عليه وسلم من باب التحدث بالنعم.

نكتة:

لا بأس للعالم أن يذكر ما لديه من العلوم على سبيل التنويه، لِيُقْصَدَ ويؤخذ عنه ذلك، لا على سبيل الافتخار، فإن ذلك مزلة إلى النار، وبم يعجب العاقل وما لديه من العلم ليس من وسعه وقوته، وإنما هو من فضل مولاه ومنته، والله أعلم.

---

(١) رواه الترمذي (٥/ ٥٨٧) رقم ٣٦١٦ وقال: هذا حديث غريب، والدارمي في سننه (١/ ٣٩) رقم ٤٧، وذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٤/ ٥٢٨)، وقال عنه العراقي: رواه الترمذي وقال: غريب.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا، وأنا خطيبهم إذا نصتوا، وقائدهم إذا وفدوا، وشافعهم إذا حبسوا، وأنا مبشرهم إذا يئسوا، لواء الحمد بيدي، ومفاتيح الجنة يومئذ بيدي، وأنا أكرم ولد آدم يومئذ على ربي ولا فخر، يطوف علي ألف خادم كأنهم اللؤلؤ المكنون**»(١). رواه الترمذي، والبيهقي واللفظ له.

وفي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا أكثر الناس تبعاً يوم القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة**»(٢).

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم**»(٣) أي: لم يسبقونا إلا بهذا القدر.

قال في «حادي الأرواح»: معنى بيد معنى سوى، وغير، وإلا أنه، ونحوها: أي من أدوات الاستثناء، فمعنى بيد أنهم: غير أنهم. والله أعلم.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، ونحن أول من يدخل الجنة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، وأوتيناه من بعدهم فاختلفوا فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه**»(٤).

---

(١) رواه الترمذي (٥/ ٥٨٥) رقم ٣٦١٠ باختلاف يسير، وقال: هذا حديث حسن غريب، والدارمي (١/ ٣٩) رقم ٤٨ .

(٢) رواه مسلم رقم ١٩٦ .

(٣) رواه البخاري رقم ٨٩٦، ومسلم رقم ٨٥٥ .

(٤) رواه مسلم رقم ٨٥٠ وليس فيه «بإذنه».

وفي الصحيحين عنه مرفوعاً: «**نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، نحن أول الناس دخولًا الجنة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، وأوتيناه من بعدهم**»(١) وعند الدارقطني عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**إن الجنة حرمت على الأنبياء كلهم حتى أدخلها، وحرمت على الأمم حتى تدخلها أمتي**»(٢)، والحديث غريب كما نبه عليه الدارقطني.

والحاصل: أن هذه الأمة المشرفة أسبق الأمم خروجاً من الأرض، وأسبقهم إلى أعلى مكان في الموقف، وأسبقهم إلى ظل العرش، وأسبقهم إلى الفصل والقضاء بينهم، وإلى الجواز على الصراط، وإلى دخول الجنة، فالجنة محرمة على الأنبياء حتى يدخلها محمد ﷺ ومحرمة على الأمم حتى تدخلها أمته، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

وأخرج أبو داود في سننه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أتاني جبريل فأخذ بيدي فأراني باب الجنة الذي يدخل منه أمتي،** فقال أبو بكر: يا رسول الله وددت لئن كنت معك حتى أنظر إليه، فقال رسول الله ﷺ: «**أما إنك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتي**»(٣)(٤).

---

(١) رواه البخاري رقم ٢٠١٧، ومسلم رقم ٨٥٥، وفيه «ونحن أول من يدخل الجنة» بدل «ونحن أول الناس دخولًا الجنة».

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (١/ ٢٨٩) رقم ٩٤٢، والبغوي في معالم التنزيل (١/ ٨٩)، وذكره الهيثمي (١٠/ ٥٩) رقم ١٦٧١٧ وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه صدقة بن عبد الله السمين، وثقه أبو حاتم وغيره، وضعفه جماعة فإسناده حسن.

(٣) رواه أبو داود (٢/ ٦٢٤) رقم ٤٦٥٢، والطبراني في الأوسط (٣/ ٩٣) رقم ٢٥٩٤، والحاكم (٣/ ٧٧) رقم ٤٤٤٤ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٤) في حاشية الأصل/ قف على أول من يدخل الجنة من هذه الأمة بعد نبيها وهو الصديق الأعظم.

وقوله ﷺ وددت لئن كنت معك، حرصاً منه على زيادة اليقين، وأن يصير الخبر عياناً، لا أنه ﷺ عنده شك في ذلك - معاذ الله - نظيره قول سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠].

ومن المعلوم أنه ليس الخبر كالعيان، وإن جزم بأن المخبر به واقع لا محالة، وهذا معنى علم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين.

فعلم اليقين حكم الذهن الجازم بالأخبار المتواترة كوجود مكة، وحلاوة العسل، لمن لم ير مكة ولم يذق العسل، فإذا نظر لمكة من أبي قبيس، وشاهد العسل فهو عين اليقين، فإذا دخل مكة، وذاق العسل فهو حق اليقين، والله أعلم.

وأما حديث ابن ماجه عن أبي بن كعب مرفوعاً: «**أول من يصافحه الحق عمر، وأول من يسلم عليه، وأول من يأخذ بيده، فيدخله الجنة**»[(١)]. فهو منكر جداً قاله المحقق، وفيه داود بن عطاء، قال الإمام أحمد: ليس بشيء، وقال البخاري: منكر الحديث.

تنبيه:

اسم خازن الجنة الذي تقدم ذكره «رضوان» فهو المقدم على سائر خزنة الجنان ورئيسهم، وهو مشتق من الرضا، وأما خازن النار فاسمه «مالك» مشتق من الملك وهو القوة والشدة حيث تصرفت حروفه، والخزنة جمع خازن، مثل حفظة وحافظ، وهو المؤتمن على الشيء الذي

---

(١) رواه ابن ماجة (١/ ٣٩) رقم ١٠٤، والطبراني في الأوسط (٤/ ٣١٧) رقم ٤٣١٠، والحاكم (٣/ ٩٠) رقم ٤٤٨٩ وسكت عنه، وقال الذهبي: موضوع.

استحفظه، وتقدم ذكر الخزنة في عدة مواضع من الأحاديث الصحيحة والآثار الصريحة، والله تعالى أعلم.

* * *

فصل

وفي البخاري، ومسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر، لا يبصقون ولا يمتخطون فيها ولا يتغوطون فيها، آنيتهم وأمشاطهم الذهب والفضة، ومجامرهم الألوة، ورشحهم المسك، ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقهما من وراء اللحم من الحسن، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم على قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشية**»[١].

قوله: «مجامرهم الألوة» قال في النهاية: أي بخورهم العود، وهو اسم له مرتجل، وقيل: هو ضرب من خيار العود وأجوده، وتفتح همزته وتضم، وقد اختلف في أصليتها وزيادتها، ومنه حديث ابن عمر «**أنه كان يستجمر بالألوة غير مطراة**»[٢]، أي: يتبخر بها ليس عليها ألوان الطيب من غيرها، قال في النهاية: المطراة التي تعمل عليها ألوان الطيب غيرها كالعنبر والمسك والكافور. ومنه قولهم عسل مطري، أي: مربى بالأقاويه[٣].

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين يلونهم على ضوء أشد كوكب دري في السماء إضاءة، لا يبولون ولا يتغوطون ولا**

---

(١) رواه البخاري رقم ٣٢٤٥، ومسلم رقم ٢٨٣٤.

(٢) رواه مسلم رقم ٢٢٥٤ عن نافع قال: «كان ابن عمر إذا استجمر بالألوة غير مطراة وبكافور يطرحه مع الألوة، ثم قال: هكذا كان يستجمر رسول الله ﷺ».

(٣) القوهة: اللبن الذي فيه طعم الحلاوة، واللبن الذي يلقى عليه من سقاء رائب شيء ويروب، واللبن إذا تغير طعمه قليلًا وفيه حلاوة الحلب، القوهي: ضرب من الثياب بيض - لسان العرب مادة: قوه.

يتفلون ولا يمتخطون، أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ومجامرهم الألوة، وأزواجهم الحور العين، أخلاقهم على خلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم، ستون ذراعاً في السماء»(١) وفي «حادي الأرواح» عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«أول من يدعى إلى الجنة يوم القيامة الحمادون الذين يحمدون الله في السراء والضراء»**(٢).

وأخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«عرض عليَّ أول ثلاثة يدخلون الجنة، وأول ثلاثة يدخلون النار، فأما أول ثلاثة يدخلون الجنة: فالشهيد، وعبد مملوك لم يشغله رق الدنيا عن طاعة ربه، وفقير متعفف ذو عيال، وأول ثلاثة يدخلون النار، فأمير مسلط، وذو ثروة من مال لا يؤدي حق الله من ماله، وفقير فخور»**(٣).

وأخرج هو والطبراني واللفظ للطبراني، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«هل تدرون أول من يدخل الجنة؟ فقراء المهاجرين الذين تتقى بهم المكاره، ويموت أحدهم وحاجته في صدره لم يستطع لها قضاء، تقول الملائكة: ربنا نحن ملائكتك وخزنتك وسكان سماواتك، لا تدخلهم الجنة قبلنا، فيقول: عبادي لا يشركون بي**

---

(١) رواه البخاري رقم ٣٣٢٧، ومسلم رقم ٢٨٣٤ .

(٢) رواه الطبراني في الكبير (١٢/ ١٩) رقم ١٢٣٤٥، وفي الأوسط (٣/ ٢٤٠) رقم ٣٠٣٣، والبيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٩٠) رقم ٤٣٧٣ وذكره الهيثمي (١٠/ ١١٤) رقم ١٦٨٨٣ وقال: رواه الطبراني في الثلاثة بأسانيد، وفي أحدها قيس بن الربيع وثقه شعبة والثوري وغيرهما، وضعفه يحيى القطان وغيره، وبقية رجاله رجال الصحيح، ورواه البزار بنحوه وإسناده حسن.

(٣) رواه أحمد (٢/ ٤٢٥) رقم ٩٤٨٨، وابن حبان في صحيحه (١٠/ ٥١٣) رقم ٤٦٥٦ باختلاف يسير، والطيالسي في مسنده (١/ ٣٣٤) رقم ٢٥٦٧، وابن خزيمة في صحيحه (٤/ ٨) رقم ٢٢٤٩، والحاكم (١/ ٥٤٤) رقم ١٤٢٩ وقال: عامر بن شبيب العقيلي شيخ من أهل المدينة مستقيم الحديث. وسكت عنه الذهبي.

شيئاً تتقى بهم المكاره، ويموت أحدهم وحاجته في صدره لم يستطع لها قضاء، فعند ذلك تدخل عليهم الملائكة من كل باب، سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار»(١).

فإن قيل: ما تقولون في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد، والترمذي وصححه عن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه قال: أصبح رسول الله ﷺ فدعا بلالاً فقال: «**يا بلال بم سبقتني إلى الجنة؟ فما دخلت الجنة قط إلا سمعت خشخشتك أمامي، فأتيت على قصر مرتفع مشرف من ذهب، فقلت: لمن هذا القصر؟ قالوا: لرجل عربي، قلت: أنا عربي، لمن هذا القصر؟ قالوا: لرجل من قريش، قلت: أنا قرشي، لمن هذا القصر؟ قالوا: لرجل من أمة محمد، قلت: أنا محمد، لمن هذا القصر؟ قالوا: لعمر بن الخطاب، فقال بلال: يا رسول الله، ما أذنت قط إلا صليت ركعتين، وما أصابني حدث قط إلا توضأت عندها، ورأيت أن لله علي ركعتين، فقال رسول الله ﷺ: بهما»**(٢).

وأنتم تقولون: إن أول من يدخل الجنة محمد، وهي محرمة على الأنبياء حتى يدخلها محمد؟

فالجواب: أنا نتلقى هذا بالقبول والتصديق لصحته عند ذوي النقول والتحقيق، غير أنه لا يدل على أن أحداً يسبق النبي ﷺ إلى الجنة، وتَقَدُّمُ بلال رضوان الله عليه إنما كالحاجب والخادم، ومن عادة الخادم أن يمشي

---

(١) رواه أحمد (٢/ ١٦٨) رقم ٦٥٧، وعبد بن حميد في مسنده/ ١٣٨) رقم ٣٥٢، وابن حبان في صحيحه (١٦/ ٤٣٨) رقم ٧٤٢١، وذكره الهيثمي (١٠/ ٤٥٥) رقم ١٧٨٨٦ وقال: رواه أحمد والبزار والطبراني ورجالهم ثقات.

(٢) رواه أحمد (٥/ ٣٥٤) رقم ٢٣٠٤٦، والترمذي (٥/ ٦٢٠) رقم ٣٦٨٩ وقال: هذا حديث صحيح غريب، وله شاهد في البخاري رقم ١١٤٩ .

بين يدي سيده، ولما كان بلال يدعو إلى الله بالأذان بين يدي رسول الله ﷺ، ويمشي أمامه ليهيئ الماء لوضوئه ﷺ جازاه الله بأن خصه من بين خدم رسول الله ﷺ بالتقدم بين يديه، وقد روي أن النبي ﷺ يبعث يوم القيامة وبلال بين يديه ينادي بالأذان، فتقدمه بين يديه إنما هو كرامة لرسول الله ﷺ وإظهار[1] لشرفه ومزيته، لا سبقاً من بلال له، كيف وبلال ومولى بلال حسنة من حسناته ﷺ، بل ولا وجود لهم لولا تلك الذات المعظمة التي ملأت ما بين السماء والأرض نعماً وعلماً ومنناً.

شعر لمؤلفه:

كل الوجود وما في الكون من منن ... ما كان إلا بطه كاشف المحن[2]
فهو الذي جاء بالدين المتين وبالـ ... آيات والعلم والقرآن والسنن
وأول الناس طرا في المعاد إلى ... جنات عدن دخولًا يا ذوي الفطن
رضوان في خدمة المختار قام ولم ... يقم لغير النبي المصطفى المدني
وهو الشفيع لنا يوم الحساب إذا ... ما قال كل رسول ليس ينجدني
يا سيدي يا رسول الله يا أملي ... كن لي شفيعاً إذا ما خانني زمني
واخجلتي من ذنوبي يوم ينشرها ... ربي فوا وجلي منها ويا حزني
لكن ملتجاي سر الوجود ومن ... به نجونا من التخليط والفتن
محمد المصطفى كنز الضعيف غدا ... إذا بدا للعداء نار لدى نتن
صلى عليه إله العرش ما صدحت ... ورق الحمام وما ناحت على فنن
والآل والصحب والأزواج كلهم ... والتابعين لهم نقالة السنن

* * *

(١) في الأصل (وإظهارا).
(٢) إن كاشف المحن هو الله وحده يقول تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ [يونس: ١٠٧] ويقول: ﴿قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ [الجن: ٢٢].

فصل

وتقدم أن الفقراء يسبقون الأغنياء إلى الجنة بخمس مائة عام، أخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم، وهو خمس مائة عام**»[١]. ورواه الترمذي، وقال: حسن صحيح، قال في (حادي الأرواح): ورجال إسناده احتج بهم مسلم في صحيحه.

وأخرج مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة بأربعين خريفاً**»[٢].

وأخرج الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**التقى مؤمنان على باب الجنة: مؤمن غني، ومؤمن فقير كانا في الدنيا، فأدخل الفقير الجنة، وحبس الغني ما شاء الله أن يحبس، ثم أدخل الجنة، فلقيه الفقير فيقول: أي أخي ماذا حبسك؟ والله لقد حبست حتى خفت عليك، فيقول: أي أخي إني حبست بعدك محبساً فظيعاً كريهاً، ما وصلت إليك حتى سال مني من العرق ما لو ورده ألف بعير كلها أكلة حمض[٣] لصدرت عنه رواء**»[٤]. وأخرج الطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت

---

(١) رواه أحمد (٢/ ٣٤٣) رقم ٨٥٠٢، والترمذي (٤/ ٥٧٨) رقم ٢٣٥٤ وقال: هذا حديث صحيح.

(٢) أخرجه مسلم رقم ٢٩٧٩، وأحمد (٢/ ١٦٩) رقم ٦٥٧٨ .

(٣) في حاشية الأصل/ الحمض بالحاء المهملة والضاد المعجمة بينهما ميم ساكنة نبت فيه ملوحة. مؤلف

(٤) رواه أحمد (١/ ٣٠٤) رقم ٢٧٧١، ورواه في الزهد (١/ ٣٩٦)، وذكره الهيثمي (١٠/ ٤٦٤) رقم ١٧٩١٣ وقال: رواه أحمد وفيه دويد، غير منسوب، فإن كان هو الذي روى عن سفيان فقد ذكره العجلي في كتاب الثقات، وإن كان غيره لم أعرفه وبقية رجاله رجال الصحيح.

رسول الله ﷺ يقول: «**إن فقراء المؤمنين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم وذلك خمس مائة عام**»[١] الحديث. والذي في الصحيح: «**إن سبقهم لهم بأربعين خريفاً**»[٢].

فإما أن يكون هو المحفوظ، وإما أن يكون كلاهما محفوظاً وتختلف مدة السبق باختلاف أحوال الفقراء والأغنياء، فمنهم من يسبق بأربعين ومنهم من يسبق بخمس مائة سنة، كما يتأخر مكث العصاة من الموحدين في النار بحسب جرائمهم[٣].

تنبيه:

لا يلزم من سبق الفقراء أن تكون منازلهم أرفع من منازل الأغنياء، بل قد يكون المتأخر أعلى منزلة، وإن سبقه غيره في الدخول، والدليل على ذلك: أن من الأمة من يدخل الجنة بغير حساب، وهم من مر ذكرهم، وقد يكون بعض من يحاسب أفضل من أكثرهم، والغني إذا حوسب على غناه فوجد شاكراً لله، قد تقرب بأنواع البر والصدقة، كان أعلى درجة من الفقير السابق له في الدخول من غير تلك الأعمال، لا سيما إذا شاركه الغني في أنواع عباداته وقد زاد عليه بالصدقة بفضل ماله، فإن الله لا يضيع مثقال ذرة، نعم الفقير له المزية بسبقه، وهما مزيتان: مزية السبق، ومزية رفعة

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (١/ ٣٣) رقم ٨٤ وانظر تخريج الثلاثة أحاديث السابقة.

(٢) رواه مسلم رقم ٢٩٧٩، والترمذي (٤/ ٥٧٧) رقم ٢٣٥٢، و(٥٧٨) رقم ٢٣٥٥ وقال: هذا حديث حسن.

(٣) في حاشية الأصل/ قلت: وهذا هو التحقيق عندي، لما قدمنا عن الحافظ المنذري أنه قال: صح أن الفقراء يدخلون الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام، فجزم أنه محفوظ بل صحيح، فالأولى حمله مع ما في الصحيح على ما ذكر، وأنت خبير أن الإمام الترمذي صحح الخبر، ورجاله رجال مسلم. والله أعلم. مؤلف

فقد يجتمعان، فيحصل السبق والرفعة لبعض الأشخاص، وتلك تمام السعادة، وقد يعدمهما آخر، وقد يحصل لبعضهم السبق دون الرفعة، وبالعكس، ومما ينبغي أن يعلم أن المراد بالفقير هو الفقير الصابر، الذي قد اطمأن قلبه لما قدره الله تعالى له، ورضي بقضائه، دون الفقير الساخط، بل فقر هذا كجوع الكلاب، وذاك كجوع الصيام من أولي الألباب، والمراد بالغني هو الغني الشاكر.

وأما مانعوا[١] الزكاة وأضرابهم فهم بمعزل عن هذا، بل هم مع إخوانهم في سقر، سيما من استحوذ عليهم الشيطان فأنفق أموالهم في اللهو والهذيان، ثم إذا حال الحول أتوا بأنواع الحيل، التي ورثوها عن إخوانهم من اليهود، فادعى أنه لا زكاة عليه، وهذا قبح إلى قبح مجتمعان، وقد أخبرت عن بعض من ينتسب إلى العلم أنه قبل الحول يهب ماله لزوجته فإذا حال الحول استرده وهلم جرا، فهذا هو غاية الظلم[٢]، ومن أظلم ممن افترى علي كذباً، فهذا علمه ضره، ما نفعه[٣].

---

(١) في الأصل/ (ما نعى).

(٢) في حاشية الأصل/ قوله: فهذا هو في غاية الظلم إلخ فيه رد شنيع وانتقاص فظيع على من يرى انقطاع الحول بما ذكره من الهبة وعدم وجوب الزكاة والحالة هذه لعدم تمام الحول ولو فعل ذلك كمل الشافعية فراراً من الزكاة، لكنه أي الفرار مكروه كما هو مصرح به في كتبهم، فليت شعري إذا كان ذلك قول مجتهد أو قرره أصحابه في كتبهم أو جاء على أصوله واعتمدوه أيكون مقلده - والتقليد في الفروع جائز - ظالماً غاية الظلم، ولهذا قيل: من قلد عالماً لقي اللّه سالماً، إلا أن يكون المؤلف لا يرى جواز التقليد فليتأمل. كاتبه/ محمد الباقاني.
قلت: ما ذكره المصنف رحمه الله يراد به فعل الهبة بغير قصد الهبة بل للفرار من وجوب الزكاة وهذه من الحيل المذمومة.

(٣) في حاشية الأصل/ بلغ مقابلة.

فائدة:

فائدة التحقيق عندي: أن الغني الشاكر أفضل من الفقير الصابر، وهذا خلاف ما كنت أختاره أولًا تبعاً لجماعة.

واعلم أن الفقير الصادق[١] له علامات، وآداب باطنة وظاهرة، فأما الباطنة فأن لا يكره ما ابتلاه الله تعالى به من الفقر، وهذا واجب عليه، وأرفع من هذا أن يكون راضياً بالفقر، وأرفع من هذا أن يكون طالباً له، وفرحاً به، وشاكراً عليه.

وأما آداب ظاهرة فإظهار التعفف، وأما في أعماله فلا يتواضع لغني[٢]، والله تعالى أعلم.

* * *

(١) كذا بالأصل ولعلها (الصابر).
(٢) لعل المراد من ذلك التواضع للغنى لغناه طمعاً في إحسانه وانتظارا لشيء يأتي من ماله، وإلا فالتواضع خلق فاضل من أخلاق المسلمين.

فصل
في أصناف أهل الجنة الذين ضمنت لهم دون غيرهم

قال اللّه تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ۝١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٦].

أخبر سبحانه وتعالى أنه أعدها للمتقين دون غيرهم، ثم ذكر أوصاف المتقين فذكر بَذْلَهمُ للإحسان في حالتي العسر والشدة، والرخاء والسعة، وكف أذاهم للناس بحبس الغيظ بالكظم، وحبس الانتقام بالعفو، إلى آخر الأوصاف.

وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي[1] تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]. فأخبر أنه تعالى أعدها للمهاجرين الذين هجروا أوطانهم ابتغاء مرضاته تعالى، ونصراً لنبيه، والأنصار الذين بذلوا جهدهم في نصرة نبيه ودينه وأتباعهم، أي ومن نحا نحوهم، واقتفى أثرهم.

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ

(١) في الأصل (من تحتها) والمثبت هو الصواب.

وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢-٤] فوصفهم بإقامة حقه ظاهراً وباطناً وبأداء حق عباده.

وفي صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: لما كان يوم خيبر أقبل نفر من صحابة النبي ﷺ فقالوا: فلان شهيد وفلان شهيد، حتى مروا على رجل، فقالوا: فلان شهيد. فقال رسول الله ﷺ: «**كلا إني رأيته في النار في بردة غلها أو عباءة**، ثم قال رسول الله ﷺ: **يابن الخطاب، اذهب فناد في الناس إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، قال: فخرجت فناديت أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون**»[١]، وفي البخاري معناه[٢].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ «**أمر بلالاً ينادي في النار أنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، وفي لفظ: مؤمنة**»[٣].

وأخرج مسلم عن عياض بن حمار المجاشعي، أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: «**ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا، كل مال نحلته عبداً حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما حللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً، وأن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب، وقال: إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك، وأنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء، تقرؤه نائماً ويقظانا، وإن الله أمرني أن أحرق قريشاً، فقلت: رب إذا يثلغوا رأسي فيدعوه خبزة، قال: استخرجهم كما استخرجوك**[٤] **وأغزهم نغزك، وأنفق**

(١) رواه مسلم رقم ١١٤ .
(٢) رواه البخاري رقم ٤٢٣٤ من حديث أبي هريرة.
(٣) رواه البخاري رقم ٤٢٠٣، ومسلم رقم ١١١ .
(٤) في الأصل (أخرجوك).

فسننفق[١] عليك، وابعث جيشاً نبعث خمسة مثله، وقاتل بمن أطاعك من عصاك، قال: وأهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط متصدق موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى، ومسلم عفيف متعفف ذو عيال، وأهل النار خمسة: الضعيف الذي لا زبر له، الذين هم فيكم تبعاً لا يبغون أهلًا ولا مالًا، والخائن الذي لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانه، ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك، وذكر البخل والكذب، والشنظير الفحاش، وأن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحدكم على أحد، ولا يبغي أحد على أحد»[٢].

وأخرج البخاري ومسلم عن حارثة بن وهب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره، ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل جواظ متكبر»**[٣].

وأخرج الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً: **«إن أهل النار كل جعظري جواظ مستكبر، جماع مناع، وأهل الجنة الضعفاء المغلوبون»**[٤].

قوله: جعظري: بالجيم والعين المهملة، والظاء المعجمة: الغليظ، والجواظ: هو الجموع المنوع، والله أعلم.

* * *

(١) في الأصل (فننفق).
(٢) رواه مسلم رقم ٢٨٦٥ باختلاف يسير.
(٣) رواه البخاري رقم ٤٩١٨، ورقم ٦٦٥٧، ومسلم ٢٨٥٣ بلفظ «مستكبر» بدل «متكبر».
(٤) أخرجه أحمد (٢/ ٢١٤) رقم ٧٠١٠، والحاكم (٢/ ٥٤١) رقم ٣٨٤٤، وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

فصل
في أن أكثر أهل الجنة هذه الأمة المطهرة

قال رسول الله ﷺ: «**أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟** فكبرنا، ثم قال: **أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟** فكبرنا ثم قال: **إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة وسأخبركم عن ذلك، ما المسلمون في الكفار إلا كشعرة بيضاء في ثور أسود، أو كشعرة سوداء في ثور أبيض**»[(١)]، رواه البخاري ومسلم، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ولفظ البخاري: «**كشعرة بيضاء في ثور أسود، وكشعرة سوداء في ثور أبيض**» بغير ألف.

وأخرج الإمام أحمد، والترمذي بسند صحيح عن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أهل الجنة عشرون ومائة صف، هذه الأمة منها ثمانون صفا**»[(٢)]. وأخرج عبد الله ولد الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: ٣٩، ٤٠] قال رسول الله ﷺ: «**أنتم ربع أهل الجنة، أنتم ثلث**

---

(١) رواه البخاري رقم ٦٥٢٨ بلفظ: «كنا مع النبي ﷺ في قبة فقال: أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟ قلنا: نعم، قال: أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟ قلنا: نعم، قال: أترضون أن تكونوا شطر أهل الجنة؟ قلنا: نعم، قال: والذي نفس محمد بيده إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة، وذلك أن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة، وما أنتم في أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر» ورواه مسلم رقم ٢٢١، ٢٢٢ باختلاف وزيادة ونقص.

(٢) رواه أحمد (٥/ ٣٥٥) رقم ٢٣٠٥٢، وص٣٦١) رقم ٢٣١١١ باختلاف يسير جداً في بعض الألفاظ، والحاكم (١/ ١٥٥) رقم ٢٧٣، وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وذكره الهيثمي (١٠/ ٧٤٤) رقم ١٨٦٧٧ وقال: هو في الصحيح باختصار، رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبراني في الثلاثة، ورجالهم رجال الصحيح غير الحارث ابن حصيرة وقد وثق.

أهل الجنة، أنتم نصف أهل الجنة»[١]. قال الطبراني: تفرد به ابن المبارك، عن الثوري.

واعلم أنه لا تنافي بين هذه الروايات وبين حديث الشطر، لأنه ﷺ رجا أن يكونوا شطر أهل الجنة، فأعطاه الله رجاءه، وزاده عليه شيئاً آخر. قاله في «حادي الأرواح».

واعلم أن النساء في الجنة أكثر من الرجال كما أن النار كذلك، لما ثبت في الصحيحين عن محمد بن سيرين قال: إما تفاخروا، وإما تذاكروا: الرجال أكثر في الجنة أم النساء؟ فقال: أبو هريرة رضي الله عنه أو لم يقل أبو القاسم ﷺ: «**إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والتي تليها على أضوأ كوكب دري في السماء، لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان، يرى مخ سوقهما من وراء اللحم، وما في الجنة عزب**»[٢].

قال في «حادي الألواح»: فإن كن من نساء الدنيا فالنساء في الدنيا أكثر من الرجال، وإن كن من الحور العين لم يلزم أن يكن في الدنيا أكثر. والظاهر أنهن من الحور العين، لما رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة مرفوعاً: «**للرجل من أهل الجنة زوجتان من الحور العين، على كل واحدة سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء الثياب**»[٣].

---

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٧/ ١٠١)، وأحمد (٢/ ٣٩١) رقم ٩٠٦٩ بلفظ «لما نزلت ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ شق ذلك على المسلم فنزلت ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ فقال: أنتم ثلث أهل الجنة، بل أنتم نصف أهل الجنة وتقاسمونهم النصف الباقي».

(٢) رواه البخاري رقم ٣٢٤٥ باختلاف في بعض الألفاظ، ومسلم رقم ٢٨٣٤ واللفظ له.

(٣) رواه أحمد (٢/ ٣٤٥) رقم ٨٥٢٣، والدارمي (٢/ ٤٣٣) رقم ٢٨٣٢، والترمذي (٤/ ٦٧٠) رقم ٢٥٢٢ ضمن حديث وقال: هذا حديث حسن صحيح.

فإن قيل: كيف هذا مع حديث جابر المتفق عليه. «شهدت مع رسول الله ﷺ العيد، صلى قبل أن يخطب بغير أذان ولا إقامة، ثم خطب بعدما صلى، فوعظ الناس وذكرهم، ثم أتى النساء فوعظهن، ومعه بلال، فذكرهن وأمرهن بالصدقة، قال: فجعلت المرأة تلقي خاتمها وخرصها، والشيء كذلك، فأمر النبي ﷺ بلالًا، فجمع ما هناك، قال: «**إن منكن في الجنة ليسير**، فقالت: امرأة يا رسول الله لم؟ قال: **إنكن تكثرن اللعن وتكفرن العشير**»[١] وفي الحديث الآخر: «**إن أقل ساكني الجنة النساء**»[٢] فالجواب: كما في «حادي الأرواح»: إن هذا يدل على أنهن إنما كن في الجنة أكثر بالحور العين اللاتي خلقن في الجنة، وأقل ساكنيها باعتبار نساء الدنيا، فنساء الدنيا أقل أهل الجنة، وأكثر أهل النار.

وأخرج الإمام أحمد في مسنده من حديث عمارة بن خزيمة بن ثابت، قال: كنا مع عمرو بن العاص في حج أو عمرة، حتى إذا كنا بمر الظهران، فإذا امرأة في هودجها قال: فمال فدخل الشعب، فدخلنا معه، فقال: كنا مع رسول الله ﷺ في هذا المكان، فإذا نحن بغربان كثيرة فيها غراب أعصم، أحمر المنقار والرجلين، فقال رسول الله ﷺ: «**لا يدخل الجنة من النساء إلا مثل هذا الغراب في هذه الغربان**»[٣].

قال في «حادي الأرواح»: الأعصم من الغربان الذي في جناحه ريشة

(١) رواه البخاري بنحوه) رقم ٣٠٤، ١٤٦٢، ومسلم رقم ٧٩ .
(٢) رواه مسلم رقم ٢٧٣٨، وأحمد (٤/ ٤٢٧) رقم ١٩٨٥٠، والحاكم (٤/ ٦٤٤) رقم ٨٧٨٠ .
(٣) رواه أحمد (٤/ ٢٠٥) رقم ١٧٨٦٠ بزيادة «قد وضعت يدها على هودجها» بعد «في هودجها»، والحاكم (٤/ ٦٤٥) رقم ٨٧٨١ وقال: هذا حديث على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

بيضاء، قال الجوهري: ويقال هذا كقولهم: الأبلق العقوق، وبيض الأنوق، لكل شيء يعز وجوده، وفي النهاية: الغراب الأعصم هو الأبيض الجناحين، وقيل: الأبيض الرجلين، أراد قلة من يدخل الجنة من النساء، لأن هذا الوصف في الغربان قليل عزيز.

وفي حديث آخر: «**المرأة الصالحة مثل الغراب الأعصم**، قيل: وما الغراب الأعصم؟ قال: **الذي إحدى رجليه بيضاء**»[١] وفي حديث آخر: «**عائشة في النساء كالغراب الأعصم في الغربان**»[٢].

قلت: فهم مما ذكرنا أن في الغراب الأعصم أربعة أقوال:

أحدها: أنه الذي إحدى رجليه بيضاء كما في الحديث.

الثاني: أنه الذي في جناحه ريشة بيضاء.

الثالث: أنه أبيض الجناحين.

الرابع: أنه أبيض الرجلين.

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٨/ ٢٠١) رقم ٧٨١٧ عن أبي أمامة، وعبد بن حميد في مسند (٥/ ٤٤١) رقم ١٥٢٨ باختصار واختلاف عن عائشة وذكره الهيثمي (٤/ ٥٠٣) رقم ٧٤٤٠ وقال: رواه الطبراني وفيه مفرح بن يزيد وهو مجمع على ضعفه.

(٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ وبهذا السياق وما وقفت عليه هو عند الطبراني في مسند الشاميين (٢/ ١٩٢) رقم ١١٧١ عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «أطعمينا، قالت: ليس عندنا طعام، فقال أطعمينا يا عائشة، قالت: والله ما عندنا طعام، فقال أبو بكر: يا رسول الله إن المرأة المؤمنة لا تحلف بالله إنه ليس عندها طعام وهو عندنا، فقال رسول الله ﷺ وما يدريك أمؤمنة هي أم لا؟ إن المرأة المؤمنة في النساء كالغراب الأعصم، وإن النار خلقت للسفهاء وإن النساء من السفهاء إلا صاحبة القسط والسراج» ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٦٥/ ٢٢١).

وثم قول خامس ذكره الغزالي في الإحياء قال: الأعصم أبيض البطن.

وفي وصية لقمان لابنه: يا بني، اتق المرأة السوء، فإنها تشيبك قبل المشيب، واتق شرار النساء، فإنهن لا يدعون إلى خير، وكن من خيارهن على حذر، قال الحسن: والله ما أصبح رجل يطيع امرأته فيما تهوى إلا كبه الله في النار، وقال عمر رضي الله عنه: خالفوا النساء فإن في خلافهن البركة، وقد قيل: شاوروهن وخالفوهن.

نكتة:

الذي يظهر لي من الدليل والتعليل: أن النساء في الدنيا أكثر من الرجال، أما الدليل فأخرج أبو يعلى الموصلي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو في طائفة من أصحابه، فذكر حديثاً طويلاً، وفيه: «**فيدخل الرجل منهم على ثنتين وسبعين زوجة مما ينشئ الله، وثنتين من ولد آدم لهما فضل على من أنشأ الله بعبادتهما الله في الدنيا**»[١]. وذكر الحديث. ومن المعلوم: أن لا عزب في الجنة جزماً.

وأما التعليل: فإن الله سبحانه وتعالى أحل للرجل أن يأخذ أربعاً[٢] من النساء ولا يحل لامرأة أن تجمع بين زوجين بخلاف الرجل، فإن للحر أن يجمع بين أربع، وللرقيق أن يجمع بين اثنتين، والذي يليق بحكمة أحكم الحاكمين، بل الذي تقتضيه الحكمة أن تكون النساء في الدنيا أكثر

(١) جزء من حديث الصور الطويل أخرجه الطبراني في الأحاديث الطوال (٢٦٦) رقم ٣٦، وذكره ابن كثير في التفسير (٤/ ٣٦٩)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٢٩٨) رقم ٥٧١٤، وانظر التعليق عليه في (١/ ٦٠٥) من هذا الكتاب.
(٢) في الأصل (أربعة).

من الرجال، لأن فعل الباري سبحانه مقرون بالحكمة، وليس من الحكمة أن يجعل للكثير جمعاً[1] من القليل، بل الحكمة تقتضي أن يكون الكثير متوزعاً على القليل، فلما نظرنا إلى حكمة الباري، ورأيناه جل شأنه أحل للرجل الجمع بين أربع في آن واحد، علمنا أن النساء أكثر من الرجال، وهذه النكتة والتعليل لم أر من سبقني إليها، والظاهر أنهم تكلموا عليها، وإن لم أره، والله أعلم، ثم رأيت عبارة لطيفة للإمام ابن عقيل نقلها عنه في (الفروع) ونصه في (الفنون) قال فقيه: شهوة المرأة فوق شهوة الرجل تسعة أجزاء، فقال حنبلي: لو كان هذا ما كان له أن يتزوج بأربع، وينكح من الإماء ما شاء، ولا تزيد المرأة على رجل، ولها من القسْم الربع، وحاشا حكمته أن تضيق على الأحوج، فهذا فيه تلميح لما ذكرنا، والله تعالى أعلم.

* * *

(١) في الأصل (جمع).

الباب الخامس

في تربة الجنة ونورها وغرفها وقصورها وخيامها وما يلحق بذلك

أخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قلنا: يا رسول الله ﷺ إذا رأيناك رقت قلوبنا وكنا من أهل الآخرة، وإذا فارقناك أعجبتنا الدنيا وشممنا النساء والأولاد؟ قال: **لو تكونون على كل حال على الحال التي أنتم عليها عندي لصافحتكم الملائكة بأكفهم، ولزارتكم في بيوتكم، ولو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون كي يغفر لهم. قال: قلنا: يا رسول الله، حدثنا عن الجنة، ما بناؤها؟ قال: «لبنة ذهب ولبنة فضة، وملاطها المسك وحصبائها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران من يدخلها ينعم، لا ييأس ويخلد لا يموت لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه، ثلاثة لا ترد دعوتهم الإمام العادل، والصائم حتى يفطر، ودعوة المظلوم تحمل على الغمام، وتفتح لها أبواب السماوات، ويقول الرب: وعزتي وجلالي، لأنصرنك ولو بعد حين»**[1] قوله: «وملاطها المسك» قال في النهاية: الملاط الطين الذي يجعل بين ساقي البناء يملط به الحائط أي يخلط. ومنه الحديث: «إن الإبل بملاطها الأجرب»[2] أي بخلاطها.

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان أبو ذر رضي الله عنه

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣٠٤) رقم ٨٠٣٠، والترمذي (٤/ ٦٧٢) رقم ٢٥٢٦، وابن حبان في صحيحه (١٦/ ٣٩٦) رقم ٧٣٨٧، والحارث في مسنده (٢/ ٩٦٨) رقم ١٠٧١ .

(٢) لم أقف عليه إلا في النهاية مادة: ملط، ولكن له شواهد بمعناه في البخاري رقم ٥٧١٧، ومسلم رقم ٢٢٠ .

يحدث أن رسول الله ﷺ قال: «**أدخلت الجنة، فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك**»(١) وهو قطعة من حديث المعراج، قوله: جنابذ اللؤلؤ بالجيم والنون المفتوحتين ثم ألف ثم ذال معجمة: القباب، وفي مشارق الأنوار للقاضي عياض ما نصه: وفي الحديث: وإذا فيها جنابذ اللؤلؤ كذا في كتاب مسلم، وفي البخاري في كتاب الأنبياء من رواية غير المروزي فسروه بالقباب واحدتها جنبذة بالضم والجنبذة ما ارتفع من البناء.

وجاء في البخاري في الصلاة «حبائل اللؤلؤ»(٢)، وزعم قوم أنه تصحيف من جنابذ، وقال في حرف الحاء مع الباء فيها حبائل اللؤلؤ كذا لجميعهم في البخاري وفي مسلم: (جنابذ اللؤلؤ) وهو الصواب، وقد جاء في حديث آخر: «حافاته قباب اللؤلؤ»(٣) والجنابذ جمع جنبذة وهي القبة، وقال: من ذهب إلى صحة رواية: إن الحبائل القلائد العقود أو يكون من حبال الرمل أي فيها اللؤلؤ كحبال الرمل أي وهو ما طال منه وضحم، قال: أو من الحبلة وهو ضرب من الحلي معروف، قال ابن قرقول في استدراكاته على القاضي عياض: وهذا كله تخييل ضعيف، بل هو لا شك تصحيف من الكاتب، والحبائل إنما تكون جمع حبالة أو حبيلة، انتهى.

وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد ﷺ «أن رسول الله ﷺ سأل ابن صياد عن تربة الجنة؟ فقال: درمكة بيضاء، مسك خالص، فقال رسول الله ﷺ: «**صدق**»»(٤) قال سفيان بن عيينة عن مجالد عن الشعبي، عن جابر ﷺ قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد قد غُلِبَ

---

(١) جزء من حديث المعراج رواه البخاري رقم ٣٣٤٢، ومسلم رقم ١٦٣ .
(٢) البخاري رقم ٣٤٩ .
(٣) البخاري رقم ٤٩٦٤، والترمذي (٥/ ٤٤٩) رقم ٣٣٥٩ .
(٤) مسلم رقم ٢٩٢٨، وأحمد (٣/ ٤) رقم ١١٠١٥ و(٢٤) رقم ١١٢٠٩ .

أصحابك قال: **وبأي شيء غُلِبوا؟** قال: سألهم اليهود: كم عدد خزنة النار؟ فقالوا: لا ندري حتى نسأل نبينا. فقال رسول الله ﷺ : **أيغلب قوم سئلوا عما لا يعلمون فقالوا حتى نسأل نبينا؟ ولكن هم أعداء الله، سألوا نبيهم أن يريهم الله جهرة، عليَّ بأعداء الله فإني سائلهم عن تربة الجنة، وإنها دَرْمَكَةٌ**[1]، **فلما أن جاءوا قالوا: يا أبا القاسم كم عدة خزنة أهل النار؟** فقال رسول الله ﷺ بيديه كلتيهما هكذا وهكذا، وقبض واحدة أي تسعة عشر، فقال لهم رسول الله ﷺ : **ما تربة الجنة؟** فنظر بعضهم إلى بعض فقالوا: خبزة يا أبا القاسم، فقال ﷺ: «**الخبزة من الدرمك**»[2] فحصل من هذه الأحاديث ثلاث صفات في تربتها قيل: زعفران، أو مسك، أو خبزة، قال في «حادي الأرواح»: لا تعارض بينها لإمكان الجمع، قال: ذهبت طائفة من السلف إلى أن تربتها متضمنة للنوعين المسك والزعفران، قال: ويحتمل معنيين آخرين: أحدهما أن يكون التراب من زعفران، فإذا عجن بالماء صار مسكاً، والطين يسمى تراباً، ويدل على هذا قوله: ملاطها المسك، والملاط: الطين، وفي بعض الروايات: ترابها الزعفران، وطينها المسك، فلما كانت تربتها طيبة وماؤها طيباً، وانضم أحدهما إلى الآخر حدث لهما طيب آخر فصارا مسكاً.

الثاني: أن يكون زعفرانا باعتبار لونه مسكاً باعتبار رائحته، وهذا من أحسن شيء يكون البهجة والإشراق لون الزعفران ورائحة المسك، قال:

---

(١) الدَّرْمَك: هو الدقيق الحُوَّارَى، قال خالد: الدَّرْمَكُ الذي يدرمك حتى يكون دُقاقا من كل شيء، الدقيق والكحل وغيرهما، وكذلك التراب الدقيق درمك. لسان العرب/ مادة: درمك.

(٢) رواه أحمد (٣/ ٣٦١) رقم ١٤٩٢٦ باختصار، ورواه الترمذي بطوله (٥/ ٤٢٩) رقم ٣٣٢٧، وقال: هذا حديث غريب، وذكره ابن رجب في التخويف من النار (٢٢٢)، دون قوله «ما تربة الجنة» إلى آخره، وذكره القرطبي في التذكرة/ ٤٥٥ .

وكذلك تشبيهها بالدرمك، وهو الخبز الصافي الذي يضرب لونه إلى صفرة مع لينها ونعومتها، قال: وهذا معنى ما ذكره سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: أرض الجنة من فضة وترابها مسك. فاللون في البياض لون الفضة، والرائحة رائحة المسك.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**أرض الجنة بيضاء، عرصتها صخور الكافور، وقد أحاط به المسك مثل كثبان الرمل، فيها أنهار مطردة، فيجتمع فيها أهل الجنة أدناهم وآخرهم فيتعارفون، فيبعث الله ريح الرحمة فتهيج عليهم ريح المسك**»[١]. الحديث.

وأخرج أبو الشيخ عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**قلت ليلة أسري بي: يا جبريل إنهم سيسألوني عن الجنة قال: فأخبرهم أنها من درة بيضاء، وأن أرضها عقيان**»[٢].

قال في «حادي الأرواح»: العقيان الذهب، فإن كان محفوظاً فهي أرض الجنتين الذهبيتين، ويكون جبريل أخبره بأعلى الجنتين، والله أعلم.

* * *

---

(١) ذكره السيوطي في الدرر المنثور (١/ ٩٢)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٢٨٣)، رقم ٥٦٥٢ وصدره بصيغة التمريض، وعزاه لابن أبي الدنيا.
(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٢١٨)، وعزاه لابن مردويه.

فصل

وأما نور الجنة وبياضها

فأخرج الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**خلق الله الجنة بيضاء، وأحب الزي إلى الله البياض فليلبسه أحياؤكم وكفنوا فيه موتاكم، ثم أمر برعاء الشاة فجمعت، فقال: من كان ذا غنم سود فليخلط بها بيضاء، فجاءته امرأة فقالت: يا رسول الله إني اتخذت غنماً سوداً فلا أراها تنمو، فقال: عفري أي بيضي**»[(١)].

وأخرج أبو نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً: «**إن الله خلق الجنة بيضاء، وأن أحب اللون إلى الله البياض، فليلبسه أحياؤكم وكفنوا فيه موتاكم**»[(٢)].

وأخرج عنه أيضاً مرفوعاً: «**عليكم بالبياض، فإن الله خلق الجنة بيضاء**»[(٣)] الحديث.

وروى الإمام المحقق في «حادي الأرواح» عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل: ما أرض الجنة؟ قال: مرمرة بيضاء من فضة كأنها مرآة، قيل: ما

---

(١) لم أقف عليه عند أحمد، وروى بعضه الطبراني في الكبير (١/١٠٩) رقم ١١٢٠١، وذكر الهيثمي بعضه أيضاً وقال: رواه الطبراني في الكبير وفيه حمزة النصيبي وهو متروك، وابن عدي في الكامل في ترجمة هشام بن زياد (٧/١٠٦) رقم ٢٠٢٣ وقال في آخره: وأحاديثه يشبه بعضها بعضاً والضعف بين على رواياته.

(٢) انظر الكامل في تخريج الحديث السابق.

(٣) رواه ابن عدي في الكامل (٢/٣٧٧) في ترجمة حمزة بن أبي حمزة النصيبي رقم ٥٠٢ وقال: يضع الحديث، وفي آخره قال: ولحمزة أحاديث صالحة، وكل ما يرويه أو عامته مناكير موضوعة، والبلاء منه ليس ممن يروى عنه ولا ممن يروى هو عنهم.

نورها؟ قال: ما رأيت الساعة التي تكون فيها قبل طلوع الشمس، فذلك نورها إلا أنها ليس فيها شمس ولا زمهرير[١] الحديث.

وعند ابن ماجه من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه هي - يعني الجنة - ورب الكعبة نور يتلألأ وريحانة تهتز، وقصر مشيد، ونهر مطرد، وثمرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة، وحلل كثيرة، ومقام في أبد في دار سليمة وفاكهة وخضرة وحبرة، ونعمة في محلة عالية بهية، أخرجه ابن ماجه من حديث الوليد بن مسلم، عن محمد بن مهاجر، عن الضحاك المعافري عن سليمان بن موسى، عن كريب أنه سمع أسامة يقول: قال رسول الله ﷺ: **«ألا هل مشمر للجنة، فإن الجنة لا خطر لها، ورب الكعبة نور يتلألأ»** وذكر الحديث، وفيه قال: نعم يا رسول الله نحن المشمرون لها؟ قال: **«قولوا: إن شاء الله»**[٢] قال القوم: إن شاء الله.

* * *

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (١/ ٩٣) موقوفاً على ابن عباس، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٢٨٦).

(٢) رواه ابن ماجه (٢/ ١٤٤٨) رقم ٤٣٣٢، وابن حبان في صحيحه (١٦/ ٣٨٩) رقم ٧٣٨١، والطبراني في مسند الشاميين (٢/ ٣٢٢) رقم ١٤٢١، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٤/ ٣٧٥)، وذكره المزي في تهذيب الكمال (١٣/ ٣٠١) في ترجمة الضحاك المعافري الدمشقي البزاز، وقال عنه من تابعي أهل الشام وذكره ابن حبان في الثقات وقال: روى له ابن ماجه حديثاً واحداً ولا يعرف له غيره وقد وقع لنا عالياً عنه.

فصل

وأما غرف الجنة وقصورها وخيامها ومقاصيرها

قال تعالى: ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ﴾ [الزمر: ٢٠] فأخبر تعالى أنها غرف فوق غرف، وأنها مبنية بناء حقيقية لئلا تتوهم النفوس أن ذلك تمثيل وأنه ليس ثم بناء، وقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا﴾ [الفرقان: ٧٥] والغرفة جنس كالجنة. وقال: ﴿إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ: ٣٧] وقال: عن امرأة فرعون: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ [التحريم: ١١].

وأخرج الترمذي وقال غريب. عن علي كرم الله وجهه مرفوعاً: «**إن في الجنة لغرفا**[١] **يرى ظهورها من بطونها، وبطونها من ظهورها**، فقام أعرابي، فقال: يا رسول الله لمن هي؟ فقال: «**لمن طيب الكلام، وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام**»[٢] وعند ابن ماجه عن أبي مالك الأشعري مرفوعاً نحوه.

وفي حادي الأرواح بإسناد حسنه محمد بن عبد الواحد، عن عبد الله ابن عمرو مرفوعاً: «**إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها**، قال أبو مالك الأشعري: لمن هي يا رسول الله؟ قال: **لمن أطاب**

---

(١) في الأصل (لغرف).

(٢) رواه الترمذي (٤/ ٦٧٣) رقم ٢٥٢٧ بلفظ «أطاب» بدل «طيب» وقال: هذا حديث غريب، وأحمد (١/ ١٥٥) رقم ١٣٣٧ والحاكم (١/ ١٥٣) رقم ٢٧٠ عن عبد الله ابن عمرو وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، و(٤٦٦) رقم ١٢٠٠ وقال: هذا حديث على شرط مسلم ولم يخرجاه.

الكلام، وأطعم الطعام، وبات قائماً والناس نيام»[١].

وأخرج البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة**[٢] **طولها ستون ميلًا، للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن، فلا يرى بعضهم بعضاً**»[٣] وقال ﷺ: «**من بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة**»[٤]. حديث صحيح، وتقدم.

وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن عبد الله بن أبي أوفى وأبي هريرة وعائشة ﷺ: أن جبريل عليه السلام قال للنبي ﷺ: «**هذه خديجة أقرئها السلام من ربها، وأمره أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه أي: لغط، ولا نصب**»[٥] أي تعب، والقصب هنا اللؤلؤ المجوف.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي هريرة مرفوعاً: «**إن في الجنة لقصراً من لؤلؤ، ليس فيه صدع ولا وهن، أعده الله عز وجل لخليله إبراهيم عليه**

---

(١) انظر تخريج الحديث السابق عند الحاكم.

(٢) في حاشية الأصل/ قوله: لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة، كذا للكافة بالفاء وبالباء للسمرقندي، قال في مشارق الأنوار: قوله من لؤلؤة واحدة مجوفة أي خالية الداخل غير مصمته، ورواه السمرقندي: مجوبة، والمعنى واحد، قال: ورويناه في كتاب الخطابي: مجوبة أي قد قطع داخلها بالنقب فتفرغ وخلا، من قولهم: جبت الشيء إذا قطعته، والمجوب آلة من حديد يقطع بها الأدم قطعاً مستديراً، فمجوبة من جوب بناه للمبالغة، ومجوبة من جاب. انتهى، ومن المادة قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ إلى قوله: ﴿الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ أي قطعوه. مؤلف

(٣) رواه البخاري رقم ٣٢٤٣، ورقم ٤٨٧٩ باختلاف وزيادة ونقص، ومسلم رقم ٢٨٣٨ واللفظ له.

(٤) رواه البخاري رقم ٤٥٠، ومسلم رقم ٥٣٣ باختلاف في بعض الألفاظ.

(٥) رواه البخاري رقم ٣٨٢٠، ومسلم رقم ٢٤٣٢.

الصلاة والسلام»[١].

وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**دخلت الجنة فإذا أنا بقصر من ذهب، فقلت: لمن هذا القصر؟ قالوا: لشاب من قريش، فظننت أني أنا هو، فقلت: ومن هو؟ قالوا: لعمر بن الخطاب**»[٢].

وأخرج البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن في الجنة لغرفاً، فإذا كان ساكنها فيها لم يخف عليه ما خلفها، وإذا كان خلفها لم يخف عليه ما فيها**، قيل: لمن هي يا رسول الله؟ قال: **لمن أطاب الكلام، وواصل الصيام، وأطعم الطعام، وأفشى السلام، وصلى والناس نيام**، قيل: وما طيب الكلام؟ قال: **سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، فإنها تأتي يوم القيامة ولها مقدمات ومجنبات، ومقعبات**، قيل: وما وصال الصيام؟ قال: **من صام شهر رمضان، ثم أدرك شهر رمضان فصامه** قيل: وما إطعام الطعام؟ قال: «**من قات عياله وأطعمهم**، قيل: فما إفشاء السلام؟ قال: **مصافحة أخيك وتحيته**، قيل: وما الصلاة والناس نيام؟ قال: **صلاة العشاء الآخرة**»[٣] وفيه حفص بن عمر مجهول.

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٦/ ١٠٧) رقم ٨١١٤، و(٣٢٩) رقم ٦٥٤٣ وابن عساكر في تاريخ دمشق (٦/ ٢٤٧ وذكره الهيثمي (٨/ ٣٦٩) رقم ١٣٧٦٣ وقال: رواه الطبراني في الأوسط والبزار بنحوه ورجالهما رجال الصحيح.

(٢) رواه أحمد (٣/ ١٠٧) رقم ١٢٠٦٥، و(١٧٩) رقم ١٢٢٨٥٧، و(٢٦٣) رقم ١٣٨٠١، والترمذي (٥/ ٦١٩) رقم ٣٦٨٨ وقال: هذا حديث حسن صحيح عن أنس، أما حديث الصحيحين فهو عن جابر باختلاف في بعض الألفاظ وهو في البخاري رقم ٧٠٢٤، ومسلم رقم ٢٣٩٤ .

(٣) رواه الخطيب في تاريخ بغداد مختصراً (٤/ ١٧٨) وابن حبان في المجروحين في ترجمة حفص بن عمر بن حكيم (١/ ٢٥٩) ترجمة رقم ٢٥٦، وابن عدي في الكامل (٢/ ٣٨٧) في ترجمة حفص بن عمر الحكيم ترجمة رقم ٥٠٩ وقال عنه: حدث عن عمرو ابن قيس الملائي عن عطاء عن ابن عباس أحاديث بواطيل.

وفي (حادي الأرواح): إن ابن عدي ضعفه، وكذا ابن حبان لكن قال: إن حديثه هذا له شواهد ثم ذكر من شواهده حديثاً خرجه ابن السماك عن جابر بن عبد الله مرفوعاً: فذكر نحوه إلا أنه قال ومن صام رمضان ومن كل شهر ثلاثة أيام فقد أدمن الصيام، ومن صلى العشاء الآخرة في جماعة فقد صلى والناس نيام: اليهود، والنصارى والمجوس.

قال: وهذا إن كان إسناده لا يحتج به وحده، فإذا انضم إلى ما تقدم استفاد قوة، مع أنه روي بإسنادين آخرين، أي والإسناد إذا كان ضعيفاً لم يشتد ضعفه إذا اعتضد ارتقى إلى رتبة القبول، وما أحسن قول الشاعر: حيث يقول:

يا مريض الجفون عذبت قلباً　　　كان قبل الهوى قوياً سوياً
لا تحارب بناظريك فؤادي　　　فضعيفان يغلبان قويا

والمقصود: أن الضعيف إذا انضم إلى مثله اكتسبا بانضمامهما قوة لم تكن لكل واحد منهما بانفراده، وارتقيا إلى رتبة القبول، والله سبحانه وتعالى أعلم.

*　*　*

فصل

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥] الوفد: الجماعة الراكبون.

أخرج ابن أبي الدنيا عن علي كرم الله وجهه قال: قلت يا رسول الله ما الوفد إلا ركب؟ قال النبي ﷺ: «**والذي نفسي بيده، إنهم إذا خرجوا من قبورهم استقبلوا بنوق بيض، لها أجنحة عليها رحال الذهب، شرك نعالهم نور يتلألأ، كل خطوة منها مثل مد البصر، وينتهون إلى باب الجنة، فإذا حلقة من ياقوتة حمراء على صفائح الذهب، وإذا شجرة على باب الجنة ينبع من أصلها عينان، فإذا شربوا من إحداهما جرت في وجوههم نضرة النعيم، وإذا توضئوا من الأخرى لم تشعث أشعارهم أبداً، فيضربون الحلقة بالصفيحة فيسمعون طنين الحلقة، فيبلغ كل حوراء أن زوجها قد أقبل، فتستخفها العجلة فتستغيث قيمها فيفتح له الباب، فلولا أن الله عز وجل عرفه نفسه لخر له ساجداً مما يرى من النور والبهاء، فيقول: أنا قيمك الذي وكلت بأمرك فيتبعه، فيقفو أثره فيأتي زوجته، فتستخفها العجلة فتخرج من الخيمة فتعانقه وتقول: أنت حبي وأنا أحبك، وأنا الراضية فلا أسخط أبداً، وأنا الناعمة فلا أبأس أبداً، والخالدة فلا أظعن أبداً، فيدخل بيتاً من أساسه إلى سقفه مائة ألف ذراع، مبني على جندل اللؤلؤ والياقوت طرائق حمر وطرائق خضر، وطرائق صفر، ما منها طريقة تشاكل صاحبتها، فيأتي الأريكة فإذا عليها سرير على السرير سبعون فراشاً عليها سبعون زوجة، على كل زوجة سبعون حلة، يرى مخ ساقها من باطن الجلد، يقضي جماعهن في مقدار ليلة، تجري من تحتهم أنهار مطردة، أنهار من ماء غير آسن صافي ليس فيه كدر، وأنهار من عسل مصفى، لم يخرج من بطون النحل، وأنهار**

من خمر لذة للشاربين لم تعصره الرجال بأقدامها، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، لم يخرج من بطون الماشية، فإذا اشتهوا الطعام جاءتهم طير بيض فترفع أجنحتها، فيأكلون من جنوبها من أي الألوان شاءوا، ثم يطير فيذهب فيها ثمار متدلية إذا اشتهوا انبعث الغصن إليهم فيأكلون من أي الثمار شاءوا، وإن شاء قائماً وإن شاء متكئاً. وذلك قوله: ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ **[الرحمن: ٥٤]. وبين أيديهم خدم كاللؤلؤ»**[1] قال في «حادي الأرواح»: هذا حديث غريب وفي إسناده ضعف وفي رفعه نظر، والمعروف أنه موقوف على علي كرم الله وجهه. انتهى.

قلت: إذا صح عن علي فحكمه الرفع، لأن مثله لا يقال من قبل الرأي جزماً، والله الموفق.

وأخرج أبو نعيم عن الضحاك قال: إذا دخل المؤمن الجنة، دخل أمامه ملك فأخذ به في سككها، فيقول له: انظر ما ترى؟ قال: أرى أكثر قصور رأيتها من ذهب وفضة وأكثر أنيس، فيقول له الملك: فإن هذا أجمع لك حتى إذا رفع إليهم استقبلوه من كل باب ومن كل مكان: نحن لك، نحن لك، ثم يقول: امش، فيقول له ماذا ترى؟ فيقول: أرى أكثر عساكر رأيتها من خيام، وأكثر أنيس، قال: فإن هذا أجمع لك، فإذا رفع إليهم استقبلوه يقولون: نحن لك، نحن لك. وأخرج الشيخان عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفا أو**

(١) ذكره ابن كثير في التفسير (٣/ ١٨٥) وصدره بقوله: «وروى ابن أبي حاتم ههنا حديثاً غريباً جداً مرفوعاً عن علي وقال في آخره: وقد رويناه في المقدمات من كلام علي رضي الله عنه بنحوه وهو أشبه بالصحة، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٣٩) وعزاه إلى ابن أبي الدنيا في صفة الجنة وابن أبي حاتم وابن مردويه، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٢٧٠) رقم ٥٦٢١ وصححه موقوفاً على عليّ رضي الله عنه.

سبعمائة ألف متماسكون أخذ بعضهم ببعض لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم على صورة القمر ليلة البدر»[١]. والله أعلم.

*** *** ***

(١) رواه البخاري رقم ٦٥٥٤، ومسلم رقم ٢١٩ .

الباب السادس
في صفة أهل الجنة وأعلاهم وأدناهم منزلة وتحفتهم إذا دخلوا

أما صفتهم: فأخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«خلق الله عز وجل آدم على صورته طوله ستون ذراعاً، فلما خلقه قال: اذهب فسلم على أولئك النفر - وهم نفر من الملائكة جلوس - فاستمع ما يحيونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك، قال: فذهب فقال: السلام عليكم. فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، فزادوه ورحمة الله، قال: فكل من يدخل الجنة على صورة آدم طوله ستون ذراعاً فلم يزل ينقص الخلق بعد حتى الآن»**[1] متفق عليه.

وأخرج الإمام أحمد عنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مرداً بيضاً جعاداً مكحلين، أبناء ثلاث وثلاثين، وهم على خلق آدم، ستون ذراعاً في عرض سبعة أذرع»**[2]، قيل: تفرد به حماد عن علي بن يزيد .

وفي جامع الترمذي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مرداً مكحلين بني ثلاث وثلاثين»**[3]. قال الترمذي: حسن غريب.

---

(١) رواه البخاري رقم ٦٢٢٧، ومسلم رقم ٢٨٤١، وأحمد (٢/ ٣١٥) رقم ٨١٥٦ .
(٢) رواه أحمد (٢/ ٢٩٥) رقم ٧٩٢٠ .
(٣) رواه الترمذي (٤/ ٦٨٢) رقم ٢٥٤٥، وقال: هذا حديث حسن غريب، وأحمد (٥/ ٢٤٣) رقم ٢٢١٥٩، والطبراني في الكبير (٢٠/ ٦٤) رقم ١١٨ .

وأخرج أبو بكر بن أبي داود عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يبعث أهل الجنة على صورة آدم في ميلاد ثلاث وثلاثين سنة جرداً مرداً مكحلين، ثم يذهب بهم إلى شجرة في الجنة فيكسون منها، لا تبلى ثيابهم، ولا يفنى شبابهم**»(١).

وأخرج الترمذي عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير يردون بني ثلاثين سنة في الجنة لا يزيدون عليها أبداً، وكذا أهل النار**»(٢).

قال في (حادي الأرواح): فإن كان هذا محفوظاً لم يناقض ما قبله، فإن العرب إذا قدرت بعدد له نيف فإن لهم طريقتين: تارة يذكرون النيف للتحديد وتارة يحذفونه، وهذا معروف في كلامهم وخطاب غيرهم من الأمم، انتهى.

والحاصل أنه ألغى الكسر وهو كثير في كلام الشارع جداً، والله أعلم.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله

---

(١) أخرج أبو الشيخ في كتاب (العظمة) (٣/ ١٠٧٩) رقم ٥٨٢ عن أنس قال: قال رسول ﷺ: «يبعث أهل الجنة يوم القيامة في صورة آدم جرد مرد مكحلين، أبناء ثلاثين ثم يؤتى بهم شجرة في الجنة فَيُكْسَوْنَ منها، لا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم»، وذكره بلفظ المصنف عبد الحق في (العاقبة في ذكر الموت) (٣٤٧)، وله شاهد عند الترمذي (٤/ ٦٧٩) رقم ٢٥٣٩ بلفظ: «أهل الجنة جرد مرد كحل، لا يفنى شبابهم ولا تبلى ثيابهم» عن أبي هريرة وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٢) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٩٥) رقم ٢٥٦٢ وقال: هذا حديث غريب، وذكره الهيثمي (١٠/ ٧٣٧) رقم ١٨٦٥٩ وقال: رواه الطبراني بإسناد ضعيف فيه ابن لهيعة وهو مخالف للثقات فيما رووه والله أعلم.

ﷺ: «**يدخل أهل الجنة على طول آدم ستين ذراعاً بذراع الملك، على حسن يوسف، وعلى ميلاد عيسى ثلاث وثلاثين سنة، وعلى لسان محمد، جرد مرد مكحلون**»[(١)] وأخرج الطبراني عن المقداد بن الأسود مرفوعاً: «**يحشر الناس ما بين السقط إلى الشيخ الفاني أبناء ثلاث وثلاثين في خلق آدم، وحسن يوسف، وقلب أيوب، مكحلين ذوي أفانين**»[(٢)] أي شعور وجمم.

قال الإمام العلامة: ولعل المراد بقوله: يحشر أي: عند دخول الجنة، وإلا فالأطفال يأتون الموقف كهيئتهم، وعند الدخول يكونون في الجنة كالبالغين، انتهى. والله أعلم.

هذا خلقهم، وأما أخلاقهم فقد قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧] فأخبر عن قلوبهم وتلاقي وجوههم.

وفي الصحيحين: «**أخلاقهم على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء**»[(٣)].

والرواية (على خَلْق) بفتح الخاء وسكون اللام، قال في (حادي الأرواح): والأخلاق كما تكون جمعاً للخلق بالضم فهي جمع للخلق بالفتح. والمراد: تساويهم في الطول والعرض والسن وإن تفاوتوا في الحسن والجمال، ولهذه فسره بقوله: على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء.

---

(١) ذكره ابن طولون في الأحاديث المائة (٨٤) رقم ٩٤ .

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٢٠/٢٥٦) رقم ٦٠٤ وفي (٢٨٠) رقم ٦٦٤، وذكره الهيثمي (١٠/٦٠٣) رقم ١٨٣٢٥ وقال: رواه الطبراني بإسنادين وأحدهما حسن.

(٣) رواه البخاري رقم ٣٣٢٧، ومسلم رقم ٢٨٣٤ .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه : «**أول زمرة تلج الجنة**»[١] الحديث وقد تقدم وفيه : «لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم على قلب رجل واحد يسبحون الله بكرة وعشية» وكذلك وصف الحق سبحانه نساءهم بأنهن أتراباً.

قال في (حادي الأرواح): أي في سن واحد ليس فيهن العجائز والشواب. قال: وفي هذا الطول والعرض والسن من الحكمة ما لا يخفى، فإنه أبلغ وأكمل في استيفاء اللذة، لأنه أكمل سن القوة مع عظم آلات اللذة، وباجتماع الأمرين يكون كمال اللذة وقوتها، بحيث يصل في اليوم الواحد إلى مائة عذراء كما سيأتي إن شاء الله. ولا يخفى التناسب الذي بين الطول والعرض، وأنه لو زاد أحدهما على الآخر فات الاعتدال وتناسب الخلقة ويصير طولًا مع دقة أوغلظاً مع قصر، وكلاهما غير مناسب. وقال القرطبي في (التذكرة): تكون الآدميات في الجنة على سن واحد، وأما الحور فأصناف مصنفة صغار وكبار على ما اشتهت أنفس أهل الجنة. انتهى، والله أعلم.

تنبيه:

زعم بعض الناس أنه يدخل الجنة سيدنا آدم وموسى وهارون وسيدنا إبراهيم الخليل، وسيدنا أبو بكر الصديق، وزاد بعضهم: نوحاً عليهم الصلاة والسلام بلحية، وبعضهم نظم ذلك في أبيات من الشعر وكل هذا كذب مفترى، أنشدنا شيخنا العلامة الشيخ محمد العجلوني الشافعي قال: أنشدنا شيخنا علامة وقته الشيخ أبو رميلة التميمي الخليلي لنفسه في

---

(١) تقدم ص ١٢٩ .

المسجد الأقصى سنة ١٠٨٩هـ قال رحمه الله تعالى:

وستة ليست لأهل الجنة لا بول لا غائط لا أجنة
كذاك لا نوم ولا أسنانا ولا لحى أيضاً كما أتانا

واستَثْنِ منهم ستة قد خصوا بلحية قد جاء فيهم نص:

وهم آدم ونوح إبراهيم هارون والصديق والكليم

قلت: أما كون أهل الجنة لا بول لهم ولا غائط فهذا حق صحيح، وكذا الأجنة، أي: لا يولد لأهل الجنة أولاد، ولا ينامون كما يأتي وليس لأحد منهم لحية البتة، وما ذكرنا عن بعضهم لا أصل له إذ لم يثبت ذلك عن حضرة الرسالة جزماً، نعم ورد في آدم وموسى وهارون أحاديث موضوعة وأخبار مصنوعة، لا يعول عليها ولا ينظر إليها، وقد ذكرها الإمام الحافظ ناصر السنة ابن الجوزي في الموضوعات. وللبرهان الناجي في ذلك مصنف لطيف وقفت عليه وتأملته ولخصته وزدت عليه زوائد حسنة حكم فيه ببطلان ما ورد في هذا الباب، فهذا كلام أهل الأثر طافح ببطلان ذلك.

قال الإمام الحافظ ناصر السنة ابن الجوزي - طيب الله ثراه - في كتابه (الموضوعات) بعد أن حكم ببطلان كون لموسى عليه السلام لحية ما نصه: قلت: ووضع هذا الحديث وضع قبيح، لأنه لو كان معظماً باللحية لكان نبينا أحق، ثم إنه متى كان الناس على حالة وانفرد واحد بغير حليتهم كان ذلك كالعار عليه والشهرة له، فلا فائدة في ذلك. انتهى.

وقد أجاب الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني - قدس الله روحه - من سأله أنه ورد في بعض كتب الفرس: أن للخليل وأبي بكر لحية في الجنة بأنه لم يثبت ذلك، ولا أعرف ذلك في شيء من كتب الحديث

المشهورة والأجزاء المنثورة، انتهى.

فبطل أن يكون لأحد في الجنة لحية البتة، ولذا قلت في معارضة من زعم أن لمن ذكر لحية:

لعمرك أهل الخلد مرد جميعهم ... كما صح في أخبار خير البرية
وما قيل في نوح وموسى الكليم وصنوه ... وآدم والصديق ليس بمثبت
كذاك خليل الله ما صح أنه ... يرى في جنان الخلد يوماً بلحية

وأما قوله: «ولا أسنان» هذا مما أتعبت نفسي في تصفح الطروس، والبحث في الدروس، ومراجعة الأساطين، ومراسلة الجهابذة الراسخين، وتأمل الدفاتر، وكشف الذخائر، فلم أقف لذلك على أصل، ولم أظفر فيه بنقل، لا بسند صحيح وضعيف ولا حسن ولا باطل ولا نحيف، وقد طالبت شيخنا بالأصل الوارد في ذلك فعسر عليه، فقلت: إن لم يظهر لنا دليل هذا فلا ننظر إليه، فإني والله لم أر فيه بعد شدة الفحص وتعب النفس أثراً سوى أقاويل كحكايات الأولاد، ومثل هذا إنما يثبت بصحة سنده عن خير العباد، فإن رأينا الدليل الثابت فهو المراد، وإلا فهو عندنا مردود، ولا سيما وقد ورد خلافه بأن نقي الجنة من حسن ثنايا الحور العين، فإن قيل: لا يلزم أن تقيس الحور العين كأولاد آدم، قلنا: بل هم سواء حينئذ، والله تعالى أعلم.

❊ ❊ ❊

فصل

وأما أعلى أهل الجنة منزلة فهو نبينا محمد ﷺ قال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾ [البقرة:٢٥٣] قال مجاهد وغيره: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ﴾ موسى، ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ هو محمد ﷺ، وفي حديث الإسراء المتفق عليه أنه ﷺ لما جاوز موسى قال: «**رب لم أظن أن يرفع علي أحد، ثم علا فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله حتى جاء سدرة المنتهى**»[١]. وفي صحيح مسلم عن عمرو بن العاص أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي، فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه عشراً، ثم سلوا لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة**»[٢].

وفي صحيح مسلم أيضاً عن المغيرة بن شعبة مرفوعاً: «**إن موسى** عليه السلام **سأل ربه: ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ فقال: يعني الله سبحانه وتعالى: رجل أي هو رجل يجيء بعدما دخل أهل الجنة الجنة فيقال له: ادخل الجنة. فيقول: رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت رب، فيقول: لك ذلك ومثله، ومثله ومثله، فقال في الخامسة: رضيت رب، قال رب: فأعلاهم منزلة، قال: أولئك الذين أردت، غرست كرامتهم بيدي، وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر**»[٣].

---

(١) جزء من حديث طويل رواه البخاري رقم ٧٥١٦.

(٢) رواه مسلم رقم ٣٨٤ وفيه (بها) قبل (عشرا) و(له) بدل (عليه).

(٣) رواه مسلم رقم ١٨٩.

وأخرج الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى خيامه وأزواجه، ونعيمه، وخدمه وسريره مسيرة ألف سنة، وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية، ثم قرأ رسول الله** ﷺ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾(١) [القيامة: ٢٢-٢٣]» ولهذا الحديث طرق، وروي موقوفاً على ابن عمر، ومرفوعاً كما هنا، والله سبحانه وتعالى أعلم.

وأما أدنى أهل الجنة منزلة - وليس فيها دنيء - فأخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أدنى أهل الجنة منزلة له سبع درج وهو على السادسة، وفوقه السابعة، وإن له لثلاثمائة خادم، ويغدي عليه ويراح كل يوم بثلاثمائة صحفة، ولا أعلمه إلا قال: من ذهب في كل صحفة لون ليس في الأخرى، وإنه ليلذ أوله كما يلذ آخره، ومن الأشربة ثلاثمائة إناء في كل إناء لون ليس في الآخر، وإنه ليلذ أوله كما يلذ آخره، وإنه ليقول: يا رب، لو أذنت لي لأطعمت أهل الجنة وسقيتهم لم ينقص مما عندي شيء، وإن له من الحور لاثنتين وسبعين زوجة سوى أزواجه من الدنيا، وإن الواحدة منهن ليأخذ مقعدها قدر ميل من الأرض**»(٢). قال في (حادي الأرواح): فيه سكين بن عبد العزيز ضعفه النسائي، وفيه شهر ابن حوشب وضعفه مشهور، وقال: والحديث منكر مخالف للأحاديث الصحيحة، فإن طول ستين ذراعاً لا يحتمل أن يكون

---

(١) رواه الترمذي (٤/ ٦٨٨) رقم ٢٥٥٣ وفي (٥/ ٤٣١) رقم ٣٣٣٠ وقال: هذا حديث غريب، وأحمد (٢/ ٦٤) رقم ٥٣١٧، وفيه (جنانه) و(وسرره) بدل (خيامه) و(سريره).

(٢) رواه أحمد (٢/ ٥٣٧) رقم ١٠٩٤٥، وذكره الهيثمي (١٠/ ٧٣٩) رقم ١٨٦٦٦ وقال: رواه أحمد ورجاله ثقات على ضعف في بعضهم، وانظر حكم ابن القيم عليه في تعليق المصنف.

مقعدة صاحبه بقدر ميل من الأرض قلت: ليس من كانت بهذه المثابة من الجمال بشيء، بل رؤية هذه تزيل العقل والذي في الصحيحين: في أول زمرة تلج الجنة، لكل امرئ منهم زوجتان من الحور العين، فكيف يكون لأدناهم ثنتان وسبعون من الحور العين، وأقل ساكني الجنة نساء الدنيا، فكيف يكون لأدنى أهل الجنة جماعة منهن، كذا في (حادي الأرواح).

قلت: ليس في الحديث إلا أن له اثنتين وسبعين من الحور العين سوى أزواجه من الدنيا، يعني سوى أزواجه الكائنة في الدنيا، لا أنه كل إنسان في الجنة له أزواج من نساء الدنيا، وكون أول زمرة تلج الجنة لكل واحد منهم زوجتان من الحور العين لا ينافي أن يكون له أكثر من ذلك، إذ العدد لا مفهوم له. فتأمل على أن شهر بن حوشب وثقه جماعة وحسنوا له، لكن خالف الثقات هنا فرد حديثه. والله أعلم.

* * *

فصل

وأما تحفة أهل الجنة إذا دخلوها فزيادة كبد النون، كما أخرجه مسلم في صحيحه عن ثوبان رضي الله عنه قال: كنت قائماً عند رسول الله ﷺ فجاء حبر من أحبار اليهود، فقال: السلام عليك يا محمد، فدفعته دفعة كاد يصرع منها، فقال: لم تدفعني؟ فقلت: ألا تقول يا رسول الله؟ فقال اليهودي: إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله، فقال ﷺ : «**إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي**، فقال اليهودي: جئت أسألك، فقال له ﷺ: **أينفعك شيء إن حدثتك**؟ قال: أسمع بأذني، فنكت رسول الله ﷺ بعود معه فقال: **سل**، فقال اليهودي: أين تكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات؟ فقال ﷺ: **هم في الظلمة دون الجسر**، قال: فمن أول الناس إجازة يوم القيامة؟ فقال: **فقراء المهاجرين**، قال اليهودي: فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال: **زيادة كبد النون**، قال: فما غذاؤهم على إثرها؟ قال: **ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها**، قال: فما شرابهم عليه؟ قال: **من عين فيها تسمى سلسبيلا**، قال: صدقت. قال: وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان. قال: **ينفعك إن حدثتك**؟ قال: أسمع بأذني، قال: جئت أسألك عن الولد؟ قال: **ماء الرجل أبيض، وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا، فعلا مني الرجل مني المرأة أذكرا بإذن الله - أي أتى المولود ذكراً - وإذا علا مني المراة مني الرجل أنثيا بإذن الله - أي جاء المولود أنثى**».

فقال اليهودي: لقد صدقت وإنك لنبي ثم انصرف، فقال ﷺ: **لقد سألني هذا عن الذي سألني عنه، وما لي علم بشيء منه حتى آتاني الله عز**

وجل به»[١].

وفي صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه أنه سمع عبد الله بن سلام رضي الله عنه مقدم رسول الله ﷺ المدينة وهو في أرض يخترف - أي يجتنى منها الثمار، والخريف الزمان الذي تخترف فيه الثمار يقال: اخترفت الثمرة أي اجتنيتها - فأتى النبي ﷺ فقال: إن سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي، فما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام أهل الجنة؟ وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال: «**أخبرني بهن جبريل آنفاً**» قال - يعني ابن سلام - جبريل؟ قال النبي ﷺ: **نعم**، قال ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقرأ هذه الآية: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٩٧]، **أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت، وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولدَ، وإذا سبق ماء المرأة نزعت، قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنك رسول الله، يا رسول الله إن اليهود قوم بهت، وأنهم إن يعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم بهتوني، فجاءت اليهود فقال: أي رجل عبد الله فيكم؟** قالوا: خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا، قال: أفرأيتم إن أسلم عبد الله؟ فقالوا: أعاذه الله من ذلك، فخرج عبد الله، فقال: أشهد ألا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فقالوا: شرنا وابن شرنا وانتقصوه، فقال: هذا الذي كنت أخاف يا رسول الله»[٢]، قلت: وهو في ثلاثيات الإمام أحمد، وفيه أعلمنا وابن أعلمنا.

وفي الصحيحين عن أبي سعيد مرفوعاً: «**تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما يتكفأ أحدكم خبزته في السفر نزلًا**

---

(١) رواه مسلم رقم ٣١٥ .

(٢) رواه البخاري رقم ٤٤٨٠ .

لأهل الجنة، فأتى رجل من اليهود، فقال: بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم، ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة؟ قال: بلى، قال: تكون الأرض خبزة واحدة كما قال النبي ﷺ، فنظر النبي ﷺ إلينا ثم ضحك حتى بدت نواجذه ثم قال: ألا أخبرك بإدامهم؟ قال: بلى، قال: إدامهم بالامْ ونون قال: وما هذا؟ قال: ثور ونون يأكل من زيادة كبدهما سبعون الفاً»[1].

قال في مشارق الأنوار: بالام ثور الجنة، والنون الحوت، أما النون فمعروف في كتاب الله تعالى، ولسان العرب، وأما بالام فليست بعربية ولا حكاها أحد عنهم، قال القاضي عياض: وجدت هذه الحروف في كتاب الحميدي يعني الأندلسي باللاي، واللاي: الثور الوحشي على مثال اللهي واللغي، ولا أعلم من رواه هكذا إلا ما رأيت له، فإن كان أصلحه مما ظن أنه صحف فقد بقيت الميم التي تثبت بعد اللام في الصحيح، فتحمل على أنها تصحفت من الياء الساكنة بعد اللام من اللاي.

وقال الخطابي: لعل اليهودي أراد التعمية فقطع الهجاء وقد قدم أحد الحرفين، ولنا الرتبة لام ألف وياء، هجاء لأي، على وزن لغا، فصحف الراوي الياء بالباء. قال: وهذا أقرب ما يقع لي فيه، اللهم إلا أن يكون عبر عنه بالعبرانية فقدم الباء، لأن أكثر العبرانية مقلوب على لسان العرب بتقديم حروف وتأخيرها، وقد قيل: إن العبران هو العربان فقدموا الباء، قال: هذا كله مع ما فيه من التحكم والظن غير مسلم، لأن هجاء اللاي غير هجاء بالام، وأولى ما يقال: أن تقرأ الكلمة كما رويت وتكون عبرانية، ألا ترى أنهم سألوا اليهودي عن تفسيرها ولو كانت كما قال الحميدي باللاي

(١) رواه البخاري رقم ٦٥٢٠ ومسلم رقم ٢٧٩٢ .

لعرفوها بلغتهم، ولا يوجد في اللغة العبرانية بالام، لأنه اسم ثور، قال: وقد سألت عنه من يقوم به فلم يعرفه. قالوا: وإنما البالم في اللغة العبرانية الشديد، فلا يمتنع أن يكون عندهم مستعملًا في الثور، وكل ما يوصف بالقوة والشدة.

وأما زيادة الكبد فهي القطعة المنفردة المنقطة فيها، وهي أطيبها، فهؤلاء السبعون ألفاً يحتمل أنهم الذين يدخلون الجنة بغير حساب، ويحتمل أنه أراد به التكثير من غير إرادة حصر، والله الموفق[١].

* * *

(١) في حاشية الأصل/ بلغ.

الباب السابع
في ريح الجنة ومناديها وأشجارها وثمارها وزرعها

أما ريحها فأخرج الطبراني عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: «**من قتل قتيلًا من الذمة لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة مائة عام**»[١] وأخرجه البخاري في صحيحه بلفظ: «**ليوجد من مسيرة أربعين عاماً**»[٢] وأخرج الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «**ألا من قتل نفساً معاهداً له ذمة الله وذمة رسوله، فقد أخفر بذمة الله، فلا يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفاً**»[٣]. قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

قال في «حادي الأرواح»: قال محمد بن عبد الواحد: وإسناده عندي على شرط الصحيح.

قال المحقق: قلت: وقد رواه الطبراني عنه مرفوعاً: «**من قتل نفساً معاهدة بغير حقها لم يرح رائحة الجنة، وإن ريح الجنة يوجد من مسيرة مائة عام**»[٤] وأخرج عن أبي بكرة رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ريح الجنة يوجد من مسيرة مائة عام**»[٥] قال في (حادي الأرواح): وهذه الألفاظ

(١) رواه الطبراني في الأوسط (١/ ٢٠٦) رقم ٦٦٣ عن أبي هريرة بلفظ «من قتل نفساً معاهدة بغير حقها لم يرح رائحة الجنة، وإن ريح الجنة توجد من مسيرة مائة عام»، وفي (٣/ ٢٠١) رقم ٢٩٢٣ بلفظ: «من قتل نفساً معاهدة بغير حقها لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها لتوجد من مسيرة خمسمائة عام» عن أبي بكرة، وشواهده ما بعده.
(٢) رواه البخاري رقم ٣١٦٦، ورقم ٦٩١٤ عن ابن عمرو.
(٣) رواه الترمذي (٤/ ٢٠) رقم ١٤٠٣ وقال: حسن صحيح.
(٤) انظر تخريج الحديث قبل حديثين.
(٥) انظر تخريج الحديث السابق.

لا تعارض بينها بوجه.

وقد أخرجا في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال: «لم يشهد عمي مع رسول الله ﷺ بدراً، قال: فشق عليه، قال: أول مشهد شهده رسول الله ﷺ غبت عنه، فإن أراني الله مشهداً فيما بعد مع رسول الله ﷺ ليرين الله ما أصنع، قال: فهاب أن يقول غيرها، قال: فشهد مع رسول الله ﷺ يوم أحد. قال: فاستقبل سعد بن معاذ فقال له: أين؟ فقال: واهاً لريح الجنة أجده دون أحد، قال: فقاتلهم حتى قتل قال: فوجد في جسده بضع وثمانون من بين ضربة وطعنة ورمية، فقالت أخته عمتي الربيع بنت النضر: فما عرفت أخي إلا ببنانه، ونزلت هذه الآية: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب:٢٣] قال: فكانوا يرون أنها نزلت فيه وفي أصحابه»(١).

قال في «حادي الأرواح»: وريح الجنة نوعان، ريح يوجد في الدنيا تشمه الأرواح أحياناً، لا تدركه العبارة، وريح يدرك بحاسة الشم للأبدان كما تشم روائح الأزهار وغيرها، وهذا يشترك أهل الجنة في إدراكه في الآخرة من قرب وبعد، وأما في الدنيا فقد يدركه من شاء الله من أنبيائه ورسله، وهذا الذي وجده أنس بن النضر رضي الله عنه يجوز أن يكون من هذا وأن يكون من الأول، انتهى.

قلت: الظاهر أنه من الثاني، لأن قوله ريح الجنة أجده دون أحد يشير إلى هذا، فتأمل.

وأخرج أبو نعيم عن أبي هريرة مرفوعاً: «**إن رائحة الجنة توجد من**

---

(١) رواه البخاري رقم ٢٨٠٥ باختلاف يسير في بعض الألفاظ، ومسلم رقم ١٩٠٣ .

مسيرة خمس مائة عام»[١] وأخرج الطبراني عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **«ريح الجنة يوجد من مسيرة ألف عام، والله لا يجدها عاق، ولا قاطع رحم، ولا شيخ زان ولا جار إزاره خيلاء»**[٢] وأخرج أبو داود الطيالسي عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: **«من ادعي إلى غير أبيه لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسين عاماً»**[٣] وأخرج الطبراني وأبو نعيم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً: قال: **«تراح رائحة الجنة من مسيرة خمس مائة عام، ولا يجد ريحها منان بعمله، ولا عاق، ولا مدمن خمر»**[٤].

وأخرج أبو داود وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم وصححه عن أبي هريرة مرفوعاً: **«من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به غرضاً من الدنيا، لم يجد عرف الجنة يوم القيامة»**[٥]. قلت: والجمع بين

---

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٣/ ٣٠٧)، وأحمد (٥/ ٥٠) رقم ٢٠٥٢٥، والطبراني في الأوسط (١/ ١٣٧) رقم ٤٣١، والحاكم (١/ ١٠٥) رقم ١٣٣ وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) جزء من حديث أخرجه الطبراني في الأوسط (٦/ ١٨) رقم ٥٦٦٤، وذكره الهيثمي (٥/ ٢١٩) رقم ٨٥٣٣ وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه محمد بن كثير الكوفي وهو ضعيف جداً، وفي (٨/ ٢٧١) رقم ١٣٤٣٦ وقال: رواه الطبراني في الأوسط من طريق محمد بن كثير عن جابر الجعفي وكلاهما ضعيف جداً.

(٣) رواه ابن ماجه (٢/ ٨٧٠) رقم ٢٦١١ بلفظ «خمسمائة عام» وأحمد (٢/ ١٧١) رقم ٦٥٩٢ بلفظ «من قدر سبعين عاماً أو مسيرة سبعين عاماً» والطبراني في الدعاء (٥٨٥) رقم ٢١٣٢ بلفظ «سبعين عاماً» وذكره الهيثمي (١/ ٢٨٢) رقم ٣٥٢ وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(٤) رواه الطبراني في الأوسط (٥/ ١٥٩) رقم ٤٩٣٨، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٠٧، وقال: غريب من حديث هارون عن مجاهد ورواه موسى الجهني عن منصور عن مجاهد عن أبي هريرة موقوفاً وذكره الهيثمي (٨/ ٢٧١) رقم ١٣٤٣٥ وقال: رواه الطبراني في الصغير وفيه الربيع بن بدر وهو متروك.

(٥) أخرجه أبو داود (٢/ ٣٦٤) رقم ٣٦٦٤ بلفظ «عرضاً»، وكذا ابن حبان في صحيحه (١/ ٢٧٩) رقم ٧٨، وأبو يعلى في مسنده (١١/ ٢٦٠) رقم ٦٣٧٣ وابن ماجه (١/ ٩٢) =

هذه الأحاديث أنه يختلف ذلك باختلاف الشامِّ، وهذا الذي أومأ إليه المحقق في «حادي الأرواح» حيث قال: وهذه الألفاظ لا تعارض بينها. والله الموفق.

قال في «حادي الأرواح»: وأشهد الله سبحانه عبادة في هذه الدار آثاراً من آثار الجنة، وأنموذجاً منها من الرائحة الطيبة، واللذات المشتهاة، والمناظر البهية، والفاكهة الحسنة، والنعيم والسرور وقرة العين.

وأخرج أبو نعيم عن جابر رضي الله عنه مرفوعاً: **«يقول الله عز وجل للجنة: طيبي لأهلك فتزداد طيباً، فذلك البرد الذي يجده الناس بالسحر من ذلك»**[1] كما جعل سبحانه نار الدنيا وآلامها وأحزانها مذكرة بنار الآخرة، قال تعالى في هذه النار: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً﴾ [الواقعة: ٧٣] وأخبر الصادق ﷺ: **«إن شدة الحر والبرد من أنفاس جهنم»**[2] فلابد أن يشهد عباده أنفاس جنته وما يذكرهم بها، والله المستعان.

* * *

=رقم ٢٥٢، والحاكم (١/ ١٦٠) رقم ٢٨٩ وقال: روى هذا الحديث بإسنادين صحيحين عن جابر بن عبد الله وكعب بن مالك وتعقبه الذهبي في الأول بقوله (رواه ابن وهب فأرسله).

(١) رواه أبو نعيم في الحلية بنحوه (٥/ ٣٧٩ موقوفاً على كعب، ورواه بلفظه الطبراني في الصغير (١/ ٦٣) رقم ٧٥، وذكره المناوي في الاتحافات السنية (٩٢) رقم ٢١٤، والهيثمي (١٠/ ٧٦٠) رقم ١٨٧١٧ وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه عمر بن عبد الغفار وهو متروك.

(٢) روى مسلم رقم ٦١٥ عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إذا اشتد الحر فأبردوا بالصلاة، فإن شدة الحر من فيح جهنم» وفي رقم ٦١٧ عن أبي هريرة «اشتكت النار إلى ربها، فقالت: يا رب أكل بعضي بعضاً، فأذن لها بنفسين، نفس في الشتاء، ونفس في الصيف، فهو أشد ما تجدون من الحر، وأشد ما تجدون من الزمهرير».

فصل

وأما نداؤها فأخرج مسلم عن أبي سعيد، وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**ينادي مناد إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً، وأن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً، وذلك قول الله عز وجل: ﴿أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣]**»[١].

قوله: «فلا تبأسوا مأخوذة من البأساء. وهي الشدة، ومثله لا يبأس ولا يبأسون، وكذا في غناء الحور «نحن الناعمات فلا نبأس»[٢] أي: لا تصيبنا شدة في الحال ولا في الأنفس، وهو البؤس والبأس.

وفي الحديث: «هل رأيت بؤساً قط؟»[٣] ويروى بؤس، والتنوين أكثر وهو المصدر.

وأخرج عثمان بن أبي شيبة عن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً: «﴿وَنُودُوٓا أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ **قال: نودوا أن صحوا فلا تسقموا أبداً، وأخلدوا فلا تموتوا أبداً وأنعموا فلا تبأسوا أبداً**»[٤].

---

(١) رواه مسلم رقم ٢٨٣٧، والترمذي (٥/ ٣٧٤)، وأحمد (٣/ ٩٥) رقم ١١٩٢٤ .

(٢) جزء من حديث رواه الترمذي (٤/ ٦٩٦) رقم ٢٥٦٤ وقال: حديث علي حديث غريب والطبراني في الكبير (٢٣/ ٣٦٧) رقم ٨٧٠، والأوسط (٣/ ٢٧٨) رقم ٣١٤١، عن علي وذكره الهيثمي (٧/ ٢٥٠) رقم ١١٣٩٦ وقال: رواه الطبراني وفيه سليمان بن أبي كريمة ضعفه أبو حاتم وابن عدي.

(٣) جزء حديث أخرجه مسلم رقم ٢٨٠٧ .

(٤) أخرجه مسلم رقم ٢٨٣٧ باختلاف يسير في بعض الألفاظ، والترمذي (٥/ ٣٧٤) رقم ٣٢٤٦ عن أبي سعيد وأبي هريرة.

وأخرج مسلم عن صهيب ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، نادى مناد: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً، فيقولون: ما هو؟ ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا، ويدخلنا الجنة وينجينا من النار؟ فيكشف الحجاب، فينظرون إلى الله، فوالله ما أعطاهم الله شيئاً هو أحب إليهم من النظر إليه**»(١).

وفي الصحيحين عن أبي سعيد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة، يا أهل الجنة فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك، فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك، قالوا ربنا وأي شيء أفضل من ذلك؟ قال: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبداً**»(٢).

وفيهما عن ابن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**يدخل الله أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول: يا أهل الجنة لا موت، ويا أهل النار لا موت كل خالد فيما هو فيه**»(٣)، وهذا الأذان وإن كان بين الجنة والنار فهو يبلغ جميع أهل الجنة والنار، ولهم نداء آخر يوم زيارتهم ربهم جل وعلا، يرسل إليهم ملكاً فيؤذن فيهم بذلك، فيسارعون إلى الزيارة، كما يؤذن مؤذن الجمعة إليها، وذلك في مقدار يوم الجمعة، والله تعالى أعلم.

* * *

(١) رواه مسلم رقم ١٨١ بلفظ «إذا دخل أهل الجنة الجنة قال: يقول اللّه تبارك: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا، ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل».
(٢) رواه البخاري رقم ٦٥٤٩، ومسلم رقم ٢٨٢٩.
(٣) رواه البخاري رقم ٦٥٤٤ وليس فيه «كل خالد فيما هو فيه»، ومسلم بلفظه رقم ٢٨٥٠.

فصل

وأما أشجار الجنة وبساتينها وظلالها فقد قال تعالى: ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ۝٢٧ فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ ۝٢٨﴾ [الواقعة: ٢٧-٢٨] [الواقعة: ٢٧-٢٨] أي لا شوك فيه كأنه خضد شوكة أي قطع ونزع منه، ذكره البغوي عن ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة، وقال الحسن: لا يعقر الأيدي، وقال ابن كيسان: لا أذى فيه. انتهى.

وفي الحديث: «**في المدينة لا يخضد شوكها، ولا يعضد شجرها**»[1]. وقال الضحاك ومقاتل: هو الموقر حملًا. قال العلامة في (البهجة): وليس شيء من ثمر الجنة في غلفه كما يكون في الدنيا مثل الباقلاء وغيره، بل هو مأكول ومشروب، ومنظور إليه ومشموم ﴿وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ﴾ [الواقعة: ٢٩] أي: موز متراكم قد نضد بالحمل من أوله إلى آخره، ليست له سوق بارزة، قال مسروق: أشجار الجنة من عروقها إلى أفنانها ثمر كله.

تنبيه:

ما ذكرنا أن الطلح الموز هو ما قدمه البغوي ونقله في «حادي الأرواح» عن أكثر المفسرين قال: وهذا قول علي وابن عباس وأبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنه، قالت طائفة: بل هو شجر عظام طوال، وهو من شجر البوادي الكثير الشوك عند العرب، قال حاديهم:

---

(١) لم أقف على هذه اللفظ «يخضد» في حديث إلا عند الحاكم (٢/ ٥١٨) رقم ٣٧٧٨ ضمن حديث عن نعيم أهل الجنة وصححه ووافقه الذهبي.

يسرها دليلها وقالا غدا ترين الطلح والجبالا

ولهذا الشجر نور وريحة طيبة وظل ظليل، وقد نضد بالحمل وأثمر مكان الشوك، وقال الليث: الطلح شجر أم غيلان[١]، له شوك أحجن[٢] من أعظم الغصاه شوكاً وأصلبه عوداً وأجوده صمغاً، وقال أبو إسحاق: يجوز أن يعني به شجر أم غيلان، لأن له نورا طيب الرائحة جداً، فوعدوا بما يحبون مثله، إلا أن فضله على ما في الدنيا كفضل سائر ما في الجنة على سائر ما في الدنيا، فإنه ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسامي.

قال في «حادي الأرواح»: الظاهر أن من فسر الطلح المنضود بالموز إنما أراد التمثيل به لحسن نضده، وإلا فالطلح في اللغة هو الشجر العظام من شجر البوادي، والله أعلم.

وأخرج البيهقي عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال أعرابي: يا رسول الله، لقد ذكر الله في القرآن شجرة مؤذية، وما كنت أرى أن في الجنة شجرة توذي صاحبها، فقال ﷺ: وما هي؟ قال: السدر، فإن لها شوكاً، فقال رسول الله ﷺ: «**يقول الله في سدر مخضود يخضد الله شوكه، فيجعل مكان كل شوكة ثمرة، إنها تنبت ثم ينفتق الثمر منها عن اثنين وسبعين لوناً من الطعام، ما منها لون يشبه الآخر**»[٣].

وأخرج الطبراني مثله[٤]. والله أعلم.

---

(١) أم غيلان: شجر السَمُر: القاموس المحيط/ باب اللام فصل الغين.

(٢) الحَجَنُ والحَجَنَةُ والتحجن: الاعوجاج، والتحجين: سمة معوجة - القاموس المحيط باب النوف فصل الحاء.

(٣) أخرجه الحاكم (٢/٥١٨) رقم ٣٧٧٨، وتقدم في الحديث السابق.

(٤) في الكبير (١٧/ ١٣٠) رقم ٣١٨، وفي مسند الشاميين (٢٨٢) رقم ٤٩٢ .

قال تعالى: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ قال البغوي: دائم لا تنسخه الشمس، والعرب تقول للشيء الذي لا ينقطع ممدود.

فإن قيل: قد علم أن لا شمس في الجنة فكيف يكون فيها ظل؟

فالجواب: أن الوقت في الجنة يكون كساعة أول النهار قبل طلوع الشمس كما هو مقرر، ولا شك أن ذلك ظل، ولذا صح اتصافه بكونه ممدوداً، أي دائماً لا تزيله شمس، كما فسره البغوي طيب الله ثراه، والله أعلم.

وقال تعالى: ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾ [الرحمن: ٤٨] وهي جمع فنن وهو الغصن، وقال: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨].

وأخرج ابن أبي داود عن عتبة بن عبد السلمى قال: كنت جالساً مع رسول الله ﷺ فجاء أعرابي فقال: يا رسول الله نسمعك تذكر في الجنة شجرة لا أعلم شجرة أكثر شوكاً منها - يعني الطلح - فقال رسول الله ﷺ: «**إن الله يجعل مكان كل شوكة منها ثمرة مثل خصوة التيس الملبود، فيها سبعون لوناً من الطعام، لا يشبه لون آخر**»[1] قال في (حادي الأرواح): الملبود الذي اجتمع شعره بعضه على بعض.

وقال عبد الله بن المبارك: أخبرنا صفوان بن عمرو عن سليم بن عامر قال: كان أصحاب محمد ﷺ يقولون: إن الله لينفعنا بالأعراب ومسائلهم، أقبل أعرابي يوماً، فقال: يا رسول الله، ذكر الله في الجنة شجرة مؤذية، وما كنت أرى في الجنة شجرة تؤذي صاحبها...»[2] الحديث المتقدم في السدر.

---

(١) انظر تخريج الحديث السابق.
(٢) انظر تخريج الحديث قبل الحديثين السابقين.

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، فاقرءوا إن شئتم: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾**»[١].

وأخرجاه أيضاً عن سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها**»[٢] وفي رواية: «**إن في الجنة لشجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة عام لا يقطعها**»[٣].

وأخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين أو مائة سنة هي شجرة الخلد**»[٤].

وأخرج وكيع عنه: إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام، اقرءوا إن شئتم ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ فبلغ ذلك كعباً فقال: صدق، والذي أنزل التوراة على لسان موسى، والفرقان على لسان محمد ﷺ لو أن رجلًا ركب جذعة أو جذعاً ثم دار بأصل تلك الشجرة ما بلغها حتى تسقط هرماً، إن الله غرسها بيده، ونفخ فيها، وإن أفنانها من وراء سور الجنة، ما في الجنة نهر إلا وهو يخرج من أصل تلك الشجرة.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: الظل الممدود شجرة

---

(١) أخرجه البخاري رقم ٤٨٨١، ومسلم رقم ٢٨٢٦ .

(٢) رواه البخاري رقم ٦٥٥٢، ومسلم رقم ٢٨٢٧ .

(٣) البخاري رقم ٦٥٥٣، ومسلم رقم ٢٨٢٨ عن أبي سعيد.

(٤) أخرجه أحمد (٢/ ٤٥٥) رقم ٩٨٧٠، وعبد بن حميد في مسنده (٤٢٤) رقم ١٤٥٧ والدارمي (٢/ ٤٣٦) رقم ٢٨٣٩ ولكن لم يذكر «سبعين» وكذا الطيالسي في مسنده (٣٣٢) رقم ٢٥٤٧، وابن المبارك في الزهد (٧٥) رقم ٢٦٦ .

في الجنة على ساق، قدر ما يسير الراكب المجد في ظلها مائة عام في كل نواحيها، فيخرج إليها أهل الجنة - أهل الغرف وغيرهم - فيتحدثون في ظلها، قال فيشتهي بعضهم ويذكر لهو الدنيا فيرسل الله ريحاً من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو كان في الدنيا.

وأخرج الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما في الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب**»[١]. قال: هذا حديث حسن. وأخرج الترمذي أيضاً والنسائي، وابن ماجة عنه أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، اقرءوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧] وفي الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، واقرءوا إن شئتم ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [الواقعة: ٣٠]، وموضوع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها، واقرءوا إن شئتم: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥]**»[٢] وصدر هذا الحديث متفق عليه.

وفي «حادي الأرواح» عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله، ما طوبى؟ قال: «**شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها**»[٣].

---

(١) رواه الترمذي (٤/ ٦٧١) رقم ٢٥٢٥، وقال: هذا حديث حسن غريب، وابن حبان في صحيحه (١٦/ ٤٢٥) رقم ٧٤١٠، وأبو يعلى في مسنده (١١/ ٥٧) رقم ٦١٩٥.

(٢) رواه الترمذي (٥/ ٤٠٠) رقم ٣٢٩٢، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه (٢/ ١٤٤٧) رقم ٤٣٢٨ والنسائي في السنن الكبرى (٦/ ٣١٧) رقم ١١٩٨٥.

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ٧١) رقم ١١٦٩١، وأبو يعلى في مسنده (٢/ ٥١٩) رقم ١٣٧٤، وابن حبان في صحيحه (١٦/ ٤٢٩) رقم ٧٤١٣، وذكره ابن حجر في الأمالي المطلقة (٤٧) وقال: هذا حديث حسن.

وأخرج ابن المبارك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نخل الجنة جذوعها من زمرد أخضر، وكَرَبها[١] ذهب أحمر، وسعفها كسوة لأهل الجنة، منها مقطعاتهم، وحلاهم، وثمرها أمثال القلال والدلاء، أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، وألين من الزبد، ليس فيه عجم.

قوله: وكربها ذهب، هو بالكاف والراء محركة ثم باء موحدة، أصل السعف، وقيل: ما يبقى من أصوله في النخلة بعد القطع كالمراقي، قاله في النهاية، وقوله: (منها مقطعاتهم) المقطعات هي الثياب القصار، كأنها قطعت عن بلوغ التمام، قال في النهاية: في هذا الحديث لم يصفها يعني ثياب أهل الجنة بالقصر لأنه عيب، وعندي أن ذلك ليس عيبا كما هو عادة المترفين في الدنيا أنهم يلبسون المقطعات تحت الحلل، والله تعالى أعلم.

وأخرج الإمام أحمد عن عتبة بن عبد السلمي قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فسأله عن الحوض، وذكر الجنة، ثم قال الأعرابي: فيها فاكهة؟ قال: **نعم، وفيها شجرة تدعى طوبى، فذكر شيئاً لا أدري ما هو؟ وفي لفظ: هي تطابق الفردوس، قال: أي شجر أرضنا تشبه؟ قال: ليست تشبه شيئاً من شجر أرضك، فقال النبي ﷺ : أتيت الشام؟ قال: لا قال: تشبه شجرة بالشام تدعى الجوزة تنبت على ساق واحد، وينفرش أعلاها، قال: ما عظم أصلها؟ قال: لو ارتحلت جذعة من إبل أهلك ما أحطت بأصلها حتى تنكسر ترقوتها هرماً، قال: فيها عنب؟ قال: نعم، قال: فما عظم العنقود؟ قال: مسيرة شهر للغراب الأبقع ولا يفتر، قال: فما عظم الحبة؟ قال: هل ذبح أبوك تيساً من غنمه قط عظيماً؟ قال: نعم، قال: فسلخ إهابه**

---

(١) كَرَبُ النخل: أصول السعف، والكَرَبُ أصول السعف الغلاظ العراض التي تيبس فتصير مثل الكَتِف، واحدتها كَرَبَةٌ، وقيل: ما يبقى من أصوله في النخلة بعد القطع كالمراقي. لسان العرب/ مادة: كرب.

فأعطاه أمك، قال اتخذي لنا منه دلواً؟ قال: نعم، قال: فإن تلك الحبة لتشبعني، وأهل بيتي؟ قال: نعم، وعامة عشيرتك»[(١)].

ورواه الطبراني في الكبير، والأوسط، والبيهقي، وابن حبان في صحيحه، وفي لفظ: «**فأعطاه أمك، فقال: ادبغي هذا، ثم افري لنا منه دلواً نروي به ماشيتنا، قال: فإن تلك الحبة تشبعني وأهل بيتي...**»[(٢)] الحديث.

وأخرج أبو يعلى الموصلي، عن أسماء بنت الصديق رضي الله عنهما قالت: سمعت رسول الله ﷺ وذكر سدرة المنتهى فقال: «**يسير في ظل الفنن منها الراكب مائة سنة، أو قال: يستظل في فنن منها مائة راكب فيها فراش من الذهب كأن ثمرها القلال**»[(٣)] ورواه الترمذي، وقال: حديث حسن غريب.

وذكر الزمخشري في (كشافه): السدرة واحدة السدر، وهو النبق، وهي في السماء السابعة عن يمين العرش ثمرتها كالقلال، وورقها كآذان الفيلة، ينبع من أصلها الأنهار التي ذكرها الله تعالى في كتابه، يسير الراكب في ظلها سبعين عاماً لا يقطعها.

وقال مقاتل: هي شجرة، لو أن ورقة منها وضعت في الأرض

---

(١) رواه أحمد (٤/ ١٨٣) رقم ١٧٦٧٩، والطبراني في الكبير (١٧/ ١٢٨) رقم ٣١٣، وفي الأوسط (١/ ١٢٦) رقم ٤٠٢٣، وفي مسند الشاميين (٤/ ١٠٤) رقم ٢٨٦٠ وذكره الهيثمي (١٠/ ٧٦٣) رقم ١٨٧٢٧ وقال: رواه الطبراني في الأوسط واللفظ له، وفي الكبير وأحمد باختصار عنهما وفيه عامر بن زيد البكالي وقد ذكره ابن أبي حاتم ولم يجرحه ولم يوثقه وبقية رجاله ثقات.

(٢) رواه الطبراني في الكبير (١٧/ ١٢٦) رقم ٣١٢ .

(٣) رواه الترمذي (٤/ ٦٨٠) رقم ٢٥٤١ وقال: هذا حديث حسن غريب، والطبراني في الكبير (٢٤/ ٨٧) رقم ٢٣٤، وابن عمر الشيباني في الآحاد والمثاني (٥/ ٤٥٤) رقم ٣١٤١، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٥١/ ١٨٧) .

لأضاءت لأهل الأرض، تحمل الحلي والحلل والثمار ومن جميع الألوان، ولو أن رجلًا ركب حقة فطاف على ساقها ما بلغ المكان الذي ركب منه حتى يقتله الهرم، قال العلامة: وهي طوبى التي ذكرها الله في سورة الرعد.

وقد رأى النبي ﷺ سدرة المنتهى ليلة الإسراء في السماء السابعة كما عند مسلم عن أنس، قال: قال النبي ﷺ: **«ثم ذهب بي - يعني جبريل عليه السلام - إلى سدة المنتهى، وإذا ورقها كآذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال، فلما غشيها من أمر الله تغيرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها»**[1] وفي طريق من طرق الحديث، **«أنه ﷺ رأى أربعة أنهار تخرج من أصلها، نهران ظاهران، ونهران باطنان، فقلت: يا جبريل، ما هذه الأنهار؟ قال: أما النهران الباطنان فنهران في الجنة، وأما النهران الظاهران فالنيل والفرات»**[2]. وذكر البخاري هذه الأنهار الأربعة.

قال العلامة في (البهجة): واختلف العلماء في تسميتها بالمنتهى، فقيل: لأن إليها ينتهي علم الخلائق، وما خلفها لا يعلمها إلا الله سبحانه وقيل: لأنه ينتهي إليها من مات على سنة النبي ﷺ، وقيل: لأنه ينتهي إليها ما يعرج من أرواح المؤمنين.

وقال ابن مسعود والضحاك: إن تسميتها بذلك، لأن إليها ينتهي كل ما يهبط من فوقها، وما يصعد من تحتها من أمر الله تعالى، أي مأمورة.

قال: واختلفوا في الذي يغشى السدرة، فقيل: إنه فراش من ذهب قاله ابن عباس، وابن مسعود رضي الله عنهم.

---

(١) جزء من حديث رواه مسلم رقم ١٦٢ .

(٢) جزء من حديث رواه البخاري رقم ٣٨٨٧، ومسلم رقم ١٦٤ .

وهو مروي عن النبي[١] ﷺ وقيل: يغشاها نور رب العزة فتستنير، قاله الحسن وقيل: الملائكة.

وفي «حادي الأرواح»: عن جرير بن عبد الله قال: نزلنا الصفاح، فإذا رجل نائم تحت شجرة، وقد كادت الشمس أن تبلغه، فقلت للغلام: انطلق بهذا النطع فأظله، قال فانطلق فأظله، فلما استيقظ إذا هو سلمان فأتيته، فقال: يا جرير، تواضع لله، فإنه من تواضع للّه في الدنيا رفعه يوم القيامة، يا جرير، هل تدري ما الظلمات يوم القيامة؟ قلت: لا أدري. قال: ظلم الناس بينهم، ثم أخذ عويداً لا أكاد أراه بين أصبعيه، فقال: يا جرير، لو طلبت في الجنة مثل هذا لم تجده، قلت: يا أبا عبد الله، فأين النخل والشجر؟ قال: أصولها اللؤلؤ والذهب وأعلاه الثمر.

وفيه عن مجاهد قال: أرض الجنة من ورق، وترابها مسك، وأصول أشجارها من ذهب وورق، وأفنانها لؤلؤ وزبرجد وياقوت، والورق والثمر تحت ذلك، فمن أكل قائماً لم يؤذه، ومن أكل جالساً لم يؤذه، ومن أكل مضطجعاً لم يؤذه. ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ [الإنسان: ١٤].

وفيه عن أبي سعيد رضي الله عنه أن رجلًا قال: يا رسول الله طوبى لمن رآك وآمن بك. قال: «**طوبى لمن رآني وآمن بي، ثم طوبى ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني**، فقال رجل: يا رسول الله وما طوبى؟ قال: **شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها**»[٢].

---

(١) روى الطبري في تفسيره (١١/ ٥١٧) عن ابن عباس قال: قال رسول اللّه ﷺ: «رأيتها - يعني سدرة المنتهى - حتى استثبتها، ثم حال دونها فراش من ذهب»، ورواه أبو يعلى في مسنده (٥/ ٦٣) رقم ٢٦٥٦، وذكره الهيثمي (٧/ ٢٤٧) رقم ١١٣٧٣ وقال: رواه أبو يعلى وفيه جويبر وهو ضعيف.

(٢) رواه أحمد (٣/ ٧١) رقم ١١٦٩١، وأبو يعلى في مسنده (٢/ ٥١٩) رقم ١٣٧٤ وسبق ص ١٧٠ .

قال في «حادي الأرواح»: قلت: وصدر هذا الحديث في المسند، ولفظه: «طوبى لمن رآني، وآمن بي، وطوبى لمن آمن بي، ولم يرني» سبع مرات[١]، وفي البهجة: هي يعني طوبى شجرة في جنة عدن في دار النبي ﷺ لم يخلق الله عز وجل لوناً ولا زهرة إلا وفيها منها إلا السواد، ولا يخلق الله فاكهة ولا ثمرة إلا وفيها منها، ينبع من أصلها عيناً الكافور والسلسبيل، كل ورقة منها تظل أمة، عليها ملك يسبح الله عز وجل بأنواع التسبيح. وفيها أيضاً عنه ﷺ: «**إن طوبى شجرة غرسها الله بيده تنبت الحلي والحلل، وإن أوراقها ترى من وراء سور الجنة**»[٢] وحكى الأصم أنها في دار النبي ﷺ وفي كل دار مؤمن منها غصن.

* * *

---

(١) رواه أحمد (٣/ ١٥٥) رقم ١٢٦٠٠، و(٥/ ٢٤٨) رقم ٢٢١٩٢، و(٢٥٧) رقم ٢٢٢٦٨ .

(٢) جزء من حديث رواه الطبري في تفسيره (٧/ ٣٧٩ عن معاوية بن قرة عن أبيه، والبغوي في التفسير (١/ ٣١٦، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٧/ ٣٧٦)، وذكره الألباني في السلسلة الضعيفة رقم ٣٨٣٠ وقال: موضوع.

فصل

وأما ثمارها فقد قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ﴾ [البقرة: ٢٥]. فقولهم: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ﴾ أي شبيهه ونظيره لا عينه، وهل هذا الذي رزقنا في الدنيا نظيره من الفواكه والثمار، أو هذا الذي رزقنا من قبل في الجنة؟ فيه قولان: ففي تفسير السدي عن ابن عباس، وابن مسعود، وناس من الصحابة رضي الله عنهم ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ﴾ أنهم أوتوا بالثمرة في الجنة فلما نظروا إليها قالوا: هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا.

قال مجاهد: ما أشبهه به، وقال ابن زيد: هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا، وأتوا به متشابهاً يعرفونه، وقال آخرون: هذا الذي رزقنا من ثمار الجنة من قبل، هذا لشدة مشابهة بعضه بعضاً في اللون والطعم، وظاهر كلام المحقق الميل إلى هذا، وذكر حجج القولين في «حادي الأرواح»، ثم قال: وأما قوله عز وجل: ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ﴾ فقال الحسن: خيار كله لا رذل فيه، أم تروا إلى ثمار الدنيا كيف يسترذلون بعضه، وأما ذلك فليس فيه رذل ونحوه، قال قتادة، وقال ابن عباس، وابن مسعود رضي الله عنهم: متشابهاً في اللون، وقاله ناس من الصحابة أيضاً، قال مجاهد: متشابهاً لونه مختلفاً طعمه، وقاله الربيع بن أنس، وقال يحيى بن أبي كثير: عشب الجنة: الزعفران، وكثبانها المسك، فيطوف عليهم الولدان بالفاكهة فيأكلونها ثم يأتونهم بمثلها فيقولون: هذا الذي جئتمونا به آنفاً، فيقول لهم الخدم: كلوا فاللون واحد، والطعم مختلف، فهو قوله عز وجل: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ﴾ وقيل: معنى

الآية: أنه يشبه ثمر الدنيا غير أن ثمر الجنة أفضل وأطعم، وقال: ابن وهب: يعرفون أسماءه كما كانوا في الدنيا بالتفاح والرمان، قالوا في الجنة: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ﴾ يعرفونه وليس هو مثله في الطعم، واختار هذا القول ابن جرير وصححه، وزيف القول الآخر، قال قد أخبر سبحانه أنهم قالوا هذا الذي رزقنا من قبل، بعد أن قال: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ﴾ فكيف يجوز أن يقولوا لأول رزق من ثمارها ولم يتقدمه عندهم غيره منها «**هذا هو الذي رزقناه من قبل**»؟ وشنع على من خالف هذا، لكن المحقق انتصر لمن خالفه، وقال: هم يخصون هذا العام بما عدا الرزق الأول لدلالة العقل والسياق عليه، قال: وليس هذا ببدع من طريقة القرآن، وأنت مضطر إلى تصحيحه[١] ولابد بأنواع من التصحيحات[٣].

أحدها: أن كثيراً من ثمار الجنة وهي التي لا نظير لها في الدنيا لا يقال فيها ذلك.

الثاني: أن كثيراً من أهلها لم يرزقوا جميع ثمرات الدنيا التي لها نظير في الجنة.

الثالث: أنهم لا يستمرون على هذا القول أبد الآباد كلما أكلوا ثمرة واحدة، قالوا: هذا الذي رزقناه في الدنيا، ويستمرون على هذا الكلام دائماً إلى غير نهاية، والقرآن العزيز لم يقصد إلى هذا المعنى، ولا هو مما يعتنى به من نعيمهم ولذتهم، وإنما هو كلام مبين خارج على المعتاد المفهوم من

---

(١) هكذا في الموضعين ولعلها (تخصيصه ... التخصيصات).

المخاطب، ومعناه: أنه يشبه بعضه بعضاً ليس أوله خير من آخره. والله تعالى أعلم.

وقال تعالى: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ﴾ [الدخان: ٥٥] وقال: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾ [ص: ٥١] وقال: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [الزخرف: ٧٢-٧٣] وقال تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٢-٣٣]. أي لا تكون في وقت دون وقت، ولا تمنع ممن أرادها.

وقال تعالى: ﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: ٢١-٢٣] والقطوف جمع قطف، والقطف بالفتح الفعل يعني المصدر أي ثمارها دانية قريبة يتناولها فيأخذها كيف شاء، قال البراء بن عازب رضي الله عنهما يتناول الثمرة وهو نائم.

وقال تعالى: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ [الإنسان: ١٤] قال ابن عباس رضي الله عنهما إذا هم أن يتناول من ثمارها تدلت إليه حتى يتناول ما يريد، وقال غيره: قريب إليهم مذللة كيف شاءوا، فهم يتناولونها قياماً وقعوداً أو مضطجعين، ومعنى تذليل القطف: تسهيل تناوله.

وأخرج الطبراني عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الرجل إذا نزع ثمرة عادت في مكانها أخرى**»[1] وأخرج عبد الله بن الإمام أحمد عن أبي موسى، رضي الله عنه مرفوعاً: «**أهبط الله آدم من الجنة، وعلمه**

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٢/ ١٠٢) رقم ١٤٤٩ بلفظ «من الجنة» بدل «ثمرة» وذكره ابن كثير في التفسير (٢/ ٦٨٠)، و(٤/ ٣٦٣)، والهيثمي (١٠/ ٧٦٥) رقم ١٨٧٣١ وقال: رواه الطبراني والبزار إلا أنه قال: عبد في مكانها مثلاها ورجال الطبراني وأحد إسنادي البزار ثقات.

صنعة كل شيء، وزوده من ثمار الجنة، فثماركم هذه من ثمار الجنة غير أنها تغير وتلك لا تغير»[(١)] وأخرج مسلم عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**عرضت على الجنة حتى لو تناولت منها قطفاً أخذته**»[(٢)] وفي لفظ: «**فتناولت قطفاً فقصرت عنه يدي**»[(٣)] وفي «حادي الأرواح» عنه قال: بينما نحن في صلاة الظهر إذا تقدم رسول الله ﷺ فتقدمنا ثم تناول شيئاً ليأخذه، ثم تأخر، فلما قضى الصلاة قال له أبي بن كعب رضي الله عنه: يا رسول الله صنعت اليوم في الصلاة شيئاً ما كنت تصنعه؟ قال: «**إنه عرضت علي الجنة وفيها من الزهرة والنضرة، فتناولت منها قطفاً من عنب لآتيكم به، فحيل بيني وبينه، ولو أتيتكم به لأكل منه مَن بين السماء والأرض لا ينقصونه**»[(٤)]. وقال ابن المبارك عن ابن عباس رضي الله عنهما: ثمرة الجنة أمثال القلال والدلاء أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، وألين من الزبد، ليس فيه عجم.

القلال: جمع قلة الحب العظيم، ومنه قلال هجر، وهي معروفة بالحجاز، وهجر قرية كبيرة من المدينة، وليست هجر البحرين، وكانت تعمل القلال بها، تأخذ الواحدة مزادة من الماء، سميت قلة لأنها تقل أي ترفع وتحمل. قاله في النهاية: وفي «المطلع»: القلة هي الجرة، سميت

---

(١) أخرجه الطبري في التفسير (١/ ٢٠٥) والحاكم (٢/ ٥٩٢) رقم ٣٩٩٦ وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وذكره الهيثمي (٨/ ٣٦٤) رقم ١٣٧٤٨ وقال: رواه البزار والطبراني ورجاله ثقات.

(٢) جزء من حديث أخرجه مسلم رقم ٩٠٤ .

(٣) نفس الحديث السابق.

(٤) جزء من حديث أخرجه أحمد (٣/ ٣٥٢) رقم ١٤٨٤٢، والحاكم (٤/ ٦٤٧) رقم ٨٧٨٨ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وذكر الهيثمي (٢/ ٢٤٥) رقم ٢٤٨٢ وقال: رواه أحمد.

بذلك لأن الرجل يقلها بيديه - أي يرفعها - والدلاء جمع دلو وهو معروف، والعجم: النوى من التمر والعنب والنبق، وغير ذلك، والواحدة عجمة.

* * *

فصل

وأما زروع الجنة، فقال تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تشتهى[1] ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف: ٧١] وفي البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يوماً يحدث وعنده رجل من أهل البادية، فقال - يعني النبي ﷺ -: «**إن رجلًا من أهل الجنة ليستأذن ربه عز وجل في الزرع، فقال له: أولست فيما اشتهيت؟ فقال: بلى، ولكني أحب الزرع، فأسرع وبذر فبادر الطرف نباته واستواؤه واستحصاده وتكويره أمثال الجبال فيقول الله عز وجل: دونك يابن آدم، فإنه لا يشبعك شيء**، فقال الأعرابي: يا رسول الله لا تجد هذا إلا قرشياً أو أنصارياً، فإنهم أصحاب زرع، فأما نحن فلسنا بأصحاب زرع، فضحك رسول الله ﷺ»[2].

قال في «حادي الأرواح»: هذا يدل على أن في الجنة زرعاً[3] وذلك البذر منه، قال: ولا أعلم ذكر الزرع في الجنة إلا في هذا الحديث، وفي خبر إبراهيم بن الحكم عن أبيه عن عكرمة: بينما رجل في الجنة، فقال في نفسه لو أن الله يأذن لي لزرعت، فلا يعلم إلا والملائكة على أبوابه، فيقولون: سلام عليك، يقول: يقول لك ربك تمنيت في نفسك شيئاً فقد علمته، وقد بعث معنا البذر فيقول: ابذروا، فيخرج أمثال الجبال، فيقول له الرب من فوق عرشه: كل يابن آدم فإن ابن آدم لا يشبع.

---

(١) هكذا بالأصل وهي قراءة صحيحه ورواها ابن كثير وأبو عمرو والكسائي وحمزة وشعبة، وقراءة حفص ومن معه (تشتهيه). انظر/ عبد الفتاح القاضي/ البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة (٣٦٢).

(٢) رواه البخاري رقم ٢٣٤٨، ورقم ٧٥١٩ .

(٣) في حاشية الأصل/ قف على أن في الجنة زرعاً.

قال في «حادي الأرواح»: وهذا أحسن أن تكون الأرض معمورة بالشجر والزرع، قلت: قد مر أن نبات الجنة زعفران ومر أن أرضها من فضة أو درمكة، فكيف يقال: إنها تحرث؟ لكن أمور الآخرة لا تقاس على الدنيا، أو يكون البذر بلا حرث، لعدم التلازم بينهما، كما أن أنهارها بلا أخدود، والله يفعل ما يشاء، والواجب على كل ذي لب التسليم، والله تعالى الموفق[١].

❊ ❊ ❊

(١) في حاشية الأصل/ بلغ.

الباب الثامن
في ذكر أنهار الجنة وعيونها وطعام أهلها وشرابهم ومصرف ذلك وآنيتهم

قال تعالى: ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ [البقرة: ٢٥] وقال تعالى: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ [يونس: ٩] فدل على أن الأنهار موجودة حقيقة وأنها جارية، وأنها تحت غرفهم وقصورهم وبساتينهم، كما هو المعهود في أنهار الدنيا، وقد ظن بعض المفسرين أن معنى جريانها أنها تجري بأمرهم وتصرفهم لها كيف شاءوا.

قال في «حادي الأرواح»: وكان الذي حمله على ذلك أنه لما سمع أن أنهارها تجري في غير أخدود، حمل قوله: ﴿تَجْرِى مِن تحتها﴾ أي بأمرهم، إذ لا يكون فوق المكان تحته، وهذا من ضعف الفهم، فإن أنهار الجنة وإن جرت في غير أخدود، فهي تحت القصور والمنازل والغرف، وتحت الأشجار وهو سبحانه لم يقل من تحت أرضها، وقد أخبر عن جريان الأنهار تحت الناس في الدنيا، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَـٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ﴾ [الأنعام: ٦] وحكى سبحانه عن فرعون قوله: ﴿وَهَـٰذِهِ ٱلْأَنْهَـٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ﴾ [الزخرف: ٥١].

نكتة:

ذكر الإمام العلامة ناصر السنة ابن الجوزي في مجلس وعظه يوماً هذه الآية فقال - طيب الله ثراه - : انظروا يا إخواني هذا الأحمق - يعني فرعون - افتخر بنهر ما أجراه ما أجراه، فانظر هذه البلاغة التي تكاد

تسلب الفؤاد، والله تعالى يفعل ما يشاء ويختار، سبحان من منح من شاء ما شاء، وقال سبحانه وتعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٦] أي فوارتان، وأخرج ابن أبي شيبة عن سعيد قال: نضاختان بالماء والفواكه، وعن أنس ﷺ: نضاختان بالمسك والعنبر، فينضخان على دور أهل الجنة كما ينضخ المطر على دور أهل الدنيا.

وعن البراء: اللتان تجريان أفضل من النضاختين، وقال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [محمد: ١٥] ذكر سبحانه هذه الأجناس الأربعة[1] ونفى عن كل واحد منها الآفة التي تعرض له في الدنيا، فآفة الماء أن يأسن ويأجن - يعني يتغير وينتن - من طول مكثه، فإن قيل: قد وصف سبحانه الأنهار بأنها تجري، ومعلوم أن الماء الجاري لا يأسن فما فائدة قوله: ﴿غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾؟.

فالجواب: الماء الجاري وإن كان لا يأسن فإنه إذا أخذ منه شيء وطال مكثه آسن، وماء الجنة لا يعرض له ذلك ولو طال مكثه مهما طال. واعلم أن في خمر الدنيا آفات كثيرة، ولا كذلك خمر الجنة، ففي خمر الدنيا الصداع، والغول، والإنزاف، واللغو، وعدم اللذة، فهذه خمسة آفات تغتال العقل، وتكثر اللغو على شرابها، بل لا يطيب لشرابها ذلك إلا باللغو، وتنزف في نفسها وينزف المال، وتصدع الرأس، وهي كريهة المذاق، وهي رجس من عمل الشيطان توقع العداوة والبغضاء بين الناس، وتصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وتدعو إلى الزنا، وربما دعت إلى الوقوع على البنت وعلى الأخت وذوات المحارم، وتذهب الغيرة وتورث الخزي

(١) في الأصل (الأربع) والمثبت هو الصواب.

والندامة والفضيحة، وتلحق شُرَّابَها بأنقص نوع الإنسان - يعني المجانين - وتسلبه أحسن الأسماء والصفات - يعني العقل - وتكسوه أقبحها وتسهل قتل النفس، وإفشاء السر الذي في إفشائه مضرة، ومؤاخاة الشياطين في تبذير المال ويكفي في ذمها أنها أم الخبائث، فهي جامعة لجميع المفاسد والمحرمات، ومانعة من جميع المصالح والخيرات، على أنها لا تجتمع هي وخمرة الجنة في جوف كما ثبت ذلك عنه ﷺ أنه قال: «**من شرب الخمرة في الدنيا لم يشربها في الآخرة**»[١].

وجمع سبحانه وتعالى بين هذه الأنهار الأربعة، لأن أنهار الماء فيها ريهم ونظافتهم وأنهار اللبن فيها قوتهم وغذاؤهم، وأنهار الخمر فيها لذتهم وسرورهم، وأنهار العسل فيها شفاؤهم ومنفعتهم، فجمع بينها لهذه، فإنها جمعت أفضل الأشربة، والله أعلم.

واعلم أن أنهار الجنة تتفجر من أعلاها، ثم تنحدر نازلة إلى أقصى درجاتها كما أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن في الجنة مائة درجة أعدها الله عز وجل للمجاهدين في سبيله، بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة**»[٢].

وأخرج الترمذي عن معاذ وعبادة بن الصامت نحوه، ولفظ عبادة: «**والفردوس أعلاها درجة، ومنها الأنهار الأربعة، والعرش فوقها، فإذا سألتم**

---

(١) رواه ابن ماجه (١/ ١١٢٠) رقم ٣٣٧٤ واللفظ له عن أبي هريرة، والبخاري بزيادة واختلاف في بعض الألفاظ رقم ٥٥٧٥، وكذا مسلم رقم ٢٠٠٣ عن ابن عمر.
(٢) رواه البخاري رقم ٢٧٩٠ .

الله فسلوه الفردوس الأعلى»[١].

وفي البخاري عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**رفعت لي سدرة المنتهى في السماء السابعة نبقها مثل قلال هجر، وورقها مثل آذن الفيلة، يخرج من ساقها نهران ظاهران ونهران باطنان، فقلت: يا جبريل، ما هذا؟ فقال: النهران الباطنان ففي الجنة، وأما النهران الظاهران فالنيل والفرات»**[٢].

وفيه أيضاً: أن النبي ﷺ قال: «**بينا أنا أسير في الجنة إذا أنا بنهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: الكوثر الذي أعطاك ربك»**[٣]، فضرب الملك بيده، فإذا طينه مسك أذفر» - أي شديد الرائحة - وهو بالذال المعجمة.

وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ الخير الكثير، وقال أنس: نهر في الجنة، وقالت عائشة رضي الله عنها: «**هو نهر في الجنة ليس أحد يدخل أصبعيه في أذنيه، إلا يسمع خرير ذلك النهر»**[٤].

قال في «حادي الأرواح»، وهذا والله أعلم معناه أن خرير ذلك النهر يشبه الخرير الذي يسمعه حين يدخل أصبعيه في أذنيه، وفي «حادي

---

(١) رواه الترمذي (٤/ ٦٧٥) رقم ٢٥٣٠ .
(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري رقم ٣٢٠٧، ورقم ٥٦١٠ .
(٣) البخاري رقم ٤٩٦٤ وليس فيه «الذي أعطاك ربك» رواه بهذا اللفظ أحمد في (٣/ ٢٣١) رقم ١٣٤٤٩، والترمذي (٥/ ٤٤٩) رقم ٣٣٥٩ وفيه «قد أعطاكه الله» ورقم ٣٣٦٠ .
(٤) روى الطبري في التفسير (١٢/ ٧١٦) موقوفاً على عائشة «من أحب أن يسمع خرير الكوثر فليجعل أصبعيه في أذنيه» وذكره ابن كثير في التفسير (٤/ ٧٢١) وقال: هذا منقطع بين ابن أبي نجيح وعائشة، وفي بعض الروايات عن رجل عنها، ومعنى هذا أنه يسمع نظير ذلك لا أنه يسمعه نفسه، والله أعلم، قال السهيلي: ورواه الدارقطني مرفوعاً من طريق مالك ابن مغول عن الشعبي عن مسروق عن عائشة عن النبي ﷺ.

الأرواح» عن النبي ﷺ: «**أنهار الجنة تفجر من تحت تلال أو من تحت جبال المسك**»(١).

ورواه الحاكم أيضاً وصح عن عبد الله موقوفاً: إن أنهار الجنة تفجر من جبل مسك، وأخرج ابن أبي الدنيا عن أنس رضي الله عنه قال: أظنكم تظنون أنهار الجنة أخدوداً في الأرض، لا والله إنها لسايحة على وجه الأرض، إحدى حافتيها اللؤلؤ والأخرى الياقوت، وطينه المسك الأذفر قيل له: ما الأذفر؟ قال: الذي لا خلط له.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**سيحان وجيحان، والنيل والفرات كل من أنهار الجنة**»(٢). وفي «حادي الأرواح» عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً: «**أنزل الله من الجنة خمسة أنهر: سيحون وهو نهر الهند، وجيحون وهو نهر بلخ، ودجلة والفرات وهما نهرا العراق والنيل وهو نهر مصر، أنزلها الله من عين واحدة من عيون الجنة من أسفل درجة من درجاتها على جناحي جبريل** عليه السلام فاستودعها الجبال واجراها في الأرض، وجعل فيها منافع للناس في أصناف معاشهم، فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [المؤمنون: ١٨] فإذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل جبريل عليه السلام فرفع من الأرض القرآن والعلم كله، والحجر الأسود من ركن البيت ومقام إبراهيم وتابوت موسى بما فيه وهذه الأنهار الخمسة، فرفع ذلك كله إلى السماء فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١٨] فإذا رفعت هذه الأشياء

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه (١٦/ ٤٢٣) رقم ٧٤٠٨ عن أبي هريرة بلفظ: «أنهار الجنة تخرج من تحت تلال أو من تحت جبال مسك» وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٠/ ٤١٣ وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٢٨٦) رقم ٥٦٦٣ .

(٢) رواه مسلم رقم ٢٨٣٩ .

من الأرض فقد أهلها خير الدنيا والآخرة»[١].

رواه ابن عدي في ترجمة مسلمة، والحديث غير ثابت، لأن فيه أحمد بن عدي، قال في حقه البخاري: منكر الحديث. وفي «حادي الأرواح»: عامة أحاديثه غير محفوظة، وبالجملة فهو من الضعفاء، وقال النسائي: هو متروك، وقال أبو حاتم: لا يشتغل به، ثم أخرج له عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن في الجنة نهراً يقال له البيدخ، عليه قباب من ياقوت تحته جوار، يقول أهل الجنة: انطلقوا بنا إلى البيدخ، فيتصفحون تلك الجواري فإذا أعجب رجل[٢] منهم جارية مس معصمها فتتبعه»[٣].

فهذا من جملة مروياته المستنكرات عليه. والله الموفق.

* * *

(١) رواه الخطيب في تاريخ بغداد (١/ ٥٧)، وابن عدي في الكامل (٦/ ٣١٥) في ترجمة مسلمة بن علي أبو سعيد الخشني الشامي رقم ١٧٩٩، وقد قال في آخره وهذان الحديثان أحدهما رواه مسلمة عن مقاتل والثاني رواه عن عمر بن صبح عن مقاتل جميعاً غير محفوظين بل هما منكرا المتن.

(٢) في الأصل (رجلا).

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور (١/ ٩٤)، وهو منكر كما ذكر المصنف.

فصل

وأما عيون الجنة فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الذاريات: ١٥] وقال: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان: ٥-٦] قال بعض السلف: معهم قضبان الذهب حيث ما مالوا مالت معهم، وقد اختلف في قوله تعالى: ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ فقال الكوفيون: الباء بمعنى من، أي يشرب منها، وقال آخرون: بل الفعل مضمن، ومعنى يشرب بها أي يروى بها، فلما ضمنه معناه عداه تعديته.

قال في «حادي الأرواح»: وهذا أصح وألطف وأبلغ، وقالت طائفة: الباء للظرفية، والعين اسم للمكان، كما تقول: كنا بمكان كذا وكذا، ونظير هذا التضمن، قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ﴾ [الحج: ٢٥] أي: يهم، فعدي تعديته، وقال تعالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ۝١٧ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ۝١٨﴾ [الإنسان: ١٧-١٨] فأخبر سبحانه عن العين التي يشرب بها المقربون صرفاً، وإن شراب الأبرار يمزج منها، لأن أولئك أخلصوا الأعمال كلها لله فأخلص شرابهم، وهؤلاء مزجوا فمزج شرابهم، ونظير هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝٢٢ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۝٢٣ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ۝٢٤ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۝٢٥ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ۝٢٦ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ۝٢٧ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: ٢٢-٢٨]. فأخبر سبحانه أن مزاج شرابهم بشيئين، بالكافور في أول السورة، والزنجبيل في آخرها، فإن في الكافور من البرد وطيب الرائحة، وفي الزنجبيل من الحرارة وطيب الرائحة ما يحدث لهم باجتماع

الشرابين، ومجيء أحدهما على إثر الآخر حالة أكمل وأطيب وألذ من كل واحد منهما بانفراده، وتعدل كيفية كل منهما بكيفية الآخر، وما ألطف موقع ذكر الكافور في أول السورة، والزنجبيل في آخرها، فإن شرابهم مزج أولًا بالكافور وفيه من البرد ما يجيء بعده فيعدله.

والظاهر أن الكأس الثانية غير الأولى، وأنهما نوعان لذيذان من الشراب، أحدهما مزج بكافور، والثاني مزج بزنجبيل، وأيضاً فإنه سبحانه أخبر عن مزج شرابهم بالكافور، وبرده في مقابلة ما وصفهم به من حرارة الخوف والإيثار والصبر والوفاء بجميع الواجبات التي نبه بوفائهم بأضعفها، وهو ما أوجبوه على أنفسهم بالنذر على الوفاء بأعلاها وهو ما أوجبه الله عليهم. ولهذا قال: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٢] فإن في الصبر من الخشونة وحبس النفس عن شهواتها ما اقتضى أن يكون في جزائهم من سعة الجنة ونعومة الحرير ما يقابل ذلك الحبس والخشونة، وجمع لهم تعالى بين النضرة والسرور، فهذا جمال ظواهرهم، وهذا جمال بواطنهم، كما جملوا في الدنيا ظواهرهم بشرائع الإسلام، وبواطنهم بحقائق الإيمان، ونظيره قوله تعالى في آخر السورة: ﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ [الإنسان: ٢١]. فهذا زينة الظاهر، ثم قال: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١]. فهذا زينة الباطن المطهر له من كل أذى ونقص، ونظير هذا قوله تعالى لأبيهم آدم: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ [طه: ١١٨-١١٩] فضمن له أن لا يصيبه ذل الباطن بالجوع، ولا ذل الظاهر بالعري، وأن لا يناله حر الباطن بالظمأ، ولا حر الظاهر بالضحى، والضح هو الحر، ومنه حديث: **«لا يقعدن أحدكم بين الضح والظل فإنه مقعد الشيطان»**[1] أي: يكون نصفه

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٤١٣) رقم ١٥٤٥٩، وروى نحوه عبد الرزاق في مصنفه (١١/ ٢٤) =

في الشمس ونصفه في الظل.

وحديث عياش بن أبي ربيعة لما هاجر أقسمت أمه بالله لا يظلها ظل ولا تزال في الضح والريح حتى يرجع إليها، ذكره في النهاية، ونعم الله لا تحصى، وأياديه لا تستقصى، ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، والله سبحانه أعد لعباده المتقين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

* * *

= رقم ١٩٧٩٩، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٢٣٧) رقم ٥٧١٦، وذكره الهيثمي (٨/ ١١٧) رقم ١٢٩٢٧ وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير كثير بن أبي كثير وهو ثقة.

فصل

وأما طعام أهل الجنة، وشرابهم، ومصرفه، فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [المرسلات: ٤١-٤٣] وقال تعالى: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤] وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [الزخرف: ٧٢] وقال: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ﴾ [الرعد: ٣٥] وقال تعالى: ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [المطففين: ٢٥-٢٦] وأخرج مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يأكل أهل الجنة ويشربون ولا يتمخطون ولا يتغوطون ولا يبولون، طعامهم ذلك جشأ كريح المسك، يلهمون التسبيح والتكبير كما تلهمون النفس**»(١) وفيه أيضاً عنه أنهم قالوا للنبي ﷺ: فما بال الطعام؟ قال: «**جشأ ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والحمد**»(٢) قوله: فما بال الطعام؟ قال جشأ كذا في جميع نسخ مسلم، قال الوقشي ولعله قال لأنه جاء في رواية الزبيدي أن يهودياً يعني حديث زيد بن أرقم الذي أخرجه الإمام أحمد، قال في «مشارق الأنوار»: والبال يأتي في معنى الحال، كقوله: ما بال هذه؟ أي ما حالها وشأنها، فمعناه: ما بال عقبى الطعام؟ أو ما شأن عقباه؟

---

(١) رواه مسلم رقم ٧٣٣١ بلفظ «إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون، ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون، قالوا: فما بال الطعام؟ قال: جشاء ورشح كرشح المسك، يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس».

(٢) مسلم رقم ٢٨٣٥ بلفظ «جشاء» و«التحميد» بدل «جشأ» و«الحمد».

وأخرج الإمام أحمد والنسائي بإسناد صحيح عن زيد بن أرقم قال: جاء رجل من أهل الكتاب إلى النبي ﷺ فقال: يا أبا القاسم تزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون؟ قال: **«نعم والذي نفس محمد بيده إن أحدهم ليعطى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والجماع والشهوة**، قال: فإن الذي يأكل ويشرب يكون له حاجة، وليس في الجنة أذى، قال: **تكون حاجة أحدهم رشحاً يفيض من جلودهم كرشح المسك فيضمر بطنه»**[(١)] ورواه الحاكم في صحيحه بنحوه. وفي (حادي الأرواح) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: **«إنك لتنظر إلى الطير في الجنة فتشتهيه فيخر بين يديك مشوياً»**[(٢)]. وأخرج الحاكم عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: **«إن في الجنة طيراً أمثال البخاتي**، فقال أبو بكر رضي الله عنه إنها لناعمة يا رسول الله؟ قال: **أنعم منها من يأكلها يا أبا بكر»**[(٣)] وفي «حادي

---

(١) رواه أحمد (٤/ ٣٦٧) رقم ١٩٢٨٨ باختلاف ونقص في بعض الألفاظ، وكذا ابن حبان في صحيحه (١٦/ ٤٤٣) رقم ٧٤٢٤ والطبراني في الكبير (٥/ ١٧٧) رقم ٥٠٠٤ مختصراً، والنسائي في السنن الكبرى (٦/ ٤٥٤) رقم ١١٤٧٨، وذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٤/ ٥٣٩) وقال عنه العراقي: أخرجه النسائي في الكبرى بإسناد صحيح.

(٢) أخرجه البزار في مسنده (٥/ ٤٠١) رقم ٢٠٣٢ بلفظ «فيجيء» بدل «فيخر»، وذكره ابن كثير في التفسير (٤/ ٣٦٣)، والسيوطي في الدر المنثور (٧/ ٣٩١، و٨/ ١٠)، والغزالي في إحياء علوم الدين (٤/ ٥٤٠) وقال عنه العراقي: أخرجه البزار بإسناد صحيح.

(٣) هذه الرواية أخرجها ابن عدي في الكامل في الضعفاء (٦/ ١٥) في ترجمة الفضل بن مختار رقم ١٥٦١ وقال بعد إيراده أحاديثه: وهذه الأحاديث بهذا الإسناد الذي ذكرته لا يرويها غير الفضل بن مختار وبه تعرف، وعامتها مما لا يتابع عليه، وقال في آخره: وعامته مما لا يتابع عليه إما إسناداً وإما متناً، وأخرجها كذلك ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٠/ ١٦٤) وأخرجه الحاكم (٢/ ٥٨٥) رقم ٣٩٧٨ عن أنس في حديث عن الكوثر وفيه «يرده طائر أعناقها مثل أعناق الجزر، فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله: إنها لناعمة، فقال: آكلها أنعم منها» وقال: قد أخرج هذا الحديث مسلم، ووافقه الذهبي.
والرواية الأخرى أخرجها أحمد ضمن حديث عن الكوثر وفيه «فيه طيور أعناقها كأعناق الجزر، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إنها لناعمة يا رسول الله، قال: فقال رسول الله =

الأرواح» عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ [الواقعة:١٨] يقول الخمر، ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ [الصافات:٤٧] ولا صداع. ﴿وَلَا يُنزِفُونَ﴾ [الواقعة: ١٩] لا تذهب عقولهم، وفي قوله: ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ [النبأ:٣٤] ممتلئة، وفي قوله: ﴿رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ﴾ [المطففين:٢٥] يقول: الخمر خُتِم بالمسك، وقال علقمة عن ابن مسعود رضي الله عنه (ختامه مسك) قال: خلطه وليس بخاتم يختم.

قال المحقق قلت: يريد والله أعلم أن آخره مسك فيخالطه، فهو من الخاتمة ليس من الخاتم، وعن مسروق الرحيق الخمر، والمختوم يجدون عاقبتها طعم المسك. وقال عبد الله في قوله تعالى: ﴿وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ﴾ [المطففين:٢٧] قال: يمزج لأصحاب اليمين، ويشربها المقربون صرفاً، وكذلك قال ابن عباس: يشرب منها المقربون صرفاً، وتمزج لمن دونهم، وقال عطاء: التسنيم اسم العين التي يمزج منها الخمر.

وقال في (حادي الأرواح): في قوله تعالى: ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾ [الإنسان:١٨] قال بعضهم: إنها جملة مركبة من فعل وفاعل، وسلسبيلا منصوب على المفعول، أي سل سبيلًا إليها، قال: وليس هذا بشيء، وإنما السلسبيل كلمة مفردة، وهي اسم للعين نفسها باعتبار صفتها، وقال قتادة في اشتقاقها: سَلِسَة لهم يصرفونها حيث شاءوا، وهو من الاشتقاق الأكبر، وقال مجاهد: سَلِسَة السبيل حديدة الجرية، وقال أبو العالية: تسيل عليهم في الطرق وفي منازلهم، وهذا من سلاستها وحدة جريتها.

وقال آخرون: معناها طيبة الطعم والمذاق، وقال أبو إسحاق:

= ﷺ: «آكلوها أنعم منها» أحمد (٣/ ٢٣٦) رقم ١٣٥٠٥، وص٢٣٦) رقم ١٣٥٠٠ بلفظ «أكلتها» والترمذي (٤/ ٦٨٠) رقم ٢٥٤٢ عن أنس وقال: هذا حديث حسن غريب.

سلسبيل صفة لما كان في غاية السلاسة، فسميت العين بذلك، وصوب ابن الأنباري أن سلسبيل صفة للماء وليس باسم للعين، واحتج بأن سلسبيل مصروف، ولو كان اسماً للعين لمنع من الصرف، وأيضاً فإن ابن عباس رضي الله عنهما قال معناه: إنها تسل في حلوقهم انسلالًا.

ورده الإمام المحقق بأن الصرف إنما هو لاقتضاء رءوس الآي له كنظائره، وأما قول ابن عباس فإنما يدل على أن العين سميت بذلك باعتبار صفة السلاسة والسهولة، والله أعلم.

ومما قررنا علم أن المختار أن العين تسمى سلسبيلا ليس إلا، ولذا قيل، شعر:

دع الدنيا ولا تركن إليها وكن مع من فر منها سلسبيلا
لعلك في جنان الخلد تحظى بها عين تسمى سلسبيلا

تنبيه:

قد تضمنت الأخبار التي ذكرناها أن لأهل الجنة فيها خبزاً ولحماً وفاكهة، وحلوى وأنواع أشربة من الماء واللبن والخمر والعسل، وليس في الدنيا مما في الآخرة إلا الموافقة في الأسماء، وأما المسميات فبينها من التفاوت ما لا يعلمه البشر.

فإن قيل: فأين يشوى اللحم ولا ثم نار؟ قلت: أجاب بعض العلماء عن هذا الاستشكال بأنه يشوي في الجنة بأسباب قدرها الله سبحانه غير النار، كما قدر إنضاج الثمر والطعام، وقيل غير ذلك. وظاهر كلام الإمام المحقق في «حادي الأرواح» أنه يشوى في الجنة بنار تكون مصلحة غير مفسدة، بل صرح بذلك حيث قال: لا يمتنع أن يكون فيها نار تصلح ولا

تفسد شيئاً، وقد صح عنه ﷺ أنه قال: «**مجامرهم الألوة**»[(١)] فالمجامر جمع مُجمر، وهو البخور الذي يتبخر بإحراقه، والألوة العود المطري كما مر، فأخبر سبحانه[(٢)] أنهم يتجمرون به أي يتبخرون بإحراقه لتسطع لهم رائحته، وقد أخبر سبحانه أن في الجنة ظلالاً، والظلال لابد أن تقي مما يقابلها، فقال: ﴿هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ﴾ [يس: ٥٦] وقال: ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ [النساء: ٥٧] فالأطعمة والحلوى والتجمر تستدعي أسباباً تتم بها، والله سبحانه خالق السبب والمسبب، وهو رب كل شيء ومليكه، لا إله إلا هو، هذا كلامه، وهو تأييد لما صوبه أنه يشوى في الجنة بأسباب قدرها العزيز العليم لإنضاجه وإصلاحه، كما قدر هناك أسباباً لإنضاج الثمر والطعام، وكما جعل في أجواف العالم من الحرارة ما يطبخ ذلك الطعام ويلفظه ويهيؤه لخروجه رشحاً وجشاً، وكذلك ما هناك من الثمار والفواكه يخلق لها من الحرارة ما ينضجها، ويجعل سبحانه أوراق الشجر حللا فرب الدنيا والآخرة واحد، وهو الخالق بالأسباب، والأسباب مظهر أفعاله وحكمته، ولكنها تختلف، وقد أجاب بعضهم عن الاستشكال بأنه يشوى بكن، وآخرون: بأنه يشوى خارج الجنة، ثم يؤتى به إليهم قلت: وحديث ابن مسعود حجة لمن قال يشوى بكن، وتقدم قريباً.

والحاصل أن الله قادر، والقادر الذي لا يجوز عليه العجز البتة لا يسع كل ذي لب إلا التسليم لما أخبر هو به أو نبيه ﷺ، فإن إخبار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إنما هو إخبار منه تعالى على ألسنتهم، وربما سبحانه

---

(١) أخرجه البخاري رقم ٣٢٤٦، ومسلم ٢٨٣٤ .

(٢) في حاشية الأصل/ قوله: فأخبر سبحانه، لعله فأخبره ﷺ، لأن المتقدم حديث نبوي وليس حديثاً قدسياً، ويمكن الجواب عنه بأن أخبار الأنبياء عليهم السلام هو إخبار من الله تعالى على لسانه، فيصير قوله: فأخبر سبحانه أي أخبر على لسان نبيه، لأن النبي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، انتهى، كاتبه حفيد المؤلف/ عبد القادر السفاريني.

جعل للأشياء أسباباً غير الأسباب المعهودة المألوفة، فينكر ذلك من لا عنده علم ولا عقل ولا فهم، فهذا محض الجهل والظلم، إذ ليست قدرته تعالى قاصرة عن أسباب أخر، ومسببات ينشؤها منها كما لم تقتصر قدرته في هذا العالم المشهود عن أسبابه ومسبباته، وليس هذا بأهون عليه من ذلك، ولعل النشأة الأولى التي أنشأها تعالى فيها بالعيان والمشاهدة أعجب من النشأة الثانية التي وعدنا بها إذا تأملها اللبيب، ولعل إخراج هذه الفواكه والثمار من بين هذه التربة الغليظة والماء والخشب والهواء المناسب لها أعجب عند العقل من إخراجها من تربة الجنة ومائها وهوائها ولعل إخراج هذه الأشربة التي هي غذاء ودواء وشراب ولذة، من بين فرث ودم، ومن قيء ذباب أعجب من إخراجها أنهاراً في الجنة بأسباب أخر، ولعل إخراج جوهري الذهب والفضة في عروق الحجارة من الجبال وغيرها أعجب من إنشائها هناك من أسباب، ولعل إخراج الحرير من لعاب دود القز وبنائها على أنفسها القباب البيض والحمر والصفر أحكم بناء أعجب من إخراجه من أكمام تتفتق عنه شجر هناك قد أودع فيها وأنشئ منها، ولعل جريان بحار الماء بين السماء والأرض على ظهور السحاب أعجب من جريانها في الجنة في غير أخدود.

وبالجملة فالمعبود بحق قادر على كل شيء، والقادر له أن يعكس الأسباب بأن يجعل الماء ينضج ويحرق إذ لا يسأل عما يفعل، وإذا تأمل العاقل بين أمور الدنيا والآخرة، ثم وازن بينها وبين ما أخبر به تعالى من أمور الآخرة من الجنة والنار وما فيهما وجد هذه الأشياء أنموذجاً دالًا على تلك أتم دلالة شاهدة لها، فمن رزقه الله علماً لدنيا وقذف في قلبه نوراً ربانياً انكشف جميع ذلك لبصيرته انكشافاً تاماً فآمن به، واطمأن قلبه، وصدق به فكان مؤمناً حقاً، والذين حجبوا عن ذلك وجعل على قلوبهم أكنة أن يفهقوه، فبعداً لقوم لا يؤمنون.

* * *

فصل

وأما آنيتهم، فقال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ [الزخرف: ٧١] والصحاف جمع صحفة وهي: القصاع، قاله الكلبي، وقال الليث: الصفحة قصعة مسطلحة[١] عريضة والجمع صحاف، والأكواب جمع كوب هو المستدير الرأس الذي لا أذن له، ومرت الإشارة إليها، وقال تعالى: ﴿يَطُوفُ[٢] عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ [الواقعة: ١٧-١٨] فالأباريق هي الأكواب، غير أن لها خراطيم، فإن لم يكن لها خراطيم ولا عرى فهي أكواب، وأباريق الجنة من الفضة في صفاء القوارير، يرى من ظاهرها ما في باطنها، والعرب تسمى السيف أبريقاً لبريق لونه.

وقال تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾﴾ [الإنسان: ١٥-١٦] فالقوارير هي الزجاج وشفافته، وهذا من أحسن الأشياء وأعجبها، وقطع توهم كون تلك القوارير من زجاج بقوله من فضة.

وأخرج البخاري ومسلم عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لا تشربوا في آنية الذهب والفضة، ولا تأكلوا في صحافهما، فإنها لهم في الدنيا، ولكم في الآخرة**»[٣].

---

(١) هكذا بالأصل ولعلها (مسطحة).

(٢) في الأصل (ويطوف) والمثبت هو الصواب.

(٣) رواه البخاري رقم ٢٤٢٦ بلفظ «لا تلبسوا الحرير ولا الديباج، ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة، ولا تأكلوا في صحافها، فإنها لهم في الدنيا ولنا في الآخرة» ورواه مسلم رقم ٢٠٦٧ باختلاف يسير جداً.

وأخرج أبو يعلى الموصلي عن أنس ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ تعجبه الرؤيا، فربما رأى الرجل الرؤيا، فيسأل عنه إذا لم يكن يعرفه، فإذا أثنى عليه معروفاً[١] كان أعجب لرؤياه إليه، فأتته امرأة فقالت: **يا رسول الله، رأيت كأني أتيت فأخرجت من المدينة فأدخلت الجنة، فسمعت وجبة ارتجت لها الجنة، فنظرت فإذا فلان ابن فلان، وفلان ابن فلان، فسمت اثني عشر رجلًا - كان رسول الله ﷺ قد بعث سرية قبل ذلك - فجيء بهم عليهم ثياب طلس، تشخب أوداجهم، فقيل: اذهبوا بهم إلى نهر البيدح أو البندخ، فغمسوا فيه، فخرجوا ووجوههم كالقمر ليلة البدر، فأتوا بصحفة من ذهب فيها بسر، فأكلوا من بسرة ما شاءوا، فما يقلبونها من وجه إلا أكلوا من الفاكهة ما أرادوا وأكلت معهم، فجاء البشير من تلك السرية، فقال: أصيب فلان وفلان حتى عد اثني عشر رجلًا، فدعا رسول الله ﷺ المرأة فقال: قصي رؤياك، وجعلت تقول: جيء بفلان وفلان كما قال»**[٢] ورواه أحمد في مسنده بنحوه. قال في «حادي الأرواح»: وإسناده على شرط مسلم.

* * *

---

(١) في الأصل (معروف).

(٢) رواه أبو يعلى في مسنده (٦/ ٤٤) رقم ٣٢٨٩، وابن حبان في صحيحه (١٣/ ٤١٨) رقم ٦٠٥٤، وأحمد (٣/ ١٣٥) رقم ١٢٤٠٨، و(٢٥٧) رقم ١٣٧٢٣، وذكره الهيثمي (٧/ ٣٦٥) رقم ١١٧٣٦ وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

الباب التاسع

في ذكر لباس أهل الجنة وحليتهم ومناديلهم وفرشهم وبسطهم ووسائدهم وسررهم وأرائكهم

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [الدخان: ٥١-٥٣] وقال تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ [الكهف: ٣٠-٣١].

قال في «حادي الأرواح» عن جماعة من المفسرين: السندس ما رق من الديباج، والإستبرق ما غلظ منه.

وقالت طائفة: ليس المراد به الغليظ، ولكن المراد به الصفيق، وقال الزجاج: هما نوعان من الحرير، وأحسن الألوان الخضر، وألين الملابس الحرير، فجمع لهم سبحانه بين حسن المنظر وحسن اللباس مع نعومته وتلذذ الجسم به.

وقد ذكر في «حادي الأرواح» مسألة عظيمة، وملخصها: أنه قد قال سبحانه: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج: ٢٣] وقد صح عن المصطفى ﷺ أنه قال: «**من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة**»[١]، أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما من حديث عمر وأنس رضي الله عنهما، وقيل: لا يلبس الحرير في الجنة، ولكن يلبس غيره، وخصوا عموم الآية، وقيل: هو من

---

(١) رواه البخاري رقم ٥٨٣٣، ٥٨٣٤، ومسلم رقم ٢٠٧٣ ورقم ٢٠٢٤.

الوعيد الذي له حكم أمثاله، مثل قوله ﷺ: «**من أتى كاهناً، فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد**»[١] أو كما قال، فيحمل على الزجر، فإذا تاب فلا خلاف في أنه خرج من عهدة الوعيد، وكذا الحسنات الماحية، والمصائب المكفرة ودعاء المسلمين، وشفاعة من يأذن الله له في الشفاعة فيه، وشفاعة أرحم الراحمين إلى نفسه، ونظيره: «**من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة**»[٢] وسمعت بعض السادة يقول: أخشى على من لبس الحرير في الدنيا ولم يتب أن يخرج من الدنيا على غير فطرة الإسلام، وكان ذلك لكون من يدخل الجنة لابد وأن يلبس الحرير، ومن مات مسلماً لابد من دخوله الجنة، والمصطفى ﷺ منع أن يلبس الحرير في الجنة، فعلى هذا لا يموت مسلماً، ونعوذ بالله ونسأل الله الهداية والعناية بمنه وكرمه، وقال تعالى: ﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ [الإنسان: ٢١] فقوله: عاليهم أي: بارزاً وظاهراً، يجمل ظواهرهم، ليس ذلك بمنزلة الشعار الباطن، بل ذلك للزينة والجمال، وقرئ عاليهم بالرفع على الابتداء، وبالنصب على الظرفية كما صوبه في «حادي الأرواح».

فإن قيل: عال مفرد، وثياب جمع، فكيف يخبر عن المفرد بالجمع؟ فالجواب: إن عالياً قد يراد به الكثرة، كقول الشاعر:

ألا إن جيران العشية رايح دعتهم دواع من هوى ومناح

ومنه قوله تعالى: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٧]

---

(١) رواه أحمد (٢/ ٤٢٩) رقم ٩٥٣٢ بزيادة «بما يقول»، وابن ماجة (١/ ٢٠٩) رقم ٦٣٩ بزيادة «من أتى حائضاً أو امرأة في دبرها» وكذا الدارمي في سننه (١/ ٢٧٥) رقم ١١٣٦، والحاكم (١/ ٤٩) رقم ١٥ بلفظ أحمد وقال: هذا حديث على شرطهما، ووافقه الذهبي.

(٢) تقدم ص ١٨٥ .

فقوله: عاليهم بالرفع مبتدأ، وثياب سندس خبره، ومن رفع خضراً جعله صفة لثياب وهو الأقيس، ومن جره جعله صفة لسندس على إرادة الجنس، كما يقال: أهلك الناس الدينار الصفر، والدرهم البيض، ووجه الرفع أقيس وأسلم من وجوه:

أحدها: المطابقة بينهما في الجمع.

الثاني: موافقته لقوله تعالى: ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا﴾ [الكهف: ٣١].

الثالث: تخلصه من وصف المفرد بالجمع.

الرابع: مجيء كلام العرب بالجمع الذي هو في لفظ الواحد فيجرونه مجرى الواحد، كقوله تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا﴾ [يس: ٨٠] وقوله: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ [القمر: ٢٠] والله أعلم.

وفي «حادي الأرواح» عن الحسن: الحلي في الجنة على الرجال أحسن منه على النساء، وفيه عن سعد بن أبي وقاص مرفوعاً: «**لو أن رجلا من أهل الجنة اطلع فبدا بسواره لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم**»(١) وفيه ابن لهيعة وثقه الإمام أحمد، وتكلم فيه ابن معين وغيره، وفيه عن أبي أمامة مرفوعاً في أهل الجنة: «**مسورون بالذهب والفضة، مكللون بالدر عليهم أكاليل من در وياقوت متواصلة، وعليهم تاج كتاج الملوك شباب جرد مرد مكحلون**»(٢).

---

(١) رواه أحمد (١/ ١٦٩) رقم ١٤٤٩، وص١٧١) رقم ١٤٦٧، والطبراني في الأوسط (٨/ ٣٦٣) رقم ٨٨٨٠، والترمذي (٤/ ٦٧٨) رقم ٢٥٣٨ وقال: هذا حديث غريب، كلهم عن سعد بن أبي وقاص.

(٢) ذكره ابن كثير في التفسير (٣/ ٧٣٥ والسيوطي في الدر المنثور (٧/ ٢٦) وعزاه لابن أبي حاتم عن أبي أمامة.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان وهو يتوضأ للصلاة يمد يده حتى تبلغ إبطه، فقال له أبو حازم، يا أبا هريرة، ما هذا الوضوء؟ فقال: يا بني فروخ، أنتم ههنا؟ لو علمت أنكم هاهنا ما توضأت هذا الوضوء، سمعت خليلي ﷺ يقول: «**تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء**»[١] وفي هذا استئناس لمن استحب غسل العضد وإطالته، قلت: صححه في (الإنصاف)، وجزم به في (المغني، والشرح)، وابن رزين وغيره، وقدمه في (الفروع)، وعنه لا يستحب ذلك.

قال الإمام أحمد: لا يغسل فوق المرفق، قال في (الفائق): ولا تستحب الزيادة على محل الفرض في أنص الروايتين، وهو الذي صححه الإمام المحقق قال: وهو قول أهل المدينة: ولا حجة في الحديث، لأن الحلية إنما تكون زيناً في الساعد والمعصم لا في العضد والكتف، وأما ما في الحديث: «فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل»[٢] فهذه الزيادة من كلام أبي هريرة رضي الله عنه مدرجة في الحديث، لا من كلامه ﷺ قال: وكان شيخ الإسلام قدس الله روحه يقول: هذه اللفظة لا يمكن أن تكون من كلام رسول الله ﷺ، فإن الغرة لا تكون إلا في الوجه وإطالتها غير ممكنة، إذ يدخل في الرأس ولا يسمى ذلك غرة، والله أعلم.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**من يدخل الجنة ينعم لا يبأس لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه، في الجنة ما لا**

(١) رواه مسلم رقم ٢٥٠ ولم أقف عليه بهذا السياق عند البخاري وسياق البخاري هو الوارد في الحديث التالي.

(٢) رواه البخاري رقم ١٣٦، ومسلم رقم ٢٤٦ وفيه «إن أمتي يدعون يوم القيامة غراً محجلين من آثار الوضوء» الحديث - عن أبي هريرة.

عين رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»(١).

وأخرج الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: جاء أعرابي عُلوِيُّ(٢) جرمي فقال: يا رسول الله أخبرنا عن الهجرة إليك أين ما كنت؟ أم لقوم خاصة؟ أم إلى أرض معلومة؟ أم إذا مت انقطعت؟ فسأل ثلاث مرار، ثم جلس، فسكت رسول الله ﷺ ثم قال: «**أين السائل؟**» قال: هاهو ذا يا رسول الله، قال: **الهجرة أن تهجر الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، ثم أنت مهاجر وإن مت بالحضر** فقام آخر: فقال يا رسول الله أخبرني عن ثياب أهل الجنة تخلق خلقاً، أم تنسج نسجاً؟ قال: فضحك بعض القوم، فقال رسول الله ﷺ: «**تضحكون من جاهل يسأل عالماً؟ فسكت النبي ﷺ ساعة ثم قال: أين السائل عن ثياب الجنة؟ قال: هاهو ذا يا رسول الله قال: لا، بل تشقق عنها ثمر الجنة ثلاث مرار»**(٣).

وعند الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «**سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها، ولقاب قوس أحدكم من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها، ولنصيف امرأة من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها،**

---

(١) رواه مسلم رقم ٢٨٣٦ وليس فيه «في الجنة» الحديث، ورواه بهذه الزيادة أحمد (٢/ ٤٠٧) رقم ٩٢٦٨، و(٤١٦) رقم ٩٣٨٠، و(٣٦٩) رقم ٨٨١٣، وأبو يعلى في مسنده (١١/ ٣١٣) رقم ٦٤١٨، وإسحاق بن راهويه في مسنده/ ١١٩) رقم ٣٦ .

(٢) ليست بالأصل، وهي نسبة إلى العالية، والعوالي أماكن بأعلى أرض المدينة، وأدناها من المدينة على أربعة أميال، وأبعدها من جهة نجد ثمانية - النهاية - مادة: علا.

(٣) رواه أحمد (٢/ ٢٢٤) رقم ٧٠٩٥ بلفظ «علوى جرئ» واختلاف آخر يسير، ورواه بنحوه الطيالسي في مسنده (٣٠٠) رقم ٢٢٧٧ وروى جزءاً منه الطبراني في الأوسط (٢/ ٣٥٤) ولكن عن جابر، والبزار (٦/ ٤٠٨) رقم ٢٤٣٤ وذكره الهيثمي (١٠/ ٧٦٦) رقم ١٨٧٣٥ و(٧٦٧) رقم ١٨٧٣٦ وقال: رواه البزار في حديث طويل ورجاله ثقات.

قيل لأبي هريرة رضي الله عنه **ما النصيف؟ قال: الخمار»**[١].

وفي «حادي الأرواح» عن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً: «**إن الرجل في الجنة ليتكئ سبعين سنة قبل أن يتحول، ثم تأتيه امرأة فتضرب على منكبه، فينظر وجهه في خدها أصفى من المرآة، وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضيئ ما بين المشرق والمغرب، فتسلم عليه فيرد السلام، ويسألها: من أنت؟ فتقول أنا المزيد، وإنه ليكون عليها سبعون ثوباً، أدناها مثل النعمان من طوبى، فينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك، وإن عليها لتيجان، وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضيئ ما بين المشرق والمغرب**»[٢].

وروى الترمذي منه ذكر التيجان وما بعده[٣]. وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعاً: «**ما من أحد يدخل الجنة إلا انطلق به إلى طوبى فتفتح له أكمامها، فيأخذ من أي ذلك، شاء أبيض وإن شاء أحمر، وإن شاء أخضر، وإن شاء أصفر، وإن شاء أسود، مثل شقائق النعمان**[٤] **وأرق وأحسن**»[٥].

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٤٨٣) رقم ١٠٢٧٥، وذكره الهيثمي (١٠/ ٧٦٧) رقم ١٨٧٣٩ وقال: رواه أحمد ورجاله ثقات.

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٧٥) رقم ١١٧٣٣، وابن حبان في صحيحه (١٦/ ٤٠٩) رقم ٧٣٩٧، وأبو يعلى في مسنده (٢/ ٥٢٥) رقم ١٣٨٦، وذكره الهيثمي (١٠/ ٧٧٥) رقم ١٨٧٦٢ وقال: رواه أحمد وأبو يعلى وإسنادهما حسن.

(٣) الترمذي (٤/ ٦٩٥) رقم ٢٥٦٢ .

(٤) شقائق النعمان هو الزهر الأحمر المعروف، ويقال له: الشَّقِرُ، وأصله من الشقيقة وهي الفرجة بين الرمال، وأضيفت إلى النعمان وهو ابن المنذر - ملك العرب - لأنه نزل شقائق رمل قد أنبتت هذا الزهر فاستحسنه، فأمر أن يُحمى له، فأضيفت إليه وسميت «شقائق النعمان» النهاية - مادة: شقق.

(٥) ذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٢٩٤) رقم ٥٦٩٩، وابن كثير في التفسير (٢/ ٦٧٣).

وأخرج عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل: ما حلل الجنة؟ قال: شجر فيها ثمر كأنه الرمان فإذا أراد ولي الله كسوة انحدرت إليه من غصنها فانفلقت عن سبعين حلة ألواناً بعد ألوان، ثم تنطبق ترجع كما كانت[١]، وعنده عن أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ سئل ما طوبى؟ قال: «**شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها**»[٢].

وأخرج عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: دار المؤمن في الجنة لؤلؤ فيها شجرة، فتنبت الحلل، فيأخذ الرجل بأصبعيه وأشار بالسبابة والإبهام سبعين حلة متمنطقة باللؤلؤ والمرجان.

وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال: «**أهدي أكيدر دومة إلى النبي ﷺ جبة من سندس فتعجب الناس من حسنها، فقال ﷺ: لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا**»[٣].

وفيهما أيضاً عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: أهدي لرسول الله ﷺ ثوب حرير فجعلوا يعجبون من لينه فقال رسول الله ﷺ: «**تعجبون من هذا؟ لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا**»[٤].

قال في «حادي الأرواح»: لا يخفى ما في ذكر سعد بن معاذ بخصوصه هاهنا، فإنه كان في الأنصار بمنزلة الصديق في المهاجرين،

---

(١) ذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٢٨٦) رقم ٥٦٦٤ وقال: رواه ابن أبي الدنيا موقوفاً بإسناد حسن.

(٢) رواه الطبري في التفسير (٧/ ٣٧٩)، والبغوي في معالم التنزيل (١/ ٣١٦)، وابن حبان في صحيحه (١٦/ ٤٢٩) رقم ٧٤١٣ وأبو يعلى في مسنده (٢/ ٥١٩) رقم ١٣٧٤.

(٣) رواه البخاري رقم ٢٦١٥، ورقم ٣٢٤٨، ومسلم رقم ٢٤٦٩.

(٤) البخاري رقم ٥٨٣٦، ومسلم ٢٤٦٨.

واهتز لموته العرش[١]، وكان رضي الله عنه لا تأخذه في الله لومة لائم، وختم الله له بالشهادة وآثر رِضَىٰ الله ورسوله على رضا قومه وعشيرته وحلفائه، ووافق حكمه الذي حكم به حكم الله من فوق سبع سماوات، ونعاه جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ يوم موته، فحق له رضي الله عنه أن يكون مناديله التي يمسح بها يديه أحسن من حلل الملوك، وقد[٢] ذكرت في كتابي «تحبير الوفا في سيرة المصطفى» في وقعة بني قريظة ما يشفي، وذكرت في قصة إسلامه رضي الله عنه ما يدل على رسوخه وعلو كلمته، رضوان الله عليه فإنه كان من الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم.

* * *

(١) انظر البخاري رقم ٣٨٠٣، ومسلم رقم ٢٤٦٦ .

(٢) في حاشية الأصل/ مطلب: للمؤلف كتاب اسمه «تحبير الوفي في سيرة المصطفى».

فصل

ومن ملابس أهل الجنة التيجان على رءوسهم

أخرج البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «من قرأ القرآن فقام به آناء الليل وأطراف النهار، ويحلل حلاله، ويحرم حرامه، خلطه الله بلحمه ودمه، وجعله رفيق السفرة الكرام البررة، وإذا كان يوم القيامة كان القرآن له حجيجاً، فقال: يا رب كل عامل يعمل في الدنيا يأخذ بعمله من الدنيا إلا فلاناً كان يقوم بي آناء الليل والنهار فيحل حلالي ويحرم حرامي، يقول: رب فأعطيه، فَيُتَوِّجهُ الله تاج الملك ويكسوه من حلة الكرامة، ثم يقول: هل رضيت؟ فيقول: يا رب أرغب له في أفضل من هذا، فيعطيه الله الملك بيمينه والخلد بشماله، ثم يقول له: هل رضيت؟ فيقول: نعم، يا رب»[١].

وفي مسند الإمام أحمد عن بريدة رضي الله عنه مرفوعاً: «تعلموا سورة البقرة، فإن أخذها بركة وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة، ثم سكت ساعة، ثم قال: تعلموا سورة البقرة وآل عمران فإنهما الزهراوان، وإنهما يظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف، والقرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب[٢]، فيقول له: هل تعرفني؟ فيقول له: ما أعرفك، فيقول له القرآن: أنا الذي أظمأتك في الهواجر. وأسهرت ليلك، وإن كل تاجر من وراء تجارته، وإنك اليوم من وراء كل تجارة فيعطى الملك بيمينه والخلد

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٣٤٥) رقم ١٩٩١، وذكره الهندي في كنز العمال (١/ ٥٣٩) رقم ٢٤٢٠.
(٢) في الأصل (المشاحب).

بشماله، ويوضع على رأسه تاج الوقار، ويكسى والداه جبتين لا تقوم لهما الدنيا، فيقولان: بم كسينا هذا؟ فيقال: بأخذ ولدكما القرآن، ثم يقال: اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها، فهو في صعود ما دام يقرأ هذًا كان أو ترتيلا»[1] قوله: البطلة: أي السحرة، والغياية ما أظل الإنسان، وكذا الغمامة.

* * *

---

(١) رواه أحمد (٥/ ٣٤٨) رقم ٢٣٠٠٠، والدارمي في سننه (٢/ ٥٤٣) رقم ٣٣٩١، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٣٤٤) رقم ١٩٨٩، وذكره الهيثمي (٧/ ٣٣٠) رقم ١١٦٣٣ وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

فصل

وأما الفرش، فقال تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرحمن: ٥٤] وقال: ﴿وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٤] فسر قوله: بطائنها من إستبرق: على أن ظهائرها أعلى وأحسن من بطائنها، لأن بطائنها للأرض وظهائرها للجمال، قال عبد الله رضي الله عنه: هذه البطائن قد أخبرتم بها فكيف بالظهائر؟ ويدل قوله: ﴿وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ﴾ على أنها عالية لها سمك وحشو بين البطانة والظهارة، وأخرج الترمذي عن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً: «**ارتفاعها كما بين السماء والأرض، ومسيرة ما بينهما خمس مائة عام**»[١].

قال الترمذي: غريب، لا نعرفه إلا من حديث رشدين[٢] بن سعد قال في (حادي الأرواح): قلت: رشدين[٢] بن سعد عنده مناكير، وبين ذلك، ومعنى الحديث كما قال الترمذي: إن الارتفاع المذكور للدرجات والفرش عليها، وعند عبد الله بن وهب عن أبي سعيد مرفوعاً: «**ما بين الفراشين كما بين السماء والأرض**»[٣].

قال في «حادي الأرواح»: وهذا أشبه أن يكون هو المحفوظ، كذا قال: وأخرج الطبراني عن كعب في قوله تعالى: ﴿وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ﴾ قال: مسيرة أربعين سنة، وعن أبي أمامة: لو أن أعلاها يسقط ما بلغ أسفلها أربعين خريفاً، رواه ابن أبي الدنيا موقوفاً، ورواه الطبراني مرفوعاً: بلفظ:

---

(١) رواه الترمذي (٥/ ٤٠١) رقم ٣٢٩٤، وقال: هذا حديث غريب، وج٤/ ٦٧٩) رقم ٢٥٤٠، وأحمد (٣/ ٧٥) رقم ١١٧٣٧، وابن حبان في صحيحه (١٦/ ٤١٨) رقم ٧٤٠٥، وأبو يعلى (٢/ ٥٢٨) رقم ١٣٩٥، ودافع عنه العسقلاني في القول المسدد (٧٢) الحديث الرابع عشر.

(٢) في الأصل (رشد بن سعد) في الموضعين.

(٣) ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٤/ ٥٣٩).

سئل رسول الله ﷺ عن الفرش المرفوعة قال: «**لو طرح فراش من أعلاها لهوى إلى قرارها مائة خريف**»[(١)]. ونظر في رفعه المحقق.

وأما البسط فقال تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ [الرحمن: ٧٦] وقال: ﴿سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ [الغاشية: ١٣-١٦] قال جبير: الرفرف رياض الجنة، والعبقري: عتاق الزرابي، قال الحسن في قوله تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ هي البسط، قال: وأهل المدينة يقولون هي البسط، والنمارق هي الوسائد، قاله الواحدي في قول الجميع، واحدتها نمرقة بضم النون، وحكى الفراء كسرها، والزرابي: البسط والطنافس، واحدتها زريبة في قول جميع أهل اللغة والتفسير، وقوله: مبثوثة: أي مبسوطة منثورة، وقال الليث: الرفرف ضرب من الثياب خضر تبسط، الواحد رفرفة، وقال أبو عبيدة: الرفارف البسط، وقيل: رياض الجنة، وتقدم، وقيل: الوسائد، وقيل غير ذلك، وقال المحقق: قلت: أصل الكلمة من الرف والجانب، فمنه الرف في الحائط، والرفرف وهو كسر الخباء وجوانب الدرع وما تدلى منه، ومنه رفرف الطير إذا حرك جناحيه حول الشيء يريد أن يقع عليه، والرفرف ثياب خضر تتخذ منها المجالس، الواحدة رفرفة، وقال ابن مسعود في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٨] رفرفاً أخضر سد الأفق متفق عليه، وتقدم أن العبقري البسط، وقيل موضع في البادية كثير الجن، يقال: كأنهم جن عبقر فنسب إلى ذلك، وهي الأرض التي يسكنها الجن فصار مثلًا منسوباً إلى شيء رفيع، وأنشد أبو عبيدة لزهير:

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٨/ ٢٤٢) رقم ٧٩٤٧، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٢٩٥) رقم ٥٧٠٤، والهيثمي (٧/ ٢٥٧) رقم ١١٣٩٩ وقال: رواه الطبراني وفيه جعفر بن الزبير الحنفي وهو ضعيف.

بخيل عليها جنة عبقرية جديرون يوماً أن ينالوا فيستعلوا

قال الواحدي: وهذا الصحيح في العبقري، لأن العرب إذا بالغت في وصف شيء نسبته إلى الجنة وشبهته بهم، ومنه قول لبيد:

جن البدي رواسياً أقدامها

وقال آخر في صفة امرأة:

جنية أولها جني يعلمها رمى القلوب بقوس ما لها وتر

وذلك لأنهم يعتقدون كل صفة عجيبة في الجن، وأنهم يأتون بكل أمر عجيب، قال في «حادي الأرواح»: ولما كان عبقر معروفا بسكناهم نسبوا كل شيء مبالغ فيه إليها، يريدون بذلك أنه من عملهم وصنعهم، هذا هو الأصل، ثم صار العبقري اسماً ونعتاً لكل ما بولغ في صفته، ومنه قوله ﷺ حين ذكر عمر: **«فلم أر عبقرياً يفري فَرِيَّهُ»**(١).

وعن الفراء: العبقري: السيد من الرجال، وهو الفاخر من الحيوان والجوهر، وواحد العبقري عبقرية.

والحاصل: أن كل شيء عجيب يقال له عبقري لما وصفنا، وتأمل كيف وصف سبحانه الفرش بأنها مرفوعة، والزرابي بأنها مبثوثة، والنمارق بأنها مصفوفة، فرفع الفرش دال على سمكها ولينها، وبث الزرابي دال على كثرتها، وأنها في كل موضع لا يختص بها صدر المجلس دون مؤخره وجوانبه، ووصف المساند يدل على أنها مهيأة للاستناد إليها دائماً، ليست مخبأة تصف في وقت دون وقت، والله أعلم.

* * *

(١) رواه البخاري رقم ٣٦٣٣، ٣٦٧٦، ٣٦٨٢، ومسلم رقم ١٨٦٢ .

فصل

وأما خيامهم وسررهم وأرائكهم وبشخاناتهم

فقد قال تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢] ففي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلًا فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن، فلا يرى بعضهم بعضاً**»[1]. وفي رواية في البخاري: «**طولها ثلاثون ميلًا**»[2] قال في «حادي الأرواح»: وهذه الخيام غير الغرف والقصور، بل خيام في البساتين وعلى شواطئ الأنهار. وأخرج ابن أبي الدنيا عن عبد الله رضي الله عنه قال: لكل مسلم خيرة، ولكل خيرة خيمة، ولكل خيمة أربعة أبواب يدخل عليها كل يوم من كل باب تحفة وهدية وكرامة، لم يكن قبل ذلك، لا مرحات ولا ذفرات ولا سخرات ولا طماحات، حور عين كأنهن بيض مكنون، وأخرج ابن المبارك عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: الخيمة لؤلؤة واحدة، لها سبعون باباً، كلها من درة، وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢] الخيمة من درة مجوفة طولها فرسخ وعرضها فرسخ، ولها ألف باب من ذهب حولها سرادق دوره خمسون فرسخاً، يدخل عليه من كل باب منها ملك بهدية من عند الله عز وجل، وذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۝٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤].

---

(١) رواه البخاري رقم ٤٨٧٩ باختلاف يسير، ومسلم رقم ٢٨٣٨ .

(٢) البخاري رقم ٣٢٤٣ .

وأما السرر فقال تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الطور: ٢٠]. وقال: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ﴾ [الواقعة: ١٥-١٦] وقال: ﴿فِيهَا(١) سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ [الغاشية: ١٣] فأخبر سبحانه عن سررهم بأنها مصفوفة بعضها إلى جانب، بعض ليس بعضها خلف ولا بعيداً منه، وأخبر أنها موضونة، أي منسوجة مضاعفة متداخلة بعضها على بعض، كما يوضن حلق الدرع، ومنه يسمى الوضين، وهو نطاق من سيور ينسج فيدخل بعضه في بعض، ومنه قول الشاعر:

ومن نسج داود موضونة ... ببساق مع الحي عيراً فعيراً

قالوا: موضونة منسوجة بقضبان الذهب مشبكة بالدر والياقوت والزبرجد، وقال ابن عباس رضي الله عنه مزمولة بالذهب، وقال مجاهد: موصولة بالذهب، وأخبر سبحانه بأنها مرفوعة، قال عطاء: عن ابن عباس رضي الله عنه سرر من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت، والسرير مثل ما بين مكة وأيلة، وقال الكلبي: طول السرير في السماء مائة عام، فإذا أراد الرجل أن يجعل عليه تواضع له حتى يجلس عليه، فإذا جلس عليه ارتفع إلى مكانه.

وأما الأرائك فتقدم أنها جمع أريكة، وأن ابن عباس قال: لا تكون أريكة حتى يكون السرير في الحجلة، فإن كان سرير(٢) بغير حجلة لا تكون أريكة، وإن كانت حجلة بغير سرير لم تكن أريكة، فالسرير والحجلة أريكة، والحجلة هي البشخانة التي تعلق فوق السرير، وقال في (حادي الأرواح): لا تسمى أريكة إلا بالسرير في الحجلة، وأن يكون على السرير فراش.

وفي الصحاح: الأريكة سرير منجد مزين في قبة أو بيت، فإذا لم

---

(١) في الأصل (على) والمثبت هو الصواب.
(٢) هكذا بالأصل.

يكن فيه سرير فهو حجلة، والجمع: الأرائك.

وفي الحديث: «**إن خاتم النبي ﷺ** - أي خاتم النبوة - **كان مثل زر الحجلة**»[١] وهو الزر الذي يجمع به بين طرفيها من جملة إزرارها.

قلت: وكون المراد بزر الحجلة ما ذكرنا هو الذي صوبه أكثر المحققين، منهم الإمام العلامة المحقق في «حادي الأرواح» وغيره كالدميري، وقال الإمام الترمذي بعد إيراده حديث: إن النبي ﷺ كان بين كتفيه خاتم مثل زر الحجلة، إن المراد بالحجلة هذا الطائر وزرها بيضها، وإذا كانت المرأة مقصورة في الحجال فهو مما يتمدح به، كما قال كثير عزة في ذلك:

وأنت التي حببت كل قصيرة　　إليَّ فلا تدري بذلك القصائر
عنيت قصارات الحجال ولم أرد　　قصار الخطا شر النساء البحاتر[٢]

والله أعلم.

* * *

(١) رواه البخاري رقم ١٩٠، ورقم ٥٦٧٠، ومسلم رقم ٢٣٤٥، والترمذي (٥/ ٦٠٢) رقم ٣٦٤٣.

(٢) البُحْترُ بالضم القصير المجتمع الخلق، والأنثى بُحْتُرة، والجمع البحاتر. لسان العرب/ مادة: بحتر.

الباب العاشر

في ذكر خدم أهل الجنة وغلمانهم ونسائهم وسراريهم، والمادة التي خلقت منها الحور العين، ونكاحهم، وهل في الجنة ولد أم لا؟

أما خدمهم وغلمانهم، فقال تعالى: ﴿وَيَطُوفُ[1] عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ﴾ [الطور: ٢٤] وقال: ﴿وَيَطُوفُ[1] عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا﴾ [الإنسان: ١٩] قال أبو عبيدة والفراء: مخلدون لا يهرمون ولا يتغيرون، وقال آخرون: مخلدون مقرطون مسورون، أي في آذانهم القرطة، وفي أيديهم الأساور، والخلد القرطة، ومنه قول الشاعر:

ومخلدات باللجين كأنما أعجازهن رواكد الكثبان

وجمعت طائفة بأنهم لا يعرض لهم الكبر والهرم، وفي آذانهم القرطة، وشبههم سبحانه وتعالى باللؤلؤ المنثور لما فيه من البياض وحسن الخلقة، وفي كونه منثوراً فائدتان: الدلالة على أنهم غير معطلين، بل مبثوثون في خدمتهم، والثانية: أن اللؤلؤ إذا كان منثوراً ولا سيما على بسط من ذهب أو حرير كان أحسن وأبهى من كونه مجموعاً، واختلف العلماء في هؤلاء الغلمان، فقال الإمام علي كرم الله وجهه وحسن البصري: هم أولاد المسلمين الذين يموتون ولا حسنة لهم ولا سيئة لهم، يكونون خدماً لأهل الجنة إذ الجنة لا ولادة فيها، وبعضهم قال: هم أولاد المشركين يجعلهم الله خدماً لأهل الجنة، واستدل هؤلاء بقول النبي ﷺ: «**سألت ربي اللاهين من ذرية البشر ألا يعذبهم فأعطانيهم**»[2] فهم خدم لأهل الجنة

---

(١) الواو ساقطة من الأصل في الموضعين.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٦/ ١١١) رقم ٥٩٥٧، وأبو يعلى في مسنده (٦/ ٣١٦) =

- يعني الأطفال - رواه يعقوب بن عبد الرحمن القارئ، وعبد العزيز بن الماجشون، وفضيل بن سليمان.

قال في «حادي الأرواح»: وطرقه ضعيفة، ففيه يزيد واهٍ، وفضيل بن سليمان متكلم فيه، وعبد الرحمن بن إسحاق ضعيف.

قال ابن قتيبة: واللاهون من لهيت عن الشيء إذا غفلت عنه وليست من لهوت، وقيل هم غلمان أنشأهم الله في الجنة إنشاء، كما أنشأ الحور العين، وولدان أهل الدنيا يكونون يومئذ أبناء ثلاث وثلاثين سنة لقوله ﷺ: **«من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير يردون بني ثلاثين سنة في الجنة لا يزيدون عليها أبداً، وكذلك أهل النار»**[(١)] رواه الترمذي من حديث أبي سعيد رضي الله عنه واختار هذا القول في «حادي الأرواح»، واستدل عليه بقوله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الطور: ٢٤] وهؤلاء غير أولادهم، فإن من تمام كرامة الله لهم أن يجعل أبناءهم مخدومين معهم لا غلماناً لهم، وفي حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا»** وفيه: **«ويطوف عليَّ ألف خادم كأنهم لؤلؤ مكنون»**[(٢)] والمكنون: هو المستور الذي لم تتبذله الأيادي.

والحاصل أن الولدان من جنس الحور العين، وليس من ذرية آدم على الصحيح المعتمد.

= رقم ٣٦٣٦، و(٧/ ١٣٨) رقم ٤١٠١ عن أنس، وذكره الهيثمي (٧/ ٤٤٣) رقم ١١٩٥٤ وقال: رواه أبو يعلى من طرق ورجال أحدها رجال الصحيح غير عبد الرحمن ابن المتوكل وهو ثقة.

(١) جزء من حديث رواه الترمذي (٤/ ٦٩٥) رقم ٢٥٦٢، وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث رشدين.

(٢) رواه الدارمي (١/ ٣٩) رقم ٤٨، والترمذي أوله فقط (٥/ ٥٨٥) رقم ٣٦١٠ وقال: هذا حديث حسن غريب.

قال قتادة: ذكر لنا أن رجلًا قال للنبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ [الإنسان:١٩] هذا الخادم فكيف المخدوم؟ قال: «**والذي نفسي بيده إن فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب**»[1] حكاه مكي، وأخرج ابن المبارك، والبيهقي عن ابن عمرو رضي الله عنهما قال: إن أدنى أهل الجنة منزلًا من يسعى إليه ألف خادم كل خادم على عمل ليس عليه صاحبه، وتلا قوله: ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أنس رضي الله عنه قال: إن أسفل أهل الجنة أجمعين درجة، من يقوم على رأسه عشرة آلاف خادم.

وأخرج ابن أبي الدنيا أيضاً عن أبي هريرة قال: إن أدنى أهل الجنة منزلة - وليس فيهم دنيء - من يغدو ويروح عليه خمسة عشرة ألف خادم، ليس منهم خادم إلا ومعه طرفة ليست مع صاحبه.

وقد نبه غير واحد من العلماء في مثل هذه الأحاديث على تقدير لفظة: (من) أي إن من أدنى أهل الجنة كيت وكيت، وكذا أحب العمل إلى الله كذا، وأحب العمل إلى الله كذا، أي إن من أحب العمل إلى الله، وبهذا تزول أشكلة كثيرة في أبواب كثيرة من الحديث. والله تعالى أعلم.

* * *

(١) رواه الطبري في التفسير (١١/ ٤٩٢)، والبغوي في معالم التنزيل (١/ ٣٩٠).

فصل

وأما نساؤهم وسراريهم فقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥] والأزواج جمع زوج، والمرأة زوج الرجل وهو زوجها، هذا الأفصح وهي لغة قريش، وبها نزل القرآن، كقوله تعالى: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥] ومن العرب من يقول: زوجة وهو نادر، والمطهرة التي طهرت من الحيض، والبول، والنفاس، والغائط، والمخاط، والبصاق، وكل قذر، وطهر لسانها من الفحش والبذاء، ونظرها من طمح عينها إلى غير زوجها، وكذلك خلقت حواء، فلما اقترفت ما اقترفت قال سبحانه: إني خلقتك مطهرة وسأدميك كما أدميت هذه الشجرة، يعني لما خصفت عليها من ورق الشجر وهي التين، فَأَدْمَتْها، كذا قيل[١] وهو في العرائس للكسائي، وفي منظومة ابن العماد التي جمع فيها الأنبياء على حكم ما قاله القرطبي في «تذكرته»: إن أول من حاض بنات يعقوب عليه السلام قال في منظومته:

وأرسل الحيض على البنات من نسل يعقوب عن الثقات

ولم أر بغيره، وعندي فيه بعد، لقوله تعالى في حكايته عن الست

---

(١) روى هذا الكلام الطبري في التفسير (١/ ٢٠٥) وفي (١/ ٢٧٢) وعقب عليه بقوله: وقد رويت هذه الأخبار عمن رويناها عنه من الصحابة والتابعين في صفة استزلال إبليس عدو الله آدم وزوجته حتى أخرجهما من الجنة، وأولى ذلك بالحق عندنا ما كان لكتاب الله موافقا، وقد أخبر الله تعالى ذكره عن إبليس أنه وسوس لآدم وزوجته ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما.
وذكره كذلك ابن كثير في التفسير (١/ ٩٥) وقال: وهذا غريب، وعليه فلا أظن ذلك يصح.

سارة: ﴿فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ﴾ أي حاضت، والله تعالى أعلم.

وقال جل شأنه: ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الدخان: ٥٤-٥٦] والحور جمع حوراء، وهي المرأة الشابة الحسناء الجميلة البيضاء شديدة سواد العين وقال زيد بن أسلم: هي التي يحار فيها الطرف، والعين: حسان الأعين، وقال مجاهد: هي التي يحار فيها الطرف من رقة الجلد وصفاء اللون، وقال الحسن: هي شديدة بياض العين شديدة سوادها، واختلف في اشتقاق هذه اللفظة، فقال ابن عباس: الحور في كلام العرب البيض، وكذا قال قتادة، وقال مقاتل: الحور البيض الوجوه، وكلام مجاهد يدل على أن اللفظة مشتقة من الحيرة، ورده الإمام المحقق وقال: بل أصل الحور البياض، والتحوير التبييض، ومنه الحوريون أي القصارون، والصحيح أن الحور مأخوذ من الحور في العين وهو شدة بياضها مع قوة سوادها، فهو متضمن لأمرين كما في الصحاح، وقال أبو عمرو: الحور أن تسود العين كلها مثل أعين الظباء والبقر، وليس في بني آدم حور، وإنما قيل للنساء حور العيون، لأنهن شبهن بالظباء والبقر، وقال الأصمعي: ما أدري ما الحور في العين؟ قال في «حادي الأرواح»: وأهل اللغة قالوا: الحور في العين معنى يلتئم من حسن البياض والسواد وتناسبهما واكتساب كل واحد منهما الحسن من الآخر، وعين حوراء إذا اشتد بياض بياضها وسواد سوادها، ولا تسمى المرأة حوراء حتى يكون مع حور عينها بياض لون جسدها، والعين جمع عيناء، وهي العظيمة العين من النساء، ورجل أعين إذا كان ضخم العين، وامرأة عيناء، والجمع عين، قال: والصحيح أن العين: اللاتي جمعت أعينهن صفات الحسن والملاحة.

لطيفة:

ذكر في «حادي الأرواح» أنه يستحب الضيق في المرأة في أربعة مواضع: فمها، وخرق أذنها، وأنفها وما هناك، وتستحب السعة منها في أربعة أيضاً: وجهها، وصدرها، وكاهلها - وهو ما بين كتفها - وجبهتها، ويستحب البياض منها في أربعة: لونها، وفرقها، وثغرها، وبياض عينها، ويستحب السواد منها في أربعة: عينها، وحاجبها، وهدبها، وشعرها، ويستحب الطول منها في أربعة أيضاً: قوامها، وعنقها، وشعرها، وثيابها، ويستحب القصر منها في أربعة وهي معنوية: لسانها، ويدها، ورجلها، وعينها، فتكون قاصرة الطرف قصيرة الرجل واللسان عن الخروج وكثرة الكلام، قصيرة اليد عن تناول ما يكره الزوج، وعن بذله، وتستحب الدقة منها في أربعة: خصرها، وفرقها، وحاجبها، وأنفها، وقال سبحانه: ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ﴾ [ص: ٥٢] فالأتراب جمع ترب وهو لذة الإنسان، وقال: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمن: ٥٦] أي: لم يمسهن، قاله أبو عبيدة ويونس، وقال الفراء: الطمث الافتضاض وهو النكاح بالتدمية، والطمث هو الدم، يقال: طمثت الجارية إذا افترعتها، وبيت الفرزدق[1] يدل لما قاله أبو عبيدة:

خرجن إلي لم يطمثن قبلي … وهن أصح من بيض النعام

أي لم يمسهن قبلي أحد، قال المفسرون: لم يطأهن، ولم يغشهن، ولم يجامعهن، هذه ألفاظهم، والله تعالى أعلم.

---

(١) في الأصل (الفرزق).

وقال تعالى في وصفهن ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢] المقصورات: المحبوسات، قال أبو عبيدة: خدرن في الخيام، قال في «حادي الأرواح»: وفيه معنى آخر وهو أن يكون المراد أنهن محبوسات على أزواجهن لا يردن غيرهم وهم في الخيام، وهذا معنى قول من قال: قصرن على أزواجهن، فلا يردن غيرهم، ولا يطمحن إلى من سواهم، ذكره الفراء.

قال المحقق: قلت: هذا معنى قاصرات الطرف، لكن أولئك قاصرات بأنفسهن، وهؤلاء مقصورات.

وقوله: ﴿فِى ٱلْخِيَامِ﴾ على هذا القول صفة لجواري هن في الخيام، وليس معمولًا لمقصورات، وكأن أرباب هذا القول فروا من كونهن محبوسات والحبس عذاب، والجواب أنه سبحانه وصفهن بأنهن مخدرات لا يخرجن من خدورهن، ولا يلزم من هذا أنهن لا يفارقن الخيام إلى الغرف والبساتين، ألا ترى أن نساء ملوك الدنيا وذويهم من المخدرات المصونات قد يخرجن في بعض الأوقات لنحو تنزه، والله تعالى أعلم.

وقال تعالى: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾ [الرحمن: ٧٠] فالخيرات جمع خيرة وهي مخففة من خيرة كسيدة ولينة.

وحسان جمع حسنة فهن خيرات الصفات والأخلاق، حسان الوجوه، وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٣٥-٣٨] الضمير عائد للنساء الدال عليهن الفرش، على أنه قيل في قوله تعالى: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٤] كناية عن النساء. لكن قوله: (مرفوعة) يأباه كما نبه عليه المحقق إلا أن يقال رفعة القدر، وصوب في «حادي الأرواح»: أن الفرش على حقيقتها ودلت

على النساء لأنها محلهن غالباً، قال قتادة: وابن جبير في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَـٰهُنَّ إِنشَآءً﴾ أي خلقناهن خلقاً جديداً.

وقال ابن عباس: يريد إنشاء الآدميات، وقال الكلبي، ومقاتل: يعني نساء أهل الدنيا العجز الشمط، يقول تعالى: خلقهن بعد الكبر والهرم بعد الخلق الأول في الدنيا، ويؤيده حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ دخل عليها وعندها عجوز فقال: «**من هذه؟** قالت: إحدى خالاتي، قال: **إنه لا يدخل الجنة العجز** فدخل العجوز من ذلك ما شاء الله، فقال ﷺ: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَـٰهُنَّ إِنشَآءً﴾ خلقاً آخر يحشرون يوم القيامة حفاة عراة غرلا وأول من يكسى خليل الرحمن ثم قرأ النبي ﷺ: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَـٰهُنَّ إِنشَآءً﴾»(١).

وذكر مقاتل أن المراد بهن الحور العين، واختاره الزجاج، أي أنشأهن سبحانه لأوليائه لم تقع عليهن ولادة، وظاهر كلام المحقق الميل إلى هذا، وأن الحديث لا يدل على اختصاص العجائز المذكورات بهذا الوصف، بل يدل على مشاركتهن للحور العين في هذه الصفات المذكورة، فلا يتوهم انفراد الحور العين، نعم هن أحق بذلك منهن، فالإنشاء واقع على الصنفين، وقوله: ﴿عُرُبًا﴾ جمع عروب، وهن المحببات إلى أزواجهن، قال أبو عبيدة العروبة الحسنة التبعل، قال في «حادي الأرواح»: يريد حسن موافقتها وملاطفتها لزوجها عند الجماع. وقال المبرد: هي

---

(١) روى الطبراني في الأوسط (٥/ ٣٥٧) رقم ٥٥٤٥ عن عائشة أن نبي الله ﷺ أتته عجوز من الأنصار فقالت: يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة، فقال نبي الله: إن الجنة لا يدخلها عجوز، فذهب نبي الله فصلى ثم رجع إلى عائشة، فقالت عائشة: لقد لقيت من كلمتك مشقة وشدة، فقال نبي الله: إن ذلك كذلك، إن الله إذا أدخلهن الجنة حولهن أبكارا».

ورواه هناد في الزهد (١/ ٥٨) رقم ٢٤، وأورده بسياق قريب من هذا البغوي في معالم التنزيل.

العاشقة لزوجها. وأنشد لبيد في ذلك:

وفي الخروج عروب غير فاحشة ريا الروادف يعشى دونها البصر

وقيل: هي الغنجة، وهي لغة المدينة، قال في «حادي الأرواح»: جمع سبحانه بين حسن صورتها وحسن عشرتها، وهذه غاية ما يطلب من النساء، وبه تكمل لذة الرجل بالمرأة التي لم يطأها سواه، وقال تعالى: ﴿كَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾ [النبأ: ٣٣] فالكواعب جمع كاعب أي الناهد، قاله قتادة ومجاهد والمفسرون، والمراد ثديهن نواهد كالرمان، ليست متدلية إلى أسفل ويسمين نواهد.

وفي صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً: «**لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها، ولقاب قوس أحدكم أو موضع قيده - يعني: سوطه - من الجنة خير من الدنيا وما فيها، ولو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لملأت ما بينهما ريحاً، ولأضاءت ما بينهما، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها**»[(١)] تقدم أن النصيف: هو الخمار.

وفي المسند عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «**للرجل من أهل الجنة زوجتان من حور العين، على كل واحدة سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء الثياب**»[(٢)].

وأخرج الطبراني عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله أخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿حُورٌ عِينٌ﴾ [الواقعة: ٢٢] قال: «**حور**

(١) رواه البخاري رقم ٢٧٩٦.

(٢) رواه أحمد (٢/ ٣٤٥) رقم ٨٥٢٣، والترمذي (٤/ ٦٧٠) رقم ٢٥٢٢ بلفظ «ردائها» بدل «وراء الثياب» وقال: هذا حديث حسن صحيح.

بيض عين ضخام العيون، شعر الحوراء بمنزلة جناح النسر قلت: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٥٨] قال: **صفاؤهن صفاء الدر الذي في الأصداف الذي لم تمسه الأيدي** قلت: أخبرني عن قوله: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾ [الرحمن: ٧٠] قال: **خيرات الأخلاق حسان الوجوه** قلت: يا رسول الله أخبرني عن قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الصافات: ٤٩] قال: **رقتهن كرقة الجلد الذي رأيته في داخل البيضة فيما يلي القشرة وهو الغرقي** قلت: يا رسول الله، أخبرني عن قوله عز وجل: ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ [الواقعة: ٣٧] قال: **هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز رمصاً شمطاً، خلقهن الله تعالى بعد الكبر، فجعلهن عذارى عرباً متعشقات محببات، أتراباً على ميلاد واحد** قلت: يا رسول الله، نساء الدنيا أفضل أم الحور العين؟ قال: **بل نساء الدنيا أفضل من الحور كفضل الظهارة على البطانة**، قلت: يا رسول الله، ومما ذلك؟ قال: **بصلاتهن وصيامهن وعبادتهن الله، ألبس الله وجوههن النور، وأجسادهن الحرير، بيض الألوان، خضر الثياب، صفر الحلي، مجامرهن الدر، وأمشاطهن الذهب، يقلن: نحن الخالدات فلا نموت، ونحن الناعمات فلا نبأس أبداً، ونحن المقيمات فلا نظعن أبداً، ونحن الراضيات فلا نسخط أبداً، طوبى لمن كنا له وكان لنا**، قلت: يا رسول الله، إن المرأة منا تتزوج زوجين والثلاثة والأربعة، ثم تموت فتدخل الجنة ويدخلون معها من يكون زوجها؟ قال: **يا أم سلمة، إنها تخير فتختار أحسنهم خلقاً، فتقول: أي رب، إن هذا كان أحسنهم معي خلقاً في دار الدنيا فزوجينيه، يا أم سلمة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة»**[1].

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٢٣/ ٣٦٧) رقم ٨٧٠، وفي الأوسط (٣/ ٢٧٨) رقم ٣١٤١، وذكره الهيثمي (١٠/ ٧٧٢) رقم ١٨٧٥٥ وقال: رواه الطبراني في الأوسط والكبير بنحوه، وفي إسنادهما سليمان بن أبي كريمة وهو ضعيف.

قال في «حادي الأرواح»: تفرد به سليمان بن أبي كريمة، ضعفه أبو حاتم، وقال ابن عدي: عامة أحاديثه مناكير، ولم أر للمتقدمين فيه كلاماً، ثم ساق هذا الحديث من طريقه، قال: ولا يعرف إلا بهذا السند.

قلت: وقد ورد خلافه، فعن حذيفة أنه قال لامرأته[١]: إن سرك أن تكون زوجتي في الجنة - إن جمعنا الله فيها - فلا تتزوجي من بعدي، فإن المرأة لآخر أزواجها، وخطب معاوية أم الدرداء فأبت وقالت: سمعت أبا الدرداء يحدث عن رسول الله ﷺ: أنه قال: «**المرأة لآخر أزواجها في الآخرة**»[٢] وقال لي: إن أردت أن تكوني زوجتي في الآخرة فلا تتزوجي من بعدي. واللّه أعلم

وأخرج أبو يعلى الموصلي، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**والذي بعثني بالحق، ما أنتم في الدنيا بأعرف بأزواجكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم، فيدخل الرجل منهم على اثنتين وسبعين زوجة، سبعين مما ينشئ الله، وثنتين من ولد آدم، لهما فضل على من أنشأ الله تعالى بعبادتهما في الدنيا، يدخل على الأولى منهما في غرفة من ياقوتة، على سرير من ذهب مكلل باللؤلؤ، عليه سبعون زوجاً من سندس وإستبرق، وإنه ليضع يده بين كتفيها، ثم ينظر إلى يده من صدرها من وراء ثيابها وجلدها ولحمها، وإنه لينظر إلى مخ ساقها كما ينظر أحدكم إلى السلك في قصبة الياقوت كبده لها مرآة، وكبدها له مرآة، فبينما هو عندها لا**

(١) في الأصل (لأمامة).
(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٣/ ٢٧٥) رقم ٣١٣٠ وفيه (في الجنة) بدل (الآخرة) ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٧٠/ ١٥٣) و(١٥٤)، (١٥٥)، عن أبي الدرداء، والخطيب في تاريخ بغداد (٩/ ٢٢٨) ولكن عن عائشة وذكره الهيثمي (٤/ ٤٩٦) رقم ٧٤٢٤ وقال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه أبو بكر بن أبي مريم وقد اختلط.

يملها ولا تمله، ولا يأتيها من مرة إلا وجدها عذراء، ما يفتر ذكره ولا تشتكي قبلها، فبينما هو كذلك إذ نودي إنا قد عرفنا أنك لا تمل ولا تُملُّ إلا أنه لا مني ولا منية، إلا أن تكون له أزواج غيرها، فيخرج فيأتيهن واحدة واحدة، كلما جاء واحدة، قالت: والله ما في الجنة شيء أحسن منك، وما في الجنة شيء أحب إليَّ منك»[١].

قال في (حادي الأرواح): وهذا قطعة من حديث الصور الذي تفرد به إسماعيل بن رافع، وقد روى له الترمذي وابن ماجه، وضعفه الإمام أحمد، ويحيى وجماعة، وقال الدارقطني وغيره: متروك، وقال ابن عدي: عامة أحاديثه فيها نظر، وقال الترمذي: يضعفه بعض أهل العلم، وسمعت محمداً يعني البخاري يقول: هو ثقة مقارب الحديث.

قال المحقق: وقال شيخنا أبو الحجاج: هذا الحديث مجموع من عدة أحاديث ساقه إسماعيل وغيره هذه السياقة، وشرحه الوليد بن مسلم في كتاب مفرد، وما تضمنه معروف في الأحاديث. انتهى كلامه. وفي صحيح ابن حبان[٢] عن أبي سعيد ﷺ مرفوعاً في قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ قال: **«ينظر إلى وجهه في خدها أصفى من المرآة، وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضيئ ما بين المشرق والمغرب، وإنه ليكون لها سبعون ثوباً ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك»**[٣].

---

(١) ذكره ابن كثير في التفسير (٤/ ٣٦٩) وانظر حكم المصنف عليه.

(٢) في حاشية الأصل/ حبان بفتح المهملة وتشديد الموحدة، كذا ضبطه النووي في شرح مسلم.

قلت: حبان هذا هو حبان بن هلال.

(٣) رواه ابن حبان في صحيحه (٦/ ٤٠٩).

وأخرج الترمذي وصححه والبزار عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**يزوج العبد في الجنة سبعين زوجة**، قيل: يا رسول الله، أيطيقها؟ قال: **يعطي قوة مائة**»(١).

وأخرج الإمام أحمد، والترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أدنى أهل الجنة منزلة الذي له ثمانون ألف خادم، واثنتان وسبعون زوجة، وينصب له قبة من لؤلؤ وياقوت وزبرجد كما بين الجابية وصنعاء**»(٢).

وأخرج البيهقي عن عبد الله بن أبي أوفى مرفوعاً قال: «**إن الرجل من أهل الجنة ليتزوج خمس مائة حوراء، وأربعة آلاف بكر، وثمانية آلاف ثيب، يعانق كل واحدة منهن مقدار عمره من الدنيا**»(٣). ثم أخرجه عن عبد الرحمن بن سابط، موقوفاً عليه وصححه، وأخرج أبو نعيم في صفة الجنة، وأبو الشيخ عن ابن أبي أوفى رضي الله عنه مرفوعاً قال: «**يزوج كل رجل من أهل الجنة بأربعة آلاف بكر، وثمانية آلاف أيم، ومائة حوراء، فيجتمعن في كل سبعة أيام فيقلن بأصوات حسان لم يسمع الخلائق بمثلهن: نحن**

---

(١) روى الترمذي في (٤/ ١٨٧) رقم ١٦٦٣ في حديث عن الشهيد «ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين» عن المقدام بن معد وقال: حديث حسن صحيح، وروى في (٤/ ٦٧٧) رقم ٢٥٣٦ «يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا من الجماع، قيل يا رسول الله: أيطيق ذلك؟ قال: يعطى قوة مائة» عن أنس وقال: هذا حديث صحيح غريب.

(٢) رواه أحمد (٣/ ٧٦) رقم ١١٧٤١، والترمذي (٤/ ٦٩٥) رقم ٢٥٦٢، وقال: هذا حديث غريب، وابن حبان في صحيحه (١٦/ ٤١٤) رقم ٧٤٠١، وأبو يعلى في مسنده (٢/ ٥٣٢) رقم ٤١٠٤، وذكره الشوكاني في كشف الخفا (١/ ٢٥٨) في كلامه على حديث رقم ٦٨٢ وقال: رواه الطبراني بإسناد قوي عن أنس ورواه الترمذي بلفظ «أدنى أهل الجنة» الحديث.

(٣) ذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٢٩٦) رقم ٥٠٧٠٧، والغزالي في إحياء علوم الدين (٤/ ٥٤١)، وقال عنه العراقي: إسناده ضعيف.

الخالدات فلا نبيد، ونحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الراضيات فلا نسخط، ونحن المقيمات فلا نظعن، طوبى لمن كان لنا وكنا له»[١].

وأخرج الطبراني في الأوسط عن أنس ﵁ قال: حدثني رسول الله ﷺ قال: «**حدثني جبريل** ﵇ **قال: يدخل الرجل على الحوراء فتستقبله بالمعانقة والمصافحة، قال رسول الله** ﷺ **فبأي بنان تعاطيه، لو أن بعض بنانها بدا لقلب ضوؤه ضوء الشمس والقمر، ولو أن طاقة من شعرها بدت لملأت ما بين المشرق والمغرب من طيب ريحها، فبينما هو متكئ معها على أريكة إذ أشرف عليه نور من فوقه، فيظن أن الله قد أشرف على خلقه، فإذا حوراء تناديه: يا ولي الله أما لنا فيك من دولة؟ فيقول: من أنت يا هذه؟ فتقول: من اللواتي قال الله تعالى :** ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥] **فيتحول عندها، فإذا عندها من الجمال والكمال ما ليس مع الأولى، فبينما هو متكئ على أريكته إذ أشرف عليه نور من فوقه، فإذا حوراء أخرى تناديه: يا ولي الله، أما لنا فيك من دولة؟ فيقول: من أنت؟ فتقول: أنا من اللواتي قال الله:** ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧] **فلا يزال يتحول من زوجة إلى زوجة»**[٢].

وعن أبي أمامة ﵁ مرفوعاً: «**ما من عبد يدخل الجنة إلا ويزوج ثنتين وسبعين زوجة، ثنتان من الحور العين، وسبعون من أهل ميراثه من أهل الدنيا، ليس منهن امرأة إلا ولها قبل شهي، وله ذكر لا ينثني»**[٣].

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (١/ ٩٩) وعزاه إلى البيهقي في البعث وتقدم نحوه ص٢٢٥ .

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٨/ ٣٦٢) رقم ٨٨٧٧، وذكره الهيثمي (١٠/ ٧٧٣) رقم ١٨٧٥٦ وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه سعيد بن زربي وهو ضعيف.

(٣) رواه ابن ماجه في (٢/ ١٤٥١) رقم ٤٣٣٧ وفيه «من أهل النار» بدل «من أهل الدنيا» وقال: في الزوائد في إسناده مقال، وخالد بن يزيد بن أبي مالك وثقه العجلي، وأحمد بن صالح المصري ضعفه أحمد وابن معين وأبو داود والنسائي. . . وغيرهم.

وأخرج أبو نعيم عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**للمؤمن في الجنة ثلاث وسبعون زوجة** فقلنا: يا رسول الله، أو له قوة ذلك؟ قال: **إنه ليعطى قوة مائة**»(١).

وأخرج الطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله هل نصل إلى نسائنا في الجنة؟ فقال: «**إن الرجل ليصل في اليوم إلى مائة عذراء**»(٢) قال محمد بن عبد الواحد المقدسي: رجال هذا الحديث عندي على شرط الصحيح.

وأخرج أبو الشيخ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قيل يا رسول الله أنفضي إلى نسائنا في الجنة كما نفضي إليهن في الدنيا؟ قال: «**والذي نفس محمد بيده إن الرجل ليفضي في الغداة الواحدة إلى مائة عذراء**»(٣).

قلت: ذكر هذه الأحاديث الإمام المحقق في «حادي الأرواح» بأسانيدها، وتكلم على رجالها وفي الجملة هي أحاديث مقبولة، وإن تكلم في رجالها - والله تعالى أعلم - إن كثرتها مع تباين طرقها يدل على ثبوتها وليست موضوعة جزماً، ثم قال في «حادي الأرواح» عقب ذكرها: والأحاديث الصحيحة إنما فيها: إن لكل منهم زوجتين، وليس في الصحيح زيادة على ذلك، فإن كانت هذه الأحاديث محفوظة فإما أن يراد بها ما لكل واحد من السراري زيادة على الزوجتين، ويكونون في ذلك على حسب منازلهم في القلة والكثرة، كالخدم والولدان، وإما أن يراد أنه يعطي المؤمن

---

(١) روى نحوه أبو نعيم في الحلية (٨/ ١١٦) وسبق نحوه ص ٢٢٨.

(٢) رواه الطبراني في الصغير (٢/ ٦٨) رقم ٧٩٥، وفي الأوسط (٥/ ٢٦٣) رقم ٥٢٦٧، وأبو يعلى في مسنده (٤/ ٣٢٦) رقم ٢٤٣٦، وذكره الهيثمي (١٠/ ٧٧٠) رقم ١٨٧٤٦ وقال: رواه أبو يعلى وفيه زيد بن أبي الحواري وقد وثق على ضعف وبقية رجاله ثقات.

(٣) الطبراني في الأوسط (١/ ٢١٩) رقم ٧١٨ عن أبي هريرة، وانظر تخريج الحديث السابق.

قوة من يجامع هذا العدد ويكون هذا هو المحفوظ، ورواه بعض هؤلاء بالمعنى، فقال له كذا وكذا زوجة، وقد روى الترمذي عن أنس رضي الله عنه : «يعطى المؤمن قوة كذا وكذا من الجماع»[١].

قلت: والأول أظهر، ولا ينبغي أن يظن بأئمة الحديث النقاد والحفاظ أن يسري إليهم هذا الوهم في جملة هذه الأحاديث، سيما وقد علمت أن الحفاظ نصوا على تصحيح بعضها، ولا ريب أن للمؤمن أكثر من اثنتين في الجنة جزماً، لما في الصحيحين من حديث عبد الله بن قيس رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**إن للعبد المؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة مجوفة، طولها ستون ميلًا، للعبد المؤمن فيها أهلون يطوف عليهم لا يرى بعضهم بعضاً**»[٢].

تنبيه:

الظاهر أن حديث أبي أمامة مقلوب، وأن الاثنتين من نساء الدنيا، والسبعين من الحور العين، والله تعالى أعلم.

❊ ❊ ❊

(١) الترمذي (٤/ ٦٧٧) رقم ٥٣٦، وقال: هذا حديث صحيح غريب.
(٢) سبق ص ٢١٣ .

فصل

وأما المادة التي خلق منها الحور العين، فقد روى البيهقي عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**الحور العين خلقن من الزعفران**»[١] قال البيهقي: منكر، قال المحقق: لكن فيه شعبة، أي: وشعبة لا يروى المناكير.

وأخرج الطبراني عن أبي أمامة مرفوعاً: «**خلق الحور العين من الزعفران**»[٢] قال الطبراني: تفرد به علي بن الحسين بن هارون، قال المحقق: وروي عن مجاهد موقوفاً، وهو أشبه بالصواب، ومن طريق أوقفه على ابن عباس، قال المحقق: ولا يصح رفعه، وحسبه أن يصل إلى ابن عباس، أي يكفيه ذلك لجلالة قدر ابن عباس رضي الله عنهما وفخامة شأنه.

وقال أبو سلمة بن عبد الرحمن: إن لولي الله في الجنة عروساً لم يلدها آدم ولا حواء، ولكن خلقت من الزعفران، وهذا مروي عن صحابيين، وهما: أنس وابن عباس رضي الله عنهما، وعن تابعيين وهما: أبو سلمة، ومجاهد، قاله المحقق، قال: وبكل حال فهن من المنشآت في الجنة، ليس مولودات من الآباء والأمهات، ورواه أبو نعيم عن أنس يرفعه: «**لو أن حوراء بصقت في سبعة أبحر لعذبت البحار من عذوبة فمها، وخلق الحور**

---

(١) رواه الخطيب في تاريخ بغداد (٧/ ٩٨) في ترجمة بنان بن سليمان رقم ٣٥٤٠، والطبري موقوفاً على مجاهد، وذكره الهندي في كنز العمال (١٤/ ٥١٨) رقم ٣٩٤٦٣ وعزاه لابن مردوية والخطيب وانظر الحديث التالي.

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٨/ ٢٠٠) رقم ٧٨١٣ والأوسط (١/ ٩٥) رقم ٢٨٨، وذكره الهيثمي (١٠/ ٧٧٦) رقم ١٨٧٦٣ وقال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفي إسنادهما ضعفاء.

العين من الزعفران»(١) قال في «حادي الأرواح»: وإذا كانت هذه الخلقة التي هي من أحسن الصور وأجملها مادتها من تراب، وجاءت الصورة من أحسن الصور، فما الظن بصورة مخلوقة من مادة الزعفران الذي هناك؟ فالله المستعان.

وأخرج أبو نعيم عن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**سطع نور في الجنة، فرفعوا رءوسهم، فإذا هو من ثغر حوراء ضحكت في وجه زوجها**»(٢).

وإلى هذا أشار من قال:

فلو أن حوراء في الدياجي تبسمت ... لجلى دجى الظلماء في الأرض نورها
ولو مزج الماء الأجاج بريقها ... لأصبح عذباً سلسبيلًا بحورها

قال في «حادي الأرواح»، عن كثير بن مرة قال: إن من المزيد أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول: فماذا تريدون أن أمطركم؟ فلا يتمنون شيئاً إلا مطروا قال: يقول كثير: لأن أشهدني الله ذلك لأقولن: أمطرينا جوارٍ مزينات.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن في الجنة نهراً يقال له البيذخ، عليه قباب من ياقوت، تحته جوار ناشئات يقول أهل الجنة:

---

(١) ذكر السيوطي في الدر المنثور موقوفاً على ابن عباس قوله «لو أن امرأة من نساء أهل الجنة بصقت في سبعة أبحر كانت تلك الأبحر أحلى من العسل» وذكره المنذري في الترغيب والترهيب بصيغة التمريض (٤/ ٢٩٩) رقم ٥٧١٧ .

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٦/ ٣٧٤)، والخطيب في تاريخ بغدادج (١١/ ١٦٢)، وذكره ابن حجر في لسان الميزان (٢/ ٣٤٤) في ترجمة حلبس الكلابي رقم ١٤٠٠ وقال عنه نقلًا عن ابن عدي: منكر الحديث، وكذا ابن عدي في الكامل (٢/ ٤٥٧) في ترجمة حلبس رقم ٥٦٧ وقال عنه: منكر الحديث عن الثقات.

انطلقوا بنا إلى البيذخ، فيجيئون فيتصفحون تلك الجواري، فإذا أعجب رجل منهن جارية مس معصمها فتتبعه.

وأخرج ابن المبارك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنا جلوساً مع كعب يوماً، فقال: لو أن يداً من الحوراء دليت من السماء لأضاءت لها الأرض كما تضيء الشمس لأهل الدنيا، قال: إنما قلت يدها، فكيف بالوجه في بياضه وحسنه وجماله.

وأخرج الإمام أحمد عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه، قاتلك الله، فإنما هو عندك دخيل، يوشك أن يفارقك إلينا**»[١].

وفي مراسيل عكرمة، عن النبي ﷺ: «**إن الحور العين لأكثر منكن عدداً يدعون لأزواجهن، يقلن: اللهم أعنه على دينك، وأقبل بقلبه على طاعتك، وبلغه معرفتك، يا أرحم الراحمين**»[٢]. ذكره ابن أبي الدنيا.

وفي (حادي الأرواح) عن ابن مسعود رضي الله عنه: إن في الجنة حوراء يقال لها اللعبة، كل حور الجنان يعجبن بها، يضربن بأيديهن على كفتها ويقلن: طوبى لك يا لعبة، لو يعلم الطالبون لك لجدوا، بين عينيها مكتوب: من كان يبتغي أن يكون له مثلي، فليعمل برضا ربي.

وقال الحضرمي: قمت أنا وأبو حمزة على سطح، فجعلت أنظر إليه

---

(١) رواه أحمد (٥/ ٢٤٢) رقم ٢٢١٥٤، وابن ماجه (١/ ٦٤٩) رقم ٢٠١٤، والطبراني في الكبير (٢٠/ ١١٣) رقم ٢٢٤ والترمذي (٣/ ٤٧٦) رقم ١١٧٤ وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٢) ذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٢٩٩) رقم ٥٧١٩، وصدَّره بصيغة التمريض وقال في آخره: رواه ابن أبي الدنيا مرسلًا.

يتقلب على فراشه إلى الصباح، فقلت: يا أبا حمزة ما رقدت الليلة؟ فقال: إني لما اضطجعت تمثلت لي حوراء حتى كأني أحسست بجلدها قد مس جلدي، فحدثت به أبا سليمان، فقال: هذا رجل كان مشتاقاً يعني: والشوق لا يزال بصاحبه حتى يريه مطلوبه، ويمثل له محبوبه، كما قال عتبة:

أراكم بقلبي من مكان بعيدة ... فيا هل تروني بالفؤاد على بعد
فؤادي وطرفي يأسفان عليكم ... وعندكم روحي وذكركم عندي
ولست ألذ العيش حتى أراكم ... ولو كنت في الفردوس في جنة الخلد

وقال غيره:

خيالك في عيني وذكرك في فمي ... ومثواك في قلبي فأين تغيب

وقال أحمد بن أبي الحواري: حدثني جعفر بن محمد قال: لقي حكيم حكيماً، فقال: أتشتاق للحور العين؟ فقال: لا، قال: فاشتق إليهن فإن نور وجوههن من نور الله، فغشي عليه، فحمل إلى منزله، فجعلنا نعوده شهراً.

وقال: ابن أبي الحواري: سمعت أبا سليمان يقول: نشئ خلق الحور العين إنشاء فإذا تكامل خلقهن، ضربت عليهن الملائكة الخيام.

وذكر ابن أبي الدنيا عن صالح المري، عن يزيد الرقاشي، قال: بلغني أن نوراً سطع في الجنة لم يبق موضع من الجنة إلا دخل من ذلك فيه، فقيل ما هذا؟ قيل: حوراء ضحكت في وجه زوجها، قال صالح فشهق رجل من ناحية المجلس، فلم يزل يشهق حتى مات. فنسأل الله سبحانه أن يرزقنا منهن ما تقر به العيون، وتنشرح به الصدور، بمنه وكرمه.

* * *

فصل

وأما نكاحهم، ووطؤهم، والتذاذهم فقد قال ﷺ: «**إن الرجل ليصل في اليوم إلى مائة عذراء**»[١] إسناده صحيح، وأخرج ابن وهب عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله أنطأ في الجنة؟ قال: «**نعم، والذي نفسي بيده دحماً دحماً**[٢]، **فإذا قام عنها رجعت مطهرة بكراً**»[٣].

ورواه الطبراني عن أبي أمامة بلفظ: سئل رسول الله ﷺ هل يتناكح أهل الجنة؟ قال: «**بذكر لا يمل وشهوة لا تنقطع دحماً دحماً**»[٤] وفي رواية زيادة: «**ولكن لا مني ولا منية**»[٥] أي: لا إنزال ولا موت.

وأخرج الحاكم عن الأوزاعي في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ﴾ [يس: ٥٥] قال: شغلهم افتضاض الأبكار، وقال مقاتل: شغلوا بافتضاض الأبكار عن أهل النار، فلا يذكرونهم ولا يهتمون لهم. وكذا قال ابن عباس وغيره من المفسرين، وأخرج ابن أبي الدنيا عن سعيد ابن جبير: إن شهوته لتجري في جسده سبعين عاماً يجد اللذة، ولا يلحقهم بذلك جنابة فيحتاجون إلى التطهير، ولا ضعف ولا انحلال قوة، بل

---

(١) سبق ص ٢٣٠ .

(٢) الدَّحْمُ: الدفع الشديد - لسان العرب مادة: دحم. وفي النهاية: دَحْماً دَحْماً: هو النكاح والوطء بدفع وإزعاج. النهاية مادة: دحم.

(٣) رواه ابن حبان في صحيحه (١٦/ ٤١٥) رقم ٧٤٠٢ .

(٤) المعجم الكبير (٨/ ١٦٠) رقم ٧٦٧٤ .

(٥) الطبراني في الكبير (٨/ ٩٦) رقم ٧٤٧٩، وعبد الرزاق في مصنفه (١١/ ٤٢٠) رقم ٢٠٨٨٧، وذكر هذه الروايات الهيثمي (١٠/ ٧٧٠ رقم ١٨٧٤٦، ١٨٧٤٧، ١٨٧٤٨، ١٨٧٤٩ وقال: رواها كلها الطبراني بأسانيد ورجال بعضها وثقوا على ضعف في بعضهم.

وطؤهم وطء التذاذ نعيم لا آفة فيه بوجه من الوجوه، وأكمل الناس فيه لذة أصونهم لنفسه في هذه الدار عن الحرام، فكما أن من شرب الخمر في الدنيا لم يشرب في الآخرة، ومن لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة، ومن أكل في صحاف الذهب والفضة في الدنيا لم يأكل فيها في الآخرة، كما قال النبي ﷺ: «**إنها لهم في الدنيا، ولكم في الآخرة**»(١)، فمن استوفى طيباته والتذاذته وأذهبها في هذه الدار المضمحلة حرمها هناك كما نفى سبحانه وتعالى عمن أذهب طيباته في الدنيا واستمتع بها النعيم ثَم اللذة وأذاقهم عذاب الهون، فالدنيا والآخرة ككفتي الميزان ما زيد في إحداهما كان نقصاً وبخساً من الأخرى، ولهذا كان الصحابة ﷺ ومن تبعهم يخافون من ذلك أشد الخوف.

وذكر الإمام أحمد - طيب الله ثراه - عن جابر بن عبد الله ﷺ أنه رآه الإمام عمر ﷺ ومعه لحم قد اشتراه لأهله. فقال: ما هذا؟ قال: لحم، اشتريته لأهلي بدرهم، فقال: أوكلما اشتهى أحدكم شيئاً اشتراه، أما سمعت الله تعالى يقول: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾ [الأحقاف: ٢٠].

وأخرج الإمام أحمد قدس الله روحه قال: قدم وفد أهل البصرة مع أبي موسى ﷺ على عمر رضوان الله عليه، قال بعض الوفد: فكنا ندخل عليه كل يوم وله خبز ثلاثة أيام ربما وافقناها مأدومة بالسمن، وربما وافقناها مأدومة بالزيت، وربما وافقناها مأدومة باللبن، وربما وافقناها القدائد اليابسة، قد دقت ثم أغلي بها، وربما وافقنا اللحم الغريض وهو قليل، فقال ذات يوم: إني والله قد أرى تعذيركم وكراهتكم لطعامي، إني

---

(١) رواه البخاري رقم ٥٦٣٣، ٥٨٣١ .

والله لو شئت لكنت من ألينكم طعاماً وأرقكم عيشاً، ولكني سمعت الله تعالى عيَّر قوماً بأمر فعلوه، فقال: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾ [الأحقاف: ٢٠] فمن ترك اللذة المحرمة استوفاها يوم القيامة أكمل ما تكون، ومن استوفاها هاهنا حرمها ثَمَّ، أو نقص كمالها، فلا يجعل الله لذة من عكف على معاصيه ومحارمه كلذة من ترك شهوته لله أبداً.

قلت: وبالجملة كل من ترك شيئاً لله عوضه خيراً منه، أو عوضه ذلك الشيء بنفسه على وجه مباح شرعي، وقد حكى الإمام الحافظ ناصر السنة أبو الفرج ابن الجوزي - طيب الله ثراه - في كتابه «التبصرة» عن بعض السلف قال: كان لنا جار من المتعبدين قد برز في الاجتهاد فصلى حتى تورمت قدماه، وبكى حتى مرضت عيناه، فاشترى جارية وكانت تحسن الغناء وهو لا يعلم، فبينما هو في محرابه رفعت صوتها بالغناء فطار لبه، ورام ما هو عليه من التعبد فلم يقدر عليه، فقالت له الجارية: يا مولاي، لقد أبليت شبابك، ورفضت لذات الدنيا في أيام حياتك، فلو تمتعت بي؟ فمال إلى قولها وترك التعبد، واشتغل بفنون اللذات فبلغ ذلك أخاً له كان يوافقه في العبادة فكتب إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم، من الناصح الشفيق، والطبيب الرفيق إلى من سلب حلاوة الذكر والتلذذ بالقرآن، بلغني أنك اشتريت قينة بعت بها حظك من الآخرة، فإن كنت بعت الجزيل بالقليل، والقرآن بالقيان، فإني محذرك هاذم اللذات، ومنغص الشهوات، فكأنه قد جاءك على غرة، فأبكم منك اللسان، وهدم منك الأركان، وقرب منك الأكفان، واحتوشك الأهل والجيران، وأحذرك من الصيحة إذا جثت الأمم لملك جبار، ثم طوي الكتاب وبعثه إليه فوافاه وهو على مجلس سروره، فأذهله وأغصه بريقه، فنهض من مجلسه وعاد إلى اجتهاده حتى مات، فقال الذي وعظه، فرأيته في

المنام بعد ثلاث. فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال شعر:

الله عوضني ذو العرش جارية حوراء تغنيني طوراً وتسقيني
تقول لي اشرب بما قد كنت تأملني وقر عيناً مع الولدان والعين
يا من تخلي عن الدنيا وأزعجه عن الخطايا وعيد في الطواسين

وقد ذكرت لهذا يعني «من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه» باباً في مجموعي نديم الندماء، وذكرت ثَمَّ أشياء تُوفِي بالمراد، فعلى العاقل أن يستدرك ما فات من الهفوات، وأن ينخلع عن المساوئ والآفات، وأن لا ينهمك في زخارف الدنيا الدنيئة واللذات، فإن ذلك يجلب الندامة، ويورث المهالك والعاهات يوم القيامة، هذا وباب التوبة مفتوح لمن طلبه، والمولى صفوح لمن ترك من أجله ذنبه، شعر:

مولاي جئتك والرجاء قد استجار بحسن ظني
أبغي فواضلك التي تمحو بها ما كان مني
فانظر إليَّ بحق لطفك يا إلهي واعف عني
لا تخزني يوم المعاد بما جنيت ولا تهني

***

فصل

وأما اختلاف الناس: هل في الجنة حمل أم لا؟

فقد أخرج الترمذي في جامعه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«المؤمن إذا اشتهى الولد في الجنة كان حمله ووضعه، وسنه في ساعة واحدة كما يشتهي»**(١) قال الترمذي: حسن غريب.

وقد اختلف أهل العلم في هذا، فقال بعضهم في الجنة جماع ولا يكون ولد، هكذا روي عن طاوس ومجاهد وإبراهيم النخعي.

وقال البخاري: قال إسحاق بن إبراهيم في حديث النبي ﷺ: **«إذا اشتهى المؤمن الولد في الجنة كان في ساعة كما يشتهي، ولكن لا يشتهي»** قال البخاري: وقد روي عن أبي رزين العقيلي، عن النبي ﷺ قال: **«إن أهل الجنة لا يكون لهم ولد»**(٢) انتهى. كلام الترمذي.

قال في «حادي الأرواح»: قلت: إسناد حديث أبي سعيد على شرط الصحيح، فرجاله يحتج بهم فيه، ولكنه غريب جداً، وتأويل إسحاق فيه نظر، فإنه قال: إذا اشتهى المؤمن، فإذا للمتحققق الوقوع، ولو أريد ما ذكره من المعنى لقال: لو اشتهى المؤمن الولد لكان حمله في ساعة، فإن ما لا يكون أحق بأداة «لو»، كما أن المحقق الوقوع أحق بأداة «إذا».

وقد أخرج أبو نعيم عن أبي سعيد رضي الله عنه قيل: يا رسول الله ﷺ أيولد

---

(١) رواه الترمذي (٤/ ٦٩٥) رقم ٢٥٦٣، وقال: هذا حديث حسن غريب، وابن ماجه (٢/ ١٤٥٢) رقم ٤٣٣٨، والدارمي (٢/ ٤٣٤) رقم ٢٨٣٤، وأحمد (٣/ ٩) رقم ١١٠٧٨، وابن حبان في صحيحه (١٦/ ٤١٧) رقم ٧٤٠٤ .

(٢) الترمذي في تخريج الحديث السابق.

لأهل الجنة فإن الولد من تمام السرور؟ فقال: «**نعم، والذي نفسي بيده، وما هو إلا كقدر ما يتمنى أحدكم، فيكون حمله ورضاعه، وشبابه**»[١] وأخرج في «حادي الأرواح» بسنده عنه نحوه، إلا أنه قال: «**فيكون حمله وفصاله وشبابه في ساعة واحدة**» ورواه الحاكم وهو ضعيف كما قال البيهقي.

وفي حديث لقيط الطويل قلت: يا رسول الله، ولنا فيها - يعني الجنة - أزواج أو منهن مصلحات؟ قال: «**الصالحات للصالحين تلذوا بهن مثل لذاتكم في الدنيا، ويلذذنكم غير أن لا توالد**»[٢]. قال لقيط: أقصى ما نحن بالغون ومنتهون إليه؟ فلم يجبه النبي ﷺ، الحديث.

قال المحقق: هذا حديث كبير مشهور، وعليه من الجلالة والمهابة ونور النبوة ما ينادي على صحته، وقال في (الهدي): بعد سياقه حديث الوفد من أوله، هذا حديث كبير جليل تنادي جلالته وفخامته وعظمته على أنه قد خرج من مشكاة النبوة، لا يعرف إلا من حديث عبد الرحمن بن المغيرة ابن عبد الرحمن المدني، رواه عنه إبراهيم بن حمزة الزبيري، وهما من كبار علماء المدينة ثقتان محتج بهما في الصحيح، احتج بهما إمام أهل الحديث محمد بن إسماعيل البخاري، ورواه أئمة السنة في كتبهم، وتلقونه[٣] بالقبول وقابلوه بالتسليم والانقياد، ولم يطعن أحد منهم فيه، ولا

(١) ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٤/ ٥٤٢) وقال عنه العراقي: أخرجه ابن ماجه والترمذي وقال: حسن غريب، ولم أقف عليه عند من ذكرهم المصنف وذكره الألوسي في روح المعاني (١٦/ ١٣٢).

(٢) جزء من حديث رواه الحاكم (٤/ ٦٠٥) رقم ٨٦٨٣، والطبراني في الكبير (١٩/ ٢١١) رقم ٤٧٧، وأحمد (٤/ ١٣) رقم ١٦٢٥١، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٦١١) رقم ١٨٣٥١ وقال: رواه عبد الله والطبراني بنحوه وأحد طريقي عبد الله إسنادها متصل ورجالها ثقات.

(٣) كذا بالأصل.

في أحد من رواته، فممن رواه الإمام ابن الإمام أبو عبد الرحمن عبد الله بن الإمام أحمد في مسند أبيه، وفي كتاب السنة، والحافظ الجليل أبو بكر بن عمرو، والحافظ أبو أحمد محمد بن أحمد بن إبراهيم، والحافظ الطبراني والحافظ أبو عبد الله ابن محمد بن حبان أبو الشيخ الأصبهاني في كتاب السنة، والحافظ ابن الحافظ أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن منده حافظ أصبهان، والحافظ ابن مردويه، والحافظ أبو نعيم وجماعة من الحفاظ، ثم قال: ولا ينكر هذا الحديث إلا جاحد أو جاهل، أو مخالف للكتاب والسنة. هذا كلام أبي عبد الله بن منده، رحمه الله تعالى، قلت: وأنا أذكر الحديث بطوله أُجَمِّلُ به مجموعي هذا متبركاً به ومقتدياً بهؤلاء الأعلام، فأقول: أخرج هؤلاء الأعلام المذكورون عن عاصم بن لقيط: أن لقيطاً ﵁ خرج وافداً إلى رسول الله ﷺ ومعه صاحب له يقال له نهيك بن عاصم بن مالك، قال لقيط بن عامر ﵁ خرجت أنا وصاحبي حتى قدمنا على رسول الله ﷺ فوافيناه حين انصرف من صلاة الغداة، فقام في الناس خطيباً، فقال: «**يا أيها الناس، ألا إني قد خبأت لكم صوتي منذ أربعة أيام لتسمعوا اليوم، ألا فهل من امرئ بعثه قومه فقالوا: اعلم لنا ما يقول رسول الله ﷺ إلا ثم؟ لعله أن يلهيه حديث نفسه، أو حديث صاحبه، أو يلهيه الضلال، ألا إني مسئول: هل بلغت، ألا اسمعوا تعيشوا، ألا اجلسوا، ألا اجلسوا، فجلس الناس، - وقمت أنا وصاحبي حتى إذا فرغ لنا فؤاده وبصره قلت: يا رسول الله، ما عندك من علم الغيب؟ فضحك لعمر الله وهز رأسه، وعلم أني أبتغي سقطه- فقال: ضن ربك بمفاتيح خمس من الغيب لا يعلمها إلا الله**، وأشار بيده، قلت: وما هي؟ قال: **علم المَنِيَّةِ، قد علم متى منية أحدكم، ولا تعلمونه، وعلم المَنِيِّ حتى يكون في الرحم ولا تعلمونه، وعلم ما في غد ما أنت طاعم غداً ولا تعلمه، ويعلم يوم الغيث يشرف عليكم أزلين مشفقين، فيظل يضحك قد علم أن غوثكم إلى قريب.**

قال لقيط: فقلت: لن نعدم من رب يضحك خيراً يا رسول الله، قال: وعلم يوم الساعة متى تكون؟ قلت: يا رسول الله، علِّمْنا مما تعلم الناس، فإنَّا من قبيل لا يصدق تصديقنا أحد مذحج التي تربوا علينا، وخثعم التي توالينا، وعشيرتنا التي نحن منها، قال: تلبثون ما لبثتم، ثم يتوفى نبيكم، ثم تلبثون ما لبثتم ثم تبعث الصائحة لعمر إلهك لا تدع على ظهرها شيئاً إلا مات، والملائكة الذين مع ربك عز وجل، فأصبح ربك يطوف في الأرض، وخلت عليه البلاد، فأرسل ربك السماء بهضب أي: مطر من عند العرش، فلعمر إلهك ما تدع على ظهرها من مصرع قتيل، ولا مدفن ميت إلا شقت القبر عنه حتى تخلفه من عند رأسه فيستوي جالساً، فيقول ربك مهيم؟ لما كان فيه، يقول: يا رب أمس اليوم ولعهده بالحياة يحسبه حديثاً بأهله، فقلت: يا رسول الله كيف يجمعنا بعدما تمزقنا الرياح والبلى والسباع؟ قال: أنبئك بمثل ذلك في آلاء الله، الأرض أشرفت عليها وهي مدرة بالية؟ فقلت: لا تحيا أبداً، ثم أرسل ربك عليها السماء فلم تلبث عليك إلا أياماً حتى أشرفت عليها، وهي شربة واحدة، ولعمر إلهك لهو أقدر على أن يجمعهم من الماء على أن يجمع نبات الأرض، فيخرجون من الأصواء[1] من مصارعهم، فتنظرون إليه وينظر إليكم، قال: قلت: يا رسول الله، فكيف ونحن ملء الأرض وهو شخص واحد ينظر إلينا وننظر إليه؟ قال: أنبئك بمثل ذلك في آلاء الله، الشمس والقمر آية منه صغيرة ترونهما ويريانكم ساعة احدة ولا تضارون في رؤيتهما، ولعمر إلهك لهو أقدر على أن يراكم وترونه منهما، قلت: يا رسول الله فما يفعل بنا ربنا إذا لقيناه؟ قال: تعرضون عليه بادية له صفحاتكم لا تخفى عليه منكم خافية، فيأخذ ربك عز وجل بيده غرفة من الماء فينضح قبلكم بها، لعمر إلهك ما

---

(١) في الأصل (الأضواد).

تخطئ وجه أحدكم منها قطرة، فأما المسلم فتدع وجهه مثل الريطة البيضاء، وأما الكافر فتخطمه مثل الحميم الأسود، ألا ثم ينصرف نبيكم ﷺ ويفرق على أثره الصالحون، فيسلكون جسراً من النار فيطأ أحدهم الجمرة، يقول: حس، فيقول ربك عز وجل أوانه: ألا فتطلعون على حوض الرسول ﷺ على أظماء والله ناهلة قط رأيتها، فلعمر إلهك ما يبسط واحد منكم يده إلا وقع عليها قدح يطهره من الطوف والبول والأذى، وتخنس الشمس والقمر، فلا ترون منهما أحداً، قال: قلت: يا رسول الله فما نبصر؟ قال: **بمثل بصرك ساعتك هذه، وذلك مع طلوع الشمس في يوم أشرقته الأرض، ثم واجهته الجبال**، قال: قلت: يا رسول الله، فبما نجزى من حسناتنا، وسيئاتنا. قال: **الحسنة بعشر أمثالها، والسيئة بمثلها إلا أن يعفو**، قلت: يا رسول الله، ما الجنة ما النار؟ قال: **لعمر إلهك إن للنار سبعة أبواب، ما منهن بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاماً، وأن للجنة ثمانية أبواب ما منهن بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاماً**، قلت: يا رسول الله فعلام نطلع من الجنة؟ قال: **على أنهار من عسل مصفى، وأنهار من خمر، ما بها صداع ولا ندامة، وأنهار من لبن ما تغير طعمه، وماء غير آسن وفاكهة، ولعمر إلهك مما تعلمون، وخير من مثله معه، وأزواج مطهرة**، قلت: يا رسول الله أولنا فيها أزواج، أو منهن مصلحات؟ قال: **الصالحات للصالحين، وفي لفظ: المصلحات للمصحلين، تلذذونهن ويلذذنكم مثل لذاتكم في الدنيا غير أن لا توالد.**

قال لقيط: فقلت يا رسول الله، أقصى ما نحن بالغون ومنتهون إليه؟ فلم يجبه النبي ﷺ قال: قلت: يا رسول الله، علام أبايعك؟ فبسط النبي ﷺ يده وقال: **على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وزيال الشرك، وألا تشرك بالله إلهاً غيره** قلت: يا رسول الله، وإن لنا ما بين المشرق والمغرب؟

فقبض رسول الله ﷺ يده، فظن أني مشترط ما لا يعطينه، قال: قلت: نحل منها حيث شئنا ولا يجني على أمرئ إلا نفسه، فبسط يده، وقال: لك ذلك تحل حيث شئت ولا يجني عليك إلا نفسك، قال: فانصرفنا عنه، ثم قال: **ها إن ذين، ها إن ذين،** مرتين **من اتقى الناس في الدنيا والآخرة وفي لفظ: في الأولى والآخرة.**

فقال له كعب بن الحدارية أحد بني بكر بن كلاب: من هم يا رسول الله؟ قال: **بنو المنتفق، بنو المنتفق - ثلاثاً - أهل ذلك منهم،** قال: فانصرفنا وأقبلت عليه وقلت: يا رسول الله، هل لأحد ممن مضى من خير في جاهليتهم؟ فقال: **رجل من عرض قريش، والله إن أباك المنتفق لفي النار، قال: فكأنه وقع حر بين جلد وجهي ولحمه مما قال لأبي على رءوس الناس».** فهممت أن أقول: وأبوك يا رسول الله؟ ثم إذا الأخرى أجمل، فقلت: يا رسول الله، وأهلك؟

قال: **وأهلي لعمر الله، ما أتيت عليه من قبر عامري، أو قرشي من مشرك فقل: أرسلني إليك محمد، فأبشرك بما يسوءك تجر على وجهك وبطنك في النار،** قال: قلت: يا رسول الله، ما فعل بهم ذلك وقد كانوا على عمل لا يحسنون إلا إياه وكانوا يحسبون أنهم مصلحون؟ قال: **ذلك بأن الله بعث في آخر كل سبع أمم نبياً، فمن عصى نبيه كان من الضالين، ومن أطاع نبيه كان من المهتدين»**[(١)].

* * *

(١) انظر الحديث السابق وانظر تعليق المصنف عليه منقولاً عن ابن القيم في (زاد المعاد).

فصل

في الإشارة إلى غريب هذا الحديث العظيم.

تقدم قوله بهضب: أي مطر، والأصواء: القبور، والسقطة: الهفوة، والشربة بفتح الراء الحوض الذي يجتمع فيه الماء، وبالسكون: الحنظلة، يريد إن الماء قد كثر فمن حيث شئت تشرب، وعلى رواية السكون يكون شبه الأرض بخضرتها بالنبات بخضرة الحنظلة واستوائها.

قوله: ضن ربك بمفاتيح خمس أي كتم علم خمس، وأصل الضن: البخل، فتقول العرب: ضننت بالشيء بكسر النون لتضن به ضنوناً وضنا وضنانة، فأنا ضنين أي بخيل، وضننت أضن لغة، ومنه حديث زمزم: «أحفرن المضونة» أي التي يضن بها لنفاستها، وعزتها.

واعلم أنه لا يجوز إطلاق البخل على الله - تعالى اللَّه عن ذلك - فالمراد أن الله كتم علم خمس من الغيب أو نحو ذلك، فالله أعلم بمراده، والمنية: الموت، والمني: هو ماء الرجل الخارج دفقاً بلذة، والرحم بيت الولد، ويشرف يعني الغيث الذي هو المطر يقرب.

وقوله: أزلين: بسكون الزاء الشدة، والأزل على وزن كتف هو الذي قد أصابه الأزل، وأشد به حتى كاد يسقط.

وقوله: فيظل يضحك، هذا من صفات أفعاله تعالى التي لا يشبهه فيها شيء من مخلوقاته كصفات ذاته، وكذا فأصبح ربك يطوف في الأرض ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢] وجميع ما ثبت بالكتاب والسنة الصحيحة، فأهل الأثر وجميع السلف يؤمنون به ويكلونه إليه سبحانه من غير تحريف ولا

تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل إذ هم جازمون بأن ليس كمثله شيء لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أقواله، ولا في أفعاله، فالمشبه يعبد صنماً، والمعطل يعبد عدماً، وعلماء الخلف يؤولون ذلك، وأبت الجهمية إلا التعطيل، فعليهم ما يستحقون من المولى الجليل، والجسر: الصراط.

وقوله: حس كلمة يقولها الإنسان إذا أصابه على غفلة ما يحرقه أو يؤلمه، قال الأصمعي رَحِمَهُ اللَّهُ وهي مثل مثل أوه، وقوله: يقول ربك أوانه. قال ابن قتيبة: فيه قولان: أحدهما: أن يكون (أونه) بمعنى نعم، والآخر أن يكون الخبر محذوفاً. كأنه قال: أنتم كذلك، أوانه على ما يقول، والطوف هو الغائط. ومنه «لا يصلي أحدكم وهو يدافع الطوف والبول»[(١)].

وفي النهاية ما نصه، قوله: ما يبسط أحدكم يده إلا وقع عليها قدح مطهرة من الطوف والأذى، الطوف: الحدث من الطعام، والمعنى أن من شرب تلك الشربة طهر من الحدث والأذى، وأنث القدح، لأنه ذهب بها إلى الشربة.

ومنه الحديث: «نهى عن متحدثين على طوفهما»[(٢)] أي عند الغائط انتهى. وقوله: فلعمر إلهك: هو قسم بحياة الرب جل جلاله، وفيه جواز القسم بصفاته وانعقاد اليمين بذلك، وأنها قديمة. وقوله: ثم تجيء الصائحة، يعني: صيحة البعث ونفخته.

وقوله: حتى يخلف من عند رأسه، هو من أخلف الزرع إذا نبت بعد

---

(١) ذكره الهندي في كنز العمال (٨/ ١٧٩) رقم ٢٢٤٦٤ بلفظ «لا يصلين أحدكم وهو يدافع بولا وطوفاً» موقوفاً على ابن عباس.

(٢) أخرجه ابن عدي في الكامل (٦/ ٢٥٩) في ترجمة محمد بن أبي نعيم الواسطي رقم ١٧٣٨، وقال عنه نقلًا عن يحيى بن معين: كذاب خبيث.

حصاده، شبه نشأة الآخرة باختلاف الزرع بعد حصاده، وتلك الخلفة من عند رأسك، كذا هنا، والذي في صحيح مسلم يدل على أن الإنسان ينشأ من عجم الذنب كما تقدم.

فأخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظم واحد وهو عجم الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة**»[1] وأخرجه أبو داود والنسائي أيضاً.

وأخرج عنه أيضاً مرفوعاً: «**كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجم الذنب، منه خلق ومنه يركب**»[2] وقد قدمت الكلام على ذلك بما لعله يشفي ويكفي.

قلت: والذي يظهر لي في الجمع بين الأحاديث النبوية والآثار المحمدية أن الإنسان يركب خلقه يوم القيامة من عجم الذنب بلا ريب ثم إذا خلقه ونفخ سيدنا إسرافيل في البوق، ورجعت الأرواح إلى أجسادها دخلت الأرواح في الأجساد من قبل الرأس، وبها يزول الإشكال إن شاء الله تعالى، وقد قدمنا في حديث أبي هريرة الطويل: «إن الله تعالى يرسل مطراً على الأرض، فينزل عليها أربعين يوماً حتى يكون فوقهم اثني عشر ذراعاً، فيأمر الله تعالى الأجساد أن تنبت كنبات البقل، أي: وذلك النبات يتركب من عجم الذنب، حتى إذا تكاملت أجسادهم كما كانت، قال الله تعالى: ليحيى حملة العرش، ليحيى جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل، ثم يأمر الله تعالى إسرافيل فيأخذ الصور فيضعه على فيه، ثم يدعو الأرواح فيؤتى بها، تتوهج أرواح المؤمنين نوراً، والأخرى ظلمة، فيقبضها جميعاً،

(١) رواه مسلم رقم ٢٩٥٥ .
(٢) رواه مسلم رقم ٢٩٥٥ .

ثم يلقيها في الصور، ثم يأمره أن ينفخ نفخة البعث، فتخرج الأرواح كلها كأنها النحل، قد ملأت ما بين السماء والأرض، ثم يقول الله تعالى: وعزتي وجلالي لترجعن كل روح إلى جسدها، فتدخل الأرواح في الخياشم، ثم تمشي في الأجساد مشي السم في اللديغ، ثم تنشق الأرض عنكم سراعاً . . . الحديث»[1] هذا ما ظهر لي من الجمع على ما فيه، والله أعلم.

وقوله: «فاستوى جالساً» أي: عند تمام خلقه بعد نفخ الروح فيه. وقوله: «يقول الرب: امس اليوم استقلالًا لمدة لبثته في الأرض، وكأنه لبث فيها يوماً فقال أمس، بعض يوم، فقال اليوم، يحسب أنه حديث عهد بأهله، فكأنه إنما فارقهم أمس أو اليوم».

وقوله: «فيقول ربك عز وجل: مهيم» أي ما شأنك، وما أمرك وفيم كنت؟ قال في النهاية: وهي كلمة يمانية.

وفي قول لقيط: كيف يجمعنا إلخ، رد على زاعمي عدم تدقيق الصحابة، وأنهم لم يكونوا يخوضون في دقائق المسائل، وأن أفراخ الصابئة والمجوس من الجهمية والمعتزلة، والقدرية وذويهم أعرف منهم بالعلميات، ولعمري لقد اجترأ زاعم ذلك على ربه، ومنصب أصحاب المصطفى أجل وأرفع، وأخص وأمنع، من أن يذكر هؤلاء الملاحدة في حيزه، كيف وهم الذين فسروا الكتاب، واستنبطوا الشرائع من تلك الآيات العجاب؟ ولكن من لم يجعل الله له نوراً فما له من نور.

قال في «الهَدْي»: وفي هذا السؤال دليل على أنه سبحانه يجمع أجزاء

(١) جزء من حديث الصور الطويل وتقدم (١/ ٦٠٥).

العبد بعدما فرقها، وينشؤها نشأة أخرى، ويخلقه خلقاً جديداً كما سماه في كتابه، وقد مر الكلام على ذلك مبسوطاً، وفي هذا السؤال أيضاً إثبات القياس في أدلة التوحيد والمعاد، والقرآن مملوء منه، وفيه أن حكم الشيء حكم نظيره، وأنه سبحانه إذا كان قادراً على شيء فكيف يعجز عن نظيره؟

وقوله في الأرض: أشرفت عليها وهي مدرة أي: بالية.

وقوله: فتنظرون إليه وينظر إليكم، فيه إثبات صفة النظر لله عز وجل وإثبات رؤيته في الآخرة.

وقوله: كيف ونحن ملئ الأرض وهو شخص واحد؟ قد جاء في هذا الحديث، وفي حديث آخر: «لا شخص أغير من الله»[1] والمخاطبون بذلك قوم عرب يعلمون المراد منه فلا يقع في قلوبهم تشبيهه سبحانه بالأشخاص، بل هم أشرف عقولًا وأصح أذهاناً وأسلم قلوباً من ذلك، وحقق ﷺ وقوع الرؤية عياناً برؤية الشمس القمر تحقيقاً لها ونفياً لتوهم المجاز الذي يظنه المعطلون.

وقوله: «فيأخذ ربك بيده غرفة من الماء» فيه بيان صفة اليد له سبحانه لكن نؤمن بذلك كما أخبر، لا كما يخطر في أوهام البشر، بل نمرها كما جاءت، هذا مذهب السلف الصالح، وعند الخلف التأويل لذلك بالقدرة، وفي محلات النعمة، وأنا أسلم من فرث المشبهة ودم المعطلة إن شاء اللّه، وأسلك طريق السلف من غير تفسير لشيء لم يفسروه، رضوان الله عليهم أجمعين.

---

(١) روى البخاري رقم ١٠٧ «أتعجبون من غيرة سعد، لأنا أغير منه واللّه أغير مني» عن سعد ابن عبادة، ورواه مسلم رقم ١٤٩٩ باختلاف يسير، ورواه بلفظ المصنف الدارمي (٢/ ٢٠٠) رقم ٢٢٢٧، وأحمد (٤/ ٢٤٨) رقم ١٨١٩٣ .

الريطة: الملاءة، والحمم جمع حممة، الفحمة، وقوله: ثم ينصرف نبيكم أي: من موقف القيامة إلى الجنة.

وقوله: فيفرق على أثره الصالحون أي: يفزعون ويمضون على أثره، وقوله: فتطلعون على حوض نبيكم، ظاهره أن الحوض من وراء الجسر، فكأنهم لا يصلون إليه حتى يقطعوا الجسر، وللسلف في ذلك قولان، قيل: وراءه بدليل هذا الحديث، وقيل في الموقف بدليل ما قدمنا، وحقق في «الهدي» وتبعه السيوطي أنه لا تنافي بين أحاديث النبي ﷺ، وكلا الحديثين صحيح، فإن طول الحوض شهر، وعرضه شهر، وإذا كان بهذا الطول والسعة، فما الذي يحيل امتداده إلى وراء الجسر، فيرِدهُ المؤمنون قبل الصراط وبعده، فهذا في حيز الإمكان وقوعه، موقوف على خبر الصادق، وقدمنا ما فيه كفاية في محله.

وقوله: على أظمأ والله ناهلة، الناهلة العطاش الواردون للماء، أي يردون الحوض أظمأ ما هم إليه، وهذا الظمأ من مروقهم على الصراط.

وقوله: ويخنس الشمس والقمر أي: يخفيان فلا يريان، والانخناس التواري والإخفاء، ومنه قوله تعالى: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾ [الناس: ٤].

قال الزجاج: هو الشيطان جاثم على قلب الإنسان، فإذا ذكر الله خنس، وإذا غفل وسوس، وفي الحديث انتفاء الولادة، وهو المدعى، وقول لقيط رضي الله عنه أقصى ما نحن بالغون ومنتهون إليه، لا جواب لهذه المسألة، لأنه إن أراد أقصى مدة الدنيا وانتهائها فلا يعلم ذلك إلا الله، وإن أراد أقصى ما نحن منتهون إليه بعد دخول الجنة والنار فكذلك، فلا تعلم نفس ما أخفي لهم، ولهذا لم يجبه ﷺ، وفيه أن المشركين في النار وإن

ماتوا قبل البعثة. والله تعالى أعلم.

فإن قلت: أي القولين اعتمدت عدم الولادة في الجنة أم هي؟ فإنك ذكرت لنا قولين بأدلتهما، قلت: الذي أذهب إليه عدم الولادة فيها اقتفاء للآثار الصحيحة والأخبار الصريحة، إذ هو أرجح وأصح من مقابله لعشرة أوجه:

أحدها: هذا الحديث الصريح الثابت الصحيح.

الثاني: قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥] وهن اللاتي طهرن من الحيض، والنفاس، والأذى، قال سفيان عن مجاهد: مطهرة من الحيض، والغائط، والبول، والنخام، والبصاق، والمني، والولد، وقال عطاء: أزواج مطهرة من الولد والحيض والغائط والبول.

الثالث: قوله ﷺ: «**غير أنه لا مني ولا منية**» والولد إنما يخلق من المني، فإذا لم يكن هناك مني ولا نفخ في الفرج لم يكن هناك إيلاد.

الرابع: أنه قد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**يبقى في الجنة فضل فينشئ الله لها خلقاً يسكنهم إياها**»[١] ولو كان في الجنة إيلاد لكان الفضل لأولادهم.

الخامس: أن الله تعالى جعل الحمل والولادة مع الحيض والمني، فلو كن النساء يحبلن في الجنة لم يقطع عنهن الحيض والإنزال.

السادس: أن الله تعالى قدر التناسل في الدنيا، لأنه قدر الموت، وأخرجهم إلى هذه الدار قرناً بعد قرن، وجعل لهم أمداً ينتهون إليه، فلولا

(١) رواه البخاري رقم ٧٣٨٤ ومسلم ٢٨٤٨ عن أنس.

التناسل لبطل النوع الإنساني، ولهذا الملائكة لا تتناسل، فإنهم لا يموتون كما تموت الإنس والجن، بل كلما عدم منه أحد وجد مكانه من غير نكاح ولا تناسل، والظاهر أنهم إنما يموتون مع نفخة الفزع، وإياك أن يذهب وهمك إلى عدم موتهم، فإن كل نفس ذائقة الموت، فإذا كان يوم القيامة أخرج الله سبحانه الناس كلهم من الأرض وأنشأهم للبقاء لا للموت، فلا يحتاجون إلى تناسل لحفظ النوع الإنساني، إذ هو منشأ للبقاء والدوام، فلا أهل الجنة ولا أهل النار يتناسلون.

السابع: أنه سبحانه قال: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وأتبعناهم ذرياتهم[1] بِإِيمَٰنٍ﴾ [الطور: ٢١] أخبر أنه يكرمهم بإلحاق ذرياتهم الذين كانوا لهم في الدنيا بهم في الآخرة، ولو كان ينشئ في الجنة ذرية أخرى لذكرهم كما ذكر ذريتهم الذين كانوا في الدنيا، لأن قرة عيونهم كانت تكون بهم كما هي بذرياتهم من أهل الدنيا.

الثامن: إما أن يقال باستمرار التناسل فيها أو إلى غاية ثم ينقطع، وكلاهما باطل، أما الأول فلاستلزامه اجتماع أشخاص لا تناهي لها، وأما الثاني فلاستلزامه انقطاع نوع من لذة أهل الجنة وسرورهم، لا يقال بتناسل، يموت نسل ويخلفهم نسل، إذ لا موت ثَمَّ.

التاسع: أن الجنة لا ينمو فيها الإنسان كما ينمو في الدنيا، فلا ولدان أهلها ينمون ويكبرون، ولا الرجال ينمون، بل هؤلاء ولدان صغار لا يتغيرون، وهؤلاء أبناء ثلاث وثلاثين لا يتغيرون، فلو كان في الجنة ولادة لكان المولود ينمو ضرورة حتى يصير رجلًا، ومعلوم أن من مات من

---

(١) كذا بالأصل وهي قراءة صحيحة رواها أبو عمرو، وقراءة حفص ﴿وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم﴾ انظر/ عبد الفتاح القاضي/ البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة (٣٨٢).

الأطفال يردون أبناء ثلاث وثلاثين سنة من غير نمو يوضحه.

الوجه العاشر: أن الله سبحانه وتعالى ينشئ أهل الجنة نشأة الملائكة أو أكمل من نشأتهم، بحيث لا يبولون ولا يتغوطون ولا ينامون ولا يهرمون على تطاول الأحقاب، ولا تنمو أجسادهم، يلهمون التسبيح كالنفس من غير كلفة، فإن قلت: ماذا تقول في قول الأستاذ أبي سهل فيما نقله عنه الحاكم أنه قال: أهل الزيغ ينكرون هذا الحديث - يعني حديث الولادة في الجنة - وقد روي فيه غير إسناد، وسئل النبي ﷺ عن ذلك، فقال: يكون ذلك على نحو ما أسلفنا، قال: وهذا الله يقول: ﴿فِيهَا مَا تشتهي[1] ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف: ٧١] وليس بالمستحيل أن يشتهي المؤمن الممكن من شهواته، قرة عين وثمرة فؤاد.

قلنا: النافون للولادة في الجنة لم ينفوها لزيغ في قلوبهم، بل لثبوت الأحاديث والآثار التي ذكرناها، وأقوال السلف والخلف، نعم للعلماء في ذلك مذهبان وقد ذكرناهما، وحديث أبي سعيد أجود أسانيده إسناد الترمذي، وقد حكم عليه بالغرابة، وأنه لا يعرف إلا من حديث أبي الصديق الناجي[2]، وقد اضطرب لفظه فتارة يروى عنه إذا اشتهى الولد، وتارة أنه يشتهي الولد، وتارة أن الرجل من أهل الجنة ليولد له.

وقوله: إذا اشتهى الولد، معلق بالشرط، ولا يلزم من التعليق وقوع المعلق ولا المعلق به، و«إذا» وإن كانت ظاهرة في المحقق فقد تستعمل

---

(١) هكذا بالأصل وهي قراءة صحيحه رواها ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي وشعبة، وقراءة حفص (تشتهيه). وتقدمت ص (١٨١).

(٢) هو بكر بن عمرو وقيل بن قيس أبو الصديق الناجي، وثقه ابن معين وأبو زرعة، والنسائي وابن حبان توفي سنة ١٠٨ هـ انظر تهذيب التهذيب (١/ ٤٢٦) ترجمة رقم ٨٩٤، ولسان الميزان (٧/ ٤٧٠) ترجمة رقم ٥٥٤٥ .

لمجرد التعليق الأعم من المحقق وغيره، قال في «حادي الأرواح» بعد ذكره للقولين مع ترجيح عدم الولادة، وذكر أن حديث أبي سعيد إن كان النبي ﷺ قد قاله فهو الحق الذي لا شك فيه، وهذه الألفاظ لا تنافي بينها ولا تناقض، وحديث أبي رزين «غير أن لا توالد»، أن ذلك نفى التوالد المعهود في الدنيا، ولا ينفي ولادة حمل الولد فيها ووضعه وسنه وشبابه في ساعة واحدة، فهذا ما انتهى إليه علمنا القاصر في هذه المسألة، انتهى.

وأنا أقول كما قال الذي قاله المصطفى وثبت عنه هو الصحيح، وإذا نظرنا النظر التام رأينا أن علماء الإسلام قد صححوا حديث لقيط وجزموا به، وحكموا على حديث أبي سعيد بالغرابة والاضطراب، والله أعلم بالصواب.

* * *

الباب الحادي عشر
في ذكر سماع أهل الجنة وغناء الحور العين وذكر مطاياهم وزيارة بعضهم بعضاً

أما سماع أهل الجنة، فقال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ [الروم: ١٥] قال ابن كثير: الحبرة اللذة والسماع، وبه قال الأوزاعي وغيره. وفي لفظ: يحبرون الحبرة السماع في الجنة.

قال في «حادي الأرواح»: ولا يخالف هذا قول ابن عباس: يكرمون، ومجاهد وقتادة: ينعمون. لأن قولهم أعم من السماع، ولا مانع من دخول السماع فيما قالوا، فلذة الأذن السماع وذلك من الإكرام والنعيم، وهذا ظاهر لكل ذي طبع سليم.

وأخرج الترمذي عن علي كرم الله وجهه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن في الجنة لمجتمعاً للحور العين، يرفعن بأصوات لم تسمع الخلائق بمثلها، يقلن: نحن الخالدات فلا نبيد، ونحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الراضيات فلا نسخط، طوبى لمن كان لنا وكنا له**»[١].

وفي الباب عن أبي هريرة، وأبي سعيد، وأنس، وحديث علي كرم الله وجهه غريب، قال في «حادي الأرواح»: قلت: وفي الباب عن ابن أبي

---

(١) رواه الترمذي (٤/ ٦٩٦) رقم ٢٥٦٤ وقال: حديث غريب، وأحمد (١/ ١٥٦) رقم ١٣٤٢ بزيادة في أوله، وأبو يعلى في مسنده (١/ ٢٣٢) رقم ٢٦٨، وفي (٣٣٨) رقم ٤٢٩، والبزار في مسنده (٢/ ٢٨٢) رقم ٧٠٣، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٣٠) رقم ٣٣٩٧١.

أوفى وأبي أمامة، وعبد الله بن عمر ﷺ فأما حديث أبي هريرة فأخرج جعفر الفريابي عنه: «إن في الجنة نهراً طول الجنة حافتاه، العذارى قيام متقابلات يغنين بأصوات حتى تسمعها الخلائق، ما يرون في الجنـة لذة مثلها».

قيل: يا أبا هريرة، وما ذاك الغناء؟ قال: إن شاء الله التسبيح، والتحميد، والتقديس، والثناء على الرب عز وجل، هكذا رواه موقوفاً.

وأخرج أبو نعيم عنه مرفوعاً: «**إن في الجنة شجرة جذوعها من ذهب، وفروعها من زبرجد ولؤلؤ، فتهب لها ريح فتصطفق، فما سمع السامعون بصوت شيء قط ألذ منه**»[1]. وأما حديث أنس فأخرج أبو نعيم عنه مرفوعاً: «**إن الحور يغنين في الجنة نحن الحور الحسان، خلقن لأزواج كرام**»[2] ورواه ابن أبي الدنيا.

وأما حديث ابن أبي أوفى فأخرج أبو نعيم عنه مرفوعاً: «**يروح إلى كل رجل من أهل الجنة أربعة آلاف بكر، وثمانية آلاف أيم، ومائة حوراء، فيجتمعن في كل سبعة أيام، فيقلن بأصوات حسان لم تسمع الخلائق بمثلهن نحن الخالدات فلا نبيد**»[3] كحديث علي ﷺ بزيادة: «ونحن المقيمات فلا نظعن».

---

(١) ذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٢٩٠) رقم ٥٦٨٠، وصدره بصيغة التمريض، وقال في آخره: رواه أبو نعيم في صفة الجنة، والمباركفوري في تحفة الأحوذي (٧/ ١٩١).

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٦/ ٣١٢) رقم ٦٤٩٧ بلفظ «هدينا» بدل «خلقن» والبخاري في التاريخ الكبير (٧/ ١٦) بلفظ «خبئنا» بدل «خلقن» وذكره الهيثمي (١٠/ ٧٧٥) رقم ١٨٧٦١ وقال: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله وثقوا.

(٣) رواه أبو الشيخ في كتاب العظمة (٣/ ١١٠٨) رقم ٦٠٣، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٩٩، وابن حبان في طبقات المحدثين بأصبهان (٤/ ١٨٧)، والمنـذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٣٠١) رقم ٥٧٢٥ وصدره بصيغة التمرض وقال في آخره: رواه أبو نعيم في صفة الجنة.

وأما حديث أبي أمامة فأخرج جعفر الفريابي عنه مرفوعاً: «**ما من عبد يدخل الجنة إلا ويجلس عند رأسه وعند رجليه ثنتان من الحور العين، يغنيانه بأحسن صوت سمعه الإنس والجن، وليس بمزامير الشيطان**»[(١)].

وأما حديث ابن عمر فأخرج الطبراني عنه مرفوعاً: «**إن أزواج أهل الجنة ليغنين أزواجهن بأحسن أصوات سمعها أحد قط، إن مما يغنين به نحن الخيرات الحسان، أزواج قوم كرام، ينظرن بقرة أعيان، وإن مما يغنين به، نحن الخالدات فلا يمتنه، ونحن الآمنات فلا يخفنه، نحن المقيمات فلا يظعنه**»[(٢)].

وسئل ابن شهاب رحمه الملك الوهاب: هل في الجنة سماع فإنه حبب إلي السماع؟ فقال: إي، والذي نفسي ابن شهاب بيده إن في الجنة لشجراً حمله اللؤلؤ والزبرجد، تحته جوار ناهدات، يتغنين بالقرآن، يقلن: نحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الخالدات فلا نموت، فإذا سمع ذلك الشجر صفق بعضه بعضاً، فأجبن الجواري، فلا يدري أصوات الجواري أحسن أم أصوات الشجر؟ رواه ابن وهب.

وأخرج عن خالد بن يزيد: أن الحور العين يغنين أزواجهن فيقلن: نحن الخيرات الحسان، أزواج شباب كرام، ونحن الخالدات الحديث وفيه في صدر إحداهن مكتوب: «أنت حبي وأنا حبك، انتهت نفسي عندك، لم تر عيني مثلك».

---

(١) رواه الطبراني في مسند الشاميين (٢/ ٤٢٣) رقم ١٦١٨ بلفظه وفي الكبير (٨/ ٩٥) رقم ٧٤٧٨ باختلاف يسير، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٦/ ٢٩٥، وذكره الهيثمي (١٠/ ٧٧٤) رقم ١٨٧٥٩ وقال: رواه الطبراني وفيه من لم أعرفهم.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٥/ ١٤٩) رقم ٤٩١٧، في الصغير (٢/ ٣٥) رقم ٧٣٤، وذكره الهيثمي (١٠/ ٧٧٥) رقم ١٨٧٦٠ وقال: رواه الطبراني في الصغير والأوسط ورجاله رجال الصحيح.

وأخرج الأصبهاني عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله، هل في الجنة سماع، فإني أحب السماع؟ قال: «**نعم، والذي نفسي بيده، إن الله ليوحي إلى شجر الجنة أن أسمعي عبادي الذين شغلوا أنفسهم عن المعازف والمزامير بذكري، فتسمعهم بأصوات ما سمع الخلائق مثلها قط بالتسبيح والتقديس**»[١].

وفي الثعلبي قال إبراهيم: إن في الجنة أشجاراً عليها أجراس من فضة، فإذا أراد أهل الجنة السماع، بعث الله ريحاً من تحت العرش فتقع في تلك الأشجار، فتتحرك تلك الأجراس بأصوات لوسمعها أهل الدنيا لماتوا طربا.

وأخرج ابن عساكر عن الأوزاعي قال: إذا أراد أهل الجنة أن يطربوا أوحى الله إلى رياح يقال لها الهفافة، فدخلت في آجام قصب اللؤلؤ الرطب، فحركته فضرب بعضه بعضاً، فتطرب الجنة، فإذا طربت لم يبق في الجنة شجرة إلا وردت، ولأهل الجنة سماع أعلى من هذا، وهو صوت إسرافيل.

أخرج ابن أبي الدنيا عن الأوزاعي أنه قال: بلغني أنه ليس من خلق الله أحسن صوتاً من إسرافيل عليه السلام فيأمره الله تبارك وتعالى، فيأخذ في السماع، فما يبقى ملك في السماوات إلا قطع عليه صلاته، فيمكث بذلك ما شاء اللّه أن يمكث، فيقول الله: وعزتي لو يعلم العباد قدر عظمتي ما عبدوا غيري.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن مالك بن دينار في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا

---

(١) ذكره الهندي في كنز العمال (١٤/ ٤٨٩) رقم ٣٩٣٧٨، وعزاه الديلمي، وقد أخرج الطبري في التفسير (١١/ ٢١٠) موقوفاً على مجاهد قيل له: في الجنة سماع؟ قال: إن فيها لشجراً يقال له العيص، له سماع لم يسمع السامعون إلى مثله.

لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ [ص: ٤٠] قال: إذا كان يوم القيامة أمر بمنبر رفيع فوضع في الجنة، ثم نودي: يا داود، مجدني بذلك الصوت الحسن الرخيم، الذي كنت تمجدني به في دار الدنيا، قال: فيستفرغ صوت داود عليه السلام نعيم أهل الجنان، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ وأخرجه الإمام ابن الإمام أبو عبد الرحمن عبد الله بن الإمام أحمد طيب الله ثراه في زوائد الزهد لأبيه، ولفظه: «يقيم الله سبحانه داود عليه السلام عند ساق العرش فيقول: يا داود، مجدني بذلك الصوت الحسن الرخيم، فيقول: إلهي كيف أمجدك وقد سلبتنيه في دار الدنيا؟ قال: فيقول الله عز وجل: فإني أرده عليك، قال: فيرده عليه، فيزداد صوته، قال: فيستفرغ صوت داود نعيم أهل الجنة».

وأعلى من هذا كله - بل يضمحل دونه كل سماع - كلام رب العالمين جل جلاله، وخطابه وسلامه ومحاضرته لعباده، ويقرأ عليهم كلامه، فإذا سمعوه منه فكأنهم لم يسمعوه قبل ذلك.

أخرج أبو الشيخ عن عبد الله بن بريدة: إن أهل الجنة يدخلون كل يوم مرتين على الجبار جل جلاله، فيقرأ عليهم القرآن وقد جلس كل امرئ منهم مجلسه الذي هو مجلسه على منابر الدر والياقوت والزبرجد والذهب والزمرد، فلم يقر أعينهم بشيء ولم يسمعوا شيئاً قط، أعظم ولا أحسن منه، ثم ينصرفون إلى رحالهم ناعمين قريرة أعينهم إلى مثلها من الغد، وسيأتي لهذا تتمة إن شاء الله تعالى.

لطيفة:

أخرج ابن أبي الدنيا والأصبهاني عن محمد بن المنكدر قال: إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: أين الذين كانوا ينزهون أنفسهم عن اللهو ومزامير

الشيطان؟ أسكنوهم رياض المسك، ثم يقول للملائكة أسمعوهم حمدي وثنائي، وأعلموهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

وأخرج الدينوري عن مجاهد قال: ينادي منادٍ يوم القيامة: أين الذين كانوا ينزهون أصواتهم وأسماعهم عن اللهو، ومزامير الشيطان؟ قال: فيجعلهم الله في رياض الجنة من مسك، فيقول للملائكة: أسمعوا عبادي تحميدي وتمجيدي، وخبروهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

وأخرج ابن أبي الدنيا، والضياء المقدسي بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: في الجنة شجرة على ساق واحد، قدر ما يسير الراكب المُجِد في ظلها مائة عام، فيخرج أهل الغرف وغيرهم فيتحدثون في ظلها، فيشتهي بعضهم ويذكر لهو الدنيا، فيرسل الله ريحاً من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو كان في الدنيا. أي وهي شجرة طوبى.

وعن شهر بن حوشب قال: إن الله جل ثناؤه يقول للملائكة: إن عبادي كانوا يحبون الصوت الحسن في الدنيا فيدعونه من أجلى، فأسمعوا عبادي، فيأخذون بأصوات من تهليل وتسبيح وتكبير لم يسمعوا بمثله قط. والله تعالى أعلم.

قلت: وهذا من باب «من ترك شيئاً عوضه الله خيراً منه»، فنسأله سبحانه أن يمن علينا بنظره تصلح قلوبنا، وتمحو ذنوبنا، وتشرح صدورنا، وتيسر أمورنا، وتؤهلنا لخدمته، وتجعلنا من القائمين بطاعته، والحافظين لحرمته، إنه على ذلك قدير، وبالإجابة جدير.

* * *

فصل

وأما مراكبهم. فأخرج الترمذي عن بريدة رضي الله عنه أن رجلًا سأل النبي ﷺ هل في الجنة من خيل؟ قال: «**إنِ اللَّهُ أدخلك الجنة فلا تشاء أن تحمل فيها على فرس من ياقوتة حمراء تطير بك في الجنة حيث شئت**» وسأله رجل هل في الجنة من إبل؟ قال: فلم يقل ما قال لصاحبه قال: «**إن يدخلك اللَّه الجنة يكن لك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك**»[١].

وأخرجه أيضاً عن عبد الرحمن بن سابط، عن النبي ﷺ بمعناه، وقال: هو أصح من الأول.

ورواه أبو نعيم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ في ذكر الجنة فقال: «**والفردوس أعلاها سمواً وأوسعها محلة، ومنها تفجر أنهار الجنة، وعليها يوضع العرش يوم القيامة**» فقام إليه رجل، فقال: يا رسول الله، إني رجل حبب إلي الخيل، فهل في الجنة خيل؟ قال: «**إي والذي نفسي بيده: إن في الجنة لخيلًا وإبلًا هفافة، تزف بين خلال ورق الجنة يتزاورون عليها حيث شاءوا، فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله، إني حبب إلي الإبل**»[٢]. وذكر الحديث. قلت: حديث الترمذي إسناده ضعيف، وقد أخرجه عن واصل بن السائب عن أبي سنورة، عن أبي أيوب الأنصاري

---

(١) رواه الترمذي (٤/ ٦٨١) رقم ٢٥٤٣، وأحمد (٥/ ٣٥٢) رقم ٢٣٠٣٢، روى ابن أبي شيبة أوله (٧/ ٣٣) رقم ٣٣٩٩١، وكذا الطبراني في الكبير (٤/ ١٨٠) رقم ٤٠٧٥ عن أبي أيوب وابن المبارك في الزهد/ ٧٧) رقم ٢٧١، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٣/ ٢٩٣، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٣٠٤) رقم ٥٧٣٧، والهيثمي (١٠/ ٧٦٢) رقم ١٨٧٢٥ وقال: رواه الطبراني ورجاله ثقات.

(٢) رواه أبو نعيم في صفة الجنة (٣/ ٢٦٥) رقم ٤٢٧ .

قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ قال: إني أحب الخيل، فهل في الجنة خيل؟ قال: «**إن دخلت الجنة أتيت بفرس من ياقوتة، له جناحان، تُحْمَلُ عليه، وتطير بك في الجنة حيث شئت**»[١] وفي معجم ابن قانع: أن هذا الرجل اسمه: عبد الرحمن بن ساعد الأنصاري، وكذلك رواه الدينوري في أوائل المجالسة، وروى ابن عدي هذا الإسناد الضعيف أن النبي ﷺ قال: «**إن أهل الجنة يتزاورون على نجائب بيض كأنهن الياقوت، وليس في الجنة من البهائم إلا الإبل والطير**»[٢] وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي هريرة رضي الله عنه: «إن أهل الجنة ليتزاورون على العيس الجون، عليها رحال مسك، تثير مناسمها غبار المسك، خطام أحدها خير من الدنيا وما فيها».

قوله: على العيس هو بكسر العين: الإبل البيض يخالط بياضها شيء من الشقرة، واحدها أعيس، والأنثى عيس. وقيل: هي كرام الإبل، وما أحسن قول من قال:

ومن[٣] العجائب والعجائب جمة قرب الحبيب وما إليه وصول
كالعيس في البيداء يقتلها الظمأ والماء فوق ظهورها محمول

وقال بعض العلماء: العيس إبل في بياضها ظلمة خفيفة، والجون يطلق على البياض والسواد، والمراد هنا الجنس[٤]، أي الإبل البيض،

---

(١) رواه الترمذي (٤/ ٦٨٢) رقم ٢٥٤٤ وقال: هذا حديث ليس إسناده بالقوي، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب، رقم ٥٧٣٨ .
(٢) أخرجه ابن عدي في الكامل (٧/ ٨٥) في ترجمة واصل بن السائب الرقاشي رقم ٢٠٠٩ وذكر عن البخاري قوله فيه: منكر الحديث وفي آخره قال: وأحاديثه لا تشبه أحاديث الثقات، ورواه الطبراني في الكبير (٤/ ١٧٩) رقم ٤٠٦٩، وذكره الهيثمي (١٠/ ٧٦٢) رقم ١٨٧٢٤ وقال: رواه الطبراني وفيه جابر بن نوح وهو ضعيف.
(٣) في حاشية الأصل/ والمحفوظ: وأمر مالا قيت من ألم الهوى.
(٤) في نسخة (أ) (البياض كسائر الإبل البيض).

والمناسم بنون وسين مهملة، جمع منسم، وهو باطن خف البعير.

وعند أبي نعيم عنه ﷺ: «**إن أهل الجنة ليتزاورون على نجائب بيض كأنها الياقوت، وليس في الجنة من البهائم إلا الخيل والإبل**»(١).

وأخرج أبو الشيخ عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ قال: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة جاءتهم خيول من ياقوت أحمر، لها أجنحة، لا تبول ولا تروث، فقعدوا عليها، ثم طارت بهم في الجنة فيتجلى لهم الجبار، فإذا رأوه خروا سجداً، فيقول لهم الجبار تعالى: ارفعوا رءوسكم فإن هذا ليس يوم عمل، وإنما هو يوم نعيم وكرامة، فيرفعون رءوسهم**»(٢) وذكر الحديث.

وأنت عليم بأن في هذه الأحاديث من الاضطراب ما يقضي عليها بعدم القبول لولا كثرتها وتباين طرقها، وإذا تباينت طرق الأحاديث وكثرت اشتد بعضها ببعض، وفي قول الترمذي هذا أصح من حديث المسعودي يفهم منه أنه مقبول، بل صحيح كما لا يخفى، على أن ثَمَّ من تكلم فيه، والله تعالى هو الموفق(٣).

* * *

(١) انظر تخريج الحديث السابق.
(٢) رواه ابن المبارك في الزهد (٥٣٤) رقم ١٥٢٣ باختلاف يسير جداً موقوفاً على جابر.
(٣) في حاشية الأصل/ بلغ.

فصل

وأما زيارة أهل الجنة بعضهم بعضاً، فقد قال تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ[1] بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ۝٥٠ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ۝٥١ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ﴾ إلى قوله ﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ [الصافات: ٥٠-٥٧] فأخبر سبحانه أن أهل الجنة أقبل بعضهم على بعض يتحدثون ويتساءلون عن أمور وأحوال كانت تعرض لهم في الدنيا، فأفضت بهم المحادثة والمذاكرة إلى أن قال قائل منهم: كان لي قرين في الدنيا ينكر البعث والدار الآخرة.

قال مجاهد: كان شيطاناً وقال آخرون: كان من الإنس.

وقال مقاتل: كانا أخوين، وقال الباقون: كانا شريكين، أحدهما: اسمه فطروس، والآخر مؤمن اسمه يهوذا، وهما اللذان قص الله خبرهما في سورة الكهف: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ﴾ [الكهف: ٣٢] قاله البغوي: ثم يقول لإخوانه في الجنة: هل أنتم مطلعون في النار، لننظر كيف منزلة قريني وما صار إليه، هذا أظهر الأقوال، وقيل: إن الملائكة تقول لهؤلاء المتذاكرين: هل أنتم مطلعون؟ رواه عطاء عن ابن عباس.

وقيل: إنه من قول الله عز وجل لأهل الجنة يقول لهم: ﴿قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾ وقدم هذا في البغوي وأتبعه بالأول ولم يذكر الثاني، والصحيح: الأول[2] كما في «حادي الأرواح». قال مقاتل: لما قال لأهل الجنة: هل أنتم مطلعون؟ قالوا له: أنت أعرف به منا، فاطلع أنت.

---

(١) في الأصل (وأقبل) والمثبت هو الصواب.
(٢) في الأصل (الأهل) والمثبت هو الصواب كما في حادي الأرواح (١٧٩).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن في الجنة كوى ينظر أهلها منها إلى النار، فاطلع المؤمن فرأى قرينه في وسط الجحيم، ولولا أن الله تعالى عرفه إياه لما عرفه، لقد تغير وجهه ولونه، وغيره العذاب أشد تغيير. فعندها قال: ﴿تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ﴾ [الصافات: ٥٦] لتهلكني وقال مقاتل: إن كدت لتغويني، ومن أغوى إنساناً فقد أهلكه: ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ [الصافات: ٥٧]. معك في النار، وقال تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ [الطور: ٢٥-٢٦] خائفين ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٧-٢٨].

أخرج الطبراني عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ: أيتزاور أهل الجنة؟ قال: «**يزور الأعلى الأسفل، ولا يزور الأسفل الأعلى، إلا الذين يتحابون في الله، يأتون منها حيث شاءوا على النوق محتقبين**(١) **الحشايا**»(٢) قال في «حادي الأرواح»: فأهل الجنة يتزاورون فيها ويستزير بعضهم بعضاً، وبذلك تتم لذتهم وسرورهم، ولهذا قال حارثة للنبي ﷺ وقد سأله: «**كيف أصبحت يا حارثة؟ قال: أصبحت مؤمناً حقاً قال ﷺ: إن لكل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك؟ قال: عَزَفَتْ نفسي عن الدنيا، فأسهرت ليلي، وأظمأت نهاري، وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً، وإلى أهل الجنة يتزاورون فيها، وإلى أهل النار يتعاوون فيها فقال ﷺ: عبد نور الله قلبه**»(٣).

---

(١) الحَقَبُ: الحزام يلي حَقْوَ البعير، أو حبل يُشَد به الرحل في بطنه. القاموس المحيط باب الباء فصل الحاء.
والحشايا: لسان الفرش/ النهاية/ مادة: حشا، ومادة: خور.

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٨/ ٢٤٤) رقم ٧٩٥٦، وفي (٢٤٠) رقم ٧٩٣٦ ولكن بتقديم وتأخير، وذكره الهيثمي (١٠/ ٤٩٦) رقم ١٨٠١٦ وقال: رواه الطبراني وفيه بشر بن نمير وهو متروك.

(٣) رواه الطبراني في الكبير (٣/ ٢٦٦) رقم ٣٣٦٧، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٣٦٣) =

قلت: وسمعت من لفظ شيخنا وحيد عصره - الشيخ عبد الغني النابلسي صاحب التصانيف الجمة - وقد ذكر هذا الحديث، فقال له المصطفى ﷺ: «**عرفت فالزم**»(١). انتهى.

وأقول: قد روى الحديث الإمام الحافظ ابن رجب في كتابه «استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس» وزاد في آخره فقال النبي ﷺ: «**عرفت فالزم، عبد نور الله الإيمان في قلبه**». ثم قال الحافظ: وهذا الحديث روي مرسلًا، وروي مسنداً متصلًا لكن من وجوه ضعيفة، انتهى.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أنس رضي الله عنه رفعه: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة يشتاق الإخوان بعضهم بعضاً إلى بعض، فيسير سرير هذا إلى سرير هذا، وسرير هذا إلى سرير هذا، حتى يجتمعا جميعاً، فيقول أحدهما لصاحبه: أتعلم متى غفر الله لنا؟ فيقول صاحبه: يوم كنا في موضع كذا فكذا، فدعونا الله فغفر لنا**»(٢).

وأخرج أن رسول الله ﷺ قال: «**إن من نعيم أهل الجنة أنهم**

= رقم ١٠٥٩١ عن الحارث بن مالك، ورواه في (٧/ ٣٦٢) رقم ١٠٥٩٠ عن أنس، وذكر الهيثمي هاتين الروايتين وانظر كلامه في الحديث التالي.

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٣/ ٢٦٦) رقم ٣٣٦٧، وعبد الرزاق في مصنفه (١١/ ١٢٩) رقم ٢٠١١٤، وابن أبي شيبة في المصنف (٦/ ١٧٠) رقم ٣٠٤٢٥، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٣٦٢) رقم ١٠٥٩٠، ١٠٥٩١، ١٠٥٩٢، وذكره الهيثمي (١/ ٢٢٠) رقم ١٨٩ وقال: رواه الطبراني في الكبير وفيه ابن لهيعة وفيه من يحتاج إلى الكشف عنه، وفي (٢٢١) رقم ١٩٠ وقال: رواه البزار وفيه يوسف بن عطية لا يحتج به.

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢١/ ١٧١)، وذكره العقيلي في الضعفاء الكبير (٢/ ١٠٣) في ترجمة سعيد بن دينار التمار رقم ٥٦٨ وقال: لا يتابع على حديثه وليس بمعروف بالنقل، وتابعه على ذلك ابن حجر في لسان الميزان (٣/ ٢٦)، وذكره الهيثمي (١٠/ ٧٧٩) رقم ١٨٧٧٠ وقال: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير سعيد ابن دينار والربيع ابن صبيح وهما ضعيفان وقد وثقا.

يتزاورون على المطايا والنجب، وأنهم يؤتون في الجنة بخيل مسرجة ملجمة، لا تروث ولا تبول، فيركبونها، حتى ينتهوا حيث شاء الله عز وجل، فيأتيهم مثل السحابة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، فيقولون: أمطري علينا، فما يزال المطر عليهم حتى ينتهي ذلك فوق أمانيهم، ثم يبعث الله ريحاً غير مؤذية، فتنسف كثباناً من مسك عن أيمانهم وعن شمائلهم، فيأخذ ذلك المسك في نواصي خيولهم وفي معارفها وفي رءوسهم، ولكل رجل منهم جمة على ما اشتهت نفسه، فيعلق ذلك المسك في تلك الجمام وفي الخيل وفيما سوى ذلك من الثياب، ثم يقبلون حتى ينتهوا إلى ما شاء الله، فإذا المرأة تنادي بعض أولئك: يا عبد الله، أما لك فينا حاجة؟ فيقول: ما أنت؟ فتقول: أنا زوجتك وحبك، فيقول: ما كنت علمت بمكانك، فتقول المرأة: أوما تعلم أن الله قال: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة:١٧] فيقول: بلى وربي، فلعله يشتغل عنها بعد ذلك الموقف أربعين خريفاً لا يلتفت ولا يعود، ما يشغله عنها إلا ما هو فيه من النعيم والكرامة»[١].

وأخرج ابن أبي الدنيا عن سيدنا الحسن بن علي عن أبيه رضوان الله عليهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن في الجنة لشجرة يخرج من أعلاها حلل، ومن أسفلها خيل من ذهب مسرجة ملجمة، من در وياقوت لا تروث ولا تبول، لها أجنحة، خطوها مد بصرها، فيركبها أهل الجنة فتطير بهم حيث شاءوا فيقول الذي أسفل منهم درجة، يا رب بما بلغ عبادك هذه الكرامة، فيقال لهم: كانوا يصلون بالليل، وكنتم تنامون، وكانوا يصومون**

(١) رواه ابن المبارك في الزهد (٦٩) رقم ٢٣٩، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٣٠٣) رقم ٥٧٣٢ .

وكنتم تأكلون، وكانوا ينفقون وكنتم تبخلون، وكانوا يقاتلون وكنتم تجبنون»[١].

* * *

(١) رواه ابن أبي الدنيا في التهجد وقيام الليل (٣٨٣) رقم ٣٣٠، والخطيب في تاريخ بغداد (١/ ٢٦٦) في ترجمة محمد بن أحمد بن إبراهيم رقم ١٠٠، وأبو الشيخ في العظمة (٣/ ١٠٨٩) وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٣٠٤) رقم ٥٧٣٥، وصدره بصيغة التمريض.

فصل
في ذكر سوق الجنة وما أعد الله فيه لأهلها

أخرج مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن في الجنة لسوقاً يأتونها كل جمعة، فتهب ريح الشمال فتحثوا في وجوههم وثيابهم، فيزدادون حسناً وجمالًا، فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسناً وجمالًا، فيقول لهم أهلوهم: والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالًا، فيقولون: وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالًا**»(١) ورواه الإمام أحمد في المسند وقال: فيها كثبان المسك فإذا خرجوا إليها هبت الريح.

وأخرج ابن أبي عاصم في كتاب (السنة)، إن سعيد بن المسيب لقي أبا هريرة رضي الله عنه فقال أبو هريرة رضي الله عنه: أسأل الله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة، فقال سعيد: أو فيها سوق؟ قال: نعم، أخبرني رسول الله ﷺ: «**إن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوها بفضل أعمالهم، فيؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا، فيزورون الله تبارك وتعالى، فيبرز لهم عرشه ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة، فيوضع لهم منابر من نور، ومنابر من مسك، ومنابر من زبرجد، ومنابر من ياقوت، ومنابر من ذهب، ومنابر من فضة، ويجلس أدناهم - وما فيهم دنيء - على كثبان المسك والكافور ما يرون أن أصحاب الكراسي بأفضل منهم مجلساً**، قال أبو هريرة رضي الله عنه: وهل نرى ربنا عز وجل؟ قال: **نعم، هل تمارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر؟ قلنا: لا، قال: فكذلك لا تمارون في رؤية ربكم، ولا يبقى في ذلك المجلس أحد إلا حاضره الله محاضرة حتى يقول: يا فلان ابن**

---

(١) رواه مسلم رقم ٢٨٣٣، وأحمد (٣/ ٢٨٤) رقم ١٤٠٦٧، وابن حبان في صحيحه (١٦/ ٤٤٤) رقم ٧٤٢٥ .

فلان، أتذكر يوم فعلت كذا وكذا، فيذكره ببعض غدراته في الدنيا، فيقول: بلى أفلم تغفر لي؟ فيقول: بلى، فبمغفرتي بلغت منزلتك هذه، قال: فبينما هم على ذلك، غشيتهم سحابة من فوقهم، فأمطرت عليهم طيباً لم يجدوا مثل ريحه شيئاً قط قال: ثم يقول ربنا تبارك وتعالى: قوموا إلى ما أعددت لكم من الكرامة فخذوا ما اشتهيتم(١)، قال: فيأتون سوقاً قد حفت به الملائكة، فيه ما لم تنظر العيون إلى مثله، ولم تسمع الأذان، ولم يخطر على القلوب، فيحمل لنا ما اشتهينا، ليس يباع فيه شيء ولا يشترى، وفي ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضاً، قال: فيقبل ذو البزة المرتفعة فيلقى من هو دونه - وما فيهم دنيء - فيروعه ما يرى عليه من اللباس والهيئة، فما ينقضي آخر حديثه حتى يتمثل عليه أحسن منه، وذلك أنه لا ينبغي لأحد أن يحزن فيها، قال: ثم ننصرف إلى منازلنا فيلقانا أزواجنا فيقلن: مرحباً وأهلًا بحبنا، لقد جئت وإن بك من الجمال والطيب أفضل مما فارقتنا عليه، فيقول: إنا جالسنا اليوم ربنا الجبار عز وجل وبحقنا أن ننقلب بمثل ما انقلبنا»(٢).

ورواه الترمذي في صفة الجنة، وابن ماجه، وليس في سنده من ينظر فيه إلا عبد الحميد بن حبيب، وهو كاتب الأوزاعي، فلا ينكر عليه تفرده عن الأوزاعي بما لم يروه غيره، وقد قال الإمام أحمد - طيب الله ثراه - وأبو حاتم الرازي هو ثقة، نعم ضعفه دحيم والنسائي، وقال الترمذي:

---

(١) في الأصل (شئتم) والمثبت هو الموافق للحديث.

(٢) رواه الترمذي (٤/ ٦٨٥) رقم ٢٥٤٩ وقال: هذا حديث غريب، وابن ماجه (٢/ ١٤٥) رقم ٤٣٣٦، وابن حبان في صحيحه (١٦/ ٤٦٦) رقم ٧٤٣٨، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٤/ ٤٩) وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٣٠١) رقم ٥٧٢٨ وعلق عليه بما يشعر قبوله له فقد قال بعد إيراد كلام الترمذي عنه: رواه ابن أبي الدنيا عن هقل ابن زياد كاتب الأوزاعي أيضاً واسمه محمد وقيل عبد الله وهو ثقة ثبت احتج به مسلم وغيره عن الأوزاعي.

غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

قال في «حادي الأرواح»: قلت: قد رواه ابن أبي الدنيا عن أبي هريرة، وروى الترمذي عن علي كرم الله وجهه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن في الجنة لسوقاً ما فيها شراء ولا بيع إلا الصور من الرجال والنساء، فإذا اشتهى الرجل الصورة دخل فيها**»(١) قال الترمذي: حديث غريب، قلت: حكم على هذا الحديث الإمام ناصر السنة ابن الجوزي بالوضع، وأعله بعبد الرحمن بن إسماعيل الواسطي بأنه متروك، واستدرك عليه الإمام جلال الدين السيوطي بأنه قد أخرجه الإمام ابن الإمام عبد الله ابن الإمام أحمد في زوائد المسند، والترمذي، قال الحافظ ابن حجر في (القول المسدد) عبد الرحمن بن إسماعيل بن إسحاق حسن له الثوري حديثاً غير هذا مع قوله فيه: أنه تكلم فيه من قبل حفظه، وصحح له الحاكم حديثاً آخر، وأخرج له ابن خزيمة في صحيحة، لكن قال في القلب منه شيء، وله شاهد من حديث جابر أخرجه الطبراني في الأوسط، وأبو نعيم في الحلية.

وأخرج الحافظ أبو عبد الله الحضرمي عن جابر نحوه.

وإلى هذا السوق أشار الإمام المحقق ابن القيم في قصيدته الميمية حيث قال:

وحي على السوق الذي فيه يلتقي ال ... محبون ذاك السوق للقوم معلم
فما شئت خذ منه بلا ثمن له ... فقد أسلف التجار فيه وأسلموا
وحي على يوم المزيد الذي به ... زيارة رب العرش فاليوم موسم

---

(١) رواه الترمذي (٤/ ٦٨٦) رقم ٢٥٥٠ وقال: هذا حديث غريب، وأحمد (١/ ١٥٦) رقم ١٣٤٢، وأبو يعلى (١/ ٢٣٢) رقم ٢٦٨ وسبق.

وحي على واد هنالك أفيح ... وتربته من أذفر المسك أعظم
منابر من نور هناك وفضة ... ومن خالص العقيان لا يتفصم
وكثبان مسك قد جعلن مقاعداً ... لمن دون أصحاب المنابر تعلم

والله أعلم.

* * *

الباب الثاني عشر
في السعادة العظمى، وزيارة إله الأرض والسماء ورؤيته

أخرج الإمام الشافعي عن أنس رضي الله عنه قال: «**أتى جبريل بمرآة بيضاء فيها نكتة إلى النبي ﷺ، فقال ﷺ: ما هذه؟ قال: الجمعة، فُضِّلت بها أنت وأمتك، فالناس لكم فيها تبع - اليهود والنصارى - ولكم فيها خير، وفيها ساعة لا يوافقها مؤمن يدعو بخير إلا استجيب له، وهو عندنا يوم المزيد، قال النبي ﷺ: وما يوم المزيد؟ قال: إن ربك اتخذ في الفردوس وادياً أفيح - أي واسع - فيه كثب مسك، فإذا كان يوم الجمعة أنزل الله تبارك وتعالى ما شاء من ملائكته، وحوله منابر من نور عليها النبيون، وحف تلك المنابر بمنابر من ذهب، مكللة بالياقوت والزبرجد، عليها الشهداء والصديقون يجلسون من ورائهم على تلك الكثب، فيقول الله تعالى: أنا ربكم صدقتم وعدي، فسلوني أعطكم، فيقولون: ربنا نسألك رضوانك، فيقول: قد رضيت عنكم، ولكم ما تمنيتم ولدي مزيد، فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم فيه ربهم من الخير، وهو اليوم الذي استوى فيه ربكم على العرش، وفيه خلق آدم، وفيه تقوم الساعة**»[١].

وأخرج أبو نعيم عن أبي برزة الأسلمي: «إن أهل الجنة ليغدون في

---

(١) رواه الشافعي في مسنده (٧٠) رقم ٢٠٨، وروى نحوه الطبراني في الأوسط (٧/ ١٥) رقم ٦٧١٧، والحارث في مسنده (١/ ٣٠١) رقم ١٩٦، وأبو يعلى (٧/ ٢٢٨) رقم ٤٢٢٨، وذكره الهيثمي (١٠/ ٧٧٩) رقم ١٨٧٧١ وقال: رواه البزار والطبراني في الأوسط بنحوه وأبو يعلى باختصار، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح، وأحد إسنادي الطبراني رجاله رجال الصحيح غير عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان وقد وثقه غير واحد وضعفه غيرهم، وإسناد البزار فيه خلاف.

حلة، ويروحون في أخرى، كغدو أحدكم ورواحه إلى ملك من ملوك الدنيا، كذلك يغدون ويروحون إلى زيارة ربهم عز وجل. . . »[1] الحديث.

وأخرج عن علي رضي الله عنه: إذا سكن أهل الجنة في الجنة أتاهم ملك يقول: إن الله تعالى يأمركم أن تزوروه، فيجتمعون، فيأمر الله تعالى داود عليه السلام فيرفع صوته بالتسبيح والتهليل، ثم توضع مائدة الخلد، قالوا: يا رسول الله، وما مائدة الخلد؟ قال: زاوية من زواياها أوسع مما بين المشرق والمغرب فيطعمون ثم يسقون، ثم يكسون، فيقولون: لم يبق إلا النظر في وجه ربنا عز وجل، فيتجلى لهم فيخرون سجداً، فيقال لهم: لستم في دار عمل، إنما أنتم في دار جزاء»[2].

* * *

(١) أخرجه أبو نعيم في صفة الجنة (٣/ ٢٣٣) رقم ٣٩٤ .
(٢) ذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٣٠٥) رقم ٥٧٣٩ وصدره بصيغة التمريض وعزاه إلى أبي نعيم في صفة الجنة.

فصل

ورؤية المولى جل وعلا ثابتة بالكتاب والسنة، وإجماع أهل الحق من الأمة، وهي أشرف وأعظم وأجل وأنعم نعيم الجنة قدراً وأجله خطراً، وأعلاه أمراً، فما أقرها لعيون أهل السنة والجماعة، وأشدها على أهل البدع والشناعة، فهي الغاية التي شمر إليها المشمرون، وتنافس فيها المتنافسون ورغب فيها الراغبون، وتتيم فيها العاشقون، ولمثل ذلك فليعمل العاملون، ويجتهد المجتهدون، فإذا نال ذلك أهل الجنة نسوا ما هم فيه من النعيم، وتنعموا برؤية الرءوف الرحيم، واتفق جميع الأنبياء والمرسلين، والصحابة والتابعين، وأئمة الإسلام أجمعين على ثبوتها في دار القرار والنعيم والنوال، وأنكرها أهل البدع والاعتزال، والكفر والضلال، منهم الجهمية المتهوكون، والفرعونية المعطلون، والباطنية الذين هم من جميع الأديان منسلخون، والرافضة الذين هم بحبال الشيطان متمسكون، ومن حبل الله منقطعون، وعلى مسبة أصحاب رسول الله عاكفون، وبقذف سيدة النساء أم المؤمنين، حبيبة المصطفى، المبرأة من كل ريبة بالآيات الصريحة القرآنية، والروايات الصحيحة المحمدية، ومن أجمع أهل الحق قاطبة بكفر من طعن فيها، بل بكفر من لم يجزم ببراءتها، كما يجزم بنبوة محمد ﷺ، وكما يجزم بعدم الشريك لله تعالى، شعر:

حصان[١] رزان لا تبوء بريبة ... وتصبح غرثي[٢] من لحوم الغوافل

عقيلة حي من لؤي بن غالب ... كرام المساعي مجدهم غير نازل

---

(١) يقال: امرأة حَصان: عفيفة بينة الحصانة. لسان العرب مادة: حصن.

(٢) الغَرَثُ: أيسر الجوع، وقيل شدته، وقيل هو الجوع عامة، وغَرَّثَهُ: جَوَّعَهُ. لسان العرب/ مادة: غرث.

مهذبة قد طيب الله خيمها وطهرها من كل سوء وباطل

فالرافضة عليهم اللعنة بقذف هذه السيدة يتعبدون، ولرؤية الحق ينكرون، ولسنة رسول الله الغراء محاربون، ولمخالفة الله ورسوله متبعون، وبتغليط الروح الأمين يتحدثون[١]، وكل هؤلاء الضلال عن ربهم محجوبون، وعن بابه مطردون، بل وفيه شاكون، ولكتابه مخالفون، فكل منهم مبعود ملعون.

أولئك أحزاب الضلال وشيعة اللعين وأعداء الرسول وحزبه
ومن خالفوا الذكر الحكيم وما أتى به المصطفى بالحق من عند ربه

قال اللّه تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] وقال: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

وأخرج ابن بطة في «الإبانة» عن عمارة بن رويبة قال: نظر النبي ﷺ إلى القمر ليلة البدر، فقال: «**إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضارون في رؤيته، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس، وصلاة قبل غروبها فافعلوا**»[٢].

وفي رواية له: «**إنكم سترون الله تبارك وتعالى كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم ألا تغلبوا على ركعتين قبل طلوع الشمس، ولا ركعتين قبل غروبها فافعلوا**»[٣].

وفي «حادي الأرواح» عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: يأتون النبي

---

(١) الذين يقولون بخطأ جبريل في الرسالة هم فرقة الغرابية من الشيعة. انظر/ الفرق بين الفرق للبغدادي (٢٣٧).

(٢) الإبانة لابن بطة (٣/ ٨) رقم ٤، والبخاري رقم ٥٥٤، والترمذي (٤/ ٦٨٧) رقم ٢٥٥١ وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) انظر الحديث السابق.

ﷺ فيقولون: يا نبي الله، إن الله فتح بك وختم بك وغفر لك، قم فاشفع لنا إلى ربك، فيقول: «نعم، أنا صاحبكم» فيخرج يجوس - أي: يطوف - الناس حتى ينتهي إلى باب الجنة، فيأخذ بحلقة الباب، فيقرع، فيقال: من هذا؟ فيقال: محمد قال: فيفتح له فيجيء حتى يقوم بين يدي الله، فيستأذن في السجود، فيؤذن له»[1] الحديث.

وأخرج ابن بطة، وابن المبارك عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني جبريل فإذا في كفه مرآة كأصفى المرايا وأحسنها، وإذا في وسطها نكتة سوداء، قال: قلت: يا جبريل ما هذه؟ قال: هذه الدنيا صفاؤها وحسنها، قال: قلت: وما هذه اللمعة في وسطها؟ قال: هذه الجمعة، قلت: وما الجمعة؟ قال: يوم من أيام ربك عظيم، وسأخبرك بشرفه وفضله واسمه في الآخرة، أما شرفه وفضله في الدنيا: فإن الله تعالى جمع فيه أمر الخلق، وأما ما يرجى فيه: فإن فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم أو أمة مسلمة يسألان الله فيها خيراً إلا أعطاهما إياه، وأما شرفه وفضله واسمه في الآخرة: فإن الله تبارك وتعالى إذا صير أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار، وجرت عليهما أيامهما وساعاتهما ليس بها ليل ولا نهار إلا قد علم الله مقدار ذلك وساعاته، فإذا كان يوم الجمعة في الحين الذي يبرزون ويخرج فيه أهل الجنة إلى جمعتهم نادى منادٍ: يا أهل الجنة اخرجوا إلى دار المزيد، لا يعلم سعته وعرضه وطوله إلا الله عز وجل، في كثبان المسك، قال فيخرج غلمان الأنبياء بمنابر من نور، ويخرج غلمان المؤمنين بكراسي من ياقوت، قال: فإذا وضعت لهم وأخذ القوم مجالسهم

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٦/ ٢٤٧) رقم ٦١١٧ باختلاف في بعض الألفاظ، وكذا ابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ٣٠٨) رقم ٣١٦٧٥ وذكره الهيثمي (١٠/ ٦٧٥) رقم ١٨٥٠٣ وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

بعث الله تبارك وتعالى عليهم ريحاً تدعى المثيرة، تثير عليهم أثايير المسك الأبيض، فتدخله من تحت ثيابهم، وتخرجه في وجوههم وأشعارهم، فتلك الريح أعلم كيف يصنع بذلك المسك من امرأة أحدكم لو دفع إليها كل طيب على وجه الأرض لكانت تلك الريح أعلم كيف تصنع بذلك المسك من تلك المرأة لو دفع إليها ذلك الطيب بإذن الله تعالى، ثم يوحي الله سبحانه إلى حملة العرش فيوضع بين ظهراني الجنة، وبينه وبينهم الحجب، فيكون أول ما يسمعون منه أن يقول: أين عبادي الذين أطاعوني بالغيب ولم يروني، وصدقوا رسلي واتبعوا أمري؟ فسلوني فهذا يوم المزيد قال: فيجتمعون على كلمة واحدة: رب رضينا عنك، فارض عنا، قال: فيرجع الله تعالى في قولهم: أن يا أهل الجنة أني لو لم أرض عنكم لما أسكنتكم جنتي، فسلوني فهذا يوم المزيد، قال: فيجتمعون على كلمة واحدة: رب وجهك رب وجهك أرنا ننظر إليه، قال: فيكشف الله تبارك وتعالى تلك الحجب، ويتجلى لهم، فيغشاهم من نوره شيء لولا أنه قضى عليهم أن لا يحرقوا لاحترقوا مما غشيهم من نوره، قال: ثم يقال: ارجعوا إلى منازلكم، قال: فيرجعون إلى منازلهم. وقد خَفَوْا على أزواجهم، وخَفَيْن عليهم مما غشيهم من نوره تعالى، فإذا صاروا إلى منازلهم تزاد النور وأمكن، وتزاد وأمكن، حتى يرجعوا إلى صورهم التي كانوا عليها، قال: فتقول لهم أزواجهم: لقد خرجتم من عندنا على صورة ورجعتم على غيرها، قال: فيقولون: ذلك بأن الله تبارك وتعالى تجلى لنا فنظرنا منه إلى ما خفينا به عليكم، قال: فلهم في كل سبعة أيام الضعف على ما كانوا فيه، قال: وذلك قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾»[1].

---

(١) أخرجه ابن بطة في الإبانة (٣/ ٣١) رقم ٢٦، وذكره الهيثمي (١٠/ ٧٨٠) رقم ١٨٧٧٢ وقال: رواه البزار وفيه القاسم بن مطيب وهو متروك.

وروى البزار وقال حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله عز وجل ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] قال: النظر إلى وجه الله عز وجل وقال الحاكم: وتفسير الصحابي عندنا في حكم المرفوع.

وأخرج ابن خزيمة عن أبي نضرة، قال: خطبنا ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فقال: قال رسول الله ﷺ: **«ما من نبي إلا له دعوة تعجلها في الدنيا، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فآتي باب الجنة، فآخذ بحلقة الباب، فأقرع الباب، فيقال: من أنت؟ فأقول: أنا محمد، فآتي ربي وهو على كرسيه أو وهو على سريره، فيتجلى لي ربي، فأخر له ساجداً»**[(١)].

وروى ابن عيينة عنه، وأبو بكر ابن أبي داود عنه مرفوعاً: **«إن أهل الجنة يرون ربهم تعالى في يوم كل جمعة في رمال الكافور، وأقربهم منه مجلساً أسرعهم يوم الجمعة، وأبكرهم غدواً»**[(٢)].

وأخرج الصغاني عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: خلق الله الملائكة لعبادته أصنافاً، فإن منهم ملائكة قياماً من يوم خلقهم إلى يوم القيامة، ومنهم ملائكة ركوعاً خشوعاً من يوم خلقهم إلى يوم القيامة، وملائكة سجوداً منذ خلقهم إلى يوم القيامة، فإذا كان يوم القيامة وتجلى لهم تعالى، ونظروا إلى وجهه الكريم، قالوا: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك. وأخرج الدارقطني عن أبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] قال النظر إلى وجه الله

---

(١) أجزاء من مواضع متفرقة من حديث طويل رواه أحمد (١/ ٢٨١) رقم ٢٥٤٦، وذكره الهيثمي (١٠/ ٦٧٥) رقم ١٨٥٠٤ .

(٢) أخرجه ابن بطة في الإبانة (٣/ ٤١) رقم ٣٠ .

عز وجل، ورواه محمد بن حميد عن كعب بن عجرة مرفوعاً[١]. وأخرج الدارمي عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن فضالة يعني ابن عبيد كان يقول: اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت، ولذة النظر إلى وجهك[٢]، والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة، وأخرج الإمام أحمد عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**قد حدثتكم عن الدجال**» الحديث وفيه: «**وإنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا**»[٣] وقال الصديق رضي الله عنه وقد سئل: ما الزيادة يا خليفة رسول الله؟ قال: النظر إلى وجه الرب تبارك وتعالى. ذكره في «حادي الأرواح».

وقال أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه: من تمام النعمة دخول الجنة والنظر إلى الله تبارك وتعالى في جنته. رواه ابن حاتم. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: الزيادة النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى، وقيل لابن عباس رضي الله عنهما: كل مؤمن دخل الجنة يرى الله عز وجل؟ قال: نعم. وقال أنس في قوله عز وجل: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥]. يظهر لهم الرب تبارك وتعالى يوم القيامة.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه إن الناس قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال ﷺ: «**هل تضارون في القمر**

---

(١) أخرجه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٣/ ٤٥٧) رقم ٧٨١، وعبد الله بن أحمد في كتاب السنة (١/ ٤٨٤) رقم ٤٨٤.

(٢) في حاشية الأصل/ قوله: ولذة النظر إلى وجهك، هذا محل الاستدلال، إذ الرسول لا يطلب مستحيل الوصول عند ذوي العقول بإجماع أهل الحق، وهذا الصريح منقول، فاصغ لما جاء عن المختار، وارفض كلام أهل البدع والإنكار، ولا تصغ لكل مبتدع كفور، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور.

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٣٢٤) رقم ٢٢٨١٦، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٥/ ١٥٧، والطبراني في مسند الشاميين (٢/ ١٨٥) رقم ١١٥٧ وذكره الهيثمي (٧/ ٦٦٧) رقم ١٢٥٤١ وقال: رواه البزار وفيه بقية وهو مدلس.

ليلة البدر؟ قالوا: لا، قال: فهل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب، قالوا: لا يا رسول الله، قال: فإنكم ترونه كذلك»[1] الحديث.

وفي صحيح مسلم عن صهيب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا دخل أهل الجنة الجنةَ يقول الله تعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار؟ فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم تعالى ثم تلا:** ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[2] [يونس: ٢٦] **الحسنى الجنة**، والزيادة الرؤية، وقال هذا جماعة المفسرين من الصحابة والتابعين وتابعيهم منهم الصديق الأعظم، وعلي، وحذيفة بن اليمان، وأبو موسى الأشعري، وابن عباس، وابن مسعود، وسعيد بن المسيب، والحسن البصري، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وعكرمة، ومجاهد، وقتادة. وقال البيهقي: هذا تفسير قد استفاض واشتهر فيما بين الصحابة والتابعين، ومثله لا يقال إلا بتوقيف، وقد روي مرفوعاً، أخرج ابن جرير وابن مردويه عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله يبعث يوم القيامة منادياً ينادي بصوت يسمعهم أولهم وآخرهم: يا أهل الجنة، إن الله وعدكم الحسنى وزيادة، الحسنى الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الرحمن**»[3] وقد مر ذلك مرفوعاً إلى النبي ﷺ أيضاً.

وأخرج الآجري والبيهقي وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله

---

(١) أخرجه البخاري رقم ٦٥٧٣، ٧٤٣٧ باختلاف يسير، ومسلم رقم ٢٩٦٨.

(٢) رواه مسلم رقم ١٨١، والترمذي (٤/ ٦٨٧) رقم ٢٥٥٢، وأحمد (٤/ ٣٣٢) رقم ١٨٩٥٥.

(٣) رواه الطبري في التفسير (٦/ ٥٤٩، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٣/ ٤٥٧) رقم ٧٨٢ وذكره ابن كثير في التفسير (٢/ ٥٤٥).

تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢]. قال: حسنة: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣] قال: نظرت إلى الخالق، وقال عكرمة: ناضرة من النعيم ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ قال: تنظر إلى ربها نظراً، وقال محمد بن كعب والقرطبي في الآية: نضر الله تلك الوجوه وحسنها للنظر إليه. وقال الحسن: النضرة الحسن، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ نظرت إلى ربها فنضرت لنوره، وقال أشهب: سأل رجل مالكاً: هل يرى المؤمنون ربهم يوم القيامة؟ فقال مالك: لو لم ير المؤمنون ربهم لم يعير الكفار بالحجاب، قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] قيل له: فإن قوماً يزعمون أن الله لا يرى؟ فقال مالك - قدس الله روحه - : السيف السيف.

والحاصل أنه قد روي حديث الرؤية عن ختام الأنبياء عليه الصلاة والسلام خلق كثير وجم غفير من الصحابة ﷺ منهم: أبو بكر، وعلي، وأبو هريرة، وأبو سعيد، وجرير، وأبو موسى الأشعري، وصهيب، وجابر وابن عباس، وأنس، وعمار بن ياسر، وأبي بن كعب، وابن مسعود، وزيد ابن ثابت، وحذيفة بن اليمان، وعبادة بن الصامت، وعدي بن حاتم، وأبو رزين لقيط بن عامر بن صبرة العقيلي، وكعب بن عجرة، وفضالة بن عبيد، وبريدة بن الحصيب، وعبد الله بن عمر، وعائشة أم المؤمنين، وعمارة بن زوينه، وسلمان الفارسي، وعبد الله بن عمرو بن العاص، رضي الله تعالى عنهم أجمعين، ولم يرو عن أحد منهم نفيها، ولو كانوا فيها مختلفين لنقل اختلافهم إلينا كما نقل اختلافهم في مسائل الحلال والحرام والشرائع والأحكام، فهم مجمعون على رؤية الحق في الآخرة، وكذا التابعون وتابعوهم بإحسان وجميع أئمة الإسلام من أهل السنة، كإمام السنة حليلها، ومبين قويها من هزيلها، مبيد جيش الاعتزال، وكاسر عنصر الضلال، الإمام أحمد بن محمد بن حنبل، طيب الله ثراه وإمام دار

الهجرة، وعالم المدينة الإمام مالك - قدس الله روحه - والإمام النبيل ومن هو للسنة الغراء حليل، الإمام محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه، والإمام الأعظم والصدر المفخم الإمام محمد بن ثابت أبو حنيفة النعمان رضي عنه الملك الديان، وابن الماجشون، والأوزاعي والليث بن سعد، وسفيان بن عيينة، وجرير بن عبد الحميد، وعبد الله بن المبارك، ووكيع ابن الجراح، وقتيبة بن سعيد، وأبو عبيد القاسم بن سلام، والأسود بن سالم شيخ الإمام أحمد، وإسحاق بن راهويه، وغيرهم من أئمة الإسلام، رضوان الله عليهم أجمعين.

قال الإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة: إن المؤمنين لم يختلفوا أن جميع المؤمنين يرون خالقهم يوم المعاد، ومن أنكر ذلك فليس بمؤمن عند المؤمنين.

وقال في «حادي الأرواح»: قد دل القرآن والسنة المتواترة وإجماع الصحابة وأئمة الإسلام، وأهل الحديث عصابة الحق وخاصة سيد الخلق، على أن الله سبحانه يرى في القيامة بالأبصار عياناً كما يرى القمر ليلة البدر صحواً، وكما ترى الشمس في الظهيرة، والله تعالى الموفق.

وقد تلونا عليك هنا فيما تقدم في المحشر ما تجزم العقول السليمة، والقلوب المستقيمة، تبعاً للآيات الصريحة، والأحاديث الصحيحة، الدالة على رؤية الملك الجبار بأنها حق ثابتة، وأن منكرها منسلخ من السنة الغراء، مكذب لله ورسوله، ولكونها ثابتة بلا نزاع بين أهل الحق وأن إنكارها إلحاد، ووسم منكرها من أهل البدع والعناد، وأطلق عليه معتزلي فاسد الاعتقاد، وأثبتها أهل السنة في أصول العقائد، وقالوا: كل من أنكرها فهو ملحد، بل جاحد.

وإن أردت مزيد بيان فعليك بالكتب المؤلفة في هذا الشأن، منها «حادي الأرواح» للإمام المحقق، «والجيوش الإسلامية» له، «والبهجة» للشيخ الإمام العلامة مرعي.

وعقائد أهل الأثر كلها مشحونة بذلك، والله سبحانه ولي التوفيق، وهو المسئول أن يذيقنا حلاوة التحقيق، وأن يمن علينا بالنظر إلى وجهه الكريم من غير سابقة عذاب ولا محنة، إنه رءوف رحيم.

تتمة:

ذهب جماعة من العلماء منهم عماد الدين بن كثير إلى أن النساء لا يرين الله سبحانه وتعالى في الجنة، وجماعة أيضاً، منهم العز بن عبد السلام.

وتبعه صاحب «آكام المرجان»، وابن جماعة، إلى أن الملائكة لا يرونه تعالى في الجنة، والتحقيق خلافه بالنص الصريح، عند الدارقطني مرفوعاً: «**إذا كان يوم القيامة رأى المؤمنون ربهم عز وجل، فأحدثهم عهداً بالنظر إليه في كل جمعة، ويراه المؤمنات يوم الفطر ويوم الأضحى**»[1] أي في مثل يوم الفطر ويوم الأضحى.

وأخرج البيهقي: إذا كان يوم القيامة تجلى لهم ربهم يعني: الملائكة، ونظروا إلى وجهه، وقد مر.

ونص على أنهم يرونه تعالى: أبو الحسن الأشعري في «الإبانة» وقال بذلك من المتأخرين الإمام المحقق ابن القيم، والجلال السيوطي

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٣٥٥)، وأبو طاهر بن أبي الصقر في مشيخته (٣٠٨) وقال محققه: إسناد ضعيف.

والبلقيني. قال الحافظ السيوطي: وهو أرجح بلا شك، وقرر الجلال البلقيني ثبوت الرؤية للملائكة، ومال إلى ثبوتها لمؤمني الجن أيضاً، وهو اللائق بكرمه سبحانه، والتحقيق عندي: أن كل من دخل الجنة يرى الله سبحانه وتعالى يومئذ بلا ريب، وأما رؤيته سبحانه في الموقف فذهب جماعة إلى أنها تحصل حتى للمنافقين، وآخرون للكافرين، ثم يحجبون، والله تعالى أعلم.

* * *

فصل

في تكليمه سبحانه وتعالى لأهل الجنة

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ الآية [آل عمران: ٧٧]. فللآية منطوق ومفهوم، فأما منطوقها فعدم كلامه سبحانه وتعالى لمن اشترى بآياته وأيمانه ثمناً قليلًا، وأما مفهومها فهو إثباته لمن لم يتصف بهذه الصفة، بل صدق رسله سبحانه، وقابل آياته بالقبول وامتثل لكل ما جاء به الرسول.

وفي حديث جابر: أن النبي ﷺ قال: «**إنه يشرف عليهم سبحانه من فوقهم، ويقول: سلام عليكم يا أهل الجنة، فيرونه عياناً**»[١]. رواه ابن ماجه وغيره، وفي آخره وهو قول الله عز وجل: ﴿سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ﴾ [يس: ٥٨].

وفي حديث بريدة رضي الله عنه «**ما منكم من أحد إلا سيخلو به ربه ليس بينه وبينه ترجمان ولا حجاب**»[٢]، رواه ابن إسحاق وقال البخاري في صحيحه: باب كلام الرب تبارك وتعالى مع أهل الجنة وساق فيه عدة

---

(١) رواه ابن ماجه (١/ ٦٥) رقم ١٨٤، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٦/ ٢٠٩)، وذكره الهيثمي (٧/ ٢١٨) رقم ١١٣٠٠، وقال: رواه البزار وفيه الفضل بن عيسى الرقاشي وهو ضعيف.

(٢) جزء من حديث رواه البخاري رقم ٣٥٩٥، رقم ٧٤٤٣ من حديث عدي بن حاتم، ومسلم رقم ١٠١٦ .

(٣) انظر البخاري رقم ٧٥١٨، ٧٥١٩ .

أحاديث[١]. ولا جرم أن أفضل نعيم أهل الجنة رؤية معبودهم وتكليمه لهم سبحانه وتعالى، فويل لمن أنكر ذلك فقد باء بغضب الله والمهالك.

تكملة:

اعلم أن أهل الجنة كلهم ملوك خالدون، يحاضرون[٢] الملك الأزلي سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان: ٢٠] قال مجاهد: عظيماً، وقال: استئذان الملائكة عليهم، فإنها لا تدخل إلا بإذن، وكذا قال كعب، وقال أبو سليمان في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ قال: المُلْك الكبير إن رسول رب العزة يأتيه بالتحفة واللطف، فلا يصل إليه حتى يستأذن له عليه، فيقول للحاجب: استأذن علي ولي الله، فإني لست أصل إليه، فيعلم ذلك الحاجب حاجباً آخر، وحاجب بعد حاجب، ومن داره إلى دار السلام باب يدخل منه على ربه إذا شاء بلا إذن، فالمُلْك الكبير أن رسول رب العزة لا يدخل عليه إلا بإذن، وهو يدخل على ربه بلا إذن.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أنس ﷺ يرفعه: «**إن أسفل أهل الجنة أجمعين درجة من يقوم على رأسه عشرة آلاف خادم**»[٣].

وأخرج عن أبي هريرة ﷺ إن أدنى أهل الجنة منزلة وليس فيهم دني من يغدو عليه كل يوم ويروح خمسة عشر ألف خادم ليس منهم خادم إلا

---

(١) جاء في النهاية: حَضْرةُ الرجل: قُرْبُهُ، والحاضر: القوم النزول على ماء يقيمون به ولا يرحلون عنه. النهاية/ مادة: حضر.

(٢) جزء من حديث أخرجه الطبراني في الأوسط (٧/ ٣٤٢) رقم ٧٦٧٤، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٦/ ١٧٥)، وذكره الهيثمي (١٠/ ٧٤١،) رقم ١٨٦٧٠ وقال: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات.

معه طرفة ليست مع صاحبه» وفي رواية: عشرة آلاف.

وأخرج عبد الله بن المبارك عن أبي أمامة رضي الله عنه أنه قال: إن المؤمن يكون متكئاً على أريكته إذا دخل الجنة، وعنده سماطان من الخدم، وعند طرف السماطين باب مبوب، فيقبل الملك من ملائكة الله عز وجل ليستأذن، فيقوم أدنى الخدم إلى الباب، فإذا هو الملك يستأذن، فيقول للذي يليه ملك يستأذن، ويقول للذي يليه ملك يستأذن حتى يبلغ المؤمن، فيقول: ائذنوا له، فيقول أقربهم إلى المؤمن: ائذنوا له، فيقول الذي يليه للذي يليه كذلك حتى يبلغ أقصاهم الذي عند الباب، فيفتح له فيدخل فيسلم، ثم ينصرف.

وأخرج مسلم في صحيحه من حديث المغيرة بن شعبة عن النبي ﷺ قال: «**سأل موسى ربه: ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال: هو رجل يجيء بعدما أدخل أهل الجنة الجنة. فيقال له: ادخل الجنة، فيقول: أي رب، كيف وقد نزل الناس منازلهم، وأخذوا أخذاتهم، فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل مُلك مَلك من ملوك الدنيا، فيقول: رضيت رب. فيقول: لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله. فقال في الخامسة: رضيت رب، فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهت نفسك، ولذت عينك. فيقول: رضيت رب**»[1] الحديث. وقال أبو سعيد: إنه يقال للجنة: طوبى لك منزل الملوك. وروى مرفوعاً والصحيح أنه موقوف، والله تعالى أعلم.

* * *

---

(١) رواه مسلم رقم ١٨٩، والترمذي (٥/ ٣٤٧) رقم ٣١٩٨.

الباب الثالث عشر
في أن الجنة فوق ما يخطر بالبال ويتوهمه الخيال أو يدور في الخلد وفوق ما يصف كل أحد، كيف وموضع سوط منها خير من الدنيا وما فيها

وقال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً﴾ [السجدة: ١٧] وفي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله عز وجل: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، مصداق ذلك في كتاب الله عز وجل:** ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾»[١].

وفي صحيح البخاري عن سهل بن سعد مرفوعاً: «**موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها**»[٢] ورواه الإمام أحمد من حديث أبي هريرة ﷺ بلفظ: «**لقيد سوط أحدكم من الجنة خير مما بين السماء والأرض**»[٣]. وإسناده على شرطهما.

ومعنى قيد: قدر، وفي الباب عن أنس، وأبي سعيد، وعبد الله بن عمرو بن العاص وغيرهم ﷺ.

وإنما كان موضع سوط في الجنة خيراً من الدنيا وما فيها، لكونه لا

---

(١) رواه البخاري رقم ٣٢٤٤، ٤٧٧٩، ومسلم رقم ٢٨٢٤ .
(٢) البخاري رقم ٣٢٥٠، وأحمد (٣/ ٤٣٣) رقم ١٥٦٠١، ١٥٦٠٢ .
(٣) رواه أحمد (٢/ ٣١٥) رقم ٨١٥٢، وابن حبان في صحيحه (١٤/ ٢٨) رقم ٦١٥٨، وأبو يعلى في مسنده (١١/ ٢٠٤) رقم ٦٣٦٦ .

يفنى ولا يبيد، ولا يشوبه هم ولا حزن ولا تنكيد مع رضا الملك المجيد، وقرة العين، بخلاف الدنيا بحذافيرها، فإنها مشوبة بالأوصاب[١] وحلوها صاب[٢]، والله أعلم بالصواب.

قال في «حادي الأرواح»: وكيف يقدر قدر دار غرسها الله بيده، وجعلها مقراً لأحبابه، وملأها من كرامته ورحمته ورضوانه، ووصف نعيمها بالفوز العظيم، ومُلْكَها بالمُلْك الكبير، وأودعها جميع الخير بحذافيره، وطهرها من كل عيب وآفة ونقص، فأرضها الزعفران، وتربتها المسك، وسقفها عرش الرحمن، وملاطها المسك الأذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والجوهر، وبناؤها لبنة من فضة، وأخرى من ذهب، وساقات شجرها الذهب الأحمر والفضة، لا من الخشب، وثمرها كالقلال، ألين من الزبد وأحلى من العسل، وورقها من أحسن ما يكون من رقائق الحلل، وأنهارها من لبن لم يتغير طعمه، وخمر لذة للشاربين، ومن عسل مصفى، وماء غير آسن، وطعام أهلها فاكهة مما يتخيرون، ولحم طير مما يشتهون، وشرابهم التسنيم والزنجبيل والكافور، وآنيتهم الذهب والفضة والقوارير، وسعة أبوابها مسيرة أربعين عاماً بين المصراعين مع لذة ما يسمعون من كلام رب العالمين، ولباسهم الحرير، وحليتهم الذهب والفضة وأنواع المعادن من الياقوت والمرجان، وعلى رءوسهم كالملوك التيجان، وأهلها أبناء ثلاث وثلاثين، على صورة آدم أبي البشر، ووجوههم أنور من القمر، وأزواجهم الكواعب الأتراب، التي جرى في أعضائهن ماء الشباب.

---

(١) الوصب: دوام الوجع ولزومه، وقد يطلق على التعب والفتور في البدن. النهاية مادة وصب.

(٢) الصَّاب: شجر مر، واحدته صابة، وقيل: هو عصارة الصبر، لسان العرب، مادة: صوب.

فللورد والتفاح ما لخدودها ضياء وللرمان ما لنهودها
وللؤلؤ المنظوم ما ضم ثغرها ومن أين للأغصان لين كعودها
إذا ما بدت للشمس ترخي نقابها تخاف انكسافاً صابها من شهودها
بها هام قلبي واعتراني بحبها ولوه وتيمني انعطافي لخودها[١]
عسى الله يجمع شملنا بعد بعدنا وأحظى بها لا أختشي من صدودها

فنسأل الله سبحانه أن يمن علينا بالرضا والعافية، ويدفع عنا أمر القضاء، ويرزقنا من شراب محبته الصافية، وأن يجعلنا أهلًا لتلك الدار، وأن يمتعنا بتلك الكواعب الأبكار، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير، آمين.

* * *

(١) الخوْدُ: الفتاة الحسنة الخَلْق الشابة ما لم تصر نصفاً، وقيل: الجارية الناعمة والجمع: خَوْدات وخُود. لسان العرب مادة: خود.

الباب الرابع عشر
في فصول جامعة وحكم هامعة(١)

الفصل الأول
في ذكر آخر أهل الجنة دخولًا

أخرج الشيخان عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إني لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها، وآخر أهل الجنة دخولًا الجنة رجل يخرج من النار حبواً، فيقول الله له: اذهب فادخل الجنة فيأتيها، فيخيل إليه أنها ملأى، فيرجع، فيقول: يا رب، وجدتها ملأى، فيقول الله له: اذهب فادخل الجنة، فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى، فيرجع فيقول: يا رب وجدتها ملأى، فيقول الله له: اذهب فادخل الجنة، فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها، أو إن لك عشرة أمثال الدنيا، قال: فيقول: أتسخر بي أو تضحك بي وأنت الملك؟ قال: لقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه، قال: فكان يقال: ذلك أدنى أهل الجنة منزلة»**(٢).

وفي صحيح مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولًا الجنة، وآخر أهل النار خروجاً منها: رجل يؤتى به يوم القيامة، فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه، وارفعوا كبارها، فتعرض عليه صغار ذنوبه، فيقال: عملت يوم كذا وكذا، وكذا وكذا؟**

---

(١) هَمَعَ الدمع والماء ونحوهما، يَهْمَعُ ويَهْمُعُ هَمْعاً وهَمَعاً وهُمُوعاً وهَمَعَانا، وأَهْمَعَ: سال. لسان العرب، مادة: همع.

(٢) أخرجه البخاري رقم ٦٥٧١، ومسلم ١٨٦ .

فيقول: نعم، لا يستطيع أن ينكر، وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه، فيقال: فإن لك مكان كل سيئة حسنة، فيقول: رب قد عملت أشياء لا أراها ههنا، فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه»[١].

وأخرج الطبراني عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن آخر رجل يدخل الجنة رجل يتقلب على الصراط ظهراً لبطن، كالغلام يضربه أبوه وهو يفر منه، يعجز عنه عمله أن يسعى، فيقول: يا رب بلغ بي الجنة، ونجني من النار، فيوحي الله تبارك وتعالى إليه عبدي إن أنا نجيتك من النار، وأدخلتك الجنة، أتعترف لي بذنوبك وخطاياك؟ فيقول العبد: نعم يا رب وعزتك وجلالك، لإن نجيتني من النار لأعترفن لك بذنوبي وخطاياي، فيجوز الجسر، ويقول العبد فيما بينه وبين نفسه: لإن اعترفت له بذنوبي وخطاياي ليردني إلى النار، فيوحي الله إليه عبدي اعترف لي بذنوبك وخطاياك، أغفرها لك وأدخلك الجنة، فيقول العبد لا وعزتك وجلالك ما أذنبت ذنباً قط ولا أخطأت خطيئة قط، فيوحي الله إليه: عبدي إن لي عليك بينة، فيلتفت العبد يميناً وشمالاً فلا يرى أحداً، فيقول: يا رب أرني بينتك، فيستنطق الله جلده بالمحقرات، فإذا رأى ذلك العبد يقول: يا رب عندي وعزتك وجلالك العظائم، فيوحي الله إليه: عبدي أنا أعرف بها منك اعترف لي بها أغفرها لك وأدخلك الجنة، فيعترف العبد بذنوبه، فيدخله الجنة، ثم ضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه، يقول: هذا أدنى أهل الجنة منزلة، فكيف بالذي فوقه؟»**[٢]. ورواه ابن أبي شيبة.

وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: **«آخر**

---

(١) مسلم رقم ١٩٠ .

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٨/١٥٨) رقم ٧٦٦٩، وذكره، والهيثمي (١٠/٧٤٢) رقم ١٨٦٧٢ وقال: رواه الطبراني وفيه من لم أعرفهم وضعفاء فيهم توثيق لين.

من يدخل الجنة رجل، فهو يمشي مرة ويكبو مرة، وتسفعه النار مرة، فإذا جاوزها التفت إليها، فقال: تبارك الذي نجاني منك، لقد أعطاني الله شيئاً ما أعطاه أحداً من الأولين والآخرين - يعني النجاة بعد أن آيس من نفسه وتحقق الهلاك - فترفع له شجرة، فيقول: أي رب أدنني من هذه الشجرة أستظل بظلها، وأشرب من مائها، فيقول الله تبارك وتعالى: يابن آدم، لعلي إن أعطيتكها سألتني غيرها، فيقول: لا يا رب، ويعاهده أن لا يسأله غيرها وربه يعذره، لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها، فيستظل بظلها ويشرب من مائها، ثم ترفع له شجرة هي أحسن من الأولى، فيقول: يا رب، أدنني من هذه، لأشرب من مائها، وأستظل بظلها لا أسألك غيرها. فيقول: يا ابن آدم ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها؟ فيقول: لعلي إن أدنيتك منها أن تسألني غيرها، فيعاهده أن لا يسأله غيرها، وربه يعذره، لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها، فيستظل بظلها، ويشرب من مائها، ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة هي أحسن من الأولتين، فيقول: أي رب، أدنني من هذه الشجرة لأستظل بظلها، لا أسألك غيرها، فيقول: يابن آدم، ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها؟ قال: بلى يا رب، هذه لا أسألك غيرها، وربه يعذره، لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها، فإذا أدناه منها سمع أصوات أهل الجنة، فيقول: يا رب أدخلنيها. فيقول: يابن آدم [ما يصريني[1] منك][2]، أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها، قال: يا رب، أتستهزئ مني وأنت رب العالمين؟ فضحك ابن مسعود، فقال: ألا تسألوني مما أضحك؟ قالوا: مما تضحك؟ قال: هكذا ضحك رسول الله

---

(١) يصريني منك: هو بفتح الياء وإسكان الصاد المهملة، ومعناه: يقطع مسألتك مني. انظر شرح النووي على صحيح مسلم (٣/ ٣٥) وفي النهاية: (ما يصرين منك) أي يقطع مسألتك ويمنعك من سؤالي، يقال: صريت الشيء إذا قطعته/ النهاية: مادة: صرم.

(٢) ما بين المعقوفتين ليست بالأصل ولا في نسخة (أ) وأثبتناها من نص الحديث.

ﷺ فقالوا: مما تضحك يا رسول الله؟ قال: من ضحك رب العالمين حين قال: أتستهزئ بي وأنت رب العالمين؟ فيقول: لا أستهزئ بك ولكني على ما أشاء قادر»[١].

وأخرجه البرقاني بسند صحيح عن أبي سعيد الخدري بنحوه، غير أنه قال في الشجرة الأولى مثل له شجرة ذات ظل فقال: **«قدمني إلى هذه الشجرة لأكون في ظلها، وفي الثانية ذات ظل وثمر، فقال: لأستظل بظلها، وآكل من ثمرها، وفي الثالثة ذات ظل وثمر وماء فقال: لأكون في ظلها وآكل من ثمرها، وأشرب من مائها، وأبدل «لعلي إن أعطيتكها» «بهل عسيت إن أعطيتك ذلك» وكررها في كل شجرة وأبدل «ترفع» بمُثِّلَ له، ولفظه: سمع أصوات أهل الجنة بقوله: فتبرز له الجنة فيقول: أي رب، قدمني إلى باب الجنة، فأكون بنجاف الجنة»**.

وفي رواية: **«تحت نجاف الجنة. أنظر إلى أهلها، فيقدمه الله إليها فيرى أهل الجنة وما فيها، فيقول: أي رب أدخلني الجنة، فيدخله الجنة، فإذا دخل الجنة، فيقول: هذا لي، فيقول الله له: تمن. قال: فيتمنى، ويذكره الله: سل كذا وكذا. فإذا انقطعت به الأماني قال الله: هو لك وعشرة أمثاله، قال: ثم يدخل بيته. وتدخل عليه زوجاته من الحور العين»**[٢] الحديث.

قوله: تحت نجاف الجنة، قال في النهاية: قيل هو أسكفة الباب، والله تعالى أعلم.

* * *

---

(١) رواه مسلم رقم ١٨٧ .
(٢) رواه أحمد (٣/ ٢٧) رقم ١١٢٣٢، وروى بعضه مسلم رقم ١٨٨ .

الفصل الثاني
في لسان أهل الجنة

أخرج ابن أبي الدنيا عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يدخل أهل الجنة الجنة على طول آدم ستين ذراعاً بذراع الملك، وعلى حسن يوسف، وعلى ميلاد عيسى ثلاث وثلاثين سنة، وعلى لسان محمد ﷺ جرد مرد مكحولون**»[(١)].

وقال ابن عباس: لسان أهل الجنة عربي، وكذا الزهري، رواه عنه ابن المبارك، قال القرطبي: ولسانهم إذا خرجوا من قبورهم سرياني[(٢)]. وقال سفيان: بلغنا أن الناس يتكلمون يوم القيامة قبل أن يدخلوا الجنة بالسريانية، فإذا دخلوا الجنة تكلموا بالعربية.

قال العلامة: وفيه بحث، فإن القرآن ناطق بتكلمهم بالعربية قبل دخولهم الجنة، قال تعالى حكاية عنهم: ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ [يس: ٥٢] ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾ [فصلت: ٢١] وكذا لسان أهل النار قال حكاية عنهم: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧] ثم قال: اللهم إلا أن يكون ذلك من باب حكاية المعنى جمعاً للقولين، فليتأمل، والمراد بالملك في قوله: «بذراع الملك» ملك من ملوك اليمن له ذراع معروف المقدار، وقيل: ملك بالعجم، ذكر ذلك الحافظ المنذري، والله تعالى أعلم.

* * *

---

(١) ذكره ابن طولون في الأحاديث المائة (٨٤) رقم ٩٤ .
(٢) في حاشية الأصل/ قف على لسان الموتى إذا خرجوا من قبورهم سرياني على رأي القرطبي.

الفصل الثالث

في احتجاج الجنة والنار

أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: **«احتجت النار والجنة، فقالت هذه: يدخلني الجبارون والمتكبرون، وقالت هذه: يدخلني الضعفاء والمساكين، فقال الله عز وجل لهذه: أنت عذابي أعذب بك من أشاء، وقال لهذه: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء، ولكل واحدة منكما ملؤها»**[1].

* * *

(١) رواه البخاري رقم ٤٨٥٠ بلفظ «تحاجت الجنة والنار» ومسلم رقم ٢٨٤٦ واللفظ له.

الفصل الرابع

في امتناع النوم على أهل الجنة

روى ابن مردويه عن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**النوم أخو الموت، وأهل الجنة لا ينامون**»[١].

وأخرجه الطبراني عنه سئل نبي الله ﷺ أينام أهل الجنة؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «**النوم أخو الموت، وأهل الجنة لا ينامون**»[٢].

* * *

(١) رواه الطبراني في الأوسط (١/ ٢٨٢) رقم ٩١٩، و(٨/ ٣٤٢) رقم ٨٨١٦، وأبو نعيم في الحلية (٧/ ٩٠)، وذكره الهيثمي (١٠/ ٧٦٨) رقم ١٨٧٤٠ وقال: رواه الطبراني في الأوسط والبزار ورجال البزار رجال الصحيح.
(٢) انظر تخريج الحديث السابق.

الفصل الخامس

في ارتقاء العبد وهو في الجنة من درجة إلى درجة أعلى منها

أخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول: يا رب أنى لي هذه؟ فيقول: باستغفار ولدك لك»**(١).

* * *

(١) رواه أحمد (٢/ ٥٠٩) رقم ١٠٦١٨، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٦/ ٢٥٥)، وبنحوه ابن ماجة (٢/ ١٢٠٧) رقم ٣٦٦٠، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٧٨) رقم ١٣٢٣٧، والطبراني في الأوسط (٥/ ٢١٠) رقم ٥١٠٨، وذكره الهيثمي (١٠/ ٣٥١) رقم ١٧٥٩٥ وقال: رواه أحمد والطبراني في الأوسط ورجالهما رجال الصحيح غير عاصم بن بهدلة وقد وثق.

الفصل السادس
في إلحاق ذرية العبد المؤمن به في الدرجة وإن لم يعملوا عمله

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وأتبعناهم ذرياتهم[1] بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذرياتهم[1] وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١].

وقال رسول الله ﷺ: **«إن الله ليرفع ذرية المؤمن إليه في درجته وإن كانوا دونه في العمل، لتقر بهم عينه ثم قرأ الآية»**[2] قال: ما نقصنا الآباء مما أعطينا البنين، ذكره في «حادي الأرواح».

وأخرج ابن مردويه في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال شريك أظنه حكاه، عن النبي ﷺ «إذا دخل الرجل الجنة سأل عن أبويه وزوجته، وولده؟ فيقال: إنهم لم يبلغوا درجتك أو عملك، فيقول: يا رب، قد عملت لي ولهم، فيؤمر بإلحاقهم به[3] ثم تلا ابن عباس: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم﴾ الآية»[4].

---

(١) كذا بالأصل وهي قراءة صحيحة رواها أبو عمرو وابن عامر، وتقدمت غير مرة.

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٣٠٢) باختلاف يسير مرفوعاً، والبغوي في معالم التنزيل (١/ ٣٨٨) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٦٣٢)، ورواه موقوفاً على ابن عباس البيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٦٨) رقم ٢١٠٧٩، وابن أبي الدنيا في العيال (٢/ ٦١٦)، وذكره الهيثمي (٧/ ٢٤٥) رقم ١١٣٧٠ وقال: رواه البزار وفيه قيس بن الربيع وثقه شعبة والثوري وفيه ضعف.

(٣) رواه الطبراني في الكبير (١١/ ٤٤٠) رقم ١٢٢٤٨، والصغير (١/ ٣٨٢) رقم ٦٤٠، وذكره الهيثمي (٧/ ٢٤٥) رقم ١١٣٦٩ وقال رواه الطبراني في الصغير والكبير وفيه محمد بن عبد الرحمن بن غزوان وهو ضعيف.

(٤) في الأصل (بالإلحاق بهم)والمثبت هو الموافق لنص الحديث.

واختلف العلماء ما المراد بالذرية؟ فقالت طائفة: المعنى والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان فأتوا بمثل ما أتوا به من الإيمان، فألحقناهم بهم في الدرجات، فالمراد بالذرية: الكبار، وقد أطلق الله الذرية عليهم في قوله: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ﴾ [الأنعام: ٨٤] وفي قوله: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ [الإسراء: ٣] ويدل عليه قول ابن عباس يرفعه: «**إن الله يرفع ذرية المؤمن إلى درجته وإن كان دونه في العمل لتقر بهم عينه**»[(١)] فهذا يدل على أنهم كبار، لأنهم من أهل العمل، كما نطق به الحديث، وقالت طائفة أخرى: المراد بالذرية هنا الصغار، والمعنى والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم في إيمان الآباء، والذرية تبع الآباء - وإن كانوا صغاراً - في الإيمان وأحكامه من الميراث والدية والدفن وغير ذلك، فعلى هذا قوله: ﴿بإيمان﴾ في موضع نصب على الحال من المفعولين، أي واتبعناهم ذرياتهم بإيمان الآباء، ويدل على هذا أن التابعين لهم حكم أنفسهم في الثواب والعقاب، ولو كان المراد بالذرية البالغين لكان أولاد الصحابة البالغون كلهم في درجة آبائهم، ويكون أولادهم كذلك، وكذا أولاد أولادهم وهلم جرا إلى ما لا نهاية، فيلزم أن يكون جميع الناس في درجة واحدة، ولا قائل به.

وقالت طائفة منهم الواحدي: الوجه أن تحمل الذرية على الصغار والكبار، لأن الكبير يتبع الأب بإيمان نفسه، والصغير يتبع الأب بإيمان الأب، وهذا هو الصحيح الذي لا شك فيه، لئلا يلزم استواء المتأخرين والسابقين في الدرجات، والقرآن ناصٌ على خلافه، ولا يلزم مثل ذلك في الصغار، لأن كل رجل وذريته من الأطفال معه في درجته، ولا يذهب عليك أن لا طفل في الجنة من أبناء المؤمنين كما أسلفنا الكلام عليه، فالمراد أن من مات من أولاد المؤمنين، وإن دخلوا الجنة أبناء ثلاث وثلاثين سنة فإنهم يكونون في درجة الآباء ملحقين بهم، لأنهم لم يعملوا في دار العمل، هذا الذي يظهر لي على الصحيح، والله أعلم.

---

(١) انظر الحديث قبل السابق.

الفصل السابع
في مسألة عظيمة ونكتة جسيمة

وهي أن رجلًا من أهل العلم قدم على الشام حرسها الملك السلام، فأظهر أن الله سبحانه لا يعلم عدد نعيم الجنة، فخالفه جل أهل العلم، بل كلهم إلا من شاء الله، ثم بعد أيام اجتمعت به، وعنده جماعة من الفضلاء، فسألني بعضهم وقال: ما تقول في هذه المسألة؟ فقلت: قد عُلِمَ بالضرورة أن علم الله يتعلق بالواجب والجائز والمستحيل من حيث هو علي ما يكون، وقد علمنا أن نعيم الجنة لا نهاية له، فلو أن الله علم عدده لكان له نهاية، لأن علم الله إنما يتعلق بالشيء على ما هو عليه، ولو كان له نهاية لكان ينفد ضرورة، لكن أقول: قد علم الله أن لا نهاية لنعيم الجنة، ولا أقول: إن الله لا يعلم عدد نعيم الجنة، هذا جوابي لمن سألني ثم رأيت سنة أربعين ومائة وألف في آخر كتاب العلامة الشيخ مرعى توقيف الفريقين على خلود أهل الدارين ما نصه: قال النسفي في (بحر الكلام): سأل قوم: هل يعلم الله عدد أنفاس أهل الجنة والنار أم لا؟ فإن قلتم: لا، فقد وصفتم الله بالجهل - تعالى الله عنه - وإن قلتم نعم، لزم أن أهل الجنة والنار يفنون، قال: والجواب أن نقول: إن الله يعلم أن أنفاس أهل الجنة والنار ليست بمعدودة، ولا تنقطع، فإن قيل: إن قلتم بأنهم لا يفنون، فقد سويتم بينهم وبين الله؟ قلنا لا، لأن الله تعالى قديم بلا ابتداء، آخر بلا انتهاء، وأهل الجنة محدثون، وإنما يبقون ولا يفنون بإبقاء الله تعالى إياهم، والله تعالى باق بنفسه، فلا يكون تسوية بين الخالق والمخلوق، انتهى[1]. فنسأل

(١) في حاشية الأصل/ واعلم أن كل ذي فهم يفرق بين قولنا: الله يعلم أن لا شريك له، =

الله يرزقنا علم الأشياء على ما هي عليه على الحقيقة، بمنه وكرمه، إنه على ذلك قدير، وبالإجابة جدير.

* * *

= وبين قولنا: الله لا يعلم له شريكا، وكذا الله يعلم أن لا عدد لنعيم الجنة، والله لا يعلم عدد نعيم الجنة، فليتأمل - مؤلفه.

الفصل الثامن

ترفع جميع العبادات في الجنة إلا عبادة الذكر، فإنها دائمة لا تبيد ولا ترفع حتى في دار الجزاء.

أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**يأكل أهل الجنة فيها ويشربون، ولا يمتخطون ولا يتغوطون ولا يبولون، ويكون طعامهم ذلك جشاء ورشحاً كرشح المسك، يلهمون التسبيح والحمد كما يلهمون النفس**»[١].

وفي رواية: «**التسبيح والتكبير كما تلهمون النفس**»[٢] - بالتاء المثناة فوق- أي تسبيحهم وتحميدهم وتكبيرهم لا كلفة عليهم فيه، بل يجري مع الأنفاس.

واعلم أن أعظم الذكر: القرآن العظيم، فإن أهل الجنة يتنعمون به فيها، وقد مر في غير حديث ذكر ذلك، والله تعالى أعلم.

* * *

---

(١) رواه مسلم رقم ٢٨٣٥ وتقدم.

(٢) رواه أحمد (٣/ ٣٥٤) رقم ١٤٨٥٧ بلفظ «التسبيح والتحميد»، وأبو يعلى في مسنده (٣/ ٤١٨) رقم ١٩٠٦، و(٤/ ٤٥) رقم ٢٠٥٢ .

الباب الخامس عشر
فيمن يستحق لهذه الدار من الملل والأنفار

قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ [البقرة: ٢٥] وقال: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [يونس: ٦٢-٦٤] وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [فصلت: ٣٠-٣١] إلى غير ذلك من الآيات القرآنية والكلمات الربانية، ومدارها على ثلاث[1] قواعد: إيمان وتقوى وعمل خالص لله على موافقة السنة الغراء، فأهل هذه الثلاثة أصول هم: أهل البشرى دون من سواهم من سائر الخلق لفاً ونشراً[2]، وعليها دارت بشارات القرآن، وسنة سيد ولد عدنان، وهي

---

(١) في الأصل (ثلاثة) والمثبت هو الصواب.

(٢) يقال: جاء القوم بلَفِّهم ولَفِّتِهم ولفيفهم أي بجماعتهم وأخلاطهم، واللفيف: القوم يجتمعون من قبائل شتى ليس أصلهم واحداً. لسان العرب مادة: لفف.
- يقال: أنشر الله الموتى فَنَشَروا، هم إذا حَيُو، وأنشرهم الله أي أحياهم - لسان العرب مادة: نشر.
- واللف والنشر نوع من أنواع البديع، وهو من المحسنات المعنوية، وقد عرف بأنه: ذكر متعدد على جهة التفصيل أو الإجمال ثم ذكر ما لكل واحد من غير تعيين، ثقة بأن السامع يرده إليه، وهو قسمان: لف ونشر مرتب، ولف ونشر غير مرتب، وذلك كقوله تعالى: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [القصص: ٧٣] وكقوله: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ﴾ [البقرة: ١١١] انظر: الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني (٦/ ٤٢)، وخزانة الأدب للحموي (١/ ٥٧) وما بعدها.

تجتمع في رجلين، إخلاص في طاعة الله، وإحسان إلى خلقه، وضدها تجتمع في الذين يراءون ويمنعون الماعون، ويرجع ذلك إلى خصلة واحدة، وهي موافقة الرب تعالى في محابه، ولا طريق لذلك إلا بتحقيق القدوة ظاهراً وباطناً برسول الله ﷺ، ولا تتحقق القدوة به ﷺ إلا باتباع ما جاء به من الآيات الصريحة، والأخبار الصحيحة، أمراً ونهياً، وإثباتاً ونفياً، وقولًا وعملًا، وتقريراً وصفة، وأما الأعمال التي هي تفاصيل هذا الأصل فهي **«بضع وسبعون شعبة أعلاها: قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق»**[1] وبينهما سائر الشعب التي مدارها على تصديق الرسول ﷺ في كل ما أخبر به، وطاعته في جميع ما أمر به، إيجاباً واستحباباً، كالإيمان بأسماء الرب وصفاته وأفعاله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، بل هو كما وصف به نفسه وفوق ما وصفه به خلقه، وها نحن نملي عليك جملة اعتقادنا موافقة لإمام السنة وحليلها وصاحبها، وخليلها الإمام المبجل، سيدنا الإمام أحمد بن محمد بن حنبل، طيب الله ثراه، لا تقليداً له في ذلك إذ لا يجوز التقليد في العقائد وهل يجزئ أم لا؟ الحق يجزئ خلافاً لقوم.

قال في شرح (مختصر التحرير): ويحرم التقليد في معرفة الله سبحانه وفي التوحيد والرسالة عند الإمام أحمد والأكثر، وذكره الإمام أبو الخطاب من أجلاء أصحابنا عن عامة العلماء، وذكر غيره أنه قول الجمهور. وكذا لا يجوز في الأركان الخمس، ونحوها مما ثبت بالتواتر، وقال في (جمع الجوامع): اختلف في التقليد في أصول الدين، قال شارحه الجلال المحلي، فقال كثيرون، ورجحه الإمام الرازي والآمدي: لا يجوز. بل

---

(١) حديث رواه مسلم رقم ٣٥ .

يجب النظر، لأن المطلوب فيه اليقين، ثم قال، وقيل: النظر فيه حرام، لأنه مظنة الوقوع في الشبه والضلال، ثم قال: وعن الأشعري: لا يصح إيمان المقلد، قال الشارح: وشنع أقوام عليه بأنه يلزمه تكفير العوام وهم غالب المؤمنين، ثم دفع التشنيع بأنه إن كان التقليد أخذاً بقول الغير بغير حجة مع احتمال شك أو وهم بأن لا يجزم به، فلا يكفي إيمان المقلد قطعاً، وإن كان التقليد أخذاً لقول الغير بغير حجة، لكن جزماً فيكفي إيمان المقلد عند الأشعري، خلافاً لأبي هاشم من المعتزلة، وقال شارح المنتهى: انعقد الإجماع على وجوب معرفة الله، ولا تحصل بتقليد لجواز كذب المخبر.

قلت: والصحيح المعتمد أنه لا يجوز التقليد في أصول الدين، لكن يجزئ حيث جزم بكلام من قلده، وكان يصلح للتقليد جزماً لا يتطرق إليه شك ولا وهم، وتردد كما أخبرنا أستاذنا الشيخ حسن المصري، قال: كان يحضرني رجل نجدى، فكنا إذا تذاكرنا في أصول الدين يقول ذلك الرجل: قال لي أستاذي الشيخ أبو المواهب كذا. فنأتي بأدلة وكلام المحققين فلا يلتفت إليه ويقول: كذا أخبرني أستاذي ولا أرجع عما أخبرني به أبداً، فهذا جزم بما أخبره به أستاذه جزماً لا يتطرق إليه أدنى وهم، وعلى كل حال النظر والاستدلال واجب على فحول الرجال، قال الله سبحانه: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [يونس: ١٠١].

وفي صحيح ابن حبان لما نزل: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ الآيات. [آل عمران: ١٩٠] قال ﷺ: «**ويل لمن قرأهن ولم يتدبرهن، ويل له ويل له**»[1] فالذي ندين الله به موافقة

(١) جزء من حديث رواه ابن حبان في صحيحه (٢/ ٣٨٦) رقم ٦٢٠ باختلاف يسير.

لأصحاب الحديث، وما ذهبوا إليه في القديم والحديث، الإقرار بالله سبحانه وتعالى وملائكته وكتبه ورسله، وما جاء من عند الله، وما رواه الثقات عن المعصوم ﷺ، لا نرد من ذلك شيئاً، ولا نؤول إلا ما أوله أصحابه ﷺ وسلف الأمة من علماء الآثار، وأن الله سبحانه إله واحد فرد صمد، لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن الجنة حق، والنار حق، ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ﴾ [الحج: ٧]. وأن جميع ما ورد من آيات الصفات سواء كانت صفات ذات، أو صفات فعل نؤمن بها، ونمرها كما جاءت، ونعتقد ذلك مع جزمنا بعدم التشبيه والتمثيل، وأن ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] وإنا لا ندرك كنه ذات الله تعالى وأنه لا يعلم ذلك إلا هو، وأن جميع الرسل حق جاءوا بالحق، وأنهم بلغوا ما أمروا به بتبليغه، وأنهم معصومون من جميع الرذائل، صلوات الله عليهم، فنؤمن بجميع ما أخبر سبحانه، لا كما يخطر في أوهاوم البشر.

سائلي عن عقيدتي أحسن الله ظنه ... علم الله أنها شهد الله أنه
هذا اعتقادي ما حييت وأن أمت ... فوصيتي ذاكم إلى إخواني
لا أنثني عن ذا ولا أبغي الهدى ... في غيره لا والذي هداني
يا مبتغى طرق السلامة إنني ... بينتها بالنص خير بياني
فأطرح كلام مشبه ومعطل ... وأنحو كلام مسلم رباني
جاس[1] الشريعة فاقتفى سنن الهدى ... وأتى مقالة أحمد الشيباني
فعليه من رب العباد تحية ... ما ناح مشتاق إلى الأوطان
ثم الصلاة على النبي وآله ... ما صاح شحرور على الأغصان

---

(١) يقال: يجوس الرجل الأخبار أي يطلبها، والجوس: طلب الشيء باستقصاء. لسان العرب، مادة: جوس.

فنسأل الله سبحانه بكتبه المنزلة، ورسله المرسلة، أن يتوفانا على الكتاب والسنة، لا مغيرين ولا مبدلين، بجاه سيد العالم وخير بني آدم محمد ﷺ.

شعر لمؤلفه:

لكل امرئ عند الإله وسيلة ... تنجيه في يوم الجزاء من عذابه
وما لي سوى ذلي وفقري وفاقتي ... وحسن رجائي وانكساري ببابه
عسى خالقي يمحو ذنوبي بمنه ... ويقبضني متمسكاً بكتابه

تتمة:

أول دعاء أهل الجنة التسبيح، وآخر دعواهم التحميد، كما قال سبحانه: «دعواهم فيها - أي في الجنة - سبحانك» سئل رسول الله ﷺ عن سبحان؟ فقال: «**تنزيه الله عن السوء**»[(١)]. وسئل عليٌّ عنها فقال: «كلمة رضيها الله لنفسه».

وقوله: اللهم، أي يا اللّه، فالميم عوض عن حرف النداء، ومن ثم لا يجمع بينهما إلا ضرورة، وتحيتهم - يعني أهل الجنة - فيها سلام، وآخر دعواهم أن الحمد للّه رب العالمين، قال ابن جريج: أخبرت أن قوله: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾ إذا مر بهم الطير يشتهونه فيسلم عليهم فيردون عليه، فذلك قوله: ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ فإذا أكلوا حمدوا اللّه ربهم فذلك قوله: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

والحاصل أن أول دعاء أهل الجنة في كل شيء التسبيح وآخره

(١) رواه الطبري في التفسير (٦/ ٥٣٥)، وفي (٨/ ٣) ولكن بلفظ «إنزاه» بدل «تنزيه» والدارقطني في العلل (٤/ ٢٠٨) رقم ٥١٤ .

التحميد، إشعاراً بأن لا تلكيف عليهم، وإنما يلهمون ذلك إلهاماً كالنفس من غير كلفة، واللَّه تعالى أعلم.

*** * ***

الكتاب الخامس

في ذكر النار وصفاتها وشدة عذابها وزفراتها
أعاذنا الله تعالى منها بمنه وكرمه

قد مر أنها مخلوقة الآن كالجنة، خلافاً لأهل االضلال والبدع والاعتزال، ولنذكر الكلام عليها في عشرة أبواب وخاتمة.



«الباب الأول»

في ذكر الإنذار والتحذير من النار
والخوف منها وأحوال الخائفين من تلك الدار

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ الآية [التحريم: ٦]، وقال: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤] وقال: ﴿وَٱتَّقُواْ[1] ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١] وقال: ﴿فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ﴾ [الليل: ١٤] وقال: ﴿لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾ [الزمر: ١٦] وقال: ﴿وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡبَشَرِ ۝٣١ كَلَّا وَٱلۡقَمَرِ ۝٣٢ وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ۝٣٣ وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ ۝٣٤ إِنَّهَا لَإِحۡدَى ٱلۡكُبَرِ ۝٣٥ نَذِيرٗا لِّلۡبَشَرِ ۝٣٦ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ﴾ [المدثر: ٣٢-٣٧].

قال الحافظ ابن رجب في كتابه «التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار» عن الحسن البصري في قوله تعالى: ﴿نَذِيرٗا لِّلۡبَشَرِ﴾ [المدثر: ٣٦] قال: والله ما أنذر الله العباد شيئاً قط أدهى منها، وقال قتادة: في قوله: ﴿إِنَّهَا لَإِحۡدَى ٱلۡكُبَرِ﴾ [المدثر: ٣٥] يعني النار، وأخرج الإمام أحمد عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ، يخطب يقول: **«أنذرتكم النار، أنذرتكم النار، حتى لو أن رجلًا كان بالسوق لسمعه من مقامي هذا»**[2]، وفي لفظ: **«حتى لو أن رجلًا في أقصى السوق لسمعه**

(١) في الأصل (فاتقوا) والمثبت هو الصواب.

(٢) رواه أحمد (٤/ ٢٧٢) رقم ١٨٤٢٢، والحاكم (١/ ٤٢٣) رقم ١٠٥٨ وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

وسمع أهل السوق صوته وهو على المنبر»[١].

وفي الصحيحين عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«اتقوا النار، قال: وأشاح، ثم قال: اتقوا النار، ثم أعرض وأشاح ثلاثاً، حتى ظننا أنه ينظر إليها، ثم قال: «اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة»**[٢].

وفيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«إنما مثلي ومثل أمتي كمثل رجل استوقد ناراً فجعلت الدواب والفراش يقعن فيها، فأنا آخذ بحجزكم وأنتم تقتحمون فيها»**[٣]، وفي رواية لمسلم: **«مثلي كمثل رجل استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذا الدواب التي يقعن في النار يقعن فيها وجعل يحجزهن فيقتحمن فيها، قال فذلكم مثلي ومثلكم، أنا آخذ. بحجزكم عن النار، هلم عن النار، هلم عن النار، فتغلبوني وتقتحمون فيها»**[٤].

وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها وهو يدعهن عنها وأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تفلتون من يدي»**[٥] الفراش دواب مثل البعوض، واحدتها فراشة، وهي التي تطير وتتهافت في السراج بسبب ضعف أبصارها، فهي لضعف بصرها تطلب ضوء النار، فإذا رأت المسكينة السراج في الليل ظنت أنها في بيت مظلم، وأن السراج كوة

---

(١) رواه أحمد (٤/ ٢٧٢) رقم ١٨٤٢٣، وبنحوه أخرجه ابن حبان في صحيحه (٢/ ٤٤١) رقم ٦٦٧، والدارمي (٢/ ٤٢٥) رقم ٢٨١١٢ .

(٢) أخرجه البخاري رقم ٦٠٢٣، ورقم ٦٥٤٠، ٦٥٦٣، ومسلم رقم ١٠١٦ .

(٣) أخرجه البخاري رقم ٦٤٨٣، ومسلم رقم ٢٢٨٤ .

(٤) رواه مسلم رقم ٢٢٨٤ باختلاف في بعض الألفاظ.

(٥) رواه مسلم رقم ٢٢٨٥، وأحمد (٣/ ٣٩٢) رقم ١٥٢٥٠ بلفظ «يذبهن» بدل «يدعهن».

في البيت المظلم، فتقصد الموضع المضيء، ولا تزال تطلب الضوء وترمي نفسها إلى الكوة، فإذا جاوزتها ورأت الظلام ظنت أنها لم تصب الكوة ولم تقصدها على السداد فتعود إليها مرة أخرى حتى تحترق.

قال الإمام الغزالي: ولعلك تظن أن هذا لنقصان عقلها وكثرة جهلها، فاعلم أن جهل الإنسان أعظم من جهلها، بل صورة الإنسان في الإكباب على الشهوات كالتهافت على النار، فلا يزال يرمي نفسه فيها إلى أن ينغمس فيها ويهلك هلاكاً مؤبداً.

فليت جهل الآدمي كان كجهل الفراش، فإنها باغترارها بظاهر الضوء إن احترقت تخلصت في الحال، والآدمي يبقى في النار أبد الآباد أو مدة مديدة. انتهى.

والجنادب ضرب من الجراد، واحدها جندب مثلث الدال، قال سيبويه: النون فيه زائدة، وقيل: هو ذكر الجراد، والصحيح: أن الجندب غير الجراد كما هو معروف، والله تعالى أعلم.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه لما نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] دعا رسول الله ﷺ قريشاً فاجتمعوا فعم وخص فقال: **«يا بني كعب بن لؤي، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرة بن كعب، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد شمس، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد مناف، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبدالمطلب، أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة، أنقذي نفسك من النار فإني لا أملك لكم من الله شيئاً»**[١].

(١) رواه مسلم رقم ٢٠٤، وأحمد (٢/ ٣٦٠) رقم ٨٧١١ باختلاف يسير في بعض الألفاظ.

وأخرج الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: **«ما رأيت مثل النار نام هاربها، ولا مثل الجنة نام طالبها»**[1] وفيه يحي ضعفوه.

ورواه ابن مردويه بسند أجود من سند الترمذي.

وخرجه الترمذي أيضاً بإسناد نظروا فيه عن أنس رضي الله عنه، وابن عدي بإسناد ضعيف عن عمر رضي الله عنه ذكره الحافظ ابن رجب، وذكر عن يوسف بن عطية عن المعلى بن زياد: كان هرم بن حيَّان يخرج في بعض الليل فينادي بأعلى صوته: عجبت من الجنة كيف ينام طالبها؟ وعجبت من النار كيف ينام هاربها؟ ثم يقول: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾ الآية [الأعراف: ٩٧].

وخرج الإمام أحمد في (الزهد) عن أبي الجوزاء أنه قال: لو وليت من أمر الناس شيئاً اتخذت مناراً- أي بفتح الميم مكاناً مرتفعاً- على الطريق وأقمت عليها رجالًا ينادون الناس: النار، النار.

وخرج ولده في زوائد الزهد عن ابن دينار أنه قال: لو وجدت أعواناً لفرقتهم ينادون في منار الدنيا كلها: يا أيها الناس: النار، النار، وفي لفظ: لو وجدت أعواناً لناديت في منار البصرة- أي بفتح الموحدة وكسرها- بالليل: النار، النار، النار.

* * *

(١) رواه الترمذي (٤/ ٧١٥) رقم ٢٦٠١، والطبراني في الأوسط (٢/ ١٧٧) رقم ١٦٣٨ عن أنس، والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ٣٥٠) رقم ٣٨٨، وأبو نعيم في الحلية (٨/ ١٧٨)، وذكره الهيثمي (١٠/ ٣٩٨) رقم ١٧٧٠٩ وقال: رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن.

فصل

وأما الخوف من النار فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥، ٦٦].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ [المعارج: ٢٧، ٢٨].

وقال: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: ١٤].

وقال: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ [الطور: ٢٥-٢٧].

قال إبراهيم التيمي رَحِمَهُ اللَّهُ: ينبغي لمن لم يحزن أن يخاف أن يكون من أهل النار، لأن أهل الجنة قالوا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾ [فاطر: ٣٤] أي فإنه يدل على أنهم كانوا متلبسين به في حال الدنيا، لأن قولهم أذهب عنا الحزن- يقتضى أنهم كانوا محزونين ومتصفين به، فعوضهم الله فرحاً دائماً وسرورا لا انقضاء له، قال: وينبغي لمن لم يشفق أن يخاف أن لا يكون من أهل الجنة، لأنهم قالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ [الطور: ٢٦].

وقد كان رسول الله ﷺ كثيراً ما يستعيذ من النار[١]، ويأمر بذلك في

(١) انظر سنن أبي داود (٢/ ٧٣٤) رقم ٥٠٥٨، وابن ماجة (٢/ ١٢٦٤) رقم ٣٨٤٦، وأحمد (١١٧/٢) رقم ٥٩٨٣ .

الصلوات وغيرها، والأحاديث في ذلك أكثر من أن تستقصي.

قال أنس ﷺ: «**كان أكثر دعاء رسول الله ﷺ: ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار**»[١]. أخرجه البخاري.

وأخرج النسائي عن أبي هريرة ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول: «اللهم إني أعوذ بك من حر جهنم»[٢].

وأخرج أبو داود وابن ماجه عن جابر ﷺ أن النبي ﷺ قال لرجل: «**كيف تقول في الصلاة؟ قال أتشهد ثم أقول: اللهم إني أسألك الجنة وأعوذ بك من النار، أما إني لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ، فقال النبي ﷺ: حولها ندندن**»[٣] وأخرجه البزار بلفظ، «**وهل أدندن أنا ومعاذ إلا لندخل الجنة ونعاذ من النار**»[٤].

قال الحافظ في (التخويف): روينا عن ابن عمر ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**إنما يدخل الجنة من يرجوها، ويُجَنَّبُ من النار من يخافها، وإنما يرحم الله من يرحم**»[٥].

وخرجه أبو نعيم وعنده: وإنما يرحم اللّه من عباده الرحماء، وقال غريب.

---

(١) رواه البخاري رقم ٦٣٨٩، ومسلم رقم ٢٦٩٠.

(٢) جزء من حديث رواه النسائي (٨/ ٢٧٨) رقم ٥٥٢٠.

(٣) أخرجه أبو داود (١/ ٢٧٠) رقم ٧٩٢، وابن ماجة (١/ ٢٩٥) رقم ٩١٠، و(٢/ ١٢٦٤) رقم ٢٨٤٧.

(٤) ذكره الهيثمي ضمن حديث طويل (٢/ ٣٢١) رقم ٢٨٠٢، وقال: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح خلا معاذ بن عبد اللّه بن حبيب وهو ثقة لا كلام فيه.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٨١) رقم ٣٤٣٤٩ بلفظ «يخشاها» بدل «يخافها»، والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ٤٨٣) رقم ٧٧٨ بلفظ المصنف، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٣/ ٢٢٥) وقال: هذا حديث غريب من حديث زيد مرفوعاً متصلًا.

قال الحافظ: ورواه ابن عجلان عن زيد مرسلًا قال: والمرسل أشبه.

وقال الإمام عمر رضي الله عنه: لو نادى مناد من السماء: أيها الناس إنكم داخلون الجنة كلكم إلا رجلًا واحداً لخفت أن أكون أنا هو، خرجه أبو نعيم.

وخرج الإمام أحمد عن عثمان رضي الله عنه أنه قال: لو أني بين الجنة والنار ولا أدري إلى أيتهما يذهب بي، لاخترت أن أكون رماداً قبل أن أعلم إلى أيتهما أصير.

واعلم أن الخوف من عذاب جهنم لا يخرج عنه أحد من الخلق، وقد توعد الله سبحانه خاصة خلقه على المعصية، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء: ٣٩].

وقال في حق الملائكة: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٢٩].

وثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في حديث الشفاعة قال: **«فيأتون آدم فيقول آدم: إني ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإنه أمرني بأمر فعصيته فأخاف أن يطرحني في النار، انطلقوا إلى غيري، نفسي نفسي، وذكر في نوح وإبراهيم وموسى وعيسى مثل ذلك، كلهم يقول: إني أخاف أن يطرحني في النار»**[1]، خرجه ابن أبي الدنيا، وخرجه مسلم بنحوه، وكذلك البخاري.

---

(١) سبق غير مرة.

قال الحافظ- ابن رجب-: «ولم يزل الأنبياء عليهم السلام، والصديقون، والشهداء، والصالحون، يخافون النار ويخوفون منها، فأما ما يذكر عن بعض العارفين من عدم خشية النار، فالصحيح منه له وجه سنذكره إن شاء الله تعالى.

قال ابن المبارك عن وهب بن منبه، قال حكيم من الحكماء: إني لأستحي من الله عز وجل أن أعبده رجاء ثواب الجنة - أي فقط - فأكون كالأجير السوء، إن أعطى عمل وإن لم يعط لم يعمل، وإني لأستحي من الله تعالى أن أعبده مخافة النار - أي فقط - فأكون كالعبد السوء إن رهب عمل وإن لم يرهب لم يعمل، وإنه يستخرج حبه مني ما لا يستخرجه مني غيره خرجه أبو نعيم.

وفيه تفسير لهذا الكلام من بعض رواته، وهو أنه ذم العبادة على وجه الرجاء وحده، أو على وجه الخوف وحده وهذا حق، وكان بعض السلف يقول: من عبدالله بالرجاء وحده فهو مرجيء، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبدالله تعالى بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبدالله تعالى بالخوف والرجاء والمحبة فهو موحد مؤمن، وسبب هذا أنه يجب على المؤمن أن يعبد الله بهذه الثلاثة، فلابد له من جمعها، ومن أخل ببعضها فقد أخل ببعض واجبات الإيمان، وكلام هذا الحكيم يدل على أن الحب ينبغي أن يكون أغلب من الخوف والرجاء، كذلك قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ .

وقد قال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى: المحبة أفضل من الخوف، ثم استشهد بكلام هذا الحكيم، وقال يحيى بن معاذ: حسبك من الخوف ما يمنع من الذنوب ولا حسب من الحب أبداً، فأما الخوف والرجاء فأكثر السلف على أنهما يستويان لا يرجح أحدهما على الآخر، قاله الإمام أحمد والحسن ومطرف وغيرهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية- قدس الله روحه- يكونان كجناحي الطائر، فأيهما غلب صاحبه وقع أو هلك، ومنهم من رجح الخوف على الرجاء، وهو محكي عن الفضيل وأبي سليمان، وعلى القول بتسويتهما وهو المعتمد. جاء عن حذيفة المرعشي رحمه الله تعالى: إن عبداً يعمل على خوف لعبد سوء، وإن عبداً يعمل على رجاء لعبد سوء، كلاهما عندي سواء، قال الحافظ: مراده إذا عمل على إفراد أحدهما عن الآخر، وقال بعضهم: لا تكونوا كالعامل يقال له: تعمل كذا وكذا فيقول: نعم إن أحسنتم لي من الأجر، ومراده ذم من لا يلحظ في العمل إلا الأجر، قال الحافظ: وهؤلاء العارفون لهم ملحظان، أحدهما: أن الله سبحانه يستحق لذاته أن يطاع ويحب، ويُبتغي قربه والوسيلة إليه، مع قطع النظر عن كونه يثيب عباده أو يعاقبهم، كما قال القائل.

هب البعث لم تأتنا رُسْلُه ... وجاحمة النار لم تضرمِ
أليس من الواجب المستحق ... حياء العباد من المنعمِ

فقد أشار على أن نعمه على عباده تستوجب شكره عليها وحياءهم منه، وهذا الذي أشار إليه النبي ﷺ لما قام حتى تورمت أقدامه، فقيل له أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: «**أفلا أكون عبداً شكوراً؟**»[(١)].

والملحظ الثاني: أن أكمل الخوف والرجاء ما تعلق بذات الحق سبحانه دون ما تعلق بالجنة والنار، فأعلى الخوف خوف البعد والسخط والحجاب عنه، كما قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ﴾ [المطففين: ١٥، ١٦] قدم عذاب الحجاب على عذاب

---

(١) رواه البخاري رقم ١١٣٠، ومسلم رقم ٢٨١٩ .

صليهم النار، لأنه بالنسبة إليه كلا عذاب، قال ذو النون رحمه الله تعالى: خوف النار عند خوف الفراق كقطرة في بحر لُجيّ، كما أن أعلى الرجاء ما تعلق بذاته سبحانه من رضاه ورؤيته، ومشاهدته وقربه، ولكن قد يغلط بعض الناس في هذا فيظن أن هذا كله ليس بداخل في مسمى نعيم الجنة ولا في مسمى الجنة إذا أطلقت، ولا في مسمى عذاب النار إذا أطلقت، وليس الأمر كذلك، قال الإمام المحقق في كتابه «شرح منازل السائرين» بعد قول شيخ الإسلام صاحب المنازل في منزلة تعظيم حرمات الله تعالى.

الدرجة الأولى: تعظيم الأمر والنهي لا خوفاً من العقوبة فيكون خصومة للنفس، ولا طلباً للمثوبة فيكون مستشرفاً للأجرة، ولا مشاهداً لأحد فيكون متزيناً بالمراءاة، فإن هذه الأوصاف كلها من شعب عبادة النفس، فذكر الشارح كلام المعظم لهذا المقام، والطاعن في هذا الكلام بسياق حجيج الفريقين، وما لهم من الأدلة والبراهين، ثم قال: والتحقيق أن يقال: الجنة ليست اسماً لمجرد الأشجار والفواكه والثمار والطعام والشراب والحور العين والأنهار والقصور والوالدان ونحوها، وأكثر الناس يغلطون في مسمى الجنة، وأن الجنة اسم لدار النعيم المطلق الكامل، ومن أعظم نعيم الجنة التمتع بالنظر إلى وجه الرب، وسماع كلامه، وقرة العين بالقرب منه ورضوانه، فلا نسبة للذة ما فيها من المأكول والمشروب والملبوس والصور إلى هذه اللذة أبداً، فأيسر يسير من رضوانه تعالى أكبر من الجنان وما فيها من ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢] وأتى به منكراً في سياق الإثبات، أي كل شيء كان من رضوانه عند عبده فهو أكبر من الجنة وما فيها، كما قيل:

قليل منك يقنعني ولكن … قليلك لا يقال له قليل

وفي الحديث الصحيح: «**فوالله ما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إلى وجهه**»[١].

وفي الحديث الآخر: «**أنه سبحانه إذا تجلى لهم، ورأوا وجهه عياناً نسوا ما هم فيه من النعيم، وذهلوا عنه ولم يلتفتوا إليه**»[٢]، ولا ريب أن الأمر هكذا كما أشرنا إليه سابقاً، وهو أجل مما يخطر بالبال أو يدور في الخيال، ولاسيما عند قول المحبين: المرء مع من أحب، فأي نعيم، وأي لذة، وأي قرة عين، وأي فوز يداني نعيم تلك الرؤية، وتلك المعية، ولذتها وقرة العين بها؟ وهذا هو العلم الذي شمر إليه المحبون، واللواء الذي أَمَّهُ العارفون، وهو روح مسمى الجنة وحياتها، وبه طابت الجنة، وعليه قامت، فكيف يقال: لا يعبد الله طلباً لجنته ولا خوفاً من ناره؟ وكذلك النار فإن ما لأربابها من عذاب الحجاب عن الله، وإهانته وغضبه وسخطه، والبعد عنه أعظم من التهاب النار في أجسامهم وأرواحهم، بل التهاب هذه النار في قلوبهم هو الذي أوجب التهاباً في أبدانهم، ومنها سرت إليها، فمطلوب الأنبياء والمرسلين والصديقين والشهداء والصالحين هو الجنة- التي هي ما وصفنا، وهربهم من النار، التي هي اسم لغضب الله والبعد عنه، وسخطه ومقته والحجاب عنه، مع ما أعد سبحانه لأعدائه

(١) رواه مسلم رقم ١٨١، والترمذي (٤/ ٦٧٨) رقم ٢٥٥٢.

(٢) لعله يشير إلى ما أخرجه ابن ماجة (١/ ٦٥) رقم ١٨٤ عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع عليهم نور فرفعوا رؤوسهم فإذا الرب قد أشرف عليهم من فوقهم فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة، قال: وذلك قول الله ﴿سلام قولا من رب رحيم﴾ قال: فينظر إليهم وينظرون إليه فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه...».
وذكره الهيثمي (٧/ ٢١٨) رقم ١١٣٠٠ وقال: رواه البزار وفيه الفضل بن عيسى الرقاشي وهو ضعيف.

الذين اتصفوا بغضبه وسخطه والبعد عنه، وما أشبه ذلك من الحيات والعقارب على ما سنذكره إن شاء الله تعالى.

ومقصد القوم أن العبد يعبد ربه بحق العبودية، والعبد إذا طلب من سيده أجرة على خدمته له كان أحمق ساقطاً من عين سيده إن لم يستوجب عقوبته، إذ عبوديته تقتضي خدمته له.

والناس على أربعة أقسام: من لا يريد ربه ولا يريد ثوابه، فهؤلاء أعداؤه حقاً، وهم أهل العذاب الدائم، وعدم إرادتهم لثوابه إما لعدم تصديقهم به، وإما لإيثار العاجل عليه ولو كان فيه سخطه، ومن يريده ويريد ثوابه، وهؤلاء خواص خلقه، ومن يريد منه ولا يريده، فهو ناقص غاية النقص، وهو حال الجاهل الغافل الذي يسمع أن ثَمَّ جنة وناراً، فليس في قلبه غير إرادة نعيم الجنة المخلوقة، وخوف النار المخلوقة، ولا يخطر بباله سوى ذلك البتة، وهذا حال أكثر المتكلمين المنكرين رؤية رب العالمين، فهم عبيد الأجرة[1] المحضة، حتى يزعم بعض هؤلاء أن إرادة الله محال، قالوا لأن الإرادة إنما تتعلق بالحادث، فالقديم لا يراد، فهؤلاء منكرون لإرادة الله غاية الإنكار، وأعلى الإرادة عندهم إرادة الأكل والشرب والنكاح واللباس في الجنة وتوابع ذلك، وهؤلاء أكثف الناس حجاباً، وأغلظهم طباعاً، وأقساهم قلوباً، وأبعدهم عن روح المحبة والتأله ونعيم الأرواح والقلوب، وهم يطعنون على أصحاب المحبة والشوق إلى الله تعالى، وعندي أن هؤلاء محرومون، فنسال الله أن يرزقنا محبته وقربه، ولذة النظر إليه، والتأله به، والتلذذ بحبه.

والقسم الرابع محال: وهو أن يريد الله ولا يريد منه، وهو الذي

---

(١) في الأصل (الآخرة) والمثبت من مدارج السالكين وهو الصواب.

يزعم صوفية زماننا وذووهم أنه مطلوبهم، ويزعمون أن من لم يصل إلى هذا المقام ففي سيره علة، وأن العارف ينتهي إلى هذا المقام، بأن يريد الله ولا يريد منه شيئاً، كما يحكى عن سيدي أبي يزيد ﷺ أنه قال: قيل لي ما تريد؟ فقلت أريد أن لا أريد.

قال الإمام المحقق ابن القيم: وهذا في التحقيق عين المحال الممتنع عقلاً وفطرة وحساً وشرعاً، فإن الإرادة من لوازم الحي، وإنما يعرض له التجريد عنها بالغيبة عن حسه وعقله، كالسكر والإغماء والنوم، ثم قال: ونحن لا ننكر التجريد عن إرادة ما سواه من المخلوقات التي تزاحم إرادتها إرادته، أفليس صاحب هذا الحال مريداً لقربه ورضاه، ودوام مراقبته والحضور معه؟

وأي إرادة فوق هذه الإرادة؟ نعم قد زهد في مراد لمراد[1] هو أجل منه وأعلى، فما خرج عن الإرادة، وإنما انتقل من إرادة إلى إرادة، ومن مراد إلى مراد، وأما خلوه عن صفة الإرادة بالكلية مع حضور عقله وحسه فمحال، ثم قال: وإن حاكمنا في ذلك محاكم إلى ذوق مصطلم مأخوذ عن نفسه قلنا له: هذه حالة عارضة غير دائمة، ولا هي غاية مطلوبة للسالكين، ولا مقدورة للبشر، انتهى كلامه ملخصاً.

قلت: وفي قول سيدي أبي يزيد: أريد أن لا أريد، إثبات لإرادة ما، فقد طلب أن يريد أن لا يريد، فهو مستمر بإرادة أن لا يريد.

فقد ثبت أنه مريد، فتأمل لهذه الدقيقة التي هي عين الحقيقة، والذي يظهر من طلب عدم الإرادة، يعني أن لا يريد سوى المحبوب المطلق ومحابه، كما هو مصرح به في كلام فحولهم، والله تعالى أعلم.

قال الحافظ ابن رجب: وهنا أمر آخر وهو أن في جهنم من أنواع

---

(١) في الأصل (في مراد المراد) ولعل المثبت هو المراد.

العذاب المتعلق بالأمور المخلوقة لا تخافها العارفون، كما أن ما أعده الله تعالى في الجنة من أنواع النعيم المتعلق بالأمور المخلوقة لا يحبه العارفون ولا يطلبونه.

قال: وهذا في نفس الأمر غلط، والنصوص دالة على خلافه، وهو مخالف لما جبل الله عليه الخلق من محبة الملائم وكراهة المنافر، وإنما صدر مثل هذا الكلام ممن صدر منه في حال سكره واستغراقه، فظن أن العبد لا يبقى له إرادة أصلًا، فإذا رجع إليه عقله علم أن الأمر على خلاف ذلك.

قال: ونحن نضرب لك مثلًا يتضح به هذا الأمر وهو: أن أهل الجنة إذا دخلوها واستدعاهم الرب سبحانه إلى زيارته ومشاهدته ومحاضرته يوم المزيد، فإنهم ينسون عند ذلك كل نعيم، ولا يلتفتون إلى شيء مما كانوا شاهدوا من نعيم الجنة حتى يحتجب عنهم، فلو ذُكِّروا في حال نظرهم إليه بشيء من النعيم لأعرضوا عنه، ولأخبروا أنهم لا يريدونه في تلك الحال، وكذلك لو خُوِّفُوا بعذاب ونحوه لم يلتفتوا إليه، وربما لم يستشعروا ألمه في تلك الحال، وإنما يحذرون الحجاب عما هم فيه والبعد عنه، كما أشار من استشعر ذلك إلى هذا المقام بقوله:

عذب بما شئت غير البعد عنك تجد ... أوفى محب بما يرضيك مبتهجْ
وخذ بقية ما أبقيت من رمق ... لا خير في الحب إن أبقى على المهجْ

وقال:

وإن هُدِّدوا بالهجر ماتوا مخافة ... وإن أُوعدوا بالقتل حنوا إلى القتل

قال الحافظ: فإذا رجعوا إلى منازلهم رجعوا إلى ما كانوا عليه من التنعم بأنواع النعيم المخلوق لهم، بل يُزاد نعيمهم بذلك مع شدة شوقهم

إلى يوم المزيد ثانياً، فهكذا حال العارفين الصادقين في الدنيا، إذا تجلى على قلوبهم أنوار الإحسان فاستولى عليها، ولله المثل الأعلى، فإن هذا من شواهد ما يحصل لهم في الجنة يوم المزيد، فهم لا يلتفتون في تلك الحال إلى غير ما هم فيه من الأنس بالله والتنعم بقربه وذكره ومحبته، حتى ينسوا ذكر نعيم الجنة ويصغر عندهم بالنسبة إلى ما هم فيه، فلا يخافون حينئذ إلا الحجاب ولا يلذ لهم غير الخطاب.

وأيضاً فالعارفون قد يلاحظون من النار أنها ناشئة عن صفة انتقام وغضب، والأثر يدل على المؤثر، فجهنم دليل على عظمته وشدة بطشه، فالخوف منها في الحقيقة خوف منه سبحانه، فالخائف من النار خائف من المنتقم القهار، فاجعل هذا البحث منزرعاً في صفحات قلبك، ونابتاً في رياض لبك، والله تعالى أعلم.

واعلم أن الخوف واجب على كل مؤمن لقوله تعالى: ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥] وهو واقع بأسباب، فمنها الخوف بسابق الذنب، ومنها حذر التقصير في الواجبات، ومنها الخوف من السابقة أن تكون على ما يكره، ومنها خوف الإجلال والتعظيم، كما قال عز وجل: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٥٠] ومن تفكر فيما قضى عليه في السابق، لم يزل منزعجاً خائفاً خوفاً لا يملك رده.

واعلم أن الخوف إذا أفرط قتل، فالواجب منه ما يحمل على أداء الفرائض واجتناب المحارم، فإن زاد على ذلك بحيث صار باعثاً للنفوس على التشمير في نوافل الطاعات، والانكفاف عن دقائق المكروهات، والتبسط في فضول المباحات، كان ذلك فضلاً محموداً، فإن زاد على ذلك بأن أورث مرضاً أو موتاً أو هماً لازماً، بحيث يقطع عن السعي في تكسب

الفضائل المطلوبة، والفواضل المحبوبة، لم يكن محموداً، ولهذا كان السلف يخافون على عطاء السلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ من شدة خوفه الذي أنساه القرآن وصيره صاحب فراش، وهذا لأن خوف العقاب ليس مقصوداً لذاته، وإنما هو سوط يساق به المتواني عن الطاعة إليها.

وذكر بعض المحققين أن الخوف والرجاء كالحرارة والبرودة، فمن غلب عليه أحدهما تداوى بالآخر حتى يرجع إلى حد الاعتدال، وقال الإمام ناصر السنة الحافظ ابن الجوزي قدس الله سره في (التبصرة): المحمود من الخوف المتوسط، وهو الذي يقمع الشهوات، ويكدر اللذات، ويكف الجوارح عن المعاصي، ويلزمها الطاعة، وقد ينحل البدن ويزيد به البكاء، ولذلك قيل: ليس الخائف من بكى وعصر عينيه، وإنما الخائف من ترك ما يقدر عليه. انتهى.

وفائدة الخوف: التقوى والورع والاجتهاد في الطاعات، فإذا أراد أن يخرج عن حد الاعتدال أوقع في القنوط، فبطلت فائدة الخوف، وصارت من البؤس والحوف، ومن هنا كانت النار من جملة نعم الله على عباده الذين خافوه واتقوه، ولهذا عدها سبحانه من جملة آلائه على الثقلين في سورة الرحمن.

قال سفيان بن عيينة: خلقت النار رحمة يخوف الله بها عباده لينتهوا. رواه أبو نعيم، وقال الإمام العز بن عبدالسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مر بي في التلاوة تكرار قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ٣٢] قال: فرأيت لذلك موقعاً عظيماً في الآيات المتضمنة للنعم، كقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الرحمن: ١، ٢] إلى آخره، ولم يظهر لي ذلك في آيات التخويف نحو ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن: ٣١]، ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾ [الرحمن: ٣٥] إذ ليس فيها ذكر شيء من الآلاء،

فطال بي الفكر في هذا، فرأيت النبي ﷺ في النوم، فسألته عن ذلك فقال: أما علمت أن من حذَّرَ فقد بَشَّر. انتهى.

قال الإمام المصطفى المحبي ومن خطه نقلت: والبشارة من جملة الآلاء، انتهى.

وقال الإمام البغوي في قوله: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ [الرحمن: ٤٣-٤٤] قد انتهى حره، أي يسعون بين الحميم وبين الجحيم، ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فكل ما ذكر الله تعالى من قوله ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦] إلى هنا مواعظ ومزاجر وتخويف، وكل ذلك نعمة من الله تعالى، لأنها تزجر عن المعاصي، ولذلك ختم بقوله: ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ انتهى.

والمقصود من التخويف والخوف طاعة الله وفعل مراضيه، وترك مناهيه ومكروهاته، والخوف وسيلة ليس مقصوداً بالذات، ولا ننكر أن هيبة الله وعظمته وخشيته في الصدور وإجلاله مقصود أيضاً، ولكن القدر النافع من ذلك ما كان عوناً على التقرب إلي الله سبحانه بفعل ما يحبه، وترك ما يكرهه، فمتى منع الخوف من ذلك انعكس المقصود وصار النفع غير موجود، نعم إن حصل عن غلبة عُذِرَ صاحبه، وقد كان في السلف من حصل له في ذلك أحوال شتى لغلبة حال شهادة قلوبهم النار، وصفات الانتقام والقهر، فمنهم من كان يلازمه القلق والبكاء، وبما اضطرب وغشى عليه إذا سمع ذكر النار، وقد روى أنه ﷺ سمع قارئاً يقرأ: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ [المزمل: ١٢، ١٣] فصعق ﷺ[١] وفي

(١) رواه الطبري في التفسير (١٢/ ٢٨٩)، وهناد في الزهد (١٨٠) رقم ٢٦٧، وابن عدي في الكامل (٢/ ٤٣٦) في ترجمة حمران بن أعين رقم ٥٤٨ وقال عنه نقلًا عن يحيى: =

رواية فبكى حتى غشي عليه، لكنه مرسل ضعيف، وروي أنه لما نزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦] تلاها ﷺ ذات يوم على أصحابه فخر فتى مغشياً عليه فوضع النبي ﷺ يده على فؤاده، وفي لفظ بطنه فإذا هو يتحرك فقال ﷺ: يا فتى قل لا إله إلا الله. فقالها، فبشره بالجنة، فقال أصحابه: يا رسول الله أمن بيننا؟ قال: أو ما سمعتم قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: ١٤] رواه الحاكم[1] عن ابن عباس رضي الله عنهما وصححه، وكان ابن عمر رضي الله عنهما يصلي وهو يتأمل ويتأوه، حتى لو رآه ممن يجهله لقال لقد أصيب الرجل، وذلك لذكر النار، إذا مر بقوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أُلۡقُواْ مِنۡهَا مَكَانٗا ضَيِّقٗا مُّقَرَّنِينَ﴾ [الفرقان: ١٣] أو نحو ذلك، خرجه أبو عبيد، وأخرج الإمام أحمد في (الزهد) عن عبدالرحمن بن يزيد بن جابر قال: قلت ليزيد بن مرثد: مالي أرى عينيك لا تجف؟ قال: وما مسألتك عنه؟ قلت: عسى الله أن ينفعني به، قال: يا أخي: إن الله توعدني إن أنا عصيته أن يسجنني في النار، والله لو لم يتوعدني أن يسجنني إلا في الحمام لكنت حرياً أن لا تجف لي عين، فقلت: فهكذا أنت في خلواتك؟ قال: وما مسألتك؟ قلت: عسى الله تعالى أن ينفعني به، قال: والله إن ذلك ليعرض لي حين أسكن إلى أهلي فيحول بيني وبين ما أريد، وإنه ليوضع الطعام بين يدي فيعرض لي فيحول بيني وبين أكله، حتى تبكي امرأتي ويبكي صبياننا، ما يدرون ما أبكانا، ولربما أضجر ذلك امرأتي فتقول: يا ويحها ماذا خصت به

=ضعيف، وذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٢/ ٢٩٧) وقال عنه العراقي: رواه ابن عدي في الكامل والبيهقي في الشعب من طريقه من حديث أبي حرب بن أبي الأسود مرسلًا.

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (١/ ٤٦٧) رقم ٧٣٤، والحاكم (٢/ ٣٨٢) رقم ٣٣٣٨ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

من طول الحزن معك في الحياة الدنيا، ما تقر لي معك عين.

وذكر الحافظ في «التخويف» عن بعض السلف أنه قال: ما رأيت أخوف من الحسن وعمر بن عبدالعزيز، كأن النار لم تخلق إلا لهما.

وبكى الحسن فقيل له: ما يبكيك؟ قال: أخاف أن يطرحني في النار غداً ولا يبالي.

وقال رحمه الله تعالى: إن المؤمنين قوم ذلت منهم الأسماع والأبصار والأبدان، حتى حسبهم الجاهل مرضى، وهم والله أصحاء القلوب، ألا تراه يقول: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ [فاطر: ٣٤] والله لقد كابدوا في الدنيا حزناً شديداً، وجرى عليهم ما جرى على من كان قبلهم، والله ما أبكاهم إلا الخوف من النار.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام قال: سمعت عبدالله بن حنظلة يوماً وهو على فراشه، وعُدته من عِلَّة، فتلا رجل عنده هذه الآية: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف: ٤١] فبكى حتى ظننت أن نفسه ستخرج، وقال صاروا بين أطباق النار، ثم قام على رجليه، فقال قائل يا أبا عبدالرحمن اقعد، قال: منع مني ذكر جهنم القعود، لا أدري لعلي أحدهم.

وسمع بعضهم قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ [الزخرف: ٧٤] وكان على شاطئ الفرات فتمايل، فلما قال التالي: ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ [الزخرف: ٧٥] سقط في الماء فمات.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي بكر بن عياش قال: صليت خلف الفضيل ابن عياض المغرب وإلى جانبي عليٌّ ابنه فقرأ الفضيل: ﴿أَلْهَىٰكُمُ

ٱلتَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر: ١] فلما بلغ ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ﴾ [التكاثر: ٦] سقط عليٌّ مغشياً عليه، وبقي الفضيل لا يقدر يجاوز الآية، ثم صلى بنا صلاة خائف، قال: ثم رابطت علياً فما أفاق إلا في نصف الليل.

وروى أبو نعيم بإسناده عن الفضيل قال: أشرفت ليلة على عليٍّ وهو في صحن الدار يقول: النار ومتى الخلاص من النار.

وكان علي يوماً عند ابن عيينة، فحدث ابن عيينة بحديث فيه ذكر النار وفي يد علي قرطاس في شيء مربوط، فشهق شهقة ورمى بالقرطاس أو وقع من يده، فالتفت إليه سفيان وقال: لو علمت أنك ها هنا ما حدثت به، فما أفاق إلا بعد ما شاء الله.

وقال سرار أبو عبدالله: عاتبت عطاء السلمي في كثرة بكائه فقال: يا سرار كيف تعاتبني في شيء ليس هو إلي، إني إذا ذكرت أهل النار وما ينزل بهم من عذاب الله عز وجل وعقابه، تمثلت لي نفسي بينهم فكيف لنفس تغل يداها إلى عنقها، وتسحب إلى النار، ألا تبكي وتصيح؟ وكيف لنفس تعذب أن لا تبكي.

وعوتب يزيد الرقاشي على كثرة بكائه وقيل له: لو كانت النار خلقت لك مازدت على هذا؟ قال: وهل خلقت النار إلا لي ولأصحابي ولإخواننا من الجن، أما تقرأ: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن: ٣١] أما تقرأ: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ﴾ [الرحمن: ٣٥] فقرأ حتى بلغ ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ [الرحمن: ٤٤] فجعل يطوف في الدار ويصرخ ويبكي حتى غشي عليه.

وقرئ على رابعة العدوية آية فيها ذكر النار، فصرخت ثم سقطت فمكثت ما شاء الله لم تفق.

ولما أُهديت معاذة العدوية إلى زوجها صلة بن أشيم أدخله ابن أخيه الحمام ثم أدخله بيتاً مطيبًا فقام يصلي حتى أصبح، وفعلت معاذة كذلك، فلما أصبح عاتبه ابن أخيه على فعله، فقال له: إنك أدخلتني بالأمس بيتاً أذكرتني فيه النار، ثم أدخلتني بيتاً أذكرتني فيه الجنة، فمازالت فكرتي فيهما حتى أصبحت.

وكان من السلف من إذا رأى النار اضطرب وتغير حاله، وقد قال تعالى: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا﴾- أي نار الدنيا- ﴿تَذْكِرَةً﴾ [الواقعة: ٧٣] لنار الآخرة، قاله مجاهد، ومر ابن مسعود على الذين ينفخون الكير فسقط. خرجه الإمام أحمد، وكان أويس القرني يقف على موضع الحدادين فينظر إليهم كيف ينفخون الكير ويسمع صوت النار فيصرح ثم يسقط.

وقال العلاء بن محمد: دخلت على عطاء السلمي فرأيته مغشياً عليه، فقلت لامرأته: ما شأنه؟ قالت: سجرت جارتنا التنور، فلما نظر إليه غشي عليه، ومر عليه صبي معه شعلة نار، فأصابت النار الريح فسمع ذلك منها فغشي عليه.

وقال الحسن: كان عمر رضي الله عنه ربما توقد له النار، ثم يدني يده منها، ثم يقول: يا ابن الخطاب هل لك على هذا صبر.

وكان الأحنف بن قيس يجيء إلى المصباح بالليل فيضع أصبعه عليه ثم يقول: حس يا حنيف، ما حملك على ما صنعت يوم كذا؟ ما حملك على ما صنعت يوم كذا وكذا؟

وخرج ابن أبي الدنيا مرسلًا قال: انطلق رجل ذات يوم فنزع ثيابه وتمرغ في الرمضاء وهو يقول لنفسه: ذوقي، نار جهنم أشد حراً، أنت جيفة بالليل وبطالة بالنهار، فبينا هو كذلك إذ أبصر النبي ﷺ في ظل شجرة

فأتاه فقال: غلبتني نفسي فقال له النبي ﷺ: ألم يكن لك بد من الذي صنعت لقد فتحت لك أبواب السماء، ولقد باهى بك الله الملائكة(١)، وخرج الطبراني نحوه عن بريدة موصولًا.

قال الحافظ: وفي إسناده من لا يعرف حاله.

***

(١) جزء من حديث أخرجه ابن أبي الدنيا في محاسبة النفس (٩٤) رقم ٥٧، وروى نحوه الطبراني في الكبير (٢/ ٢٢) رقم ١١٥٩، وذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٤/ ٤٠٧) وقال عنه العراقي: أخرجه ابن أبي الدنيا في محاسبة النفس من رواية ليث بن سليم عنه، وهذا منقطع أو مرسل، ولا أدري من طلحة هذا.

فصل

ومن الخائفين من منعه خوف جهنم من النوم، قال أسد بن وَدَاعة: كان شداد بن أوس إذا أوى إلى فراشه كأنه حبة على مقلىً، فيقول: اللهم إن ذكر جهنم لا يدعني أنام، فيقوم إلى مصلاه.

وقال أبو سليمان الداراني: كان طاووس يفترش فراشه ثم يضطجع عليه فيتقلى عليه كما تتقلى الحبة على المقلى، ثم يثب فيدرجه ويستقبل القبلة حتى الصباح ويقول: ذكر جهنم طير نوم العابدين.

وكان عامر بن عبدالله يقول: ما رأيت مثل الجنة نام طالبها، وما رأيت مثل النار نام هاربها، فكان إذا جاء الليل قال: أذهب حر النار النوم، فما ينام حتى يصبح، وإذا جاء النهار قال: أذهب حر النار النوم، فما ينام حتى يمسي، وكان يتلوى كما يتلوى الحب في المقلى، ثم يقوم فينادي: اللهم إن النار قد منعتني النوم فاغفر لي، وقيل له: مالك لا تنام؟ قال: إن ذكر جهنم لا يدعني أنام.

وأُمر لبعض العُبَّاد بمائة ألف درهم، فأبى أن يقبلها وقال: ذكر جهنم أذهب حلاوة الدنيا من قلبي.

وما كان سفيان الثوري ينام إلا أول الليل ثم يستقيظ فزعاً مرعوباً ينادي: النار، النار، شغلني ذكر النار عن النوم والشهوات، ثم يتوضأ ويقول على أثر وضوئه: اللهم إنك عالم بحاجتي غير معلم، ولا أطلب إلا فكاك رقبتي من النار.

وفي هذا يقول الإمام الكبير عبدالله بن المبارك رضي الله عنه :

إذا ما الليل أظلم كابدوه فيسفر عنهم وهم رُكُوع
أطار الخوف نَومَهم فقاموا وأهل الأمن في الدنيا هُجُوع

وقال أيضاً:

وما فرشهم إلا أيامن أزرهم وما وُسدُهم إلا ملاء وأذرع
وما ليلهم فيهن إلا تخوف وما نومهم إلا عشاش مروع
وألوانهم صفر كأن وجوههم عليها جساد طلي بالورس مشبع
نواحل قد أزرى بها الجهد والسرى إلى الله في الظلماء والناس هُجَّعُ
ويبكون أحياناً كأن عجيجَهم إذا نوم الناس الحنين المرجع
ومجلس ذكر فيهم قد شهدته فأعينهم من رهبة الله تدمع

ومنهم من منعه خوف النار الضحك، قيل لسعيد بن جبير: إنك لم تضحك قط؟ قال: كيف أضحك وجهنم قد سعرت، والأغلال قد نصبت، والزبانية قد أعدت؟!

وكان جماعة من السلف قد عاهدوا الله أن لا يضحكوا أبداً حتى يعلموا مصيرهم إلى الجنة أم إلى النار.

وسئل رسول الله ﷺ: **«ما كانت صحف موسى؟ قال: كانت عبراً كلها، كان فيها: عجبت لمن أيقن بالموت وهو يفرح، وعجبت لمن أيقن بالنار وهو يضحك»**[1]، الحديث خرجه ابن حبان في صحيحه وغيره.

ومنهم من حدث به من خوف النار مرض، ومنهم من مات من ذلك،

---

(١) جزء من حديث طويل أخرجه ابن حبان في صحيحه (٢/ ٧٦) رقم ٣٦١ من حديث أبي ذر، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ١٦٧)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٣/ ٢٧٥) وابن حبان في الثقات (٢/ ١٢١) باختلاف يسير، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ١٣١) رقم ٣٣٧٨.

وكان الحسن يقول في وصف الخائفين: قد أبراهم الخوف، فهم أمثال الفراخ ينظر إليهم الناظر فيقول مرضى وما هم بمرضى، ويقول قد خولطوا، ولقد خالط القوم من ذكر الآخرة أمر عظيم.

وسمع الإمام عمر رضي الله عنه رجلًا يتهجد في الليل ويقرأ سورة الطور فلما بلغ إلى قوله: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ﴾ [الطور: ٧، ٨]، قال عمر: قسم ورب الكعبة حق، ثم رجع إلى منزله، فمرض شهراً يعوده الناس لا يدرون ما مرضه.

وكان جماعة من عباد البصرة مرضوا من الخوف ولزموا منازلهم، كالعلاء بن زياد، وعطاء السلمي، وكان عطاء قد صار صاحب فراش عدة سنين، وكانوا يرون أن بدو مرض عمر بن عبدالعزيز الذي مات فيه من الخوف، وأخرج الإمام أحمد رحمه الله أن شاباً من الأنصار رضي الله عنه دخل خوف النار قلبه، فجلس في البيت، فأتاه النبي ﷺ فقام إليه فاعتنقه، فشهق شهقة خرجت نفسه، فقال النبي ﷺ جهزوا صاحبكم، فَلَذَ خوف النار كبده»[1]، ورواه ابن أبي الدنيا وزاد فيه: «والذي نفسي بيده لقد أعاذه الله منها، من رجا شيئاً طلبه، ومن خاف شيئاً هرب منه»[2] وهذا متصل، وسند الإمام أحمد مرسل وهو أصح كما قال الحافظ رحمه الله.

وخرج أبو نعيم وابن أبي الدنيا وغيرهما قصة منصور بن عمار مع الذي مر به في الكوفة ليلًا وهو يناجي ربه، فتلا منصور هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا

---

(١) رواه أحمد في الزهد (٣٩٧) وذكره ابن رجب في التخويف من النار (٤٨).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله (٩٨) رقم ٩٢، وفي الوجل والتوثق بالعمل (٢٧) رقم ١ من قوله: «من رجا» موقوفاً على مسلم بن يسار، وذكره كذلك ابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٩/ ٢٧٢) عن بعض التابعين.

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ الآية [التحريم: ٦]، قال منصور: فسمعت دكدكة[١] لم أسمع بعدها حساً، ومضيت، فلما كان من الغد رجعت فإذا جنازة قد أخرجت، وإذا عجوز، فسألتها عن أمر الميت ولم تكن عرفتني، فقالت: هذا رجل لا جزاه الله- خيراً- إلا ما جزاه، مر بابني البارحة وهو قائم يصلي، فتلا آية من كتاب الله فتفطرت مرارته، فوقع ميتاً.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن بعض السلف قال: بينا أنا جالس في الحدادين ببلخ، إذ مر رجل فنظر إلى النار في الكور، فسقط، فقمنا فنظرنا فإذا هو قد مات.

وروي من غير وجه أن علي بن الفضيل رضي الله عنهما مات من سماع قراءة هذه الآية: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام: ٢٧].

* * *

(١) الدَّك: هدم الجبل والحائط ونحوهما، ومنه قوله تعالى: ﴿وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة﴾. لسان العرب مادة: دكك.

فصل

وفي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيراً، قالوا: وما رأيت يا رسول الله قال: رأيت الجنة والنار**»[١].

وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال لما كسفت الشمس: «**رأيت النار فلم أر كاليوم قط أفظع**»[٢].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ خطب فقال: «**لا تنسوا العظيمتين الجنة والنار، ثم بكى حتى جرى أو بل دموعه جانبي لحيته ثم قال: والذي نفس محمد بيده لو تعلمون ما أعلم من أمر الآخرة لمشيتم إلى الصعيد، ولحثيتم على رؤوسكم التراب**»[٣]. رواه أبو يعلى الموصلي في مسنده.

وقال عبد الأعلى: ما جلس قوم مجلساً فلم يذكروا الجنة والنار إلا قالت الملائكة: أغفلوا العظيمتين.

وقال ابن السَّماك: قطع قلوب العارفين بالله ذكر الخلد من الجنة والنار.

وخطب أبو موسى الأشعري رضي الله عنه الناس بالبصرة، فذكر في خطبته

---

(١) جزء من حديث رواه مسلم رقم ٤٢٦، وأحمد (٣/ ١٠٢) رقم ١٢٠١٦، والنسائي (٣/ ٨٣) رقم ١٣٦٣ .

(٢) جزء من حديث رواه البخاري رقم ١٠٥٢، ومسلم رقم ٩٠٧ .

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في الرقة والبكاء (٩٧) رقم ١٠٢، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٢٤٧) رقم ٥٥٣٧، ولم أقف عليه عند أبي يعلى.

النار فبكى حتى سقطت دموعه على المنبر، وبكى الناس يومئذ بكاءً شديداً.

وقال أحمد بن أبي الحواري: حدثنا علي بن أبي الحسن قال: أوحى الله إلى يحيى بن زكريا عليه السلام: يا يحيى وعزتي لو اطلعت إلى الفردوس اطلاعة لذاب جسمك، ولزهقت نفسك اشتياقاً، ولو اطلعت إلى جهنم اطلاعة لبكيت الصديد بعد الدموع، ولبست الحديد بعد المسوح.

وقال صالح المري رحمه الله: لَلْبكاء دواعى الفكرة في الذنوب، فإن أجابت على ذلك القلوب وإلا نقلتها إلى الموقف وتلك الشدائد والأهوال، فإن أجابت إلى ذلك وإلا فأعرض عليها التقلب بين طباق النيران، ثم صاح وغشي عليه، وتصايح الناس من جوانبه.

وقال الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والله ما صدق عبد بالنار إلا ضاقت عليه الأرض بما رحبت، وإن المنافق لو كانت النار خلف ظهره لم يصدق بها حتى يهجم.

وقال وهب بن منبه: كان عابد في بني إسرائيل قام في الشمس يصلي حتى اسود وتغير لونه، فمر به إنسان فقال: كأن هذا خُوِّف بالنار، قال هذا من ذكرها فكيف بمعاينتها؟

وقال إبراهيم التيمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مثلت نفسي في الجنة آكل من ثمارها، وأشرب من أنهارها، وأعانق أبكارها، ثم مثلت نفسي في النار، آكل من زقومها وأشرب من صديدها، وأعالج سلاسلها وأغلالها، فقلت لنفسي: أي شيء تريدين؟ قالت: أريد أن أرد إلى الدنيا فأعمل صالحاً، قال: فقلت فأنتِ في الأمنية فاعملي.

واعلم ان الخوف علي مراتب، فخوف العارفين خوف إجلال وتعظيم، لما غلب على قلوبهم من ذكر الله وجلاله وعظمته وقهره وجبروته، وقد يخافون من النار باعتبار أنها ناشئة عن صفات جلاله وقهره وكبريائه وانتقامه وغضبه وسخطه، فالنار أثر لمؤثر هو صفات الجلال، فالخائف من غضبه سبحانه يخاف من النار، والخائف من النار بهذا الاعتبار خائف من غضبه وانتقامه، وفي نفس الأمر الخوف ليس إلا من غضبه تعالى فمن غضب عليه- والعياذ به منه- عذبه بناره،ومن رضي عليه أسكنه في جواره، فالجنة رضاه ونعمته، والنار غضبه ونقمته، فالعارفون يخافون من جلال عظمته، ويشفقون من آثار نقمته، وهو خوف الأنبياء والملائكة وخواص الأولياء، وأما خوف أكثر المؤمنين فبذكر الوعد والوعيد، وأهوال يوم القيامة الشديد، مع فكرتهم في الجنايات والتفريط، واتهامهم لنفوسهم أن يكون فيها من الآفات ما يربي على المعاصي الظاهرة، كالعجب والرياء والحسد والكبر ونحوها.

قال عطاء السلمي: خرجنا مع عتبة الغلام وفينا كهول وشبان، يصلون الفجر بوضوء العشاء، قد تورمت أقدامهم من طول القيام، وغارت أعينهم في رؤوسهم، ولصقت جلودهم على عظامهم، وكأنهم خرجوا من القبور، فبيناهم يمشون إذ مَرَّ بمكان، فخر مغشياً عليه، فجلس أصحابه حوله يبكون في يوم شديد البرد وجبينه يرشح عرقاً، فلما أفاق سألوه عن حاله فقال: إني كنت عصيت الله في ذلك المكان.

فانظر رحمك الله إلى حال أولياء الله، يا معاشر المذنبين ألا تستحيون من قلة الحياء، فالحر تكفيه الملامة، إلى متى تمشون على وجوهكم إلى ما يسقط جاهكم.

قفوا في القلي حيث انتهيتم تذمما ... ولا تقتفوا من جار لما تحكما

ما تفي لذة التأمر على الهوى والتولي بمرارة الانصراف والتولي، كلا، والله بين الولاية والصَّرف صَرْف، قف على الباب باكيا، وارفع قصة الندم شاكياً، وناد في نادي الأسى بصوت من أسى: أنا المسيء المذنب الخاطئ، ما بقي في يديك غير البكاء، ولا لقلبك إلا التحسر، ولا لفؤادك إلا القلق، فالعارف يبكي على ما فات، ويندم على ما اقترف من الآفات، وإذا مر بمكان كان قد حلا له مُر المعاصي، بكى وتذكر يوم الأخذ بالنواصي، وأشد ما يهيج خوف هؤلاء ويزعج قلوبهم خوف السابقة والخاتمة، فإن العبد لا يدري هل سبق له في علم الله السعادة فيختم له بخاتمة الإيمان؟ أو سبق له في علم الله الشقاوة فيختم له بخاتمة السوء والخذلان؟ فكم من مغبوط في أحواله انعكس عليه الحال، ورضي بمقارفة قبيح الأعمال، فبدل بالأنس وحشة وطردا، وبالقرب حجابا وبعدا، فأمسى بعد المحاضرة مبعوداً، وبعد القرب مطرودا.

شعر:

أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت ... ولم تخف سوء ما يأتي به القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها ... وعند صفو الليالي يحدث الكدر

قال سهل بن عبدالله: خوف الصديقين خوف سوء الخاتمة عند كل خطوة وعند كل حركة، وقيل لسفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عليك بالرجاء فإن عفو الله أعظم من ذنوبك؟ فقال: أو على ذنوبي أبكي؟ لو علمت أني أموت على التوحيد لم أبال بأمثال الجبال من الخطايا.

تنبيه:

خوف بعض العارفين بالتفكر في السابقة، وبعضهم بالتدبر في الخاتمة، ولكل وجه، فمن تفكر في السابقة فهو عين الحقيقية، والمعول عليها، لأن السعيد من سعد في بطن أمه، والشقي من شقي في بطن أمه،

فهو ناظر إلى ما في نفس الأمر، فإنه لا يتغير ما في علم اللّه أبداً، ومن تدبر في الخاتمة فباعتبار أنها هي النتيجة والصورة البارزة، فمن ختم له بخير فاز ودخل الجنة وجاور مولاه، ومن لا فلا.

فنسأل الله سبحانه وتعالى حسن الخاتمة في عاقبة، فالأمور بخواتيهما باعتبار الخارج، وفي نفس الأمر المعول عليه إنما هو السابقة ليس إلا، والله الموفق.

* * *

فصل

واعلم أن النار خلقها الله سبحانه وتعالى لعصاة الإنس والجن وبهما تمتلئ. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ الآية [الأعراف: ١٧٩]. وقال تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ الآية [السجدة: ١٣]. وقال: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ﴾ الآية [الأنعام: ١٢٨]. وقال: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾ إلى قوله ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ [الرحمن: ٣١-٤١].

وأما سائر الخلق ما عدا الثقلين فأشرفهم الملائكة، وهم متوعدون على المعصية بالنار، وهم يخافون منها، قال تعالى: ﴿وَهُم - يعني الملائكة - مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٢٨-٢٩].

وقد استفاض عن جماعة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم أن هاروت وماروت كانا ملكين، وأنهما خيرا بعد المعصية بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا، لعلمهما بانقضائه، وقد روي فيه حديث مرفوع خرجه الإمام أحمد وابن حبان في صحيحه عن ابن عمر عنه[1] رضي الله عنهما، لكن صحح بعضهم أنه موقوف.

---

(١) يشير إلى ما أخرجه أحمد في المسند (٢/ ١٣٤) رقم ٦١٧٨، وابن حبان في صحيحه (١٤/ ٦٣) رقم ٦١٨٦، وهو حديث طويل يشير إلى اقتراف هاروت وماروت لشرب الخمر وقتل صبي ووقوع على امرأة، وهذه قصة منكرة، وللوقوف على عللها وردها رداً محكماً يراجع تفسير ابن كثير (١/ ١٩٣).

ومحققوا[١] علمائنا طعنوا في القصة بأسرها وقالوا: هاروت وماروت بشران أطلق عليهما اسم ملكين لصلاحهما، بدليل قراءة «ملكين»[٢] بالكسر، وثم خِلَاف لم يثبت عن حضرة الرسالة منه شيء، وإنما نُقل عن علماء الكتاب، والله أعلم بالصواب.

وخرج الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ سأل جبريل عليه السلام فقال: مالي لا أرى ميكائيل عليه السلام يضحك؟ فقال جبريل: **«ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار»**[٣].

وأخرج في (الزهد) عن أبي عمران الجوني قال: «بلغنا أن جبريل عليه السلام جاء إلى النبي ﷺ وهو يبكي فقال رسول الله ﷺ: ما يبكيك يا جبريل؟ قال: أو ما تبكي أنت يا محمد؟ ما جفت عيني منذ خلقت النار مخافة أن أعصيه فيلقيني فيها»[٤].

وروي نحوه من وجوه كثيرة مرسلة.

وخرج الطبراني عن عمر رضي الله عنه بسند فيه سَلَام الطويل وهو ضعيف جداً قال: جاء جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ في غير حينه الذي كان يأتيه

---

(١) في الأصل (ومحققي) والمثبت هو الصواب.

(٢) هذه القراءة التي أشار إليها المصنف ليست ثابتة في القراءات المتواترة وإنما هي قراءة شاذة.

(٣) رواه أحمد (٢/ ٢٢٤) رقم ١٣٣٦٧، وفي الزهد (٦٩)، وابن أبي الدنيا في الرقة والبكاء (٢٦٩) رقم ٤٠٨، وذكره الهيثمي (١٠/ ٧٠٥) رقم ١٨٥٦٨ وقال: رواه أحمد من رواية إسماعيل بن عياش عن المدنيين وهي ضعيفة وبقية رجاله ثقات.

(٤) روى أحمد في الزهد أن النبي ﷺ قال لجبريل «لم تأتني إلا وأنت صار بين عينيك؟ قال: إني لم أضحك منذ خلقت النار» ورواه ابن أبي الدنيا في الرقة والبكاء (٢٦٩) رقم ٤٠٩، وذكره السيوطي في الدر المنثور (١/ ٢٢٩)، ولم أقف على السياق الذي ذكره المصنف عند أحمد.

فيه، فقال يا جبريل: مالي أراك متغير اللون؟ فقال له: ما جئتك حتى أمر الله بمنافخ النار، قال قال[1] يا جبريل صف لي النار وانعت لي جهنم- فذكر الحديث- فقال ﷺ: حسبي يا جبريل لا تصدع قلبي فأموت، قال: فنظر رسول الله ﷺ إلى جبريل وهو يبكي، فقال ﷺ: تبكي يا جبريل وأنت من الله بالمكان الذي أنت به؟! فقال ومالي لا أبكي وأنا أحق بالبكاء، لعلي أن أكون في علم الله على غير الحال التي أنا عليها، وما أدري لعلي ابتلى بما أبتلي به هاروت وماروت، وما ابتلي به إبليس، فقد كان من الملائكة، فبكي النبي ﷺ وبكى جبريل عليه السلام، فمازالا يبكيان، حتى نوديا: أن يا محمد ويا جبريل إن الله قد أمنكما أن تعصياه، فارتفع جبريل وخرج رسول الله ﷺ، فمر بقوم من الأنصار يضحكون، فقال: أتضحكون ووراءكم جهنم؟ فلو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيراً، ولما أسغتم الطعام والشراب، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله عز وجل، فنودي يا محمد لا تقنط عبادي، فإنما بعثتك مبشراً ولم أبعثك منفراً، فقال رسول الله ﷺ: سددوا وقاربوا»[2]، وقد علمتَ أنه فيه سلام الطويل وهو ضعيف جداً بل ربما أشعر سياقه بغير ذلك، واستغفر الله العظيم[3].

وقال محمد بن المنكدر: لما خلقت النار طارت أفئدة الملائكة من أماكنها، فلما خلق بنو آدم عادت، وأخرج نحوه أبو نعيم عن طاووس.

---

(١) في حاشية الأصل/ تأمل تكرار (قال قال) مرتين في هذا السياق.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط بزيادة في أوله واختلاف يسير (٣/ ٨٩) رقم ٢٥٨٣، وذكره الهيثمي (١٠/ ٧٠٦) رقم ١٨٥٧٣ وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه سلام الطويل وهو مجمع على ضعفه.

(٣) لعل المصنف رحمه الله يشعر بشيء من الحرج في إيراد هذا الحديث مع ما علمت من حال راويه، ثم إن الحكم بأن إبليس كان من الملائكة مخالف لما نطق به القرآن الكريم حيث يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف: ٥٠].

وأما البهائم والوحوش والطير، فقد روى ما يدل على خوفها من النار، قال يحيى ابن أبي كثير: بلغنا أنه كان إذا كان يوم نَوح داود عليه السلام تأتي الوحش من البراري، وتأتي السباع من الغياض، وتأتي الهوام من الجبال، وتأتي الطير من الأوكار، ويجتمع الناس لذلك اليوم، ويأتي داود عليه السلام حتى يرقى المنبر، فيأخذ في الثناء على ربه، فيضجون بالبكاء والصراخ، ثم يأخذ في ذكر الجنة والنار، فيموت طائفة من الناس، وطائفة من السباع، وطائفة من الهوام، وطائفة من الطير، وطائفة من الوحوش، وطائفة من الرهبان والعذارى المتعبدات، ثم يأخذ في ذكر الموت وأهوال القيامة، ويأخذ في النياحة على نفسه، فيموت طائفة من هؤلاء وطائفة من هؤلاء، ومن كل صنف طائفة، خرجه ابن أبي الدنيا.

قلت: وخرجه ناصر السنة الإمام الحافظ ابن الجوزي في «التبصرة» وزاد فيه: فإذا رأى سليمان ما قد كثر من الموتى نادى: يا أبتاه قد مزقت المستمعين كل ممزق، وقتلت طوائف من بني إسرائيل ومن الرهبان والوحوش، فيقطع النياحة ويأخذ في الدعاء ويغشى عليه، فيحمل على سرير، فإذا أفاق قال: يا سليمان ما فعل عباد بني إسرائيل؟ ما فعل فلان وفلان؟ فيقول: ماتوا، فيقوم فيدخل بيت عبادته ويغلق عليه بابه، وينادي: أغضبان أنت على داود؟ أم كيف قصرت به أن يموت خوفاً منك؟

وقد روى مرفوعاً من حديث ابن عمر وأنس ﷺ **«أن الذباب كله في النار، وفي رواية غير النحل»**[1]، لكن حكم على هذا الحديث الإمام ناصر

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (١٠/ ٢٠٨) رقم ١٠٤٨٧ عن ابن مسعود وفي (١٢/ ٣٨٩) رقم ١٣٤٣٦ عن ابن عمر، وعبد الرزاق في مصنفه (٥/ ٢١٣) رقم ٩٤١٥، وذكره الهيثمي (٤/ ٥٩) رقم ٦٠٨٨ وقال: رواه الطبراني في الأوسط والكبير بأسانيد رجال بعضها ثقات كلهم، وفي (٦٠) رقم ٦٠٩٠ وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير إبراهيم بن محمد بن حازم وهو ثقة.

السنة ابن الجوزي بالوضع.

قلت: وهو في مسند أبي يعلى الموصلي من حديث أنس أن النبي ﷺ قال: «**عمر الذباب أربعون**[١] **ليلة، والذباب كله في النار إلا النحل**»[٢].

وهو في الكامل في ترجمة عمر بن شقيق عن مجاهد عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**الذباب كله في النار غير النحل**»[٣].

وتعقب الإمام جلال الدين السيوطي الإمام ناصر السنة ابن الجوزي بأن الحديث ليس بموضوع.

قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري: حديث أنس إسناده لا بأس به؛ وحديث ابن عمر إسناده ضعيف. انتهى.

وقد ورد أيضاً من حديث ابن عباس وابن مسعود أخرجهما الطبراني بسندين جيدين، قال السيوطي: فالحديث حسن أو صحيح. انتهى.

قال بعض الفضلاء: قيل كونه في النار ليس بعذاب له، بل ليعذب به أهل النار بوقوعه عليهم، كذا هو بالحاء على الصواب، وربما صحفه بعضهم النمل كما رأيته في نسخة قديمة النمل بالميم، وهو غلط، والله تعالى أعلم.

وأما الجمادات فقد أخبر سبحانه أنها تخشاه قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤]. قال ابن عباس: إن الحجر ليقع على الأرض، ولو اجتمع عليه ألف من الناس ما استطاعوه، وإنه يهبط من خشية الله.

---

(١) في الأصل (أربعين) والمثبت هو الصواب والموافق للحديث.

(٢) رواه أبو يعلى (٧/ ٢٣٠) رقم ٤٢٣١، و(٢٧١) رقم ٣٢٩٠، وذكره الهيثمي (٤/ ٦٠) رقم ٦٠٨٩ وقال: رواه أبو يعلى ورجاله ثقات.

(٣) الكامل (٥/ ٤٤ ترجمة) رقم ١٢١٢ .

وفي تاريخ الدول: لما أراد الله تعالى خلق آدم عليه السلام أوحى إلى الأرض: إني أريد أن أخلق فيك خلقاً، فمنهم من يطيعني، ومنهم من يعصيني، فمن أطاعني أدخلته جنتي، ومن عصاني أدخلته النار، فبكت الأرض، [فانفجرت منها العيون إلى يوم القيامة](١).

وأخرج ابن أبي الدنيا عن الفضل بن العباس - وكان من الأبدال، وكانت الدموع قد أثرت في وجهه، وكان يصوم الدهر، ويفطر كل ليلة على رغيف- قال: مر عيسى عليه الصلاة والسلام بجبل بين نهرين، نهر عن يمينه، ونهر عن يساره، ولا يدري من أين يجيء هذا الماء ولا أين يذهب، فسأله، فقال: من أين يجيء هذا الماء؟ قال: أما الذي يجري عن يميني فمن دموع عيني اليمنى، وأما الذي يجري عن يساري فمن دموع عيني اليسرى، قال: مما ذاك؟ قال: خوفاً من ربي أن يجعلني من وقود النار، قال عيسى: فأنا أدعو الله عز وجل أن يهبك لي، فدعا الله له، فقال عيسى: قد وُهِبت لي قال: فانفجر منه من الماء حتى احتمل عيسى فذهب به، قال عيسى: اسكن بقدرة الله فقد استوهبتك من ربي فوهبك لي، فما هذا البكاء؟! قال: أما البكاء الأول فبكاءالخوف، وأما البكاء الثاني فبكاء الشكر(٢).

قلت: قد يكون البكاء عن حزن وقد يكون عن فرح، وقد جاء أن أبا بكر رضي الله عنه لما قال للنبي ﷺ في حديث الهجرة وقد قال له: إن الله قد أذن لي في الخروج فقال له: الصحبة - بأبي أنت وأمي يا رسول الله-؟ قال: نعم، فبكى الصديق رضي الله عنه سروراً بصحبة حبيبه وحبيب كل مسلم ﷺ في

(١) ما بين المعقوفتين مطموس في الأصل وأثبتناه من نسخة (أ).
(٢) في النفس من هذه الرواية أشياء كثيرة، وعلى كل فهي من الإسرائيليات التي لا يعتمد عليها في إثبات أمر أو نفيه.

الهجرة، قالت عائشة رضي الله عنها: «فرأيت أبا بكر يبكي، وما كنت أحسب أن أحداً يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر رضي الله عنه يبكي»[١]، وما أحسن قول من قال في ذلك:

ورد الكتاب من الحبيب بأنه ... سيزورنا فاستعبرت أجفاني
غلب السرور عليَّ حتى أنه ... من عظم ما قد سرني أبكاني
يا عين صار الدمع عندك عادة ... تبكين من فرح ومن أحزان

وقد ذكر الإمام المحقق ابن القيم- طيب الله ثراه- في كتابه «الهدي» للبكاء أنواعاً، وملخص ذلك:

أنه تارة يكون للرقة والرحمة، **الثاني**: بكاء الخوف والخشية، **الثالث**: بكاء المحبة والشوق، **الرابع**: بكاء الفرح والسرور، **الخامس**: بكاء الجزع من ورود المؤلم وعدم احتماله، **السادس**: بكاء الحزن، والفرق بينه وبين بكاء الخوف أن بكاء الحزن يكون عما مضى من حصول مكروه، أو فوات محبوب، وبكاء الخوف لما يتوقع في المستقبل من ذلك، والفرق بين بكاء السرور والفرح، وبكاء الحزن، أن دمعة السرور باردة والقلب فرحان، ودمعة بكاء الحزن حارة والقلب حزين قلقان، ولهذا يقال لما يفرح به «هو قرة عين»، «وأقر اللّه عينه»، ولما يحزن «هو سخنة عين»، و«أسخن الله عينه»، **السابع**: بكاء الخور والضعف، **الثامن**: بكاء النفاق: وهو أن تدمع العين والقلب قاس، فيظهر صاحبه الخشوع والبكاء وسفك الدموع، وهو من أقسى الناس قلباً، **التاسع**: بكاء المعار والمستأجر عليه، كبكاء النائحة بالأجرة، فإنها كما قال سيدنا عمر رضي الله عنه: تبيع عبرتها وتبكي شجو غيرها، **العاشر**: بكاء الموافقة: وهو أن يرى الرجل الناس يبكون لأمر ورد عليهم فيبكي معهم ولا يدري لأي شيء يبكون، وما كان

---

(١) سيرة ابن هشام (٣/ ١٠).

من ذلك دمعاً بلا صوت فَبُكَي بالقصر، وما كان معه صوت فبالمد، كما قال الشاعر:

بكت عيني وحق لها بكاها   وما يغني البكاء ولا العويل

وما كان مستدعياً متكلفاً فالتباكي، وهو نوعان:

محمود: وهو أن يستجلب لرقة القلب، وخشية الله، لا للرياء والسمعة.

ومذموم: وهو ما كان لذلك، والله تعالى أعلم.

واعلم أن هذه النار التي في الدنيا من نار جهنم، فقد روى ابن ماجه عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «**ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم، ولولا أنها أطفئت بالماء مرتين لما انتفعتم بها، وإنها لتدعو الله أن لا يعذبها فيها**»(١) وفيه بقية ضعيف.

وروي عن أنس موقوفاً، وخرجه الحاكم عنه وزاد بعد قوله: ما انتفعتم بها، وأيم الله إن كانت لكافية، وأنها لتدعو الله وتستجير به إن لا يعذبها في النار أبداً.

قال الحاكم: صحيح الإسناد، واعترضه الحافظ ابن رجب بأن فيه جسر بن فرقد ضعيف.

وخرج ابن أبي الدنيا عن أبي رجاء قال: لما ألقي إبراهيم عليه الصلاة والسلام في النار أوحى الله تعالى إليها: إن ضررتيه أو آذيتيه لأردنك إلى

---

(١) رواه ابن ماجة (٢/ ١٤٤٤) رقم ٤٣١٨ بلفظ «يعيدها» بدل «يعذبها» وروى نحوه الحاكم (٤/ ٦٣٥) رقم ٨٧٥٣ باختلاف في بعض الألفاظ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي بقوله: حسن واه و«بقية» الذي ذكره المصنف ليس من رجال إسناده، وروى البخاري أوله رقم ٣٢٦٥ .

النار الكبرى، فخرت مغشياً عليها ثلاثة أيام لا ينتفع الناس منها بشيء.

وقال أبو عمران الجوني: بلغنا أن عبدالله ابن عمرو رضي الله عنهما سمع صوت النار فقال: وأنا، فقيل له ما هذا؟ فقال: والذي نفسي بيده إنها لتستجير من النار الكبرى.

وقال مجاهد: ناركم هذه تعوذ من نار جهنم.

فقد ذكرنا أن جميع مخلوقات الله تخاف من النار، وذلك لأنها أثر انتقامه وغضبه، وأن خواص خلقه أشد خوفاً وإشفاقاً، وقد ذكرنا من ذلك طرفاً.

وذكر الإمام ناصر السنة ابن الجوزي في «التبصرة»: أن إبراهيم الخليل كان إذا قام في الصلاة يسمع لصدره أزيز من شدة الخوف.

وبكى نوح لما عوتب في ابنه ثلاثمائة عام.

وروينا في الاسرائيليات أن كلباً أجرب مر بنوح فقال له: إخسأ يا قبيح، فأوحى الله إليه: يا نوح أعبتني أم أعبت الكلب؟ فناح لذلك فسمي نوحاً[1]، واسمه عبدالغفار كما في تاريخ الحنبلي وغيره

فهذا خوف القوم، ونحن أحق بالخوف منهم، غير أن الخوف يكون بمقدار صفاء القلوب وقوة المعرفة، وإنما أَمِنَّا لغلبة الجهل.

فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا معرفته، وأن يمنحنا القرب إليه، ومجاورته في الدار التي لا حزن فيها، بمنه وكرمه.

* * *

(١) هذه إسرائيليات كما ذكر المصنف ولا حجة فيها على شيء، ولذا لسنا ملزمين بشيء منها. ما دام لم يؤيدها الأثر الصحيح عن رسول الله ﷺ.

فصل

واعلم أن البكاء من خشية النار ينجي منها، وأن التعوذ بالله منها يوجب الإعاذة منها، وقد تكاثرت بذلك الأحاديث.

قال بعض السادة: البكاء من خشية الله سبب للنجاة من النار، بل ومن كل ما يخشى الإنسان، والبكاء من نار جهنم هو البكاء من خشية الله، لأنه بكاء من خشية عقاب الله وسخطه، والبعد عنه وعن رحمته وجواره ودار كرامته.

أخرج الترمذي وصححه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا يلج النار رجل بكي من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع**»(١)، ورواه النسائي.

قلت: وظاهره ولو وقع البكاء في العمر مرة، وفضل الله واسع فلا يحجر عليه، وأخرج الترمذي أيضاً وحسنه عن ابن عباس رضي الله عنهما: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**عينان لا تمسهما النار، عين بكت في جوف الليل من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله عز وجل**»(٢).

وخرج الإمام أحمد واللفظ له والنسائي والحاكم وصححه عن أبي ريحانة مرفوعاً: «**حرمت النار على عين دمعت أو بكت من خشية الله،**

---

(١) رواه الترمذي (٤/ ١٧١) رقم ١٦٣٣ بزيادة في آخره وقال: هذا حديث حسن صحيح، والنسائي في سننه (٦/ ١٢) رقم ٣٠٠٨، وأحمد (٢/ ٥٠٥) رقم ١٠٥٦٧ .

(٢) رواه الترمذي (٤/ ١٧٥) رقم ١٦٣٩ بلفظ «عينان لا تمسهما النار، عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله» وقال: حديث حسن، وأخرجه بلفظ قريب من لفظ المصنف القضاعي في مسند الشهاب (١/ ٢١١) رقم ٣٢٠ .

وحرمت النار على عين سهرت في سبيل الله، وذكر عيناً ثالثة»[١]. وخرجه الجوزجاني بلفظ: «**حرمت النار على عين سهرت بكتاب الله، وحرمت النار على عين دمعت من خشية الله، وحرمت النار على عين غضت عن محارم الله، أوفقئت في سبيل الله عز وجل**»[٢].

وخرج ابن ماجه عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ما من عبد يخرج من عينيه دموع وإن كانت مثل رأس الذباب من خشية الله ثم يصيب شيئاً من حروجهه إلا حرمه الله على النار**»[٣].

قوله: حر وجهه: أي ما أقبل عليك منه وبدا لك.

وأخرج ابن أبي الدنيا عنه ﷺ أنه قال: «**ما اغرورقت عينا عبد بمائها من خشية الله إلا حرم جسدها على النار، فإن فاضت على خده لم يرهق وجهه قتر ولا ذلة، ولو أن عبداً بكى في أمة من الأمم لانجى الله عز وجل ببكاء ذلك العبد تلك الأمة من النار، وما من عمل إلا وله وزن أو ثواب إلا الدمعة فإنها تطفيء بحوراً من النار**»[٤].

---

(١) جزء من حديث رواه أحمد (٤/ ١٣٤) رقم ١٧٢٥٢ وفيه: «حرمت النار على عين أخرى ثالثة لم يسمعها محمد بن سمير» بدل «وذكر عينا ثالثة» ورواه الدارمي في سننه (٢/ ٢٦٧) رقم ٢٤٠٠، والطبراني في الأوسط (٨/ ٣١٥) رقم ٨٧٤١ والحاكم (٢/ ٩٢) رقم ٢٤٣٢ كلهم باختلاف يسير وقاله الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) رواه الحاكم (٢/ ٩٢) رقم ٢٤٣٢ بلفظ «في سبيل الله» بدل «بكتاب الله» وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٣) رواه ابن ماجه (٢/ ١٤٠٤) رقم ٤١٩٧، ورواه الطبراني في الكبير (١٠/ ١٧) رقم ٩٧٩٩، ولكن باختلاف يسير، والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ٤٩٠) رقم ٨٠٢، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٤/ ٢٦٦)، وذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٤/ ١٦٣) وقال عنه العراقي: أخرجه الطبراني والبيهقي في الشعب من حديث ابن مسعود بسند ضعيف.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في الرقة والبكاء (٤٧) رقم ١٤، وذكره ابن رجب في التخويف =

وقد روي هذا أو نحوه من كلام الحسن موقوفاً وأبي عمران الجوني وخالد بن معدان وغيرهم.

وفي «التبصرة» عنه ﷺ من حديث أبي أمامة: **«ليس شيء أحب إلى الله تعالى من قطرتين، قطرة دمع من خشية الله، وقطرة دم مهراق في سبيل الله»**(١) ثم أنشد الإمام ناصر السنة ابن الجوزي في تبصرته:

لا تَحْبِسَنَّ ماء العيون فإنه ... لك يا لديغ هواهم درياق(٢)
شنوا الإغارة في القلوب بأسهم ... لا يرتجى لأسيرها إطلاقُ
واستعذبوا ماء الجفون فعذبوا ... الأَسَرَاءَ حتى درت الآماقُ(٣)

وعن زاذان أبي عمر رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال: بلغنا أنه من بكى خوفاً من النار أعاذه الله منها، ومن بكى شوقاً إلى الجنة أسكنه اللّه إياها.

وفي الجملة البكاء دليل الخوف والخشية، وتقدم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ حديث: **«سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، منهم رجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه»**(٤).

قال في (التبصرة): وكان من دعائه ﷺ: **«اللهم ارزقني عينين**

= من النار/ ٦٢، والهندي في كنز العمال (٣/ ١٤٨) رقم ٥٩٠٨ وقال: أبو الشيخ عن النضر ابن حميد مرسلًا.

(١) رواه الترمذي (٤/ ١٩٠) رقم ١٦٦٩ بلفظ «ليس شيء أحب إلى اللّه من قطرتين وأثرين، قطرة من دموع في خشية اللّه، وقطرة دم تهراق في سبيل اللّه...» الحديث وقال: هذا حديث حسن غريب، والطبراني في الكبير (٨/ ٢٣٥) رقم ٧٩١٨.

(٢) الدَّرَّاقُ والدِّرْيَاقُ والدِّرياقَةُ: الترياق معرب. لسان العرب/ مادة: درق.

(٣) مؤق العين وموقها ومؤقيها ومأقيها مؤخرها وقيل مقدمها، والجمع آماق. لسان العرب/ مادة: مأق.

(٤) رواه البخاري ومسلم وتقدم.

هطالتين يبكيان بذروف[١] **الدموع من خشيتك، من قبل أن تكون الدموع دماً، والأضراس جمراً»**[٢]، وذكر عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «**كل عين باكية يوم القيامة إلا عين غضت عن محارم الله، وعين سهرت في سبيل الله، وعين يخرج منها مثل الذباب من خشية الله**»[٣]، وذكر عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «**أيها الناس ابكو، فإن لم تبكوا فتباكوا فإن أهل النار يبكون حتى تصير الدموع في وجوههم جداول، فتنفذ الدموع، فتقرح الجفون، حتى لو أن السفن أجريت فيها لجرت**»[٤].

وفي الحديث: «**لو وزنت دموع داود عدلت دموع الخلائق، ودمعة آدم تعدل الكل**»[٥]، وكان مجرى الدموع من خد ابن عباس كالشراك البالي، وقال عبدالله ابن عمرو بن العاص: لأن أدمع دمعة من خشية الله عز وجل حتى تسيل على وجنتي أحب إلي من أن أتصدق بجبل ذهب.

---

(١) هكذا في المصادر وبالأصل (بذبوب)، وفي لسان العرب مادة ذبل: ذَبَّ ذُبُوباً إذا جف ويبس ريقه.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا/ ٥٧) رقم ٤٤، والطبراني في الدعاء/ ٤٢٩) رقم ١٤٥٧، وابن المبارك في الزهد (١٦٥) رقم ٤٨٠، وأحمد في الزهد (١٠) وابن عساكر في تاريخ دمشق (١١/ ١٢١، وذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٤/ ١٦٣ وقال عنه العراقي: أخرجه الطبراني في الكبير في الدعاء وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر بإسناد حسن.

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢/ ١٦٣)، وابن أبي عاصم في الجهاد (٢/ ٤١٨) رقم ١٤٨، وابن عساكر في الأربعين في الجهاد (١١١) رقم ٣٦ وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٦٠) رقم ١٩٢٩، وصدره بصيغة التمريض.

(٤) رواه أبو يعلى في مسنده (٧/ ١٦١) رقم ٤١٣٤، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢٦١) من حديث أبي موسى وفي (٣/ ١٠٣)، وابن أبي الدنيا في الرقة والبكاء (٦١) رقم ٤٥، وذكره الهيثمي (١٠/ ٧١٧) رقم ١٨٦٠٤ وقال: رواه أبو يعلى وأضعف من فيه يزيد الرقاشي وقد وثق على ضعفه.

(٥) روى أحمد في الزهد (٤٧) «لو بكى أهل الأرض جميعاً ما عدل دموع داود عليه السلام حين أصاب الخطيئة، ولو أن دموع أهل الأرض ودموع داود عليه السلام جميع ما عدل دموع آدم حين أهبط من الجنة» موقوفاً على علقمة بن مرثد.

وقال الحسن: لو بكى عبد من خشية الله تعالى لرحم من حوله ولو كانوا عشرين ألفاً. وقال مالك بن دينار: البكاء على الخطيئة يحط الذنوب كما تحط الريح الورق اليابس.

وكان سعيد بن جبير يبكي بالليل حتى فسدت عيناه.

وبكى عمر بن عبدالعزيز حتى بكى الدم، وكذا فتح الموصلي.

قيل لعبدالواحد بن زيد: ما يفهم كلامك من بكاء عتبة، فقال يبكي عتبة على ذنبه وأمنعه؟ لبئس واعظ قوم أنا.

وكان أمية الشامي ينتحب في المسجد فأرسل إليه الأمير: إنك تفسد على المصلين صلاتهم، فبكى وقال: إن حزن القيامة أورثني دموعاً غزاراً، فأنا استريح إلى ذريها أحياناً:

كلما عنفوا عليك ولاموا ... عصف الوجد بي ولج الغرامُ
يتجافى الرقاد أجفان عيني ... فكأن الكرى عليها حرامُ
وإذا مدة الوصال تقضت ... فعلى مدة الحياة السلامُ

فانظر بكاء القوم يا من كل قصده النوم، أهذا البكاء عن عبث؟! يا من لآخرته ما أكثرت، أما والله لنحن أحق بذاك منهم، ولكن شتان بين النائم واليقظان، كم بين علم اليقين وبين مَنْ أحاديث الآخرة عنده كَالْمَيْن[1]؟ فيالها من غفلة لو كنا نعقل.

مالي وما للهوى يا نفس لولاكِ ... يا نفس يكفي زوى أسىً خالفتِ مولاكِ
يا نفس فيقي وهبي واحزني فلقد ... جاء النذير بأن النار مثواكِ

---

(١) المَيْنُ: الكذب. لسان العرب مادة: مين.

حتى متى في الهوى والبين[1] يطلبني … وأنتِ في غفلة والموت ينحاكِ

فأنت أولى عباد الله قاطبة … بالحزن والنوح لولا الذنب أعماك

يا ويحنا لو بكينا قبل رحلتنا … لكان أولى بنا من شكية الشاكي

* * *

(١) البين في كلام العرب جاء على وجهين، يكون البين من الفرقة، ويكون الوصل، بَانَ يَبِينُ بَيْناً وبَيْنُونَةً، وهو من الأضداد، لسان العرب: مادة: بين.

فصل

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال في ذكر الملائكة الذين يلتمسون مجالس الذكر: **«إن اللّه عز وجل يسألهم- وهو أعلم بهم فيقول: مم يتعوذون؟ فيقولون من النار، فيقول: وهل رأوها: لا واللّه ما رأوها، فيقول: كيف لو رأوها؟ قال: يقولون لو رأوها كانوا أشد منها فراراً وأشد منها مخافة، فيقول: أشهدكم أني قد غفرت لهم»**(١).

وخرج الترمذي والنسائي وابن ماجه عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: **«ما من مسلم يسأل اللّه الجنة ثلاثاً إلا قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة، ومن استجار باللّه من النار ثلاثاً إلا قالت النار: اللهم أجره من النار»**(٢)، وتقدم.

وأخرج أبو صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: **«إذا كان يوم حار فإذا قال الرجل: لا إله إلا الله ما أشد حر هذا اليوم اللهم أجرني من حر جهنم. قال الله لجهنم: إن عبداً من عبادي استجارني من حرك وأنا أشهدك أني قد أجرته، وإذا كان يوم شديد البرد فإذا قال العبد: لا إله إلا الله ما أشد برد هذا اليوم اللهم أجرني من زمهرير جهنم. قال الله تعالى لجهنم: إن عبداً من عبادي استجارني من زمهريرك وأنا أشهدك أني قد أجرته، قالوا وما**

---

(١) جزء من حديث رواه البخاري رقم ٦٤٠٨، ومسلم رقم ٢٦٨٩ ولكن بشيء من الاختلاف.

(٢) رواه الترمذي (٤/ ٦٩٩) رقم ٢٥٧٢، والنسائي (٨/ ٢٧٩) رقم ٥٥٢١، وابن ماجه (٢/ ١٤٥٣) رقم ٤٣٤٠ وتقدم.

زمهرير جهنم؟ قال: بيت يلقى فيه الكافر فيتميز[١] من شدة بردها»[٢]، ذكره الحافظ في «التخويف».

وقال عطاء الخراساني: من قال أستجير بالله من النار سبع مرات. قالت جهنم: لا حاجة لي فيك.

اللهم إني أعوذ بوجهك الكريم وباسمك العظيم، وبكلامك القديم، من عذاب الجحيم، وعاملني بلطفك وكرمك، ورأفتك وإحسانك، يا أرحم الراحمين، أستعيذ بك من مكرك وغضبك، وسخطك وعذابك، اللهم إني أعتذر إليك مما أنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي وارحمني برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسَلَّمْ تسليماً كثيراً يا رب العالمين.

* * *

---

(١) في حاشية الأصل/ لعله فيتمزق.

(٢) رواه الإمام عثمان بن سعيد الدارمي في نقض كلام المريسي (١/ ٣٢٥)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٣٧٣) والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ١٩٨٣) رقم ٢٩٨٢ وعزاه لابن السني وأبي نعيم في عمل اليوم والليلة وضعف إسناده.

الباب الثاني

في ذكر مكان جهنم، وطبقاتها، ودركاتها وصفاتها، وقعرها، وعمقها

أما مكانها: فقدقال ابن عباس رضي الله عنهما: جهنم في الأرض السابعة- رواه أبو نعيم-.

وخرج ابن منده عن مجاهد قال: قلت لابن عباس رضي الله عنهما أين النار؟ قال: تحت سبعة أبحر مطبقة.

وأخرج البيهقي بسند فيه ضعف عن ابن مسعود رضي الله عنه: الجنة في السماء السابعة العليا، والنار في الأرض السابعة السفلى، ثم قرأ: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾ [المطففين: ١٨] و﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾ [المطففين: ٧].

ورواه ابن منده وزاد فيه: فإذا كان يوم القيامة جعلها الله حيث شاء، وخرج ابن خزيمة وابن أبي الدنيا عن عبدالله بن سلام رضي الله عنه: أن الجنة في السماء وأن النار في الأرض، وابن أبي الدنيا عن قتادة كانوا يقولون: الجنة في السماوات السبع، وإن جهنم في الأرضين السبع.

وفي حديث البراء في حق الكافر يقول الله: «**اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى فتطرح روحه طرحا**»[1] خرجه الإمام أحمد وغيره، وتقدم أول الكتاب بطوله.

---

(١) رواه أحمد (٤/ ٢٨٧) رقم ١٨٥٥٧، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣/ ٥٤) رقم ١٢٠٥٩ وتقدم غير مرة.

وأخرج الإمام أحمد بسند فيه نظر عن يعلى بن أمية عن النبي ﷺ قال: **«البحر هو جهنم، فقالوا ليعلى ألا تركبها؟ - يعني البحور - قال: ألا ترون أن الله يقول: ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩]. لا والذي نفس يعلى بيده لا أدخلها أبداً حتى أعرض على الله عز وجل، ولا يصيبني منها قطرة حتى ألقى الله عز وجل»**(١).

قال الحافظ ابن رجب: وهذا إن ثبت فالمراد به أن البحار تفجر يوم القيامة فتصبر بحراً واحداً، ثم تسجر ويوقد عليها فتصير ناراً، وتزاد في نار جهنم، وقد فسر قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ٦] بنحو هذا.

وقال ابن عباس تسجر حتى تصير ناراً، وفي رواية عنه تكون الشمس والقمر والنجوم في البحر، فيبعث الله عليها ريحا- دبورا- فتنفخه حتى يرجع نار. رواه ابن أبي الدنيا وابن أبي حاتم.

وأخرجا عنه أيضاً في قوله: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة: ٤٩] قال: هو هذا البحر فتنتشر الكواكب فيه، وتكور الشمس والقمر فيه، فيكون هو جهنم. وقال سيدنا علي رضي الله عنه ليهودي: أين جهنم؟ قال: تحت البحر. قال علي: صدق ثم قرأ: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ رواه ابن أبي إياس، وخرج ابن أبي حاتم عن أبي بن كعب رضي الله عنه في قوله: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾. قال: قالت الجن للإنس نأتيكم بالخبر، فانطلقوا إلى البحر فإذا هو نار يأجج.

وفي سنن أبي داود عن ابن عمرو مرفوعاً: **«لا يركب البحر إلا حاجا**

---

(١) رواه أحمد (٤/ ٢٢٣) رقم ١٧٩٨٩، والحاكم (٤/ ٦٣٨) رقم ٨٧٦٢، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

أو معتمراً أو غازياً في سبيل الله فإن تحت البحر ناراً وتحت النار بحراً»[١].

وروي عن ابن عمر مرفوعاً: «**إن جهنم محيطة بالدنيا وإن الجنة من ورائها فلذلك كان الصراط على جهنم طريقاً إلى الجنة**»[٢]، قال الحافظ ابن رجب هذا حديث غريب منكر.

وقيل: إن النار في السماء، خرج الإمام أحمد عن حذيفة ﵁ عن النبي ﷺ قال: «**أُتِيتُ بالبراق فلم نزايل طرفه أنا وجبريل حتى أتيت بيت المقدس وفتحت لنا أبواب السماء ورأيت الجنة والنار**»[٣].

وخرج عنه أيضاً عن النبي ﷺ: **رأيت ليلة أسري بي الجنة والنار في السماء فقرأت هذه الآية: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢] فكأني لم أقرأها قط»**[٤].

ولا حجة في هذا ونحوه على أن النار في السماء لجواز أن يراها في الأرض وهو في السماء، وهذا الميت يرى وهو في قبره الجنة والنار، وليست الجنة في الأرض، وقد ثبت أنه ﷺ رآهما وهو في صلاة الكسوف وهو في الأرض[٥]، وفي بعض طريق حديث الإسراء عن أبي هريرة أنه مر على أرض الجنة والنار في مسيره إلى بيت المقدس، ولم يدل شيء من ذلك على أن الجنة في الأرض، فحديث حذيفة إن ثبت فيه أنه رأى الجنة

---

(١) رواه أبو داود (٢/ ٨) رقم ٢٤٨٩، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٣٣٤) رقم ٨٤٤٥ وقال أبو داود: هذا حديث ضعيف جداً أبو عبد الله وبشير مجهولان.

(٢) ذكره ابن رجب في التخويف من النار/ ٦٩ وقال: غريب منكر.

(٣) جزء من حديث رواه أحمد (٥/ ٣٩٢) رقم ٢٣٣٨٠، وفيه (ظهره) بدل (طرفه) والطيالسي في مسنده (٥٥) رقم ٤١١، وذكره الهندي في كنز العمال (١١/ ٣٨٥) رقم ٣١٨٣٧.

(٤) ذكره ابن رجب في التخويف من النار (٦٩).

(٥) رواه البخاري رقم ١٠٥٢، ومسلم رقم ٩٠٧.

والنار في السماء فالسماء ظرف للرؤية لا للمرئي، أي رأيت الجنة والنار حال كوني في السماء- يعني صدرت الرؤيا مني وأنا في السماء - ولا تعرض في الحديث للمرئي، فتأمل.

وفي حديث ضعيف جداً أنه ﷺ «**رأى الجنة والنار فوق السماوات**»[١]، فلو صح حمل على ما ذكرنا.

وقد أخرج القاضي أبو يعلى من رؤوس أصحابنا بسند جيد عن الإمام أبي بكر المروذي أن الإمام أحمد رحمه الله فسر له آيات متعددة من القرآن، فكان مما فسر له قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾. قال: أطباق النيران، والبحر المسجور قال: جهنم.

وهذا يدل على أنه يرى أن النار في الأرض، بخلاف ما رواه الخلال عن المروذي من أن النار في السماء.

وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ يعني الجنة والنار.

وتأوَّله بعضهم على أن المراد أن أعمال الجنة والنار مقدرة في السماء.

والحاصل أن الجنة في السماء، وأن النار في الأرض على الصحيح المعتمد كما قدمناه، والله تعالى الموفق.

* * *

---

(١) لعله أخذ ذلك من مفهوم حديث المعراج الطويل والذي رواه الطبري (٨/ ١٢).

فصل

وأما طبقاتها وأدراكها فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥].

قال الضحاك: الدرك إذا كان بعضها أسفل من بعض، والدرج إذا كان بعضها فوق بعض.

وقال غيره: الجنة درجات، والنار دركات.

وقد تسمى النار درجات، كما قال تعالى بعد أن ذكر أهل الجنة وأهل النار: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾. [الأنعام: ١٣٢] وقال: ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٦٢-١٦٣].

وقال عبدالرحمن بن زيد: درجات الجنة تذهب علواً، ودرجات النار تذهب سفولا.

وقال عكرمة في قوله تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ﴾ [الحجر: ٤٤]. قال: سبعة طباق.

وفي قوله: ﴿لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٤]. قال: هي منازل بأعمالهم.

وقال يزيد بن أبي مالك الهمداني: لجهنم سبعة نيران تأتلق، ليس منها نار إلا وهي تنظر إلى التي تحتها مخافة أن تأكلها.

وقال ابن جريج[١] في قوله تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ﴾. قال: أولها

(١) في حاشية الأصل/ لعله ابن جريج.

جهنم، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم سقر، ثم الجحيم، ثم الهاوية، وفيها أبو جهل.

وفي «الإحياء» للغزالي على خلاف هذا الترتيب قال: الأعلى جهنم، ثم سقر، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم الهاوية، ثم الجحيم، والأول أصح لورود الآثار به.

قال القرطبي: الباب الأول يسمى جهنم، وهو أهونها عذاباً، وهو مختص بعصاة هذه الأمة، وسمي بذلك لأنه يتجهم في وجوه الرجال والنساء، فتأكل لحومهم، والهاوية آخرها، وهي أبعدها قعراً.

وقال الفخر: الظاهر أن جهنم والعياذ بالله طبقات، والظاهر أيضاً أن شرها أسفلها.

وحكى الزمخشري والثعلبي والفخر أن أصحاب الطبقة الأولى أهل التوحيد، يعذبون على قدر أعمالهم ثم يخرجون، والثانية لليهود، والثالثة للنصارى، والرابعة للصابئين، والخامسة للمجوس، والسادس للمشركين، والسابعة للمنافقين.

قال الضحاك: للنار سبعة أبواب، وهي سبعة أدراك بعضها على بعض، فأعلاها فيه أهل التوحيد- يعني عصاتهم- يعذبون على قدر أعمالهم وأعمارهم في الدنيا ثم يخرجون منها، وذكر الذي ذكرناه عن المفسرين الثلاثة.

قال الحافظ: وهذا ضعيف عن الضحاك، لأن فيه سلاماً المدائني وهو ضعيف.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: أي أهل النار أشد عذاباً؟ قالوا له اليهود والنصارى والمجوس، قال: لا ولكن المنافقون في الدرك الأسفل من النار

في توابيت من نار، مطبقة عليهم ليس لها أبواب.

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: الدرك الأسفل من النار بيوت لها أبواب يطبق عليها، فتوقد من فوقهم ومن تحتهم، قال تعالى: ﴿لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞ﴾ [الزمر:١٦]. قال أبو يسار: الظلة من جهنم فيها سبعون زاوية، في كل زاوية صنف من العذاب ليس في الأخرى.

وقال كعب رضي الله عنه في اقتحام العقبة في كتاب الله عز وجل، يعني قوله: ﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ﴾ [البلد:١١] سبعون درجة في النار.

وقال أبو رجاء: بلغني أن العقبة التي ذُكِرَتْ في كتاب الله مطلعها سبعة آلاف سنة، ومهبطها سبعة آلاف سنة.

وقال بعض السلف في العقبة: جبل في جهنم، أفلا أجاوزه بعتق رقبة؟ وقال مقاتل بن حيان: هي عقبة في جهنم، قالوا: بأي شيء تقطع؟ قال: بفك رقبة.

وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما: قال رأيت في المنام أنه جاءني ملكان، وفي يد كل واحد منهما مقمعة من حديد، ثم لقيني ملك في يده مقمعة من حديد فقال: لن ترع، نعم الرجل أنت لو كنت تكثر الصلاة من الليل، فانطلقوا بي حتى وقفوا على شفير جهنم، فإذا هي مطوية كطي البئر، وإذا لها قرون كقرون البئر، بين كل قرنين ملك بيده مقمعة من حديد، وإذا فيها رجال معلقون بالسلاسل، رؤوسهم أسفلهم، وعرفت فيها رجالًا من قريش، فانصرفوا بي عن ذات اليمين، فقصصتها على حفصة، فقصتها حفصة على رسول الله ﷺ فقال «إن عبدالله رجل صالح»[1].

* * *

(١) رواه البخاري رقم ٧٠٣٠، ٧٠٣١، ومواضع أخرى، ومسلم رقم ٢٤٧٩ .

فصل

وأما صفة النار ونعوت دار البوار، فهي أفظع من أن توصف وأقبح من أن تعرف، أعدها الله تعالى لكل كافر وعاص إلا من رحم سبحانه وتعالى، وما بالك بدار هي آثار غضب الجبار، فهي حَرِيَّةٌ بأن تسمى الجحيم، لأنها أثر نقمة العزيز الحكيم، أخرج الطبراني عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: قال جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: «**يا جبريل مالي أراك متغير اللون؟ قال: ما جئتك حتى أمر الله بمنافيخ النار، فقال يا جبريل صف لي النار، قال: إن الله أمر بجهنم فأوقد عليها ألف عام حتى ابيضت، ثم أوقد عليها ألف عام حتى احمرت، ثم أو قد عليها ألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة لا يضيء شررها ولا يطفأ لهبها، والذي بعثك بالحق لو أن قدر ثقب إبرة فتح من جهنم لمات من في الأرض كلهم جميعاً من حره، ولو أن خازناً من خزنة جهنم برز إلى أهل الدنيا فنظروا إليه لمات من في الأرض كلهم من قبح وجهه ومن نتن ريحه، ولو أن حلقة من حلق سلسلة أهل النار التي نعت الله في كتابه وضعت على جبال الدنيا لا رفضت وما تقارت حتى تنتهي إلى الأرض السفلى**»[1].

وأخرج الإمام أحمد بسند صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**هذه النار جزء من مائة جزء من نار جهنم**»[2]. فنسأل الله سبحانه من فضله أن يعافينا من النار ومن غضبه بمنه وكرمه.

* * *

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٣/ ٨٩) رقم ٢٥٨٣، وذكره الهيثمي (١٠/ ٧٠٦) رقم ١٨٥٧٣ وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه سلام الطويل وهو مجمع على ضعفه وتقدم.

(٢) رواه أحمد (٢/ ٣٧٩) رقم ٨٩١٠، وذكره الهيثمي (١٠/ ٧٠٨) رقم ١٨٥٧٥ وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

فصل

وأما قعرها وعمقها، فعن خالد بن عمير قال: خطب عتبة بن غزوان فقال: إنه ذكر لنا أن الحجر يلقى من شفير جهنم فيهوى فيها سبعين عاماً لا يدرك لها قعراً، واللّه لتملأنه أفعجبتم. رواه مسلم موقوفاً هكذا.

وكذا أخرجه الإمام أحمد موقوفاً، وخرجه أيضاً مرفوعاً(١)، قال الحافظ: والموقوف أصح.

وخرج الترمذي عن عتبة بن غزوان أنه قال على منبر البصرة عن النبي ﷺ قال: «**إن الصخرة العظيمة لتلقى من شفير جهنم، فتهوى فيها سبعين عاماً وما تُفضي إلى قرارها**»(٢).

قال: وكان عمر رضي الله عنه يقول: أكثروا ذكر النار، فإن حرها شديد، وإن قعرها بعيد، وإن مقامعها من حديد، قال الترمذي رواه الحسن عن عتبة ولا نعرف للحسن سماعاً من عتبة بن غزوان.

وفي مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه : قال كنا عند رسول الله ﷺ يوماً فسمعنا وجبة، فقال النبي ﷺ: «**أتدرون ما هذا؟ قلنا اللّه ورسوله أعلم، قال: هذا حجر أرسل في جهنم منذ سبعين خريفاً**»(٣).

---

(١) جزء من حديث رواه أحمد (٤/ ١٧٤) رقم ١٧٦١١، مرفوعاً، ورواه موقوفا مسلم رقم ٢٩٦٧.

(٢) رواه الترمذي (٤/ ٧٠٢) رقم ٢٥٧٥، وروى نحوه الطبراني في الأوسط (٣/ ١٠٠) رقم ٢٦١٣، وله شاهد في الحديث قبله وبعده.

(٣) أخرجه مسلم رقم ٢٨٤٤ باختلاف يسير جداً في بعض الألفاظ، وأحمد (٢/ ٣٧١) رقم ٨٨٢٦.

وخرج ابن حبان في صحيحه عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**لو أن حجراً قذف به في نار جهنم لهوى فيها سبعين خريفاً قبل أن يبلغ قعرها**»[1].

وأخرج ابن المبارك عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: إن ما بين شفير جهنم مسيرة سبعين خريفاً من حجر يهوي، أو صخرة تهوي، عظمها كعشر عشراوات - أي نوق عشارية - عظام سمان فقال له رجل: تحت ذلك شيء يا أبا أمامة؟ قال: نعم غي وأثام»، قال الحافظ في «التخويف»: وقد روي هذا مرفوعاً بإسناد فيه ضعف، وزاد فيه: قيل وما غي وما أثام؟ قال: بئران يسيل فيهما صديد أهل النار، وهما اللتان ذكرهما الله في كتابه: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩] وفي الفرقان: ﴿يَلْقَ[2] أَثَامًا﴾[3] [الفرقان: ٦٨].

قال الحافظ: والموقوف أصح.

وأخرج الإمام أحمد عن عبدالله عنه ﷺ قال: «**ما من حَكَم يحكم بين الناس إلا حبس يوم القيامة، وملك آخذ بقفاه حتى يقفه على شفير جهنم، ثم يرفع رأسه إلى الله عز وجل، فإذا قال ألقه ألقاه في مهوى**

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه (١٦/ ٥٠٩) رقم ٧٤٦٨، وأبو يعلى في مسنده (١٣/ ١٧٥) رقم ٧٢٤٣، وذكره الهيثمي (١٠/ ٧١٢) رقم ١٨٥٨٨ وقال: رواه البزار والطبراني وفيهما محمد بن أبان الجعفي وهو ضعيف.

(٢) في الأصل (يلقون) والمثبت هو الصواب، وجاء في حاشية الأصل أيضاً/ الذي في الفرقان (يلق أثاما).

(٣) رواه المروزي في تعظيم قدر الصلاة (١/ ١٢٠) رقم ٣٦، وذكره الهيثمي (١٠/ ٧١٢) رقم ١٨٥٩١، وقال: رواه الطبراني وفيه ضعفاء قد وثقهم ابن حبان وقال: يخطئون.

أربعين خريفاً»[١].

وفي «التخويف» للحافظ بسند فيه عبيدالله بن الوليد الوصافي - لا يحفظ الحديث وكان شيخاً صالحاً - أن أبا ذر رضي الله عنه قال لعمر رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«يجاء بالوالي يوم القيامة، فينبذ على جسر جهنم، فيرتج به الجسر ارتجاجة لا يبقى منه مفصل إلا زال عن مكانه، فإن كان مطيعاً لله في عمله مضى به، وإن كان عاصياً لله في عمله انخرق به الجسر فهوى في جهنم مقدار خمسين عاماً، فقال له عمر** رضي الله عنه: من يطلب العمل بعد هذا؟ قال أبو ذر رضي الله عنه: **من سلت**[٢] **الله أنفه وألصق خده بالتراب، فجاء أبو الدرداء فقال له عمر: يا أبا الدرداء هل سمعت رسول الله ﷺ حدثنا بحديث حدثني به أبو ذر، قال: فأخبره أن مع الخمسين خمسين عاماً يهوي أو نحو هذا»**[٣].

وفي موعظة الأوزاعي للمنصور قال: أخبرني يزيد بن يزيد بن جابر عن عبدالرحمن بن أبي عمرة الأنصاري أن أبا ذر وسلمان قالا لعمر رضي الله عنه: سمعنا رسول اللّه ﷺ يقول، فذكر معناه، وقال هوى به في النار سبعين خريفاً.

---

(١) رواه أحمد واللفظ له (١/ ٤٣٠) رقم ٤٠٩٧، وابن ماجه (٢/ ٧٧٥) رقم ٢٣١١، وقال: في الزوائد في إسناده مجالد وهو ضعيف، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٩٦) رقم ٢٠٠١٠، وابن أبي شيبة في المصنف (٦/ ٤١٩) رقم ٣٢٥٤٥، والطبراني في الأوسط (٤/ ١٢٨) رقم ٣٧٨٥ .

(٢) يقال: سَلَت أنفه يَسْلِتُهُ ويسلُته سَلْتاً جدعه، والرجل أسْلَتُ: إذا أوعِبَ جَذْعُ أنفه، والأسلت: الأجدع. لسان العرب: مادة: سلت.

(٣) رواه الطبراني في الكبير (٢/ ٣٩) رقم ١٢١٩، وذكره الهيثمي (٥/ ٣٧١) رقم ٩٠٤٠ وقال: رواه الطبراني وفيه سويد بن عبد العزيز وهو متروك.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها يهوي بها في النار**»(١)، وفي لفظ: «**يزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب**»(٢).

وأخرج الإمام أحمد والترمذي عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأساً يهوي بها في النار سبعين خريفاً**»(٣)، وخرجه ابن ماجة وكذا البزار بنحوه عن ابن مسعود رضي الله عنه. هذا عمقها.

وأما سعتها فروي مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أتدرون ما سعة جهنم؟ قلنا: لا، قال: أجل والله ما تدرون، ما بين شحمة أذن أحدهم وعاتقه مسيرة سبعين خريفاً، تجري فيه أودية القيح والصديق والدم، قلنا أنهار؟ قال: لا بل أدوية، ثم قال: أتدرون ما سعة جهنم؟ قلنا لا، قال: حدثتني عائشة رضي الله عنها أنها سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧]. فأين الناس يومئذ؟ قال: «**على جسر جهنم**»(٤)، رواه الإمام أحمد.

وخرج النسائي والترمذي عنه المرفوع، وصححه الترمذي، وخرجه الحاكم وقال: صحيح الإسناد، والله سبحانه وتعالى أعلم.

* * *

(١) رواه مسلم رقم ٢٩٨٨ .

(٢) رواه البخاري رقم ٦٤٧٧ .

(٣) رواه الترمذي (٤/٥٥٧) رقم ٢٣١٤ وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وأحمد (٢/٢٣٦) رقم ٧٢١٤، وابن حبان في صحيحه (١٣/١٣) رقم ٥٧٠٦ .

(٤) رواه أحمد (٦/١١٦) رقم ٢٤٩٠٠، والحاكم (٢/ ٤٧٣) رقم ٣٦٣٠ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه السياقة، ووافقه الذهبي، والنسائي في السنن الكبرى (٦/٤٤٧) رقم ١١٤٥٣، والترمذي (٥/ ٣٧٢) رقم ٣٢٤١ وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

الباب الثالث
في ذكر أبواب جهنم وسرادقها، وظلمتها وشدة سوادها

أما أبوابها فقال تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ [الحجر: ٤٣-٤٤].

وخرج الإمام أحمد والترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «**لجهنم سبعة أبواب، منها باب لمن سل سيفه على أمتي**»[١].

وفي حديث أبي رزين العقيلي عند الإمام ابن الإمام أبي عبدالرحمن عبدالله ابن الإمام أحمد والطبراني والحاكم وغيرهم عنه ﷺ أنه قال: «**لعمر إلهك إن للنار سبعة أبواب ما منهن باب إلا يسير الراكب فيها سبعين عاماً**»[٢]، وتقدم بطوله.

وأخرج ابن أبي حاتم عن علي كرم الله وجهه قال: أبواب جهنم سبعة بعضها فوق بعض، وقال بأصبعه وعقد خمسين، وأضجع يده ثم يمثل الأول والثاني والثالث حتى عقدها كلها.

وقال جويبر عن الضحاك: سمى الله تعالى أبواب جهنم لكل باب منهم جزء مقسوم، باب لليهود، وباب للنصارى، وباب للمجوس، وباب للصابئين، وباب للمنافقين، وباب للذين أشركوا وهم كفار العرب، وباب

---

(١) رواه أحمد (٢/ ٩٤) رقم ٥٦٨٩، والترمذي (٥/ ٢٩٧) رقم ٣١٢٣، وقال: هذا حديث غريب، وابن حبان في المجروحين (١/ ٢١١) في ترجمة جنيد بن العلاء رقم ١٧٧ .

(٢) جزء من حديث أخرجه الطبراني في الكبير (١٩/ ٢١١) رقم ٤٧٧ من حديث لقيط وتقدم غير مرة.

لأهل التوحيد، وأهل التوحيد يرجى لهم ولا يرجى للآخرين. خرجه الخلال.

وقال عطاء الخراساني: إن لجهنم سبعة أبواب أشدها غماً وكرباً وحراً، وانتنها ريحاً للزناة الذين ركبوا بعد العلم.

وقال كعب: لجهنم سبعة أبواب، باب منها للحرورية.

وهذا يدل على أن كل باب من السبعة لعمل مخصوص من الأعمال السيئة، كما أن أبواب الجنة الثمانية كل باب لعمل مخصوص من الأعمال الصالحة.

وقال وهب: بين كل بابين من أبواب النار مسيرة سبعين سنة، كل باب أشد حراً من الذي فوقه.

ويروي عن بلال رضي الله عنه أن أعرابية صلت خلف النبي ﷺ، فقرأ النبي ﷺ هذه الآية: ﴿لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٤]. فخرت مغشياً عليها، فلما أفاقت قالت يا رسول الله: كل عضو من أعضائي يعذب على كل باب منها؟ فقال ﷺ: «**لكل باب منهم جزء مقسوم يعذب على كل باب على قدر أعمالهم، فقالت: مالي إلا سبعة أعبد، أشهدك أن كل عبد منهم لكل باب من أبواب جهنم حر لوجه الله تعالى، فجاء جبريل فقال: بشرها أن الله قد حرم عليها أبواب جهنم**»[1]، هذا خرجه الثعلبي في تفسيره بإسناد مجهول.

قال الحافظ في «التخويف»: لا يصح رفعه، وفيه من لا تحل الرواية

(١) ذكره القرطبي في التفسير (١٠/٢٩)، وفي التذكرة (٤٤٦) وانظر تعليق المصنف في الحكم عليه.

عنه، والصحيح ما خرجه ابن أبي الدنيا عن هشام بن حبان قال: خرجنا حجاجاً، فنزلنا منزلاً في بعض الطريق، فقرأ رجل كان معنا هذه الآية: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ فسمعت امرأة فقالت: أَعِدْ رحمك الله، فأعادها، فقالت: خلفت في البيت سبعة أعبد، أشهدكم أنهم أحرار، لكل باب واحد.

لطيفة: أخرج ابن أبي الدنيا من طريق عبدالعزيز بن أبي وراد قال: كان بالبادية رجل قد اتخذ مسجداً، فجعل في قبلته سبعة أحجار، فكان إذا قضى صلاته قال: يا أحجار أشهدكم أن لا إله إلا الله، قال: فمرض الرجل، فعرج بروحه، قال: فرأيت في منامي أنه أمر بي إلى جهنم، فلما أوقفت على بابها فرأيت حجراً من تلك الحجارة أعرفه بعينه، قد عظم، فسد عني باباً من أبواب جهنم، فذهبوا بي إلى باب آخر، فإذا بحجر آخر حتى سد عني بقية الأحجار أبواب جهنم[١].

فهذا أشهد حجراً فنفعته تلك الشهادة، وأنا أشهد الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم، أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إلهاً قاهراً جباراً، وملكاً قادراً قهاراً، للذنوب غفاراً، وللعيوب ستاراً، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ، وأسأله أن يتوفاني على كلمة الإخلاص، وأطلب منه العافية والخلاص، بمنه وكرمه ولطفه وحلمه، والمسلمين أجمعين.

❊ ❊ ❊

(١) هذه منامات وإن كان لا يترتب عليها حكم، بمعنى أنه لا يجوز أن تكون سنداً في إشهاد الأحجار على الإيمان، إلا أنها غير ممتنعة شرعاً، وفي صحيح البخاري أن أبا سعيد الخدري قال لعبد الله بن عبد الرحمن بن صعصعة الأنصاري «إني أراك تحب الغنم والبادية، فإذا كنت في غنمك أو باديتك فأذنت بالصلاة فارفع صوتك بالنداء، فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة» قال أبو سعيد: سمعته من رسول الله ﷺ البخاري رقم ٦٠٩ .

فصل

وقد وصف اللّه سبحانه وتعالى أبوابها مغلقة فقال تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ﴾ [البلد: ٢٠]. قال مجاهد: هي بلغة قريش مغلقة، أصد الباب: أي أغلقه، وقال مقاتل: أبوابها مطبقة فلا يفتح لها باب ولا يخرج منها غم، ولا يدخل فيها روح آخر الأبد، وأخرج ابن مردويه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**إنها عليهم مؤصدة، قال مطبقة**»[1]، قال الحافظ في «التخويف»: رفعه لا يصح.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ [الهمزة: ٨، ٩]. معناه: أطبقت عليهم بعَمَد، قاله قتادة، وكذلك هو في قراءة عبدالله بعمد بالباء الموحدة، قال عطاء: هي عمد من حديد في النار.

وقال مقاتل: أطبقت الأبواب عليهم، ثم سدت بأوتاد من حديد حتى يرجع عليهم غمها وحرها، وعلى هذا فقوله: ممدة: صفة للعُمُد، يعني: أن العمد التي أوثقت بها الأبواب ممدودة مطولة، والممدوة الطويل أرسخ وأثبت من القصير، وقيل: إن الممددة صفة لأبواب، وهو عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقيل المراد بالعمد الممدة: القيود الطوال، وقيل المراد بالعمد الممددة: الزمان الذي لا انقطاع له.

قال السدي: من قرأها في عمد بالفتح فهي عمد من نار، ومن قرأها بالضم، فهو أجل ممدود.

واعلم أن إطباق جهنم على نوعين:

---

(١) رواه الطبري في التفسير (١٢/ ٦٨٩) عن ابن عباس، وقتادة موقوفاً.

أحدهما: خاص لمن يدخل في النار، أو من يريد الله التضييق عليه- أجارنا الله من ذلك كله.

قال بعض السلف: إن في النار أقواماً مؤصدة عليهم كما يطبق الحق على طبقه، خرجه ابن أبي حاتم عن أبي توبة اليزني.

والثاني: العام وهو إطباق النار على أهلها المخلدين فيها، كذا في «التخويف» للحافظ، قال: وقد قال سفيان وغيره في قوله تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء:١٠٣]. قال: هو إطباق النار على أهلها.

وخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال: ينادي رجل في شعب من شعاب النار مقدار ألف عام: يا حنان يا منان، فيقول الله عز وجل: يا جبريل أخرج عبدي فيجدها مطبقة فيقول: إنها عليهم مؤصدة مطبقة.

وقال ابن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: إذا أجاب الله تعالى أهل النار: ﴿ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون:١٠٨]. أطبقت عليهم، فلم ينطق القوم بعد تلك الكلمة، وإن كان إلا الزفير والشهيق، يعني: يئس القوم فلم ينطقوا. وقال أبو عمران الجوني: إذا كان يوم القيامة أمر اللّه بكل جبار عنيد وكل شيطان مريد، وكل من كان يخاف الناس في الدنيا شره فأوثقوا بالحديد، ثم أمر بهم إلى جهنم، ثم أوصدوها عليهم، فلا واللّه لا تستقر أقدامهم على قرار أبداً، ولا ينظرون فيها إلى أديم السماء أبداً، ولا واللّه تلتقي جفون أعينهم على غمض نوم أبداً، ولا واللّه يذوقون فيها بارد شراب أبداً.

وقال بعض السلف في إطباق النار على أهلها: لبسوا النضيج من النحاس، ومنعوا خروج الأنفاس، فالأنفاس في أجوافهم تترد، والنيران على أبدانهم تتوقد، وقد أطبقت عليهم الأبواب، وغضب عليهم رب

الأرباب، ومنعوا السؤال والجواب، ولم يبق إلا الزفير والشهيق والتشلوح[١] والتمزيق.

وأنشد بعضهم في هذا:

لو أبصرتْ عيناك أهل الشقاء سيقوا إلى النار وقد أحرقوا
يصلونها حين عصوا ربهم وخالفوا الرسل وما صدقوا
تقول أخراهم لأولاهم في لجج المهل وقد أغرقوا
قد كنتم حذرتُم حرها لكن من النيران لم تَفْرقوا
وجيء بالنيران مزمومة شرارها من حولها محرق
وقيل للنيران أن أحرقي وقيل للخزان أن أطبقوا

وقد ورد في بعض أحاديث الشفاعة فتح باب النار، فخرج الطبراني من رواية العباس عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إني آتي جهنم فأضرب بابها، فيفتح لي، فأدخلها فأحمد الله بمحامد ما حمده أحد قبلي مثله ولا حمده بعدي، ثم أخرج منها من قال لا إله إلا الله مخلصاً، فيقوم إليَّ أناس من قريش فينتسبون لي فأعرف نسبهم ولا أعرف وجوههم، فأتركهم في النار**»[٢].

قال الحافظ في التخويف: إسناده ضعيف، والله أعلم.

---

(١) التشليح: التعرية - انظر القاموس المحيط/ باب الحاء فصل الشين. وفي لسان العرب: قال الأزهري: ما أرى الشَّلْحاءَ والشُّلْحَ عربية صحيحة وكذلك التشليح الذي يتكلم به أهل السواد. مادة شلح.

(٢) جزء من حديث طويل رواه الطبراني في الأوسط (٤/ ١٥١) رقم ٣٨٤٥، وذكره الهيثمي (١٠/ ٦٨٨) رقم ١٨٥٢٨ وقال: رواه الطبراني في الأوسط عن شيخه علي بن سعيد الرازي وفيه لين وفيه من لم أعرفه.

فصل

وأما السرُّادق فقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَاۚ﴾ [الكهف: ٢٩].

قال الزجاج: السرادق كلما أحاط بشيء نحو المضرب والحائط المشتمل على الشيء.

وقال ابن قتيبة: السرادق الحجرة التي تكون حوط الفسطاط، وقيل الدهليز، وهو معرب، وأصله بالفارسية سرادار.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: هو سرادق من نار.

وخرج الترمذي بسند فيه ابن لهيعة عن أبي سعيد مرفوعاً: «**لِسَرادق النار أربعة جدر كثف، كل جدار مسيرة أربعين سنة**»(١).

قال الحافظ: وإحاطة السرادق بهم قريب من المعنى المذكور في غلق الأبواب، وهو شبه قول من قال في السرادق: إنه حائط لا باب له.

ولما كان إحاطة السرادق بهم موجباً لغمهم وكربهم لشدة وهج النار. قال تعالى: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩]. وقال تعالى: ﴿وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [الحج: ٢١-٢٢].

---

(١) رواه الترمذي (٤/ ٧٠٦) رقم ٢٥٨٤، وأحمد (٣/ ٢٩) رقم ١١٢٥٢، وابن المبارك في الزهد (٩٠) رقم ٣١٦، وذكره ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٩٣٦) رقم ١٥٦٠ وقال: هذا حديث لا يصح، ابن لهيعة ذاهب الحديث، قال أحمد: وأحاديث دراج مناكير.

قال أبو معشر: كنا في جنازة مع أبي جعفر القاري، فبكى أبو جعفر ثم قال: حدثني زيد بن أسلم أن أهل النار لا يتنفسون، فذلك الذي أبكاني، أخرجه الجوزجاني.

وأخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة قال: [على كل باب من أبواب النار سبعون ألف سرادق من نار، في كل سرادق منها](١) سبعون ألف قبة من نار، في كل قبة سبعون ألف تنور من نار، في كل تنور منها سبعون ألف كوة من نار، في كل كوة منها سبعوة ألف صخرة من نار، على كل صخرة منها سبعون ألف حجر من نار، وعلى كل حجر منها سبعون ألف عقرب من نار، لكل عقرب منها سبعون ألف ذنب من نار، لكل ذنب منها سبعون ألف فقارة من نار، في كل فقارة منها سبعون ألف قلة من سم، وسبعون ألف موقد من نار، يوقدون تلك النار(٢)، وذكر تمام الحديث.

وستأتي إن شاء اللّه تعالى بقيته، وفيه أنهم يهربون من باب إلى باب خمسمائة سنة.

قال الحافظ في «التخويف»: وهذا الخبر غريب منكر، وفيه إبراهيم ابن الحكم بن أبان ضعيف تركه الأئمة.

وتقدم أن أبواب جهنم قبل دخول أهلها إليها يوم القيامة تكون مغلقة، وذكرنا قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧١] الآية.

وفي حديث أبي هارون العبدي - وهو ضعيف جداً - عن أبي سعيد

(١) ما بين المعكوفتين ساقط من الأصل ومن نسخة (أ) وأثبتناه من كتاب التخويف من النار للحافظ ابن رجب (٩١).
(٢) هذا الأثر تظهر عليه آثار الصنعة، ولقد أحسن المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعقيبه عليه.

مرفوعاً في قصة الإسراء «**ثم عُرِضَتْ عليَّ النار وإذا فيها غضب الله وزجره ونقمته، لو طرح فيها الحجارة والحديد لأكلتها، ثم أغلقت دوني**»[١].

وقد روي أنها تفتح في كل يوم نصف النهار.

وأخرج الإمام أحمد أن خباب بن الأرت رأى رجلًا يصلي نصف النهار فنهاه وقال: إنها ساعة تفتح فيها أبواب جهنم فلا يصلي فيها.

وتقدم أن الحكمة في غلقها ليزداد حرها، ويعظم ضرها، ويقوى شرها، ويزيد سعيرها، ويكثر زفيرها ويحبس دخانها، ويحنق خزانها، فنسأل الله أن يعافينا من زفراتها، ويبعدنا عن عقاربها وحياتها، بمنه وكرمه.

وقد ورد ما يستدل به على أن أبوابها مفتوحة، كما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين**»[٢].

وخرج الترمذي عن أبي هريرة مرفوعاً: «**إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن، وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب**»[٣].

وأجيب بأن غلق أبواب النار إنما هو عن الصائمين خاصة، وكذا فتح أبواب الجنة لهم خاصة، ويدل عليه حديث ابن عباس مرفوعاً «**فيفتح فيها- أي أول ليلة من رمضان - أبواب الجنة للصائمين من أمة محمد، ويقول الله**

---

(١) جزء من حديث رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣/ ٥١٤، وذكره ابن كثير في التفسير (٣/ ١٨)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ١٩٨) وانظر حكم المصنف عليه المذكور قبله.

(٢) رواه مسلم واللفظ له رقم ١٠٧٩، والبخاري رقم ١٨٩٩ باختلاف يسير.

(٣) رواه الترمذي (٣/ ٦٦) رقم ٦٨٢، وابن ماجه (١/ ٥٢٦) رقم ١٦٤٢، وابن حبان في صحيحه (٨/ ٢٢١) رقم ٣٤٣٥ وله شواهد عند البخاري.

عز وجل: يا رضوان افتح أبواب الجنان، يا مالك أغلق أبواب الجحيم عن الصائمين من أمة محمد ﷺ»[1] والحديث منقطع، فإنه رواه الضحاك عن ابن عباس، والضحاك لم يسمع من ابن عباس رضي الله عنهما، هكذا جواب بعض العلماء.

قلت: والذي يظهر لي من الجواب عن هذه الأحاديث أن المراد بقوله ﷺ: «**وغلقت أبواب النار**» أي استمرت على حالها قبل رمضان مغلوقة كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ﴾ [النساء: ١٣٦].

وكذا القول في أبواب الجنة - على رأى من زعم أنها مفتوحة الآن - وإلا هذا الكتاب قد نطق بتغليق الأبواب، فقد قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧١] فالحق أن أبواب جهنم مغلقة، أما اليوم فعلى الصحيح المعتمد، وأما في الآخرة فبلا نزاع، اللهم إلا أن ينازع في ذلك من لا يعتد بنزاعه، والله تعالى الموفق.

* * *

(١) جزء من حديث طويل أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٢/ ٢٩١) وذكره الهندي في كنز العمال (٨/ ٥٨٦) رقم ٢٤٢٨١ وقال: ضعيف.

فصل

وأما ظلمتها، وشدة سوادها: فروى ابن ماجة والترمذي عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «**أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت، فهي سوداء كالليل المظلم**»[١].

قال الترمذي: حديث أبي هريرة في هذا موقوف أصح، قال: ولا أعلم أحداً رفعه غير يحيى بن أبي بُكير عن شريك، وتقدم هذا عند الطبراني عن عمر بنحوه.

وأخرج البيهقي عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعاً: «**أترونها- يعني النار- حمراء كناركم هذه؟ لهي أشد سواداً من القار**»[٢]، وخرجه البزار بلفظ: «**لهي أشد سواداً من دخان ناركم سبعين ضعفاً**»[٣].

وروي موقوفاً على أبي هريرة وهو أصح، قاله الدارقطني.

(١) رواه الترمذي (٤/ ٧١٠) رقم ٢٥٩١ بلفظ «مظلمة» بدل «كالليل المظلم» وقال: هذا حديث حسن غريب وابن ماجه (٢/ ١٤٤٥) رقم ٤٣٢٠ باختلاف في بعض الألفاظ، وكذا ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٥٤) رقم ٣٤١٦٥، والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ٤٨٩) رقم ٧٩٩ .

(٢) رواه مالك في الموطأ (٢/ ٩٩٤) رقم ١٨٠٥ ، باختلاف في بعض الألفاظ موقوفاً على أبي هريرة، والدارقطني في العلل (١٠/ ٨٣) رقم ١٨٨٢ وقال: وروى عن معن وابن أبي بكير مرفوعاً، والصحيح موقوف.

(٣) رواه الطبراني في الأوسط (١/ ١٥٥) رقم ٤٨٥ ، وذكره ابن كثير في التفسير (٤/ ٧٠٢ والهيثمي (١٠/ ٧٠٨) رقم ١٨٥٧٦ وقال: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ [التكوير: ١٢]. قال سعرت ألف سنة حتى ابيضت، ثم ألف سنة حتى احمرت، ثم ألف سنة حتى اسودت، فهي سوداء مظلمة.

قال الحافظ في (التخويف): وفيه الحكم ابن ظهير ضعيف، والصحيح ما رواه عاصم عن أبي صالح عن أبي هريرة كما سبق- يعني من قوله فيما تقدم- «**أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت**» الحديث.

وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه: النار سوداء مظلمة لا يطفأ جمرها ولا يضيء لهبها، ثم قرأ ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [الحج: ٢٢].

وقال أبي بن كعب رضي الله عنه: ضرب الله مثلًا للكافر: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ﴾ الآية [النور: ٤٠]، قال: فهو يتقلب في خمس من الظلم، كلامه ظلمة، وعمله ظلمة، ومدخله ظلمة، ومخرجه ظلمة، ومصيره إلى الظلمات، إلى النار، رواه أبو جعفر.

وقال الضحاك: جهنم سوداء، وماؤها أسود، وشجرها أسود، وأهلها سود. وقد دل على سواد أهلها قوله تعالى: ﴿كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [يونس: ٢٧]. وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌۚ﴾ الآيتين [آل عمران: ١٠٦].

وثبت أن عصاة الموحدين منهم من يحترق في النار حتى يصير فحماً.

فنسأل الله سبحانه بوحيه[1] العافية من النار ومن غضبه، وما ينشأ عنه غضبه، ونستعيذ به وبأسمائه وصفاته وكلامه وخواص[2] خلقه من غضبه

---

(١) هكذا بالأصل ولعلها (بوجهه).

(٢) غفر الله للإمام السفاريني، فما كان أغناه عن سؤال الخلق فيما لا يقدر عليه إلا الله =

وسخطه، ونتحصن من النار بمدلول اسمه الغفار، ونبيه المختار ﷺ .

* * *

= تعالى، خصوصاً وقد جاء عن النبي ﷺ الأمر بسؤال الله والاستعانة به، فقال ﷺ : «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله» رواه الترمذي وأحمد وغيرهما وهو صحيح.

الباب الرابع

في شدة حر جهنم وزمهريرها وسجرها وتسعيرها وتغيظها وزفيرها أعاذنا الله منها

أما حرها فقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ٨١].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**اشتكت النار إلى ربها فقالت: يا رب أكل بعضي بعضاً فنفسني، فأذن لها في نفسين، نفس في الشتاء ونفس في الصيف، فأشد ما تجدون من الحر من سمومها، وأشد ما تجدون من البرد من زمهريرها**»[١].

وفيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً أن رسول الله ﷺ قال: «**ناركم هذه ما يوقد ابن آدم جزء واحد من سبعين جزءاً من نار جهنم، قالوا: والله إن كانت لكافية، قال: إنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً، كلهن مثل حرها**»[٢].

وخرجه الإمام أحمد وزاد فيه: «**وضربت بالبحر مرتين ولولا ذلك ما جعل الله فيها منفعة لأحد**»[٣]، وتقدم.

---

(١) رواه البخاري رقم ٣٢٦٠ بلفظ «اشتكت النار إلى ربها، فقالت: يا رب أكل بعضي بعضاً، فأذن لها بنفسين، نفس في الشتاء، ونفس في الصيف، فأشد ما تجدون في الحر، وأشد ما تجدون من الزمهرير» ومسلم رقم ٦١٧ باختلاف يسير.

(٢) رواه البخاري رقم ٣٢٦٥، ومسلم رقم ٢٨٤٣، والترمذي (٤/ ٧٠٩) رقم ٢٥٨٩ .

(٣) أحمد (٢/ ٢٤٤) رقم ٧٣٢٣ .

وخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «**إن هذه النار جزء من مائة جزء من جهنم**»[١].

وروى الطبراني: أن جبريل عليه السلام قال لرسول الله ﷺ: «**والذي بعثك بالحق لو أن قدر ثقبِ إبرة فتح من جهنم لمات من في الأرض كلهم جميعاً من حره**»[٢]، قال الحافظ: وروي عن الحسن مرسلًا من وجه ضعيف، والحديث تكلم فيه، والله تعالى أعلم.

وقال كعب الأحبار رحمه الله لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: لو فتح من جهنم قدر منخر ثـور بالمشرق ورجل بالمغرب لغلى دماغه حتى يسيل من حرها.

وقال عبدالملك بن عمير: لو أن أهل النار كانوا في نار الدنيا لقالوا فيها.

وقال بشير بن منصور: قلت لعطاء السلمى رحمه الله: لو أن إنساناً أوقدت له نار وقيل له: من دخل هذه النار نجا من النار، فقال عطاء: لو قيل لي ذلك لخشيت أن تخرج نفسي فرحا قبل أن أقع فيها.

فإن قلت: قد ذكرت عن المصطفى ﷺ أن هذه النار جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم، وفي حديث آخر من مائة جزء، وكلا الحديثين ثابت عنه ﷺ.

قلت لفظة سبعين وسبعمائة وسبعة آلاف ونحوها كثيراً ما يراد بها

---

(١) رواه أحمد (٢/ ٣٧٩) رقم ٨٩١٠، وذكره الهيثمي (١٠/ ٧٠٨) رقم ١٨٥٧٥ وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(٢) جزء من حديث رواه الطبراني في الأوسط (٣/ ٨٩) رقم ٢٥٨٣ وتقدم غير مرة.

التكثير، كقوله تعالى: ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ﴾ [التوبة: ٨٠] وهذا كثير جداً في كلام العرب.

أو يقال: إن هذين الحديثين وردا بحسب اختلاف النارين اللتين من نار الدنيا، وكل أحد يشاهد أن بعض نار الدنيا أقوى وأشد حراً من بعض، هذا معلوم بالحس لا ينكره أحد، والله تعالى أعلم.

* * *

فصل

وأما زمهريرها، فروي أن بيتاً في جهنم يتميز فيه الكافر من برده، يعني ينقطع ويتمزع، وقال مجاهد: إن في النار لزمهريرا، يقيلون فيه، يهربون إلى ذلك الزمهرير، فإذا وقعوا حطم عظامهم حتى يسمع لها نقيض.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: يستغيث أهل النار من الحر، فيغاثون بريح باردة يصدع العظام بردها، فيسألون الحر.

وعن عبدالملك بن عمير أنه قال: بلغني أن أهل النار يسألون خازنها أن يخرجهم إلى جانبها، فأخرجهم فقتلهم البرد والزمهرير، حتى رجعوا إليها فدخلوها مما وجدوا من البرد.

وأخرج أبو نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن كعباً رضي الله عنه قال: إن في جهنم برداً هو الزمهرير، يسقط اللحم حتى يستغيثوا بحر جهنم.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: الزمهرير لون من العذاب.

وذكر الحافظ في «التخويف» أن زبيداً اليامي قام ليلة للتهجد، فعمد إلى مِطْهَرة له قد كان يتوضأ فيها، فغسل يده ثم أدخلها في المطهرة، فوجد الماء فيها بارداً برداً شديداً، كاد أن يجمد، فذكر الزمهرير الذي في النار، ويده في المطهرة، فلم يخرجها منها حتى أصبح، فجاءت الجارية وهو على تلك الحال، فقالت: ما شأنك يا سيدي، لم تصل الليلة كما كنت تصلي؟ قال: ويحك إني أدخلت يدي في هذه المطهرة فاشتد عليَّ برد الماء، فذكرت به الزمهرير، فوالله ما شعرت لشدة برده حتى وقفت عليَّ،

انظري لا تخبري بهذا أحداً ما دمتُ حيا، فما علم بذلك أحد حتى مات، رحمه الله تعالى.

* * *

فصل

وأما سَجْر جهنم وتسعيرها فقد سبق أن أوقد عليها ثلاثة آلاف عام.

وخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لما خلق الله النار أرسل جبريل عليه السلام إليها وقال له: اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، قال: فنظر إليها فإذا هي يركب بعضها بعضاً، ثم رجع وقال: وعزتك لا يدخلها أحد سمع بها، فأمر بها فحفت بالشهوات، ثم قال: اذهب فانظر ما أعددت لأهلها فيها، فنظر إليها فرجع فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد إلا دخلها**»[(١)].

واعلم أن جهنم تسجر كل يوم نصف النهار، أخرج مسلم عن عمرو ابن عبسة عن النبي ﷺ أنه قال: «**صلِّ صلاة الصبح ثم أقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس وترتفع، فإنها تطلع حين تطلع بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار، ثم صل فإن الصلاة مشهودة حتى يستقل الظل بالرمح، ثم اقصر عن الصلاة، فإنه حينئذ تسجر جهنم، فإذا أقبل الفيء فَصَلِّ**»[(٢)]، وذكر بقية الحديث.

وفي حديث صفوان بن المعطل السلمي مرفوعاً: «**إذا طلعت الشمس فصل حتى يعتدل على رأسك مثل الرمح، فإذا اعتدلت على رأسك فإن تلك**

---

(١) رواه أحمد (٢/ ٣٣٢) رقم ٨٣٧٩، وأبو داود (٢/ ٦٤٩) رقم ٤٧٤٤، وابن حبان في صحيحه (١٦/ ٤٠٦) رقم ٧٣٩٤، والترمذي (٤/ ٦٩٣) رقم ٢٥٦٠ وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) جزء من حديث رواه مسلم رقم ٨٣٢ بزيادة «محضورة» بعد «مشهودة» وأحمد (٤/ ١١٢) رقم ١٧٠٦٠ .

الساعة تسجر جهنم فيها وتفتح فيها أبوابها حتى تزول عن حاجبك الأيمن»[١] خرجه عبدالله بن الإمام أحمد طيب الله ثراهما، وفي حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعاً: «**فإذا انتصف النهار فاقصر عن الصلاة حتى تميل الشمس، فإنه حينئذ تسجر جهنم، وشدة الحر من فيح جهنم**»[٢].

وخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة ﷺ مرفوعاً: «**إذا اشتد الحر فأبردوا بالصلاة، فإن شدة الحر من فيح جهنم**»[٣]، وعند أبي نعيم «**من فيح جهنم، أو من فيح أبواب جهنم**»[٤]، وعند أبي داود عن أبي قتادة «**أنه ﷺ كره الصلاة نصف النهار إلا يوم الجمعة، وقال: إن جهنم تسجر إلا يوم الجمعة**»[٥]، وفي إسناده انقطاع.

وقد تسجر أحياناً في غير نصف النهار كما خرجه الطبراني عن ابن أم مكتوم ﷺ قال: «**خرج النبي ﷺ ذات غداة فقال: سعرت النار، وجاءت الفتن**»[٦]، فذكر الحديث.

---

(١) رواه أحمد (٥/ ٣١٢) رقم ٢٢٧١٣، وذكره الهيثمي (٢/ ٤٧٣) رقم ٣٣٤٦ وقال: رواه عبد الله في زيادته في المسند ورجاله رجال الصحيح إلا أني لا أدري سمع سعيد المقبري منه أم لا.

(٢) رواه ابن خزيمة في صحيحه (٢/ ٢٥٧) رقم ١٢٧٥، وابن حبان في صحيحه (٤/ ٤١٨) رقم ١٥٥٠، وأبو يعلى في مسنده (١١/ ٤٥٧) رقم ٦٥٨١، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٣٠٢) رقم ٦٠٢٣، وله شواهد في الأحاديث السابقة.

(٣) رواه أحمد (٢/ ٢٦٦) رقم ٧٦٠٢، و(٢٨٥) رقم ٧٨١٦، وورواه البخاري رقم ٥٣٤ من حديث ابن عمر، ومسلم رقم ٦١٥ من حديث أبي هريرة.

(٤) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٦/ ٢٧٤).

(٥) رواه أبو داود (١/ ٣٥٢) رقم ١٠٨٣، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٤٦٤)، وذكره ابن حجر في تلخيص الحبير (١/ ١٨٩) رقم ٢٧٤ وقال: نقلًا عن أبي داود: مرسل، أبو الخليل لم يسمع من أبي قتادة، وزاد - وفيه ليث بن أبي سليم وهو ضعيف.

(٦) رواه الطبراني في الأوسط (١/ ٢٧٢) رقم ٨٨٧، والحاكم (٣/ ٧٣٦) رقم ٦٦٧٢، وذكره الهيثمي (١٠/ ٣٩٦) رقم ١٧٧٠٥ وقال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجالهما رجال الصحيح.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**يا أهل الحجرات سعرت النار، لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيراً**»[١]، وفيه من تُكلم فيه.

ورواه الأعمش مرسلًا، والله تعالى أعلم.

وتسجر جهنم أيضاً يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝١٣ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير: ١٢-١٤].

وقرئ: سُعِّرت بالتخفيف والتشديد[٢].

قال الزجاج: المعنى واحد، إلا أن معنى المشدد أوقدت مرة بعد مرة.

وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ أوقدت.

وقال السدي: أحميت.

وقال قتادة: سعرها غضب الله وخطايا بني آدم، خرجه ابن أبي حاتم وهذا يقتضي- كما قال الحافظ- أن تسعير جهنم حيث سعرت فإنما تسعر بخطايا بني آدم المقتضية غضب الجبار عليهم، فتزداد جهنم حينئذ تلهباً وتسعراً، وهذا كما أن درج الجنة وغرس أشجارها يحصل بأعمال بني آدم الصالحة من الذكر وغيره، وكذلك حسن ما فيها من الأزواج وغيرهم يتزايد

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٧/ ٢٤٩) رقم ٧٤١٣، وذكره الهيثمي (١٠/ ٣٩٦) رقم ١٧٧٠٤ وقال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط والبزار وفيه عبيد الله بن سعيد قائد الأعمش وهو ضعيف، ووثقه ابن حبان وقال: يخطئ وبقية رجاله ثقات وفي بعضهم خلاف.

(٢) قراءة التشديد مروية عن حفص ونافع وأبو جعفر وغيرهم وقراءة التخفيف قراءة صحيحة رواها ابن كثير وأبو عمرو وهشام وشعبة وغيرهم. انظر/ عبدالفتاح القاضي/ البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة (٤٢٧).

بتحسين الأعمال الصالحة، فكذلك جهنم تسعر، وتزداد آلات العذاب فيها بكثرة ذنوب بني آدم وخطاياهم وغضب مولاهم، عياذاً اللهم بك من غضبك ومن النار، وما يقرب إليها من قول وعمل ونية.

وقول الحافظ: يحصل بأعمال بني آدم، يعني يزداد بذلك كما فهم من أثناء كلامه، والله أعلم.

وتسجر أيضاً على أهلها بعد دخولهم إليها، قال تعالى: ﴿مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: كلما طفيت أوقدت.

وقال: خبت: سكنت.

قال ابن قتيبة: خبت النار إذا سكن لهبها، فاللهب يسكن والجمر يغلي، وقال غيره من المفسرين: تأكلهم، فإذا صاروا فحماً ولم تجد النار شيئاً تأكله أعيد خلقهم خلقاً جديداً فتعود لهم.

وقوله: **زدناهم سعيراً**: أي ناراً تتسعر وتلتهب.

قلت: يكون السعير موجوداً فيزاد عليه سعير أيضاً، كما يفهم من قوله تعالى: ﴿زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾. فإن قولك: ازددت علماً يشعر أنك كنت قبل الزيادة عالماً ومتصفاً بالعلم، وإنما الذي حصل لك زيادة على ما كنت متصفاً به، والله أعلم.

وقال تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ﴾ [الليل: ١٤]. أي توهج، قاله مجاهد وغيره.

وقرأ عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه في صلاته سورة ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ فلما

بلغ قوله: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ﴾ بكى ولم يستطع أن يجيزها[١]، ثم عاد فقرأ السورة حتى بلغ الآية، فلم يستطع أن يجيزها مرتين أو ثلاثاً، ثم قرأ سورة غيرها، رحمه الله تعالى.

* * *

(١) في حاشية الأصل/ لعلها (أن يجاوزها).

فصل

وأما تغيظها وزفيرها فقال جل شأنه وتعالى سلطانه: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الفرقان: ١١-١٢].

وقال: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ [الملك: ٦-٨].

والشهيق: الصوت الذي يخرج من الجوف بشدة كصوت الحمار.

وقال الربيع: الشهيق في الصدر، وقال المنذري: الشهيق في الصدر والزفير في الحلق، وقال ابن فارس: الشهيق ضد الزفير، لأن الشهيق رد النفس، والزفير إخراجه، وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَهِيَ تَفُورُ﴾ تغلي كما تغلي القدور، وابن عباس: تميز تفرق، وعنه: يكاد يفارق بعضها بعضاً وتتفطر، وقال الضحاك: «تميز» تتفطر، وذلك من شدة الغيظ على أهل المعاصي غضباً لله تعالى وانتقاماً له.

وخرج ابن أبي حاتم عن رجل من الصحابة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**من يقل عليَّ ما لم أقل فليتبوأ بين عيني جهنم مقعداً، قيل يا رسول الله وهل لها عينان**[١]**؟ قال: نعم أو لم تسمع قوله تعالى:** ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ **[الفرقان: ١٢]**»[٢].

---

(١) في الأصل (عينين).

(٢) رواه ابن جرير في التفسير (٩/ ٣٦٩) باختلاف يسير، وأبو بكر القطيعي في جزء الألف دينار، أوله فقط (٤٨٢) رقم ٣٣٠ وقال محققه: إسناده حسن.

قوله: «فليتبوأ مقعداً»: أي فليتخذ ويمهد له في جهنم مقعداً، ولعل مراده بعيني جهنم وسطها، أو يحمل على ظاهره، واللّه أعلم.

وقال كعب: ما خلق اللّه شيئاً إلا وهو يسمع زفير جهنم غدوة وعشية إلا الثقلين اللذين عليهما الحساب والعذاب، رواه الجوزجاني، ورواه الإمام أحمد في (الزهد) بمعناه عن معتب بن سُمِيَ.

وقال الضحاك: إن لجهنم- يعني يوم القيامة- زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا خر ساجداً يقول رب نفسي.

وعند ابن عمير نحوه، إلا أنه قال: فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي إلا وقع لركبتيه ترعد فرائصه، يقول رب نفسي رب نفسي.

وقال وهب: إذ سيرت الجبال فسمعت حسيس النار وتغيظها وزفيرها وشهيقها صرخت الجبال كما تصرح النساء، ثم يرجع أوائلها على أواخرها، يدق بعضها بعضاً- خرجه الإمام أحمد.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾. من مسيرة مائة عام، وذلك إذا أتى بجهنم تقاد بسبعين ألف زمام، يشد بكل زمام سبعون ألف ملك، لو تركت لأتت على كل بر وفاجر ﴿سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ تزفر زفرة لا تبقى قطرة من دمع إلا بدرت، ثم تزفر الثانية فتقطع القلوب من أماكنها وتقطع اللهوات والحناجر، وهو قوله: ﴿ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ [الأحزاب: ١٠] رواه آدم، وفيه عاصم الكوري ضعيف جداً.

وخرج عبدالله بن الإمام أحمد عن عبيد الله بن أبي جعفر قال: إن جهنم لتزفر زفرة تنشق منها قلوب الظلمة، ثم تزفر أخرى فيطيرون من الأرض حتى يقعوا علي رؤوسهم.

وخرج أبو نعيم أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لكعب: خوفنا، قال: والذي نفسي بيده إن النار لتقرب يوم القيامة لها زفير وشهيق، حتى إذا دنت وقربت زفرت زفرة، فما خلق الله من نبي ولا صديق ولا شهيد إلا وجثى لركبتيه ساقطاً، حتى يقول كل نبي وصديق وشهيد: اللهم لا أكلفك اليوم إلا نفسي، ولو كان لك يا ابن الخطاب عمل سبعين نبياً لظننت أنك لا تنجو، قال عمر رضي الله عنه: والله إن الأمر لشديد.

وفي رواية عنه: لا يبقى ملك مقرب ولا غيره إلا خر جاثياً على ركتيه، يقول: رب نفسي نفسي، وجثى نبينا وإبراهيم وإسحاق عليهم السلام، فأبكى القوم حتى نشجوا[1]، وفي رواية فأطرق عمر رضي الله عنه ملياً، فقال له كعب: يا أمير المؤمنين ألستم تجدون هذا في كتاب الله عز وجل؟ قال عمر: كيف؟ قال: يقول الله عز وجل في هذه الآية ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [النحل: ١١١].

فيا صريع شهوته وقتيل لذته انتبه لهذا اليوم العظيم، وتزود لهذا الخطب الجسيم، يا لاهيا في اللذات، هلا وَلَه في الطاعات؟ ويحك يا قتيل نفسه، ويا مطيع حدسه، تفكر فيما أنت آيل إليه، وتدبر فيما أنت قادم عليه، حيث يتلاشى الشفعاء، وينحط الرفعاء، من علم عظمة الإله زاد وجله، ومن خاف مقام ربه حسن عمله، الخوف يستخرج داء البطالة ويشفيه، وهو نعم المؤدب للمؤمن ويكفيه، فالخوف للنفس سائق، والرجاء قائد، ريح الرجاء يسكن وجوف الخوف، وسيف الخوف يقطع سيف سوف.

(١) النشيج الصوت، والنشيج أشد البكاء، وقال أبو عبيد: النشيج مثل البكاء للصبي إذا ردد صوته في صدره ولم يخرجه. لسان العرب/ مادة: نشج.

في «التبصرة» للإمام ناصر السنة - طيب الله ثراه - قال بعض السلف: رأيت في بعض الجبال شاباً أصفر اللون، غائر العينين، مرتعش الأعضاء، لا يستقر على الأرض، كأن به وخز الأسنة، ودموعه تتحادر، فقلت: من أنت؟ فقال: آبق، آبق من مولاه، فقلت: فتعود وتعتذر، قال: العذر يحتاج إلى إقامة حجة، فبماذا يعتذر المقصر؟ قلت يتعلق بمن يشفع فيه، فقال: كل الشفعاء يخافون منه، قلت: فمن هو؟ قال: مولى رباني صغيراً فعصيته كبيراً، شرط إلي فوفاني، وضمن لي فأعطاني، فخنته في ضماني، وعصيته وهو يراني، فواحيائي من حسن صنعه وقبيح فعلي، فقلت: أين هذا المولى؟ فقال: أين توجهت لقيت أعوانه، وأين استقرت قدمك ففي داره، فقلت: ارفق بنفسك، فربما أحرقك هذا الخوف، فقال: الحريق بنار خوفه لعله يرضى أخف وأولى، ثم أنشأ يقول رحمه الله تعالى:

لم يبق خوفك لي دمعاً ولا جَلَدا ... لا شك أني بهذا ميت كمدا
عبد كئيب أتى بالعجز معترفاً ... وناره تحرق الأحشاء والكبدا
ضاقت مساكنه في الأرض من وجل ... فهب له منك لطفاً إن لقيك غدا

فقلت له: يا غلام: الأمر أسهل مما تظن، فقال: هذا من فتن البطالين، هبه تجاوز عني وعفا أين آثار الإخلاص والصفاء؟ ثم صاح صيحة سقط ميتاً، فخرجت عجوز من كهف جبل عليها ثياب رثة، فقالت: من أعان على قتل البائس الحيران؟ فقلت: يا أمة الله دعوته إلى الرجاء. قالت: قد دعوته إلى ذلك، فقال: الرجاء بلا صفاء شرك، قلت: من أنتِ منه؟ قالت: والدته، قلت أقيم عندك أعينك عليه؟ فقالت: خلّه ذليلًا بين يدي قاتله، عساه يراه بغير معين فيرحمه، فلم أدرِ مماذا أعجب من صدق الغلام في خوفه، أو من قول العجوز، وحسن صدقها؟

* * *

فصل

في ذكر دخان جهنم، وشررها، ولهبها

قال تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ [الواقعة: ٤١-٤٤].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ظل من دخان، وكذا قال مجاهد وعكرمة وغيرهم، وقال الحسن في قوله تعالى: ﴿لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ لا بارد المدخل، ولا كريم المنظر.

والسموم: هو الريح الحارة. قاله قتادة وغيره.

وهذه الآية تضمن[1] ذكر ما يستبرد به في الدنيا من الكرب والحر، وهو ثلاثة: الماء، والهواء، والظل، فهواء جهنم السموم الشديدة الحر، وماؤها الحميم، وهو الذي قد اشتد حره، وظلها اليحموم وهو قطع دخانها، أجارنا الله تعالى من ذلك كله، بمنه وكرمه وفضله.

وقال البغوي: «وظل من يحموم» من دخان شديد السواد، تقول العرب: أسود يحموم إذا كان شديد السواد، قال الضحاك: النار سوداء وأهلها سود وكل شيء فيها أسود.

وقال ابن كيسان: اليحموم اسم من أسماء النار.

قلت: والأول وهو أنه الدخان الأسود أظهر، والله أعلم.

وقال تعالى: ﴿ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ﴾ [المرسلات: ٣٠]. قال

---

(١) هكذا بالأصل، ولعلها (تضمنت).

مجاهد هو دخان جهنم، اللهب الأخضر والأسود والأصفر الذي يعلو النار إذا أوقدت.

وقال السدي في قوله: ﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ﴾ [المرسلات: ٣٢]. قال: زعموا أن شررها الذي يرمي به كأصول الشجر ثم يرتفع فيمتد.

وقال القرطبي: على جهنم سور فما خرج من وراء سورها يخرج منها في عظم القصور ولون القار.

وقال الضحاك والحسن في قوله: «كالقصر» هو أصول الشجر العظام، ومجاهد: قطع الشجر والجبل.

وصح عن ابن مسعود قال: سور[1] كالقصور والمدائن، وابن عباس شرر كالقصر العظيم.

وفي صحيح البخاري عنه: كنا نرفع من الخشب بقصر ثلاث أذرع أو أقل نرفعه للشتاء نسميه القصر.

وقوله: ﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾. قال ابن عباس: حبال السفن يجمع بعضها إلى بعض، يكون كأوساط الرجال.

وقال مجاهد: حبال الجسور.

وقالت طائفة: بل هي الإبل، منهم الحسن وقتادة والضحاك، وقالوا: الصفر هي السود.

(١) هكذا بالأصل ولعلها (شرر).

وعن ابن عباس ﴿كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ﴾ قطع النحاس.

وأخرج البيهقي بإسناد لا بأس به عن ابن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾.

قال: أما إني لست أقول: كالشجر، ولكن كالحصون والمدائن.

وقال تعالى: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ﴾ [الرحمن: ٣٥].

قال ابن عباس: ﴿شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ﴾ يقول لهب النار، و«**نحاس**» يقول: دخان النار.

وقال سعيد بن جبير وغيره: النحاس لهيب، والشواظ الدخان.

وقال مجاهد: الشواظ اللهب الأخضر المنقطع.

وأخرج الترمذي والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف امريء أبداً**»(١).

وخرج الإمام أحمد عن أبي الدرداء مرفوعاً نحوه(٢). والله أعلم.

* * *

---

(١) رواه الترمذي (٤/ ١٧١) رقم ١٦٣٣ وتقدم.
(٢) رواه أحمد (٢/ ٥٠٥) رقم ١٠٥٦٧.

الباب الخامس

في ذكر أودية جهنم وجبالها وعيونها وأنهارها

قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ الآية [المطففين: ١].

خرج الإمام أحمد والترمذي عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«ويل واد في جهنم، يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره»**(١)، وفي لفظ: **«واد بين جبلين يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره»**(٢).

وخرجه ابن حبان والحاكم في صحيحيهما.

وخرج ابن جرير بسند فيه نظر عن عثمان مرفوعاً: **«الويل: جبل»**(٣).

والبزار بإسناد مجهول عن سعد بن أبي وقاص مرفوعاً: **«إن في النار حجراً يقال له ويل، يصعد عليه العرفاء وينزلون فيه»**(٤).

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٧٥) رقم ١١٧٣٠، والترمذي (٥/ ٣٢٠) رقم ٣١٦٤، وأبو يعلى في مسنده (٢/ ٥٢٣) رقم ١٣٨٣، والحاكم (٢/ ٥٥١) رقم ٣٨٧٣ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) رواه الترمذي (٥/ ٣٢٠) رقم ٣١٦٤ وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث ابن لهيعة، وابن حبان في صحيحه (١٦/ ٥٠٨) رقم ٧٤٦٧، والحاكم (٢/ ٥٥١) رقم ٣٨٧٣ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٣) رواه الطبري في التفسير (١/ ٤٢١)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (١/ ٢٠١)، والهندي في كنز العمال (٢/ ٣٥٨) رقم ٤٢٣٤.

(٤) رواه البزار (٣/ ٣٢٦) رقم ١١٢٣، بلفظ (منه) بدل (فيه) وذكره الهيثمي (٣/ ٤٤) رقم ٤٤٨٠ وقال: رواه البزار وفيه جماعة لم أجد من ذكرهم.

وعن عبدالله: ويل واد في جهنم من قيح، رواه ابن أبي حاتم.

ورُوِيَ عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً: **«الغي واد في جهنم»**[1].

قال الحافظ: لا يصح رفعه.

وقال ابن مسعود: غي واد في جهنم خبيث الطعم بعيد القعر، خرجه ابن أبي الدنيا وغيره.

وخرجه البيهقي بلفظ: الغي نهر حميم في النار، يقذف فيه الذين يتبعون الشهوات.

وخرجه أيضاً عن البراء بن عازب بنحوه.

وقال شُفَي بن ماتع: إن في جهنم قصراً يقال له هوى، يُرْمَى الكافر من أعلاه أربعين خريفاً قبل أن يبلغ أصله، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ﴾ [طه: ٨١] وإن في جهنم وادياً يدعى أثاماً، فيه حيات وعقارب، فقار إحداهن مقدار سبعين قلة سم، والعقرب منهن مثل البغل المؤكفة، تلدغ إحداهن الرجل فلا يلهيه ما يجد من حر جهنم حموة لدغتها، فهو لمن خلق له، وإن في جهنم وادياً يدعى غيا يسيل قيحاً ودماً، وإن في جهنم سبعين داء، كل داء مثل جزء من أجزاء جهنم. خرجه ابن أبي الدنيا.

وقال أنس في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا﴾ [الكهف: ٥٢]: هو واد من قيح ودم، خرجه الإمام عبدالله بن الإمام أحمد ويزيد بن درهم، وقال ابن عمرو: هو واد عميق في النار، وعن عمرو بن عبسة قال: الفلق بئر في جهنم فإذا سعرت جهنم فمنه تسعر، وإن جهنم لتتأذى منه كما يتأذى

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/٥٢٨)، وابن رجب في التخويف من النار (١١٩) وقال: لا يصح رفعه.

بنو آدم من جهنم - خرجه ابن أبي حاتم، وخرجه من وجه آخر عن زيد بن علي عن آبائه: الفلق: جُبٌ في قعر جهنم عليه غطاء، فإذا كشف عنه خرجت منه نار، تصيح منه جهنم من شدة حر ما يخرج منه.

وعن كعب رَحِمَهُ اللَّهُ أنه دخل كنيسة فأعجبه حسنها فقال: أحسن عملٍ وأضل قومٍ رضيت لهم بالفلق، قالوا: وما الفلق؟ قال: بيت في جهنم إذا فتُح صاح جميع أهل[1] النار من شدة حره.

وروي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: الفلق سجن في جهنم.

وفي البغوي: الفلق جب في جهنم مغطى، والسجين جب في جهنم مفتوح.

وأخرج ابن ماجه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يرفعه: **«تعوذوا بالله من جب الحزن، قالوا: وما جب الحزن؟ قال: واد في جهنم، تتعوذ منه جهنم كل يوم مائة مرة، قيل: يا رسول الله من يدخله؟ قال: القراء المراؤون بأعمالهم»**[2]. وخرجه الترمذي وقال غريب.

وفي رواية **«تتعوذ منه جهنم كل يوم أربعمائة مرة، وأن أبغض القراء إلى الله تعالى الذين يزورون الأمراء الجورة»**[3]، وفي إسناده ضعف، كذا قال الحافظ.

---

(١) في الأصل كتبت كلمة (جهنم).

(٢) أخرجه ابن ماجه (١/ ٩٤) رقم ٢٥٦ بلفظ «أربعمائة» بدل «مائة» والترمذي واللفظ له (٤/ ٥٩٣) رقم ٢٣٨٣ وقال: هذا حديث حسن غريب، والطبراني في الأوسط بنحوه (٣/ ٢٦١) رقم ٣٠٩٠، وابن عدي في الكامل (٥/ ٧١ في ترجمة عمار بن سيف الضبي رقم ١٢٥٠ وقال عنه: منكر الحديث.

(٣) انظر ابن ماجة في تخريج الحديث السابق، والطبراني في الدعاء (٤١١) رقم ١٣٩١، وذكره الهيثمي (٧/ ٣٤٨) رقم ١١٦٨٧ وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه بكير بن شهاب الدامغاني وهو ضعيف.

قلت: ذكر ابن الجوزي جب الحزن وأورد فيه حديث أبي هريرة هذا، وأخرجه أيضاً عن علي كرم الله وجهه ولفظه: قال رسول الله ﷺ: **«تعوذوا بالله من جب الحزن أو وادي الحزن، قيل يا رسول الله وما جب الحزن أو وادي الحزن؟ قال: واد في جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم سبعين مرة، أعده الله للقراء المرائين، وإن من شر القراء أن يزوروا الأمراء»**[١]، ثم حكم على هذا الحديث بطرقه بالوضع.

قال: أما حديث أبي هريرة فأعله بعمار بن سيف الضبي قال: هو متروك، وكذا شيخه أبو معان، وأما حديث علي فأعله بأبي بكر الزاهدي[٢] قال: ليس بشيء، وتعقبه الجلال السيوطي بأن حديث أبي هريرة أخرجه البخاري في تاريخه والترمذي وابن ماجه والبيهقي في الشعب، وعمار وثقه الإمام أحمد والعجلي، وقال يحيى: ثقة، وضعفه أبو زرعة وأبو حاتم، وقال الذهبي: يقال لم يكن بالكوفة أفضل منه، وقال العجلي. ثقة ثبت متعبد صاحب سنة، وقال أبو داود: كان مغفلاً.

قال السيوطي: ومن يوصف بهذا لا يحكم على حديثه بالوضع، بل بالحسن إذا توبع، وله شاهد عن ابن عباس أخرجه الديلمي.

وعن عمران القصير قال: بلغني، فذكره، انتهى.

قلت: أخرجه البيهقي من غير زيادة (وإن من شر القراء).. إلى آخره.

وقال الحافظ المنذري: إسناده حسن، والله تعالى أعلم.

---

(١) رواه الطبراني في الدعاء (٤١١) رقم ١٣٩٠ وابن عدي في الكامل (١٣٩/٤) في ترجمة عبد الله بن حكيم أبو بكر الداهري رقم ٩٧٥ وقال تبعاً ليحيى: ليس بشي، وقال أحمد: يروى أحاديث مناكير ليس هو بشيء، وانظر تعقيبات المصنف.

(٢) كذا بالأصل، والذي عند ابن عدي (الداهري).

وإنما أطلت الكلام على هذا الحديث لنكتة اقتضت ذلك، فنسأل الله أن يعافينا من جميع المهالك.

وأخرج الإمام أحمد في الزهد عن عمران القصير قال: بلغني أن في جهنم وادياً تستعيذ منه جهنم كل يوم أربعمائة مرة، مخافة أن يرسل عليها فيأكلها، أعد الله ذلك الوادي للمرائين من القراء.

قلت: وهذا هو الذي استشهد به الجلال السيوطي في معارضة ابن الجوزي.

وقال الحافظ ابن رجب: روينا من حديث معروف الكرخي رَحِمَهُ اللَّهُ قال بكر ابن حبيش: إن في جهنم لوادياً تتعوذ جهنم من ذلك الوادي كل يوم سبع مرات، وإن في ذلك الوادي لجباً يتعوذ الوادي وجهنم من ذلك الجب كل يوم سبع مرات، وإن في الجب لحية يتعوذ الوادي والجب وجهنم من تلك الحية كل يوم سبع مرات، يبدأ بفسقة حملة القرآن، فيقولون: أي رب تبدأ بنا قبل عبدة الأوثان؟ قيل لهم: ليس من يعلم كمن لا يعلم.

وقال كعب رَحِمَهُ اللَّهُ: إن في أسفل درك جهنم تنانير ضيقها كضيق زج أحدكم في الأرض، يقال له جب الحزن، يدخلها قوم بأعمالهم، فيضيق عليهم، خرجه هناد بن السري، وخرجه ابن أبي حاتم بلفظ: إن في النار لجباً يقال له جب الحزن، لهو أضيق على من يدخل فيه من زج أحدهم على رمحه، يطبقها الله أو قال - يضيقها الله - على عباد من عباده سخطاً عليهم، ثم لا يخرجهم منها آخر الأبد.

وخرج ابن المبارك عن أبي هريرة مرفوعاً: «**إن في جهنم لوادياً يقال**

له لملم، وإن أودية جهنم تستعيذ بالله من حره»[١]، وخرجه الضياء وابن أبي الدنيا وغيرهما، وفيه يحيى بن عبيدالله ضعفوه.

وخرج ابن أبي الدنيا عن ابن أبي بردة عن أبيه مرفوعاً: «**إن في جهنم وادياً، ولذلك الوادي بئر يقال له هبهب، حق على الله أن يسكنها كل جبار**»[٢].

قلت: ذكره الإمام ابن الجوزي في الموضوعات.

وقال أبو حاتم: هذا متن لا أصل له. انتهى.

وقال الحافظ ابن رجب فيه أزهر بن سنان ضعيف ضعفوه.

قلت: قال يحيى بن معين: أزهر ليس بشيء، ذكره ابن الجوزي عنه في الموضوعات.

قلت: وتعقبه الجلال السيوطي بأن أخرجه الحاكم وصححه، وأقره الذهبي، والبيهقي في الشعب، وأزهر من رجال الترمذي وثقه ابن عدي فقال: ليست أحاديثه بالمنكرة جداً، أرجو أنه لا بأس به. انتهى.

وأنت خبير بأن هذا التوثيق ليس بالوثيق في التحقيق.

---

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٩٥) رقم ٣٣١، وفي مسنده (٧٩) رقم ١٣٣ بلفظ «منه» بدل «من حره»، وأبو نعيم في الحلية (٨/ ١٧٨) وقال: غريب لم نكتبه إلا من حديث يحيى.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في التواضع والخمول (٢٧١) رقم ٢٢٥، والطبراني في الأوسط (٤/ ٣٧) رقم ٣٥٤٨، وأبو يعلى في مسنده (١٣/ ١٨٣) رقم ٧٢٤٩، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٠/ ٥١٧)، والحاكم (٤/ ٦٣٩) رقم ٨٧٦٥ وقال: هذا حديث تفرد به أزهر بن سنان عن محمد بن واسع لم يكتبه عالياً إلا من هذا الوجه، وانظر تعقيبات المصنف عليه حيث ذكر عن السيوطي تصحيح الحاكم له، وهذا التصحيح لم أقف عليه عند الحاكم، وذكره الهيثمي (٥/ ٣٥٧) رقم ٩٠٠٥ وقال: رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن.

قال الحافظ: والصحيح ما خرجه الإمام أحمد وغيره عن محمد بن واسع قال: قلت لبلال ابن أبي بردة وأرسل إليَّ، إنه بلغني أن في النار بئراً يقال له جب الحزن، يؤخذ المتكبرون فيجعلون في توابيت من نار، ثم يجعلون في تلك البئر، ثم تنطبق عليهم جهنم من فوقهم، فبكى بلال.

وخرج الإمام أحمد والترمذي وحسنه والنسائي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعاً: «**يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الناس يعلوهم كل شيء من الصغار حتى دخلوا سجناً في جهنم يقال له بُولَس، فتعلوهم نار الأنيار، يسقون من طينة الخبال - عصارة أهل النار-**»[1] وهو غريب كما نص عليه الترمذي قائلًا: هذا حديث حسن غريب.

وخرج ابن أبي الدنيا عن أبي هريرة رضي الله عنه أن بشر بن عاصم الجشمي حدث عمر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**لا يلي أحد من أمر الناس شيئاً إلا أوقفه الله على جسر جهنم، فزلزل به الجسر زلزلة، فناج أو غير ناج، لا يبقى منه عظم إلا فارق صاحبه، فإن هو لم ينج ذهب فيه في جب مظلم كالقصر في جهنم، لا يبلغ قعره سبعين خريفاً**»[2] الحديث.

قال الحافظ ابن رجب: فيه إبراهيم بن الفضل ضعيف.

وخرج ابن أبي الدنيا عن عطاء بن يسار قال: إن في النار سبعين ألف واد، في كل واد سبعون ألف شعب، في كل شعب سبعون ألف جحر، في

---

(١) رواه أحمد (٢/ ١٧٩) رقم ٦٦٧٧، والترمذي (٤/ ٦٥٥) رقم ٢٤٩٢ باختلاف يسير في بعض الألفاظ وقال: هذا حديث حسن صحيح، والبخاري في الأدب المفرد (١/ ١٩٦) رقم ٥٥٧ .

(٢) ذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ١٢١) رقم ٣٣٢٣ وصدره بصيغة التمريض وعزاه لابن أبي الدنيا، وابن رجب في التخويف من النار (١٢٢) وذكر نحوه الهيثمي (٥/ ٣٧١) رقم ٩٠٤٠ وقال رواه الطبراني وفيه سويد بن عبد العزيز وهو متروك.

كل جحر حية تأكل وجوه أهل النار.

وخرج ابن أبي الدنيا أيضاً عن أبي المنهال الرياحي أنه بلغه أن في النار أودية في ضحضاح من نار، وفي تلك الأودية حيات أمثال أزواج الإبل، وعقارب كالبغال الحيش[١]، فإذا سقط إليهن بشيء من أهل النار أنشأن به لسعاً ونشطاً، حتى يستغيثوا بالنار فراراً منهن وهرباً منهن.

وخرج أبو نعيم أن طارقاً[٢] قال لسليمان بن عبد الملك: يا أمير المؤمنين إن صخرة كانت على شفير جب في جهنم هوت فيها- أي في تلك الجب - سبعين خريفاً حتى استقرت قرارها، أتدري لمن أعدها الله؟ قال: لا، قال ويلك، لمن أعدها الله؟ قال: لمن أشركه الله في حكمه فجار، قال: فبكى لها.

وأخرج البخاري في تاريخه والبيهقي وابن عساكر وابن منده عن الحجاج الثُّمالي الصحابي عن نفير بن مجيب ﷺ وكان من قدماء أصحاب رسول الله ﷺ قال: إن في جهنم سبعين ألف واد، في كل واحد سبعون ألف شِعْب، في كل شِعْب سبعون ألف دار، في كل دار سبعون ألف بيت، في كل بيت سبعون ألف بئر، في كل بئر سبعون ألف ثعبان، في شدق كل ثعبان سبعون ألف عقرب، لا ينتهي الكافر أو أو المنافق حتى يواقع ذلك كله[٣].

---

(١) يقال: تحيشَتْ أي نفرت وفزعت، والحيش الفزع، والحيشان الكثير الفزع. لسان العرب/ مادة: حيش.

(٢) هكذا بالأصل ولعله (طاووس) أي ابن كيسان اليماني، فقد وردت له واقعة شبيهة بهذه مع هشام بن عبد الملك، انظر إحياء علوم الدين (٢/ ١٤٦).

(٣) هذا الأثر وأمثاله يحتوي على تهويلات وأمور لا تتلقى إلى من الوحي، وحيث لا دليل صحيح يسند تلك الأقوال فلا حجة فيها على شيء، بل إن آثار الصنعة والوضع ظاهر عليها وانظر تعليق المصنف عليه.

قال الحافظ المنذري: فيه سعيد بن يوسف اليمامي الحمصي ضعفه يحيى بن معين، وقال النسائي: ليس بالقوي، وقال ابن أبي حاتم: ليس بالمشهور ولا أرى حديثه منكراً، كذا قال.

قال الحافظ المنذري: وأورد عليه هذا الحديث لظهور نكارته. انتهى

وأما جبال جهنم، ونعوذ بالله منها، فقال تعالى: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ [المدثر:١٧] روى دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عنه ﷺ في قوله تعالى: «﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ **قال: جبل من نار يكلف أن يصعده، فإذا وضع يده عليه ذابت، فإذا رفعها عادت، فإذا وضع رجله عليه ذابت، فإذا رفعها عادت، يصعد سبعين خريفاً ثم يهوي كذلك**»[(١)] وخرجه الإمام أحمد وغيره بمعناه، وخرجه الترمذي مختصراً ولفظه: «**الصعود جبل من نار يصعد فيه الكافر سبعين خريفاً ويهوي فيه كذلك أبداً**»[(٢)].

قال الترمذي: غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث ابن لهيعة عن دراج. قال الحافظ في «التخويف»: لكن رواه عمرو بن الحارث عن دراج به، خرجه من طريقه الحاكم وقال: صحيح الإسناد.

وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ جبل في النار زلق، كلما صعده الفاجر زلق، فَهَوى في النار.

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٥/ ٣٦٦) رقم ٥٥٧٣، والترمذي (٤/ ٧٠٣) رقم ٢٥٧٦ ولكن بلفظ «الصعود جبل من نار يتصعد فيه الكافر سبعين خريفاً ويهوى به كذلك منه أبداً» وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة، وأحمد باختلاف يسير عن سياق الترمذي (٣/ ٧٥) رقم ١١٧٣٠، وذكره الهيثمي (٧/ ٢٧٧) رقم ١١٤٥٢ وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه عطية وهو ضعيف.

(٢) انظر تخريج الحديث السابق.

وقال ابن السايب: هو جبل من صخرة ملساء في النار يكلف أن يصعدها [حتى إذا بلغ أعلاها انحدر إلى أسفلها، ثم يكلف أن يصعدها] فذلك دأبه أبداً، يجذب من أمامه بسلاسل الحديد، ويضرب من خلفه بمقامع الحديد، فيصعدها في أربعين سنة.

والمقامع: جمع مقمع وهو المطرق، وقيل السوط.

وروى عطية عن ابن عمر في قوله تعالى: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾ [البلد: ١١] قال جبل زلزال في جهنم، وقد سبق ذكره، فنسأل الله العافية بمنه وكرمه.

* * *

الباس السادس

في ذكر سلاسل جهنم وأغلالها وحجارتها وأنكالها وحياتها وعقاربها نسأل الله سبحانه العافية من ذلك كله

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ سَلَـٰسِلَا۟ وَأَغْلَـٰلًا وَسَعِيرًا﴾ [الإنسان: ٤]، وقال: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَـٰلُ[١] فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ وَٱلسَّلَـٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [غافر: ٧١، ٧٢] وقال: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ[٢] صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ﴾ [الحاقة: ٣٠، ٣١، ٣٢] وقال: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ [المزمل: ١٢، ١٣] فهذه ثلاثة أنواع ذكرها الله سبحانه وتعالى.

أحدها: الأغلال وهي في الأعناق كما ذكر جل شأنه، قال الحسن بن صالح: الغل اليد الواحدة إلى العنق، والصفد: اليدان جميعاً إلى العنق، أخرجه ابن أبي الدنيا.

وقال السدي: الأصفاد تجمع اليدين إلى عنقه، وقال قتادة: في قوله تعالى: ﴿مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾ [إبراهيم: ٤٩] في القيود والأغلال.

وقال الحسن: إن الأغلال لم تجعل في أهل النار لأنهم أعجزوا الرب عز وجل، ولكنها إذا طفا بهم اللهب أرستهم، ثم خر الحسن مغشياً عليه.

وقال: لو أن غلّا منها وضع على الجبال أقصمها إلى الماء الأسود،

---

(١) في الأصل (وجعلنا الأغلال في أعناقهم) والمثبت هو الصواب.

(٢) في الأصل (الحميم) والمثبت هو الصواب، وفي حاشية الأصل هنا أيضاً جاء: قوله: «ثم الحميم صلوه» التلاوة «ثم الجحيم صلوه» فتأمل فإن المؤلف رحمه الله تعالى سهى عند ذلك، فجل من لا يسهو. كاتبه حفيد المؤلف.

ولو أن ذراعاً من السلسلة وضع على جبل لرضه.

وخرج ابن أبي حاتم عن موسى بن أبي عائشة أنه قرأ قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [الزمر: ٢٤] قال: تشد أيديهم بالأغلال في النار، فيستقبلون العذاب بوجوههم، قد شدت أيديهم فلا يقدرون على أن يتقوا بها، كلما جاء نوع من العذاب يستقبلونه بوجوههم.

وقال الفضيل بن عياض: إذا قال الرب تبارك وتعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ [الحاقة: ٣٠] يبتدره سبعون ألف ملك، كلهم يبتدر أيهم يجعل الغل في عنقه.

النوع الثاني: الأنكال، وهي القيود، قاله مجاهد والحسن وعكرمة وغيرهم، قال الحسن: قيود من نار.

قال أبو عمران: والله لا تحل أبداً.

وواحد الأنكال نكل، وسميت القيود أنكالًا لأنها ينكل بها أي يمنع.

وفي البغوي عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ﴾ أي عندنا في الآخرة ﴿لَدَيْنَآ﴾ قال: قيوداً عظاماً لا تنفك أبداً، واحدها نكل، قال الكلبي: أغلالًا من حديد.

النوع الثالث: السلاسل: خرج الإمام أحمد وغيره عن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو أن رضراضة مثل هذه، وأشار إلى مثل الجمجمة أرسلت من السماء إلى الأرض- وهي مسيرة خمسمائة عام- لبلغت الأرض قبل الليل، ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفاً - الليل والنهار- قبل أن تبلغ أصلها**»[1].

---

(١) رواه أحمد (٢/ ١٩٧) رقم ٦٨٥٦ بلفظ «رصاصة» بدل «رضراضة» والترمذي (٤/ ٧٠٩) رقم ٢٥٨٨ وقال: هذا حديث إسناده حسن صحيح، والحاكم بنحوه (٢/ ٤٧٦) رقم ٣٦٤٠، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

قال الحافظ ابن رجب: غريب، وفي رفعه نظر، كذا قال.

قلت: رواه الإمام أحمد والترمذي والبيهقي، وقال الترمذي إسناده حسن، ذكره الحافظ المنذري رحمه الله، ولفظه: عن ابن عمرو رضي الله عنهما قال: تلا رسول الله ﷺ: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ...﴾ الآية فقال: «**لو أن رضراضة مثل هذه، وأشار إلى جمجمة، أرسلت من السماء إلى الأرض، فذكره بعينه غير أنه قال: قبل أن تبلغ أصلها أو قعرها**»[1] بالشك، وفي «البهجة» أن الترمذي قال: إسناده صحيح.

والذي ذكره الترمذي أن إسناده حسن كما ذكرناه عن الحافظ المنذري، ولعله وقع في بعض نسخ الترمذي صحيح وفي بعضها حسن، والله أعلم.

وأخرج الطبراني عن يعلى بن منية من الصحابة رضي الله عنه، ومنية أمه، ويقال جدته وهي بنت غزوان، وأبوه أمية، رفع الحديث- قال: «**ينشيء الله سحابة سوداء مظلمة، فيقال: يا أهل النار أي شيء تطلبون؟ فيذكرون بها سحابة الدنيا، فيقولون: يا ربنا الشراب، فتمطرهم أغلالاً تزيد في أغلالهم، وسلاسل تزيد في سلاسلهم، وجمراً يلتهب عليهم**»[2].

قال الحافظ المنذري: وروي موقوفاً عليه وهو أصح.

وأخرج الطبراني عن عمر أن جبريل قال للنبي ﷺ «**لو أن حلقة من حلق سلسلة أهل النار التي نعت الله في كتابه وضعت على جبال الدنيا**

---

(١) ذكره المنذري (٤/٢٥٦) رقم ٥٥٧٢ وانظر تخريجه في الحديث السابق.
(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٤/٢٤٧) رقم ٤١٠٣، وذكره الهيثمي (١٠/ ٧١٥) رقم ١٨٥٩٨ وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه من فيه ضعف قليل ومن لم أعرفه.

لانقضت ولم ينهنهها[١] شيء حتى تنتهي إلى الأرض السفلى»[٢].

وروى سفيان عن بشير عن نَوْف البكالي في قوله تعالى: ﴿فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ قال: الذراع سبعون باعاً، والباع من ها هنا إلى مكة، وهو إذ ذاك بالكوفة.

وأخرج ابن المبارك عن كعب قال: إن حلقة من السلسلة التي قال الله: ﴿ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ قال بذراع الملك.

قال ابن المنكدر: لو جمع حديد الدنيا كله ما خلا منها، وما بقي ما عدل حلقة من الحلق التي ذكر الله في كتابه، فقال تعالى: ﴿فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ خرجه أبو نعيم.

وفي البغوي قال ابن عباس: سبعون ذراعاً بذراع الملك، فتدخل في دبره وتخرج من منخره، وقيل: تدخل في فِيهِ وتخرج من دبره.

وقال سفيان: كل ذراع سبعون ذراعاً، وقال الحسن: الله أعلم أي ذراع هو.

قلت: السبعون يراد بها التكثير، كقوله تعالى: ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ أي لو استغفرت لهم مهما استغفرت، ولو زدت على مائة ألف مرة فلن يغفر الله لهم، وكذا يقال هنا: المراد بهذه اللفظة التكثير.

ولعل من قال: كل ذراع سبعون ذراعاً، مراده هذا، والله تعالى أعلم.

---

(١) النَّهْنَهَةُ: الكف، ونَهْنَهتُ السبع: أي صحت به لتكفه. لسان العرب/ مادة: نهنه.

(٢) جزء من حديث سلام الطويل، رواه الطبراني في الأوسط باختلاف يسير جدا (٣/ ٨٩) رقم ٢٥٨٣ وتقدم غير مرة.

وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنه قال: السلسلة تدخل في استة ثم تخرج من فيه، ثم ينظمون فيها كما ينظم الجراد في العود حين يشوى، وفي رواية تسلك في دبره حتى تخرج من منخريه حتى لا يقوم على رجليه، وذلك قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ﴾.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي هاشم قال: يجعل لهم أوتادٌ في جهنم فيها سلاسل، فتلقى في أعناقهم، فتزفر بهم جهنم زفرة فتذهب بهم مسيرة خمسمائة سنة، ثم تجيء بهم في يوم، فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧].

وقال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا في قوله تعالى: ﴿فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾ [الرحمن: ٤١] يؤخذ بناصيته وقدميه ويكسر كما يكسر الحطب في التنور.

وقال السدي: يجمع بين ناصية الكافر وقدميه، فتربط ناصيته ويفتل ظهره.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن الحسن: إن جهنم ليغلي عليها من أول الدهر إلى يوم القيامة، يحمى على طعامها وشرابها وأغلالها، ولو أن غُلًا منها وضع على الجبال لقصمها إلى الماء الأسود، ولو أن ذراعاً من السلسلة وضع على جبل لرضه، ولو أن جبلًا كان بينه وبين عذاب الله مسيرة خمسمائة عام لذاب ذلك الجبل، وإنهم ليجمعون في السلسلة من آخرهم، فتأكلهم النار وتبقى الأرواح في الحناجر، وصرخ الحسن، وروي مرفوعاً والموقوف أشبه، قاله الحافظ ابن رجب.

وفي الثعلبي عن سويد بن نجيح قال: بلغني أن جميع أهل النار في تلك السلسلة، ولو أن حلقة منها وضعت على جبال الدنيا لذابت من حرها.

وقال الضحاك في قوله تعالى: ﴿وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ۝٢١ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ [الحج: ٢١، ٢٢] المقامع: المطارق.

وأخرج الإمام أحمد والحاكم وقال: صحيح الإسناد عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: **«لو أن مقمعاً من حديد وضع في الأرض فاجتمع له الثقلان ما أقلوه من الأرض»**[١].

ورواه أبو يعلى مرفوعاً، وفي رواية للإمام أحمد وأبي يعلى مرفوعاً: **«ولو ضرب الجبل بمقمع من حديد جهنم لتفتت ثم عاد»**[٢].

وروى هذه الحاكم أيضاً إلا أنه قال: **«لفتت فصار رماداً»**[٣] وقال صحيح الإسناد.

وقال الإمام عمر رضي الله عنه: اذكروا لهم النار لعلهم يفرقون، فإن حرها شديد، وقعرها بعيد، وشرابها الصديد، ومقامعها الحديد.

وأخرج عبدالله ولد الإمام أحمد: أن رجلًا قرأ على يزيد الضبي ﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾ [إبراهيم: ٤٩] فجعل يزيد يبكي حتى غشي عليه.

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٢٩) رقم ١١٢٥١، والحاكم (٤/ ٦٤٢) رقم ٨٧٧٣ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأبو يعلى في مسنده (٢/ ٥٢٦) رقم ١٣٨٨، وذكره الهيثمي (١٠/ ٧١٠) رقم ١٨٥٨٣ وقال: رواه أحمد وأبو يعلى وفيه ضعفاء ووثقوا.
(٢) رواه أحمد (٣/ ٨٣) رقم ١١٠٨٣، وأبو يعلى (٢/ ٥٢١) رقم ١٣٧٧ .
(٣) الحاكم (٤/ ٦٤٤) رقم ٨٧٧٧ بزيادة وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

وعن مالك بن دينار أنه قام ليلة في وسط الدار إلى الصباح، فقيل له في ذلك، فقال: ما زال أهل النار يعرضون علي بسلاسلهم وأغلالهم.

وقال الفخر في قوله تعالى: ﴿وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾ [الحج: ٢١] المقامع السياط.

قال الثعلبي: واحدها مقمعة، سميت بذلك لأنها تقمع المضروب، أي تذله.

وأخرج البيهقي عن أبي صالح قال: إذا ألقى الرجل في النار لم يكن له منتهى حتى يبلغ قعرها، ثم تجيش به جهنم فترفعه إلى أعلاها، وما على عظامه مزعة لحم، فتضربه الملائكة بالمقامع، فيهوي بها في قعرها، فلا يزال كذلك.

وقال الفخر في قوله: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ [الحج: ٢٢] الإعادة إنما تكون بعد الخروج، والمعنى هنا: أن أهل النار يرفعهم لهبها حتى إذا كانوا في أعلاها ضربوا، فهووا فيها سبعين خريفاً، وقيل لهم: ذوقوا عذاب الحريق، الغليظ من النار العظيمة الإهلاك، والحريق المحرق، مثل لئيم ووجيع.

وفي تفسير الواحدي عن الليث: المقمعة شبه الجُرْز من الحديد يضرب بها الرأس، وجمعها المقامع، وأصلها من قولهم: قمعت رأسه إذا ضربته ضرباً عنيفاً، والجرز بضم الجيم وسكون الراء المهملة وبعدها زاي هو عمود من حديد. وقوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ﴾ من النار ﴿مِنْ غَمٍّ﴾ أي كلما حاولوا الخروج من النار لما يلحقهم من الغم والكرب

الذي يأخذ أنفاسهم حتى ليس لهم مخرج ردوا إليها بالمقامع.

قال المفسرون: إن جهنم لتجيش بهم فتلقيهم إلى أعلاها، فيريدون الخروج فيردهم الخُزان، ويقولون لهم ذوقوا عذاب الحريق، فنسأل الله العافية والتوفيق والهداية لأقوم طريق.

* * *

فصل

وأما حجارتها

فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦] وقال: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤].

قال بعض المفسرين هي حجارة الأصنام التي عبدت من دون الله، واستشهد لهذا بقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ (٩٨) لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ (٩٩)﴾ [الأنبياء: ٩٨، ٩٩].

وأخرج ابن أبي الدنيا عن محمد بن هاشم قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ «قرأها النبي ﷺ فسمعها شاب إلى جنبه، فصعق، فجعل رسول الله ﷺ رأسه في حجره رحمة له، فمكث ما شاء الله أن يمكث ثم فتح عينه، فقال: بأبي أنت وأمي مثل أي شيء الحجر؟ قال: أما يكفيك ما أصابك؟ على أن الحجر الواحد منها لو وضع على جبال الدنيا لذابت منه، وإن مع كل إنسان منهم حجراً وشيطاناً»[١].

وفيه عباءة - قال أبو حاتم: صدوق في حديثه إنكار، أخرجه البخاري في الضعفاء.

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٢٢٦) وعزاه لابن أبي الدنيا وابن قدامة في كتاب «الرقة والبكاء».

وأكثر المفسرين على أن المراد بالحجارة في الآيتين حجارة الكبريت توقد بها النار.

قال الحافظ ابن رجب: ويقال: إن فيها خمسة أنواع من العذاب ليس في غيرها من الحجارة، سرعة الإيقاد، ونتن الرائحة، وكثرة الدخان، وشدة الالتصاق بالأبدان، وقوة حرها إذا حميت.

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم وصححه عن ابن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ قال: هي حجارة الكبريت، خلقها الله يوم خلق السماوات والأرض في السماء الدنيا يعدها للكافرين.

وقال مجاهد: حجارة من كبريت أنتن من الجيف.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: إنها من كبريت أسود.

وخرج الحاكم في المستدرك عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الأرضين سبع بين كل أرض إلى التي تليها مسيرة خمسمائة سنة، فالعليا منها على ظهر حوت قد التقى طرفاه في السماء، والحوت على صخرة، والصخرة بيد ملك، والثانية مسجن الريح، فلما أراد الله أن يهلك عاداً أمر خازن الريح أن يرسل عليهم ريحاً تهلك عاداً، قال: يا رب أرسل عليهم من الريح قد منخر الثور، قال له الجبار تبارك وتعالى: إذاً تَكْفَأ الأرض ومن عليها- أي تقلبها- وهو بالهمز، ولكن أرسل عليهم بقدر خاتم، فهي التي قال الله في كتابه:** ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ﴾ [الذاريات: ٤٢] **والثالثة منها حجارة جهنم، والرابعة فيها كبريت جهنم، قالوا يا رسول الله ألنار جهنم كبريت؟ قال: نعم والذي نفسي بيده إن فيها لأودية من كبريت لو أرسل فيها الجبال الرواسي لماعت، والخامسة**

فيها حيات جهنم، إن أفواهها كأودية، تلسع الكافر اللسعة فلا يبقى منه لحم على وَضَم- أي بفتح الواو والضاد المعجمة هو كل شيء يوضع عليه اللحم، والمراد هنا لا يبقى منه لحم إلا سقط عن موضعه، قاله الحافظ المنذري، والسادسة فيها عقارب جهنم إن أدنى عقرب منها كالبغال الموكفة تضرب الكافر ضربة تنسيه ضربتها حر جهنم، والسابعة سقر وفيها إبليس مصفد بالحديد، يد أمامه ويد خلفه، فإذا أراد الله أن يطلقه لما يشاء من عباده أطلقه»[1].

قال الحاكم: تفرد به أبو السمح، وقد ذكرت عدالته بنص الإمام يحيى بن معين، والحديث صحيح ولم يخرجاه.

قال الحافظ المنذري: أبو السمح هو دراج وفي متنه نكارة، والله تعالى أعلم.

وقال بعض متأخري الحفاظ: هو حديث منكر، وفيه عبدالله ابن عياش القيتاني ضعفه أبو داود، وعند مسلم أنه ثقة، ودراج كثير المناكير. ذكره الحافظ ابن رجب في «التخويف» ثم قال: قلت رفعه منكر جداً ولعله موقوف، وغلط بعضهم فرفعه، وروى عطاء بن يسار عن كعب من قوله نحو هذا الكلام أيضاً. انتهى.

قلت: وأخرج نحوه أبو الشيخ عن حسان بن عطية، وهو في كتب القصاص من جملة الإسرائيليات، ففي الإسرائيليات: أن اسم الأرض

---

(١) أخرجه الحاكم (٤/ ٦٣٦) رقم ٨٧٥٦ باختلاف يسير في بعض الألفاظ، وقال: هذا حديث تفرد به أبو السمح عن عيسى بن هلال، وقد ذكرت فيما تقدم عدالته بنص الإمام يحيى بن معين رحمه الله والحديث صحيح ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي بقوله: بل منكر، وتأمل تعليق المصنف عليه أيضاً.

الأولى الرمكاء، وتحتها الريح العقيم، زمت بسبعين ألف زمام من حديد، وكل بكل زمام سبعون ألف ملك، وبها أهلك الله قوم عاد، وبها ينسف الله تعالى يوم القيامة الجبال والتلال، والثانية تسمى جلدة وهي من حديد، وجعل الله سكانها عقارب أهل النار، والثالثة تسمى عرفة، وأسكنها الله أصناف العذاب لأهل النار لا يقدر أحد على وصفه.

والرابعة: الجدباء، وأسكنها الله سبحانه حيات أهل النار، نسأله سبحانه العافية.

والخامسة: قلتاء، وأسكنها الله سبحانه الكبريت والحجارة التي أعدت لأهل النار.

والسادسة: سجيناً، وجعل الله عز شأنه فيها دواوين أهل النار.

والسابعة: عجيباً: وأسكن الله سبحانه إبليس في وسطها، وجنوده حافة به، وهو فيها محبوس موثوق، وأرواح الفجار عند إبليس، في وسطها حجاب من ظلمة، في إحدى جانبيه باب إلى سقر، وهناك عرش إبليس، قيل فما تحت ذلك يا روح الله؟ قال: هواء وظلمة وما لا يعلم أحد به إلا الله تعالى[١].

والله سبحانه وتعالى أعلم بصحة هذا وعدمها.

* * *

---

(١) هذه الإسرائيليات تشبه الأحاديث الموضوعة والتي روجها القصاص وعكروا بها كثيراً من الكتب الإسلامية، ولذا لا ينبغي التعويل عليها أو تصديق شيء من مضمونها، اللهم إلا إذا وافقت أثراً صحيحاً عن المعصوم ﷺ.

فصل

وأما حيات جهنم وعقاربها

فخرج الإمام أحمد والطبراني وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح الإسناد عن عبدالله بن الحارث بن جزء الزبيدي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن في النار حيات كأمثال أعناق البُخْت، تلسع إحداهن اللسعة فيجد حرها سبعين خريفاً، وإن في النار عقارب كأمثال البغال الموكفة تلسع إحداهن اللسعة فيجد حُمْوَتَها أربعين سنة**»[١].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾ [النحل:٨] قال: زيدوا عقارب أنيابها كالنخل الطوال، رواه أبو يعلى والحاكم موقوفاً، وقال: صحيح على شرط الشيخين.

وفي رواية عنه عند آدم بن أبي إياس قال: زيدوا عقارب من نار كالبغال الدهم، أنيابها كالنخل.

قلت: لعله أراد بقوله كالبغال الدهم في الصفة لا في العِظَم، وإلا فالتي أنيابها كالنخل لا تكون هي كالبغل، كما لا يخفي على ذي عقل.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن يزيد بن شجرة قال: إن لجهنم لجباباً في ساحل كساحل البحر، فيه هوام وحيات كالبخاتي، وعقارب كالبغال الذل، فإذا سأل أهل النار التخفيف قيل: اخرجوا إلى الساحل، فتأخذهم تلك الهوام بشفاههم وجنوبهم وما شاء الله من ذلك، فتكشطها، فيرجعون،

(١) رواه أحمد (٤/ ١٩١) رقم ١٧٧٤٩، وابن حبان (١٦/ ٥١٢) رقم ٧٤٧١، والحاكم (٤/ ٦٣٥) رقم ٨٧٥٤ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

فيبادرون إلى معظم النيران، ويسلط عليهم الجرب، حتى إن أحدهم ليحك جلده حتى يبدو العظم، فيقال: يا فلان هل يؤذيك هذا؟ فيقول: نعم، فيقال له ذلك بما كنت تؤذي المؤمنين.

قال الحافظ المنذري: ويزيد بن شجرة الرهاوي مختلف في صحبته.

وروى حماد بن سلمة عن الحريري عن أبي عثمان قال: على الصراط حيات يلسعن أهل النار، فيقولون: حس حس، فذلك قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ [الأنبياء: ١٠٢].

وكان نهيم العجلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقع البعوض على كتفه وظهره فيتأذى بهن فيقول:

وأنت تأذى من حسيس بعوضة فللنار أشقى ساكنين وأوجع

وأخرج أبو يعلى بسند جيد عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «**الذباب كله في النار إلا النحل**»[١]، وتقدم الكلام عليه مبسوطاً.

وفي حديث آخر: «**كل مؤذ في النار**»[٢].

وفي تأويله وجهان:

أحدهما: أن كل من آذى الناس في الدنيا فهو معذب في النار يوم القيامة.

---

(١) سبق ص ٤٤٩ .

(٢) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٨/ ٣٥٣، والخطيب في تاريخ بغداد (١١/ ٢٩٧) من حديث علي، وذكره ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٧٤٩) رقم ١٢٥١ وقال: هذا حديث لا يصح.

والثاني: أن كل ما يؤذي من السباع والهوام ونحو ذلك في النار يعذب بذلك أهلها، ويشهد لهذا ما أخرجه ابن أبي الدنيا عن حذيفة ابن اليمان رضي الله عنه قال: أسر إليَّ النبي ﷺ فقال: «**يا حذيفة إن في جهنم لسباعاً من نار، وكلاباً من نار، وكلاليب من نار، وسيوفاً من نار، وإنه يبعث ملائكة يعلقون أهل النار بتلك الكلاليب بأحناكهم، ويقطعونهم بتلك السيوف عضواً عضواً، ويلقونهم إلى تلك السباع والكلاب، كلما قطعوا عضواً عاد مكانه عضو جديد**»(١).

قلت: والذي يظهر ويفهم من هذا الخبر أن في النار كلاباً وسباعاً من نار، لا أن كلاب الدنيا وسباعها تعذب في النار، كما لا يخفى، والله تعالى أعلم سبحانه(٢).

* * *

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/٥٦٩).
(٢) في حاشية الأصل/ بلغ.

الباب السابع

في ذكر طعام أهل النار، وشرابهم، وكسوتهم، وثيابهم

أما طعامهم فقال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ۝٤٣ طَعَامُ الْأَثِيمِ ۝٤٤ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ۝٤٥ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ﴾ [الدخان: ٤٣-٤٦]. وقال تعالى: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ۝٦٢ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ ۝٦٣ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ۝٦٤ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ [الصافات: ٦٢-٦٥] الآيات، وقال: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ۝٥١ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ﴾ الآيات [الواقعة: ٥١-٥٢]، وقال: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ۝٥١ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ﴾ [الواقعة: ٥١ - ٥٢]، وقال: ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٦٠].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. فقال ﷺ: «**لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم، فكيف بمن يكون طعامه؟**»(١) رواه الترمذي، والنسائي وابن ماجة وابن حبان في صحيحه إلا أنه قال: «**فكيف بمن ليس له طعام غيره**»(٢)، والحاكم بلفظ: «**والذي نفسي بيده لو أن قطرة من الزقوم قطرت في بحار الأرض لأفسدت أو قال: لأمَرَّت على أهل الأرض معايشهم، فكيف بمن يكون طعامه؟**»(٣)

---

(١) رواه الترمذي (٤/٧٠٦) رقم ٢٥٨٥ واللفظ له وقال: هذا حديث حسن صحيح، والنسائي في السنن الكبرى (٦/٣١٣) رقم ١١٠٧٠ .

(٢) رواه ابن ماجه (٢/١٤٤٦) رقم ٤٣٢٥ بلفظ «في الأرض» بدل «في دار الدنيا»، وابن حبان (١٦/٥١١) رقم ٧٤٧٠ .

(٣) رواه الحاكم (٢/٤٩٠) رقم ٣٦٨٦ وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

وقال الحاكم: على شرطهما، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وروي موقوفاً على ابن عباس رضي الله عنهما.

وقال ابن اسحاق: حدثني حكيم ابن حكيم عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال أبو جهل- لما ذكر رسول الله ﷺ شجرة الزقوم- يا معشر قريش أتدرون ما شجرة الزقوم التي يخوفكم بها محمد؟ قالوا لا، قال: عجوة يثرب بالزبد، والله لئن استمكنا منها لنتزقمنها تزقماً، فأنزل الله: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾، الآية، أي ليس كما يزعم، وأنزل تعالى: ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِۚ﴾ الآية.

قال قتادة في قوله تعالى: ﴿فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ﴾ قال: زادتهم تكذيباً حين أخبرهم أن في النار شجرة، فقالوا: يخبرهم في النار شجرة، والنار تحرق الشجر؟ فأخبرهم أن غذاءها من النار.

وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن شجرة الزقوم نابتة في أصل سقر.

وقال الحسن: أصلها في قعر النار وأغصانها ترتفع إلى دركاتها.

وقد دل القرآن على أن أهل النار يأكلون من شجرة الزقوم حتى تمتلئ منها بطونهم، فتغلي في بطونهم كما يغلي الحميم، وهو الماء الذي قد انتهى حره، ثم بعد أكلهم منها يشربون عليه من الحميم شرب الهيم- أي الإبل العطاش- قاله ابن عباس.

وقال السدي: هو داء يأخذ الإبل فلا تروى أبداً حتى تموت، فكذلك أهل جهنم لا يروون من الحميم أبداً، ودل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ [الصافات: ٦٧] على أن الشوب من الحميم يشاب به ما في بطونهم من الزقوم فيصير شوباً له- أي يمزج به.

قال عطاء الخراساني: يخلط طعامهم ويساط بالحميم-.

وقال قتادة: مزاجاً من حميم.

وقال سعيد بن جبير: إذا جاع أهل النار استغاثوا فأغيثوا بشجرة الزقوم، فأكلوا منها فانسلخت وجوههم، حتى لو أن ماراً مر عليهم يعرفهم لعرف جلود وجوههم، فإذا أكلوا منها ألقي عليهم العطش فأغيثوا بماء كالمهل، وهو الذي انتهى حره.

وفي البغوي: المهل دردي[1] الزيت الأسود، فإذا أدنوه من أفواههم أنضج حره الوجوه، ويصهر به ما في بطونهم.

قال الواحدي في تفسيره: روي عن أبي هريرة ﷺ أنه قرأ هذه الآية ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الحميم ليصب على رؤوسهم، فينفذ الجمجمة حتى يخلص إلى جوف الكافر، فيسلت ما في جوفه حتى يمرق من**[2] **قدميه، وهو الصهر، ثم يعاد كما كان**»[3].

وهذا معنى قوله: ﴿يُصْهَرُ بِهِۦ﴾ أي بذلك الحميم ﴿مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ﴾.

قال الواحدي: فسر الصهر بالإذابة والإحراق والإنضجاج، وهو قول المفسرين.

---

(١) دُرْدِيُّ الزيت وغيره: ما يبقى في أسفله. لسان العرب/ مادة: درد.
(٢) في الأصل (يخرق) والمثبت لفظ الحديث.
(٣) رواه الترمذي (٤/ ٧٠٥) رقم ٢٥٨٢ وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، والحاكم (٢/ ٤١٩) رقم ٣٤٥٨ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي وأحمد (٢/ ٣٧٤) رقم ٨٨٥١ وليس فيه «وهو الصهر» إلى آخره.

قال ابن عباس في رواية عطاء: ينضج.

وقال قتادة ومجاهد: يذاب.

قال الواحدي: والمعنى أن أمعاءهم وشحومهم تذاب وتحرق بهذا الحميم وتنشوي جلودهم فتساقط من حرها. انتهى.

﴿وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾ [الحج: ٢١] يضربون بها، فيسقط كل عضو على حياله، يدعون بالثبور، ثم إن مرجعهم بعد أكل الزقوم وشرب الحميم لإلى الجحيم، وهذا يدل على أن الحميم خارج من الجحيم، فهم يردونه كالإبل ترد الماء، ثم يردون إلى الجحيم، ويدل على هذا أيضاً قوله تعالى: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ [الرحمن: ٤٤]. الحميم دون النار، فيؤخذ العبد بناصيته فيحرك في ذلك الحميم حتى يذوب اللحم ويبقى العظم والعينان في الرأس، ويدل لهذا قوله سبحانه: ﴿يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ [غافر: ٧١، ٧٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ [المزمل: ١٢، ١٣] وقال تعالى: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ﴾ [الغاشية: ٦، ٧].

أخرج الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ قال: شوك يأخذ بالحلق لا يدخل ولا يخرج، وعنه وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿مِن ضَرِيعٍ﴾. قال: شجر في النار.

وقال مجاهد: الضريع الشبرق، نبت ذو شوك، يأخذ بالحلق لا يدخل ولا يخرج، وعنه: أنه إذا يبس يسمى ضريعاً.

قال قتادة: من أضرع الطعام.

وفي البغوي عن مجاهد وعكرمة وقتادة أن الضريع: نبت ذو شوك لاطئ بالأرض، تسميه قريش الشبرق، فإذا هاج سموها الضريع، وهو أخبث طعام وأبشعه، وهو رواية العوفي عن ابن عباس.

قال الكلبي: لا تقربه دابة إذا يبس، قال ابن زيد: أما في الدنيا فإن الضريع الشوك اليابس الذي ليس له ورق، وهو في الآخرة شوك من نار.

قال البغوي: وجاء في الحديث عن ابن عباس يرفعه: «**الضريع شيء في النار، شبه الشوك أمَر من الصبر، وأنتن من الجيفة، وأشد حراً من النار**»[(١)]. انتهى.

وقيل: هو الزقوم، وقال سعيد بن جبير: «من ضريع» أي من حجارة.

وأخرج الترمذي عن أبي الدرداء مرفوعاً: «**يلقى على أهل النار الجوع، فيعدل ما هم فيه من العذاب، فيستغيثون بالطعام، فيغاثون بطعام من ضريع، لا يسمن ولا يغني من جوع، فيستغيثون بالطعام، فيغاثون بطعام ذي غصة، فيذكرون أنهم كانوا يجيزون الغُصَصَ في الدنيا بالشراب، فيستغيثون بالشراب، فيرفع إليهم الحميم بكلاليب الحديد، فإذا دنت من وجههم شوت[(٢)] وجوههم، فإذا وصلت إلى بطونهم قطعتها**»[(٣)]، وذكر بقية الحديث.

---

(١) رواه البغوي في معالم التنزيل (١/ ٤٠٨ وذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٤٩٢ وعزاه إلى ابن مردويه بسند واه.

(٢) في الأصل (شويت).

(٣) رواه الترمذي (٤/ ٧٠٧) رقم ٢٥٨٦ وقال: قال عبد الله بن عبد الرحمن، والناس لا يرفعون هذا الحديث، ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٤٩) رقم ٣٤١٢٩، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٢٦٢) رقم ٥٥٨٩ .

وروي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في غسلين أنه صديد أهل النار.

وعنه: أن الغسلين الدم والماء يسيل من لحومهم، وهو طعامهم.

وخرج أبو نعيم عن كعب أنه قال: لو أدلي من غسلين دلو واحد في مطلع الشمس لَغَلَتْ منه جماجم قوم في مغربها.

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق مجاهد عن ابن عباس قال: ما أدري ما الغسلين ولكني أظنه الزقوم.

وعلى القول الأول مأخوذ من الغسل، كأنه غُسَالة فروجهم وجوارحهم وقروحهم.

وقال الحسن: إن الضريع الزقوم، والشجرة الملعونة هي شجرة الزقوم.

قال أبو عمران الجوني: بلغني أن ابن آدم لا ينهش منها نهشة إلا نهشت منه مثلها. والله تعالى أعلم.

* * *

فصل

وأما شرابهم فقال تعالى: ﴿فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ﴾ [الواقعة: ٥٤]. وقال: ﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥]. وقال: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ [النبأ: ٢٤-٢٥]. وقال: ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾ [إبراهيم: ١٦، ١٧]. وقال: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ﴾ الآية [الكهف: ٢٩]، فهذه أربعة أنواع من شرابهم، ذكرها الله تعالى في كتابه:

الأول: الحميم، وهو الماء الحار الذي يحرق، قاله ابن عباس، وقال الضحاك: إنه لم يزل يوقد عليه ويغلي منذ خلق الله السموات والأرض إلى يوم يسقونه ويصب على رؤوسهم.

وقيل: إنه دموع أعينهم في النار، تجتمع في حياض النار فيسقونه.

وقال جمهور المفسرين في قوله تعالى: ﴿حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ [الرحمن: ٤٤] المراد بالآن: ما انتهى حره.

وقيل: حاضر، وفي البغوي [آن] انتهى حره، قال الزجاجي: أني يأني فهو آن: إذا انتهى في النضج. وقال كعب الأحبار: آن واد من أودية جهنم يجتمع فيه صديد أهل النار، فينطلق بهم في الأغلال فيغمسون في ذلك الوادي حتى تنخلع أوصالهم، ثم يخرجون منه وقد أحدث الله لهم خلقاً جديداً، فيلقون في النار، فذلك قوله: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾.

وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿تُسْقَىٰ[(١)] مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾. انتهى حرها وحان شربها.

وقال الحسن: كانت العرب تقول للشيء إذا انتهى حره حتى لا يكون شيء أحر منه قد أنى حره.

وفي البغوي: ﴿تُسْقَىٰ[(١)] مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾ متناهية في الحرارة، وقد أوقدت عليها جهنم منذ خلقت فدفعوا إليها ورداً عطاشا، قال المفسرون: لو وقعت منها قطرة على جبال الدنيا لذابت. انتهى.

النوع الثاني: الغساق وهو ما يسيل من بين جلد الكافر ولحمه، قاله ابن عباس رضي الله عنهما، وعنه: أنه الزمهرير البارد الذي يحرق من برده، وقال ابن عمرو: الغساق القيح الغليظ، لو أن قطرة منه تهراق في المغرب لأنتنت أهل المشرق، ولو تهراق في المشرق لأنتنت أهل المغرب.

وقيل: إنه عين في جهنم، حمة كل ذات حمة من حية وعقرب أو غير ذلك، فيستنقع فيؤتى بالآدمي فيغمس فيها غمسة واحدة، فيخرج وقد سقط لحمه وجلده عن العظام، ويتعلق جلده ولحمه في عقبيه وكعبيه ويجر لحمه كما يجر الرجل ثوبه.

وخرج الإمام أحمد والترمذي والحاكم في صحيحه عن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً: «**لو أن دلواً من غساق يهراق في الدنيا لأنتن أهل الدنيا**»[(٢)].

---

(١) في الأصل (يسقى) وهي قراءة شاذة.

(٢) رواه الترمذي (٤/٧٠٦) رقم ٢٥٨٤ وقال: هذا حديث إنما نعرفه من حديث رشدين بن سعد، وفي رشدين مقال وقد تكلم فيه من قبل حفظه، وأحمد (٣/٢٨) رقم ١١٢٤٧، و(٨٣) رقم ١١٨٠٣، وأبو يعلى في مسنده (٢/٥٢٢) رقم ١٣٨١، والحاكم (٤/٦٤٤) رقم ٨٧٧٩ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

واستدل لقول ابن عباس إنه الزمهرير البارد بقوله تعالى: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ [النبأ: ٢٤، ٢٥] فاستثنى من البرد الغساق، ومن الشراب الحميم، وبه قال مجاهد.

وفي البغوي في قوله تعالى: ﴿فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ [ص: ٥٧] بعد أن ذكر قول ابن عباس ومجاهد علي ما نحو ما ذكرنا: وقال قتادة: هو ما يَغْسِق أي يسيل من القيح والصديد من جلود أهل النار ولحومهم وفروج الزناة، من قولهم: غَسِقَتْ عينه إذا انصبَّت، والغسقان الانصباب. انتهى.

الثالث: الصديد وهو القيح والدم، قاله مجاهد.

وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾ [إبراهيم: ١٧] هل لكم بهذا يدان؟ أم لكم على هذا صبر؟ طاعة الله يا قوم أهون عليكم من هذا، فأطيعوا الله ورسوله.

وخرج الإمام أحمد والترمذي عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ﴾، قال: «**يقرب إلى فيه فيكرهه، فإذا أدني منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه، فإذا شربه قطع أمعاءه، حتى تخرج من دبره، يقول الله تعالى: ﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥]. ويقول تعالى: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ﴾ [الكهف: ٢٩]**»[1]. قال الترمذي: حديث غريب.

ورواه الحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم.

---

(١) رواه أحمد (٥/ ٢٦٥) رقم ٢٢٣٣٩، والترمذي (٤/ ٧٠٥) رقم ٢٥٨٣ وقال: هذا حديث غريب، والطبراني في الكبير (٨/ ٩٠) رقم ٧٤٦٠، والنسائي في السنن الكبرى (٦/ ٣٧١) رقم ١١٢٦٣، والحاكم (٢/ ٣٨٢) رقم ٣٣٩ وقال: هذا حديث على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن على الله عهداً لمن شرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال، قالوا يا رسول الله وما طينة الخبال؟ قال: عرق أهل النار، أو عصارة أهل النار**»(١).

ورواه الإمام أحمد(٢) والترمذي(٣) والنسائي(٤) وابن ماجة(٥) وابن حبان(٦) عن ابن عمر مرفوعاً نحوه، إلا أنه ذكر ذلك في المرة الرابعة.

وفي بعض الروايات «من عين خبال»(٧)، وفي أخرى عند الإمام أحمد من «**نهر الخبال، قيل لابن عمر: يا أبا عبدالرحمن وما نهر الخبال؟ قال: نهر من صديد أهل النار**»(٨)، ورواه الترمذي وحسنه.

وأخرج الإمام أحمد وابن حبان في صحيحه عن أبي موسى رضي الله عنه مرفوعاً «**من مات مدمن خمر سقاه الله من نهر الغُوْطَة، قيل: وما نهر الغُوطة؟ قال: نهر يخرج من فروج المُومِسَات، يؤذي أهل النار ريح فروجهن**»(٩). والمُومِسَات بضم الميم الأولى وكسر الثانية الزانيات، ورواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد.

---

(١) رواه مسلم رقم ٢٠٠٢ .
(٢) رواه أحمد (٣/ ٣٦٠) رقم ١٤٩٢٣ .
(٣) الترمذي (٤/ ٢٩٠) رقم ١٨٦٢ بسياق آخر واختلاف وقال: هذا حديث حسن.
(٤) النسائي في السنن الكبرى (٣/ ٢٣٨) رقم ٥٢١٨ عن جابر.
(٥) رواه ابن ماجه (٢/ ١١٢٠) رقم ٣٣٧٧ عن عبد الله بن عمرو.
(٦) صحيح ابن حبان (١٢/ ١٨٣) رقم ٥٣٦٠ .
(٧) أحمد (٢/ ١٨٩) رقم ٦٧٧٣ .
(٨) أحمد (٢/ ٣٥) رقم ٤٩١٧ ، وذكر هذا الحديث الهيثمي (٥/ ١٠٦) رقم ٨١٧٧ وقال: رواه أحمد والبزار ورجال أحمد رجال الصحيح خلا نافع بن عاصم وهو ثقة.
(٩) رواه أحمد (٤/ ٣٩٩) رقم ١٩٥٨٧ ، وابن حبان (١٢/ ١٦٥) رقم ٥٣٤٦ ، والحاكم (٤/ ١٦٣) رقم ٧٢٣٤ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

الرابع: الماء الذي كالمهل: أخرج الإمام أحمد والترمذي عن أبي سعيد ﷺ عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿كَٱلْمُهْلِ﴾ قال: «**كعكر الزيت، فإذا قرب إلى وجهه سقطت فروة وجهه منه**»[1]، ورواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد. وقال مجاهد: ﴿بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ﴾ [الكهف: ٢٩] مثل القيح والدم أسود كعكر الزيت.

والحاصل: أن للمفسرين في المهل أقوالًا:

قيل: هو دردي الزيت.

وقيل: الذايب من النحاس والفضة.

وقيل: ماء غليظ مثل دردري الزيت.

وقيل: هو القيح والدم

وقيل: ماء أسود.

وقيل: هو ضرب من القطران. والله تعالى أعلم.

ومر بعض السلف على كروم بقرية يقال لها طيرباباذ وهم يعتصرون فيها الخمر، فأنشد الرجل بيتاً من الشعر وهو:

بطيرباباذ كرم ما مررت به ... إلا تعجبت ممن يشرب الماء

فهتف به هاتف وهو يقول مجيباً له:

وفي جهنم ماء ما تجرعه ... خلق فأبقى له في البطن أمعاءَ

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٧٠) رقم ١١٦٩٠ بلفظ «فيه» بدل «منه»، والترمذي (٤/ ٧٠٦) رقم ٢٥٨٤ وابن حبان في صحيحه (١٦/ ٥١٤) رقم ٧٤٧٣، والحاكم (٢/ ٥٤٤) رقم ٣٨٥٠ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

وقد كان من الخائفين من السلف ﷺ من ينغص عليهم ذكر طعام أهل النار وشرابهم طعام الدنيا وشرابها، حتى يمتنعوا من تناوله أحياناً لذلك، وكان الإمام أحمد رضي الله عنه يقول: الخوف يمنعني من أكل الطعام والشراب فلا أشتهيه.

وأتى عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه بعشاء وهو صائم فقرأ: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾. فلم يزل يبكي حتى نقع طعامه، فما تعشى وإنه لصائم. خرجه الجوزجاني.

وذكر الحسن رحمه الله أن رجلًا من السلف لقي رجلًا فقال: يا هذا إني أراك قد تغير لونك ونحل جسمك، فمم هذا؟ فقال الآخر: وإني أرى ذلك بك فمم هو؟ قال: أصبحت منذ ثلاثة أيام صائماً، فلما أتيت بإفطاري عرضت لي هذه الآية: ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾ الآية. فلم أستطع أن أتعش، فأصبحت صائماً، فلما أتيت بعشائي عرضت لي أيضاً، فلم أستطع أن أتعش، فلي ثلاثة أيام منذ أنا صائم، قال يقول الرجل الآخر: وهي التي عملت هذا العمل بي.

وأخرج ابن أبي الدنيا مثله عن الحسن نفسه، ثم إن ابنه في اليوم الثالث ذهب إلى يحيى البكاء وثابت البُناني ويزيد الضبي فقال: أدر كوا أبي فإنه هالك، فلم يزالوا به حتى سقوه شربة من سويق.

أفق من سكر الغفلة وتهيأ للنقلة، وتأمل طعام الزقوم والضريع، وشراب الحميم والصديد البشيع، كم هذا التمادي، والمنون بك ينادي، كأني بك وليس لك طعام إلا من شجرة الزقوم، كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم، فتصهر ما فيها يا ظلوم، يا عجباً لمن يتحرى الرفيع من طعامه وشرابه، ويوقن بالتشييع من داره إلى ترابه، كيف لا يتحاشى من

شراب المهل على الضريع، وذلك من جوارحه وصديده الشنيع، فنسأل الله المعونة والتوفيق والهداية لأقوم طريق.

لمؤلفه[1]:

أخاف عليك يا نفسي استقيمي ... من الزقوم مع شرب الحميم
وكفي عن معاصي الله حتى ... تفوزي في المعاد من الجحيم
ولا تدعي البكاء أسفاً ونوحي ... وجدي واتعبي جزعاً وهيمي
وخافي وارهبي ودعي اشتغالي ... بوصف جآذر ونعوت ريم
وفيقي من هوى لبنى وخلي ... سعاد ونغمة الصوت الرخيم
وروحي إن روحي قد نعاها الـ ... منون عن الأحبة والنعيم
وبي خوف من التقصير لولا ... رجا البر الرؤوف بنا الرحيم
وجاه محمد المبعوث فينا ... شفيع المذنبين لدى الكريم
عليه الله صلى كل وقت ... مدى الأيام والذكر الحكيم
كذا الآل الكرام وكل صحب ... ذوي الإخلاص والدين القويم

* * *

(١) من نسخة (أ).

فصل

وأما كسوة أهل النار ولباسهم فقال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ [الحج: ١٩]. وكان إبراهيم التيمي إذا تلا هذه الآية في قصصه يقول: سبحان من خلق من النار ثياباً.

وروى الحافظ ابن رجب في «التخويف»: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: يقطع للكافر ثياب من نار، حتى ذكر القباء والقميص والكمة.

وخرج أبو داود عنه ﷺ أنه قال: «**من أكل برجل مسلم أكلة من الدنيا أطعمه الله مثلها في نار جهنم، ومن كسى أو اكتسى برجل مسلم ثوباً كساه الله مثله من جهنم**»[(١)].

وخرج أبو داود والنسائي والترمذي عن بريدة رضي الله عنه عن النبي ﷺ «**أنه رأى علي رجل خاتماً من حديد، فقال مالي أرى عليك حلية أهل النار؟**»[(٢)].

وخرج الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**أول من**

---

(١) أخرجه أبو داود (٢/ ٦٨٦) رقم ٤٨٨١ وليس فيه «أو اكتسى» وزيادة في آخره، والطبراني في الأوسط (١/ ٢١٥) رقم ٦٩٧، وفي الكبير (٢٠/ ٣٠٩) رقم ٧٣٥، والبخاري في الأدب المفرد (١/ ٩٣) رقم ٢٤٠، والحاكم (٤/ ١٤٢) رقم ٧١٦٦ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، كلهم عن المستورد بن شداد.

(٢) رواه أبو داود (٢/ ٤٩٠) رقم ٤٢٢٣ بزيادة في أوله وآخره، والنسائي في سننه (٨/ ١٧٢) رقم ٥١٩٥، والترمذي (٤/ ٢٤٨) رقم ١٧٨٥ وقال: هذا حديث غريب، وابن حبان في صحيحه (١٢/ ٢٩٩) رقم ٥٤٨٨، وله شواهد صحيحه فقد روى أحمد (٢/ ١٦٣) رقم ٦٥١٨ عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده «أن النبي ﷺ رأى على بعض أصحابه خاتماً من ذهب، فأعرض عنه فألقاه واتخذ خاتماً من حديد، فقال: هذا شر، هذا حلية أهل النار، فألقاه، فاتخذ خاتماً من ورق فسكت عنه» وذكره الهيثمي (٥/ ٢٧٠) بروايات عدة رقم ٨٧٢٢، وقال: أحد إسنادي أحمد رجاله ثقات.

يكسى حلة من النار إبليس يضعها على حاجبه ويسحبها من خلفه، وذريته خلفه من بعده وهو يقول يا ثبوراه، وهم يقولون: يا ثبورهم، فيقال: ﴿لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ١٤]»[١].

وأخرج الطبراني عن عمر رضي الله عنه أن جبريل عليه السلام قال للنبي ﷺ: **«والذي بعثك بالحق لو أن ثوباً من ثياب أهل النار علق بين السماء والأرض لمات من في الأرض كلهم جميعاً من حره»**[٢].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ﴾ [إبراهيم: ٤٩-٥٠]. هو النحاس الذائب. وقال عكرمة: هو من صفر يحمي عليها.

ولعل هذا التقدير على قراءة من قرأ «من قطِران» أي النحاس المذاب الشديد الحرارة، كما خرجه ابن جرير عن ابن عباس، وابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير.

وقال الفخر: السرابيل جمع سربال وهو القميص، والقطران من شجر يسمى الأسل، يطبخ ويطلى به الإبل الجربة، فتحرق الجرب حرارته، وقد تصل حرارته إلى داخل الجوف.

قال: ومن شأنه أن يسرع فيه اشتعال النار، وهو منتن الرائحة أسود

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٢٤٩) رقم ١٣٦٢٨، وص١٥٢) رقم ١٢٥٥٨، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٥٤) رقم ٣٤١٦٨، وعبد بن حميد في مسنده (٣٦٨) رقم ١٢٢٥، وذكره الهيثمي (١٠/ ٧١٩) رقم ١٦٦١١ وقال: رواه أحمد والبزار ورجالهما رجال الصحيح غير علي بن زيد وقد وثق.

(٢) جزء من حديث سلام الطويل رواه الطبراني في الأوسط (٣/ ٨٩) رقم ٢٥٨٣، وتقدم غير مرة.

اللون، فتطلى به جلود أهل النار حتى يصير ذلك الطلي كالسرابيل وهو القميص.

قال: فيحصل بسببها أربعة أنواع من العذاب، لذع الحرقة، وإسراع النار في جلودهم، واللون الوحش، ونتن الريح.

وقال أيضاً: التفاوت بين قطران الدنيا والآخرة كالتفاوت بين النارين، وقال الحسن: قطران الإبل.

وفي صحيح مسلم عن أبي مالك الأشعري ﵁ عن النبي ﷺ أنه قال: **«النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب»**(١).

وخرجه ابن ماجه بلفظ: **«النائحة إذا ماتت ولم تتب قطع الله لها ثياباً من قطران ودرعاً من لهب النار»**(٢).

وخرجه ابن ماجه أيضاً عن ابن عباس مرفوعاً بلفظ: **«إن النائحة إذا لم تتب قبل موتها فإنها تبعث يوم القيامة وعليها سرابيل من قطران، يُغلى عليها بدروع من لهب النار»**(٣).

وأخرج أبو نعيم عن وهب ابن منبه قال: كسي أهل النار والعري كان خيراً لهم، وأعطوا الحياة والموت كان خيراً لهم.

* * *

(١) رواه مسلم رقم ٩٣٤ .
(٢) رواه ابن ماجه (١/ ٥٠٣) رقم ١٥٨١ .
(٣) رواه ابن ماجه (١/ ٥٠٤) رقم ١٥٨٣ وفيه «ثم» قبل «يُغلى».

فصل

وقال تعالى: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف: ٤١]. قال الضحاك والسدي وغيرهما: المهاد الفراش، والغواش اللحف.

وقال الحسن في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾. فراشاً ومهاداً، وقال قتادة: محبساً حصروا فيها، وكان الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ يقول في وصف أهل النار وسكونهم دار البوار: قد حذيت[1] لهم نعال من نار، وسرابيل من قطران، وطعامهم من نار، وشرابهم من نار، وفرش من نار، ولحف من نار، ومساكن من نار، في شر دار وأسوأ عذاب، فالأجساد أكلًا أكلًا، وصهراً صهراً، وحطماً حطماً، وقال أيضاً رَحِمَهُ اللَّهُ : إن رجلًا من صدر هذه الأمة كان إذا دخل المقابر نادى: يا أهل القبور بعد الرفاهية والنعيم، معالجة الأغلال في نار الجحيم، وبعد القطن والكتان، لباس القطران ومقطعات النيران، وبعد تلطف الخدم ومعانقة الأزواج، مقارنة الشيطان في نار جهنم مقرنين في الأصفاد.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن وهب ابن منبه رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال: أما أهل النار الذين هم أهلها فهم في النار لا يهدؤون ولا ينامون ولا يموتون، يمشون على النار ويجلسون، ويشربون من صديد أهل النار، ويأكلون من زقوم النار، لحفهم نار، وفرشهم نار، وقمصهم نار وقطران، وتغشى وجوههم النار، جميع أهل النار في سلاسل، بأيدي الخزنة أطرافها، يجذبونهم

(١) احْتَذَى يَحْتَذِي: إذا انتعل، وحَذَا له نعلا وحَذَاه نَعْلًا إذا حمله على نعل، والحِذْوَة والحِذِيَّة والحُذْيا والحُذَيَّا العطية، وأَحْذَى الرجل: أعطاه لسان العرب/ مادة/ حذا.

مقبلين ومدبرين، فيسيل صديد إلى حفر في النار، فذلك شرابهم، ثم بكى وهب حتى سقط مغشياً عليه، ولما ذكر هذا الخبر بكر بن خنيس[١] غلب عليه البكاء حتى قام فلم يقدر أن يتكلم.

وفي الإسرائيليات أن أم سيدنا يحيى بن زكريا عليهما السلام أقبلت عليه في ثوب تعالجه له ليلبسه، فقال لها: أفعل، قالت: من أي شيء؟ قال: من شَعْر، قالت: يا بني إذا يأكل لحمك، قال: يا أمه أما إني إذا ذكرت مقطعات النيران لان على جلدي.

وكان عطاء الخراساني رَحِمَهُ ٱللَّهُ ينادي في أصحابه في السفر: يا فلان يا فلان، قيام هذا الليل وصيام هذا النهار أيسر من شراب الصديد ومقطعات الحديد، الوَحَي الوَحَي الوَحَي[٢]، ثم يقبل على صلاته.

ولما ماتت النوار امرأة الفرزدق - رحمهما الله - ودفنت، وقف الفرزدق على قبرها بحضرة الحسن البصري وأنشد هذه الأبيات العظيمة وهي:

أخاف وراء القبر إن لم يعافني … أشد من القبر التهابا وأضيقا

إذا جاء في يوم القيامة قائد … عنيف وسواق يسوق الفرزدقا

لقد خاب من أولاد آدم من مشى … إلى النار مغلول القلادة أزرقا

يساق إلى نار الجحيم مسربلًا … سرابيل قطران لباساً محرقاً

إذا شربوا فيها الصديد رأيتهم … يذوبون من حر الصديد تمزقاً

فبكى الحسن بكاء شديداً.

رحم الله تلك الأرواح الزكية والأخلاق الرضية.

---

(١) في الأصل (خنبش).
(٢) سبق تعريفها (١/٣٤٦).

الباب الثامن
في عظم خلق أهل النار وقبحهم
وأنواع عذابهم بحسب أعمالهم

أما خلقم وقبح صورهم وهيآتهم، وذلك من أنواع العذاب وشديد المقت لهم بلا ارتياب، فأخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**ما بين منكبي الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع**»[١]، وخرجه مسلم بلفظ: «**ما بين منكبي الكافر في النار**»[٢] الحديث، وخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل أحد، وغلظ جلده مسيرة ثلاث»[٣]، والحاكم عن أبي هريرة مرفوعاً: «**ضرس الكافر يوم القيامة مثل أحد، وعرض جلده سبعون ذراعاً، وعضده مثل البيضاء، وفخذه مثل ورقان**[٤]**، ومقعده من النار ما بيني وبين الربذة**»[٥]، وخرجه الإمام أحمد من غير ذكر عضده.

قوله: البيضاء هو جبل، وكذا ورقان، وقوله: ما بيني وبين الربذة أي كما بين المدينة والربذة، والربذة اسم مكان، وهو الذي مات فيه أبو ذر رضي الله عنه لما نفاه سيدنا عثمان، وذكرت قصته في كتابي (تحبير الوفي في سيرة المصطفى).

---

(١) رواه البخاري رقم ٦٥٥١ .
(٢) رواه مسلم رقم ٢٨٥٢ .
(٣) رواه مسلم رقم ٢٨٥١ .
(٤) وَرِقَان: جبل أسود بين العَرْج والرُّوَيْثَة على يمين المار من المدينة إلى مكة. النهاية مادة: ورق.
(٥) رواه الحاكم (٤/ ٦٣٧) رقم ٨٧٥٩، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه السياقة، ووافقه الذهبي وأحمد (٢/ ٥٣٧) رقم ١٠٩٤٤ .

وأخرج الترمذي حديث أبي هريرة بلفظ: «**إن غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعاً، وإن ضرسه مثل أحد، وإن مجلسه من جهنم ما بين مكة والمدينة**»[١]، وقال حديث حسن غريب صحيح.

ورواه ابن حبان في صحيحه بلفظ: «**جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعاً بذراع الجبار، وضرسه مثل أحد**»[٢]، والجبار ملك من ملوك اليمن له ذراع معروف المقدار كذا قال ابن حبان وغيره. وقيل: ملك بالعجم قاله المنذري.

ورواه الحاكم[٣] وصححه وهو رواية للإمام أحمد بإسناد جيد ولفظه «**ضرس الكافر يوم القيامة مثل أحد وعرض جلده سبعون ذراعاً، وعضده مثل البيضاء، وفخذه مثل ورقان، ومقعده من النار ما بيني وبين الربذة**»[٤].

قال أبو هريرة: وكان يقال: مثل بطن أضم[٥]. وقال أبو هريرة رضي الله عنه لأبي غسان الضبي بظهر الحيرة: تعرف عبدالله بن خداش، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**فخذه في جهنم مثل أحد، وضرسه مثل البيضاء، قلت لم ذاك يا رسول الله؟ قال كان عاقاً بوالديه**»[٦]، رواه الطبراني.

---

(١) رواه الترمذي (٤/ ٧٠٣) رقم ٢٥٧٧ وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.
(٢) صحيح ابن حبان (١٦/ ٥٣١) رقم ٧٤٨٦ .
(٣) الحاكم (٤/ ٦٣٧) رقم ٨٧٦٠ وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.
(٤) رواه أحمد (٢/ ٣٢٨) رقم ٨٣٢٧ وليس فيه عضده مثل البيضاء، وفي (٢/ ٣٣٤) رقم ٨٣٩١ وفي (٥٣٧) رقم ١٠٩٤٤ ولكن بشيء من الاختصار والاختلاف.
(٥) أضم: بالضم ثم السكون - موضع قرب أحد بالمدينة.
معجم البلدان - ياقوت الحموت باب الهمزة والضاد.
(٦) جزء من حديث رواه الطبراني في الأوسط (٧/ ٦٣) رقم ٦٨٥٧ وفيه (أتعرف) بدل (تعرف)، وذكره الهيثمي (٨/ ٢٧١) رقم ١٣٤٣٤ وقال: رواه الطبراني في الأوسط وأبو غسان وأبو غنم الراوي عنه لم أعرفهما وبقية رجاله ثقات.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً: «**إن الكافر ليسحب لسانه الفرسخ والفرسخين يتوطؤه الناس**»(١)، رواه الترمذي. وخرج البيهقي عن عبدالله بن عمرو ابن العاص بدل عبدالله بن عمر بن الخطاب، وصوبه بعضهم.

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص مرفوعاً «**يعظم أهل النار في النار حتى أن بين شحمة أذن أحدهم إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام، وإن غلظ جلده سبعون ذراعاً، وإن ضرسه مثل أحد**»(٢)، رواه الإمام أحمد والطبراني في الكبير والأوسط، قال الحافظ المنذري: وإسناده قريب من الحسن.

وأخرج الترمذي وقال: حسن غريب واللفظ له، وابن حبان في صحيحه، والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١]. قال: «**يدعى أحدهم فيعطى كتابه بيمينه، ويمد له في جسمه ستون ذراعاً، ويبيض وجهه، ويجعل على رأسه تاج من نور يتلألأ، فينطلق إلى أصحابه فيرونه من بعيد، فيقولون اللهم اتنا بهذا وبارك لنا في هذا، حتى يأتيهم، فيقول لهم: أبشروا لكل رجل منكم مثل هذا، قال: وأما الكافر فيسود وجهه، ويمد له في جسمه ستون ذراعاً في صورة آدم، ويلبس تاجاً من ناره، فيراه أصحابه فيقولون: نعوذ بالله من شر هذا، اللهم لا تأتنا بهذا، فيأتيهم، فيقولون: اللهم أخره.**

---

(١) رواه الترمذي (٤/ ٧٠٤) رقم ٢٥٨٠ وقال: هذا حديث غريب، وأحمد (٢/ ٩٢) رقم ٥٦٧١ بلفظ «إن الكافر ليجر لسانه يوم القيامة وراءه قدر فرسخين يتوطؤه الناس» وكذا رواه عبد ابن حميد في مسنده (٢٧٢) رقم ٨٦٠، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٢٦٤) رقم ٥٥٩٦ .

(٢) رواه أحمد (٢/ ٢٦) رقم ٤٨٠٠، والطبراني في الكبير (١٢/ ٤٠٢) رقم ١٣٤٨٢ وفي الأوسط (٣/ ٤١) رقم ٢٤١٠، وذكره الهيثمي (١٠/ ٧١٧) رقم ١٨٦٠٥ وقال: رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط، وفي أسانيدهم أبو يحى القتات وهو ضعيف وفيه خلاف وبقية رجاله أوثق منه.

فيقول: أبعدكم الله، فإن لكل رجل منكم مثل هذا»[١]، وتقدم.

قلت: هذا الحديث إنما فيه أنه يمد له في جسمه ستون ذراعاً، مع أن الأحاديث الصحيحة مصرحة بأنه يكون أعظم من ذلك، كيف وضرسه مثل أحد، وقد قال ﷺ في حديث أبي سعيد عند ابن ماجة ورواه الإمام أحمد وأبو يعلى والحاكم كلهم من طريق ابن لهيعة: «**إن الكافر ليعظم حتى إن ضرسه لأعظم من أحد، وفضيلة جسده على ضرسه كفضيلة جسد أحدكم على ضرسه**»[٢].

والجواب: أنه يمد له في جسمه ستون ذراعاً في الموقف، فإذا دخل النار صار ضرسه كأحد وعظم كما أخبر عنه ﷺ، وهذا ظاهر، أو يقال: إن عظم أجسادهم مختلف باختلاف أعمالهم، فمنهم من يكون جسمه ستين ذراعاً، ومنهم من يكون بالصفة التي نعته بها رسول الله ﷺ، فتأمله، فإني لم أر من صرح بهذا، على أني في شك من ثبوت حديث أبي هريرة هذا؛ لثبوت الأحاديث الطافحة بما ذكرنا من صفة أهل النار.

وأخرج الإمام أحمد والحاكم والبيهقي عن مجاهد قال: قال لي ابن عباس رضي الله عنهما: أتدري ما سعة جهنم؟ قلت لا، قال إن بين شحمة أذن أحدهم وبين عاتقه مسيرة سبعين خريفاً، تجري فيه أودية القيح والدم،

---

(١) رواه الترمذي (٥/ ٣٠٢) رقم ٣١٣٦ بلفظ (أخزه) بدل (أخره) وقال: هذا حديث حسن غريب، وابن حبان في صحيحه (١٦/ ٣٤٦) رقم ٧٣٤٩ وأبو يعلى في مسنده (١١/ ٣) رقم ٦١٤٤ والحاكم (٢/ ٢٦٥) رقم ٢٩٥٥، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) رواه ابن ماجه (٢/ ١٤٤٥) رقم ٤٣٢٢، وقال: في الزوائد عطية العوفي والراوي عنه ضعيفان، وقد روى مسلم في صحيحه والترمذي بعضه من حديث أبي هريرة ورواه أحمد (٣/ ٢٩) ولكن بسياق آخر ليس فيه (وفضيلة جسده) الحديث.

قلت: أنهار؟ قال: لا بل أودية.

قال في «البهجة:» ولا تعارض بين الأحاديث، فإن أجسادهم متفاوتة في العظم على حسب جرائمهم. انتهى.

وعن عمرو بن ميمون أنه قال: إنه ليسمع بين جلد الكافر ولحمه جلبة الدود كجلبة الوحش.

واعلم أنه قد ورد أن بعض عصاة هذه الأمة يعظم في النار، لا أن ذلك يختص بأهل الشرك والكفار، أخرج الإمام أحمد وابن ماجه والحاكم عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن من أمتي من يعظم للنار حتى يكون أحد زواياها**»[1]، إسناد الإمام أحمد جيد، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم.

وفي «التخويف» للحافظ ابن رجب عن أنس مرفوعاً: «**يجاء بالأمير الجائر يوم القيامة فتخاصمه الرعية، فيفلجوا عليه، فيقال له: سد عنا ركناً من أركان جهنم**»[2] وفيه أغلب بن تميم، قال الحافظ: فيه ضعف.

وأخرج الإمام أحمد والترمذي والحاكم وصححه عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال في قوله تعالى: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا

---

(١) رواه أحمد (٤/ ٢١٢) رقم ١٧٨٩٢ من حديث أبي برزة، وفي (٥/ ٣١٢) رقم ٢٢٧١٧ من حديث الحرث بن أقيش، وابن ماجه (٢/ ١٤٤٦) رقم ٤٣٢٣، والحاكم (٤/ ٦٣٥) رقم ٨٧٥٢ وقال: صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه، وذكره الهيثمي (٣/ ٩٠) رقم ٣٩٨٤ وقال: رواه أحمد من حديث أبي برزة ورجاله ثقات.

(٢) ذكره ابن كثير في التفسير (٤/ ٦٨ وعزاه إلى البزار، والمنذري (٣/ ١١٧) رقم ٣٣٠٨ وقال: رواه البزار وهذا الحديث مما أنكر على أغلب بن تميم، والهيثمي (٥/ ٣٧١) رقم ٩٠٣٩ وقال: رواه البزار وفيه أغلب بن تميم وهو ضعيف.

﴿كَـٰلِحُونَ﴾. قال: «**تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه، وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرته**»[(١)].

قال ابن رجب: وكان لطاووس رحمه الله طريقان إذا رجع من المسجد، إحداهما فيها رواس، وكان يرجع إذا صلى المغرب، فإذا أخذ الطريق الذي فيه الروَّاس[(٢)] لم يتعش، فقيل له في ذلك فقال: إذا رأيت الرؤوس كالحة لم أستطع أن آكل.

وكان أويس القرني رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا نظر إلى الرؤوس المشوية يذكر هذه الآية: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَـٰلِحُونَ﴾ فيقع مغشياً عليه حتى يظن من نظر إليه أنه مجنون، خرجهما ابن أبي الدنيا.

وقال الأصعمي: مَرَّ ابن سيرين برواس قد أخرج راساً فغشي عليه.

وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قرأ رجل عند عمر هذه الآية: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النساء: ٥٦] فقال عمر: أعد عليَّ، فأعادها، فقال معاذ ابن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عندي تفسيرها، تبدل في ساعة واحدة مائة مرة، فقال عمر: «هكذا سمعتها من رسول الله ﷺ»[(٣)]، وفي رواية لابن مردويه أن كعباً رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: يا أمير المؤمنين أنا عندي تفسير هذه الآية لما قرأها الرجل قال كعب: قرأتها قبل الإسلام- يعني إسلام نفسه- لأن كعب الأحبار رَحِمَهُ ٱللَّهُ أدرك النبي ﷺ ولم يسلم إلا

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٨٨) رقم ١١٨٥٤، والترمذي (٤/ ٧٠٨) رقم ٢٥٨٧، و(٥/ ٣٢٨) رقم ٣١٧٦ وقال في الموضعين: حديث حسن صحيح غريب، والحاكم (٢/ ٢٦٩) رقم ٢٩٧١ وقال: هذا حديث صحيح من إسناد المصريين ولم يخرجاه وفي (٤٢٨) رقم ٣٤٩٠ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) يقال: رجل رأس بوزن رعَّاس: يبيع الرؤوس. لسان العرب مادة: رأس.

(٣) ذكره ابن رجب في التخويف من النار (١٧٤) وعزاه إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه.

في زمن خلافة عمر رضي الله عنه - فلما قال كعب ما قال، قال له عمر: هاتها يا كعب، فإن جئت بها كما سمعت من رسول الله ﷺ صدقنا وإلا لم ننظر إليها، قال إني: قرأتها قبل الإسلام: «كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها في الساعة الواحدة عشرين ومائة مرة». فقال عمر: هكذا سمعت رسول الله ﷺ»[١]. والحديثان ضعيفان. والله أعلم.

وقد ورد أن لبعض أهل النار لسانين من نار أو وجهين من نار، ففي سنن أبي داود عن عمار رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**من كان له وجهان في الدنيا كان له يوم القيامة لسانان من نار**»[٢].

ويروى نحوه عن أنس وأبي هريرة.

وخرج الطبراني عن سعد مرفوعاً: «**ذو الوجهين في الدنيا يأتي يوم القيامة وله وجهان من نار**»[٣].

ومنهم من تمسخ صورته على صورة قبيحة، وفي الصحيح أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام إذا شفع في أبيه قيل له: «**يا إبراهيم انظر ما تحت رجليك، فإذا هو بذيخ متلطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار**»[٤].

---

(١) ذكره الشوكاني في فتح القدير (١/ ٧٧٤) وليس فيه «فقال عمر» إلى آخره وضعف إسناده وعزاه إلى ابن أبي حاتم والطبراني، والهندي في كنز العمال (٢/ ٣٨٢) رقم ٤٣١٤ وعزاه لابن مردويه، وضعف المصنف إسناده هو والحديث الذي سبقه.

(٢) رواه أبو داود (٢/ ٦٨٤) رقم ٤٨٧٣، وابن أبي شيبة في المصنف (٥/ ٢٢٣) رقم ٢٥٤٦٣، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٣/ ٣٥٠، والبخاري في الأدب المفرد (١/ ٤٤) رقم ١٣١٠ بنحوه، وذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٣/ ١٥٨) وقال عنه العراقي: أخرجه البخاري في كتاب الأدب المفرد وأبو داود بسند حسن.

(٣) رواه الطبراني في الأوسط (٦/ ٢٣٤) رقم ٦٢٧٨، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٣٧١) رقم ٤٤٧٣، والهيثمي (٨/ ١٧٩) رقم ١٣١٥١ وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه خالد بن يزيد العمري وهو كاذب.

(٤) رواه البخاري رقم ٣٣٥٠ وتقدم.

والذيخ هو ذكر الضبع وتقدم.

وقال أبو العالية في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ [التين: ٥]. قال: في النار في صورة خنزير، خرجه ابن أبي حاتم.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: إذا أراد الله أن لا يخرج منها أحداً غير صورهم وألوانهم فلايعرف منهم أحد.

وفي موعظة الأوزاعي للمنصور: بلغني أن جبريل عليه السلام قال للنبي ﷺ: **«لو أن رجلًا أدخل النار ثم خرج منها لمات أهل الأرض من نتن ريحه وتشويه خلقه»**[1]، وقد رواه بكر بن خنيس عن عبدالملك الجسري مرسلًا.

وأخرج ابن لهيعة عن ابن عمرو: لو أن رجلًا من أهل النار أخرج إلى الدنيا لمات أهل الدنيا من وحشة منظره ونتن ريحه، ثم بكى عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما بكاءً شديداً.

وخرجه عنه ابن أبي الدنيا. والله تعالى أعلم.

* * *

---

(١) جزء من حديث طويل رواه أبو نعيم في الحلية (٦/ ١٣٩)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٥/ ٢١٧، ٢١٨)، وذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٢/ ٣٥٠) وقال عنه العراقي: أخرجه ابن أبي الدنيا معضلًا بغير إسناد.

فصل

في أنواع عذاب أهل النار، وتفاوتهم في ذلك في دار البوار، على حسب ما اقترفوا من الذنوب والأوزار

وقد قدمنا أن تغير صورهم وكبر أجسامهم من جملة أنواع العذاب، وأخرج الإمام مسلم عن سمرة بن جندب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال في صفة عذاب أهل النار: «**منهم من تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه النار إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه النار إلى حجزته- أي معقد إزاره- ومنهم من تأخذه النار إلى ترقوته**»[1].

وأخرج الإمام أحمد عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن أهون أهل النار عذاباً رجل منتعل بنعلين من نار يغلي منهما دماغه مع أجزاء العذاب، ومنهم من قد اغتمر**»[2]. وفي الصحيحين عن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن أهون أهل النار عذاباً رجل في أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل بالقمقم**»[3]، ولفظ مسلم: «**إن أهون أهل النار عذابا رجل له نعلان وشراكان من نار، يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً، وإنه لأهونهم**

---

(١) رواه مسلم رقم ٢٨٤٥ .

(٢) جزء من حديث رواه أحمد (٣/ ٧٨) رقم ١١٧٥٦، والحاكم (٤/ ٦٢٥) رقم ٨٧٣٤ باختلاف يسير، وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وقال الذهبي: على شرط البخاري ومسلم وذكره الهيثمي (١٠/ ٧٢٤) رقم ١٨٦٢٨ وقال: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح.

(٣) رواه البخاري رقم ٦٥٦٢، ومسلم رقم ٢١٣ بلفظ «إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة لرجل توضع في أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه».

عذاباً»[١]. قوله المرجل: يعني القدر.

وفي الصحيحين عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه ذكر عنده عمه أبو طالب فقال: «**لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلي منهما دماغه**»[٢].

وفيهما عن العباس رضي الله عنهما أنه قال: «**يا رسول الله هل نفعت أبا طالب بشيء، فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: نعم هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار**»[٣].

وفي مسلم: «**وجدته في غمرات من النار فأخرجته إلى ضحضاح**»[٤].

وفي مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**أهون أهل النار عذاباً أبو طالب، وهو منتعل بنعلين يغلي منهما دماغه**»[٥].

قلت: قد استدل الإمام البرزنجي في كتابه (سداد الدِّين وسداد الدَّين في نجاة الوالدين) على نجاة أبي طالب، بل وعلى أنه ليس بكافر مخلد في النار بهذه الأحاديث الصحيحة والآثار، وذلك أن المصطفى أخبر أن شفاعته ﷺ قد نفعت أبا طالب، وأنقذته من غمرات جهنم إلى ضحضاح من نار، ومن المعلوم أن الكفار لا تنفعهم شفاعة الشافعين، كما نطلق به كلام رب العالمين، فلو كان كافراً مخلداً فيها لما نفعته الشفاعة، لكنها

---

(١) رواه مسلم رقم ٢١٣ .
(٢) رواه البخاري رقم ٣٨٨٥ بلفظ «منه» بدل «منهما»، ومسلم رقم ٢١٠ .
(٣) رواه البخاري رقم ٦٢٠٨، ومسلم رقم ٢٠٩ .
(٤) مسلم رقم ٢٠٩ .
(٥) مسلم رقم ٢١٢ .

نفعته، فلا يكون كافراً، كذا قال، وقد ذكرت في كتابي «تحبر الوفى» من ذلك ما يزيل الظمأ ويجلي عن القلب العمى، فليراجع من أراد الوقوف على تحقيق ذلك.

وفي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**يؤتي بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، فيصبغ في النار صبغة، ثم يقال: يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول لا والله يا رب، ويؤتي بأشد أهل الدنيا بؤساً من أهل الجنة، فيصبغ في الجنة صبغة، فيقال: يا ابن آدم هل رأيت بؤساً قط؟ هل مر بك شدة قط؟ فيقول لا والله يا رب ما مر بي بؤس ولا رأيت شدة قط**»(١).

وفي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**يقول الله عز وجل لأهون أهل النار عذاباً يوم القيامة: لو كانت لك الدنيا وما فيها أكنت مفتدياً بها؟ فيقول: نعم، فيقول: قد أردت منك أهون من هذا، وأنت في صلب آدم أن لا تشرك ولا أدخلك النار، فأبيت إلا الشرك**»(٢).

واعلم أن تفاوت أهل النار في العذاب بحسب تفاوت أعمالهم القبيحة، كما قال سبحانه: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَـٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ﴾ [الأحقاف: ١٩]. وقال: ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾ [النبأ: ٢٦].

قال ابن عباس: وافق أعمالهم. فليس عقاب من يغلظ كفره وأفسد في الأرض ودعا إلى الكفر كمن ليس كذلك، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَـٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ﴾ [النحل: ٨٨]. وقال: ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦].

---

(١) رواه مسلم رقم ٢٨٠٧، وأحمد (٣/ ٢٠٣) رقم ١٣١٣٤.
(٢) رواه مسلم رقم ٢٨٠٥.

وكذلك تفاوت عصاة الموحدين، من عذب منهم في العذاب بحسب أعمالهم، فليس عقوبة أهل الكبائر والبدع كعقوبة غيرهم، وفي الصحيحين عن ابن مسعود ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون**»[١]. ومعنى هذا والله أعلم أن من أشد الناس عذاباً بتقدير من[٢]، ثم إن المصور إما أن يكون مسلماً أو كافرا، فإن كان مسلماً فيكون المعنى إن من أشد الناس المتصفين بالإسلام المستحقين للعذاب بسبب جرائمهم عذاباً المصورين، وذلك لعظم جريمتهم، وإن كان المصور كافراً فالأمر ظاهر.

وأخرج أبو نعيم عن ابن عباس ﵄ عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة من شتم الأنبياء ثم أصحابي ثم المسلمين**»[٣].
وأخرج الطبراني وأبو نعيم عن ابن مسعود ﵁ عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة من قتل نبياً أو قتله نبي، وإمام جائر، وهؤلاء المصورون**»[٤]. وأخرج البخاري في التاريخ والطيالسي عن خالد ابن الوليد ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أشد الناس عذاباً يوم القيامة أشدهم عذاباً**

---

(١) رواه البخاري رقم ٥٩٥٠، ومسلم رقم ٢١٠٩ .
(٢) هذا نص رواية أخرى عند مسلم في نفس الحديث السابق.
(٣) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٤/ ٩٦) وقال: غريب من حديث ميمون، تفرد به محمد بن زياد، وفي (١٠/ ٢١٥)، وذكره الهندي في كنز العمال (٣/ ٦٠٤) رقم ٨١٣١ .
(٤) رواه الطبراني في الكبير (١٠/ ٢١٦) رقم ١٠٥١٥ وفي (٢١١) رقم ١٠٤٩٧ باختلاف يسير، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٤/ ١٢٢) وقال غريب من حديث طلحة، ورواه أحمد (١/ ٤٠٧) رقم ٣٨٦٨ بلفظ: «أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل قتله نبي أو قتل نبياً، وإمام ضلالة، وممثل من الممثلين»، وعبد الرزاق في المصنف بلفظ قريب، وذكره الهيثمي (١/ ٤٣٤) رقم ٨٥٢ وقال: رواه الطبراني في الكبير وفي الصحيح منه قصة المصور وفيه الحارث الأعور وهو ضعيف، وفي (٥/ ٤٢٥) رقم ٩١٩٨ وقال: قلت في الصحيح بعضه، رواه الطبراني وفيه ليث بن أبي سليم وهو مدلس وبقية رجاله ثقات.

للناس في الدنيا»[1].

وفي تفسير الثعلبي عن عبدالله: إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة ثلاثة، المنافق، ومن كفر من أصحاب المائدة، وآل فرعون. قال صاحب «كنز الأسرار»: وتصديق ذلك في كتاب الله تعالى، أما أصحاب المائدة فقال تعالى: ﴿فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة: ١١٥].

وأما آل فرعون فقال تعالى: ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]. وأما المنافقون. فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥].

وقد يخفف العذاب عن بعض أهل النار بحسنات أخر، أو بما شاء الله من الأسباب، ولهذا يموت بعضهم في النار كما سيأتي.

قلت: إذ لطف الله بعبده فلا عليه في أي الدارين أدخله، وإذا غضب عليه والعياذ بالله انتقم منه أين ما كان، عياذاً بك اللهم من غضبك، وتوسلاً بعفوك، وسلمك من حربك.

وأما الكفار إذا كان لهم حسنات في الدنيا من نحو عدل وعتق وإحسان إلى الخلق فهل يخفف عنهم بذلك من العذاب في النار أم لا؟

فيه قولان لسلف هذه الأمة المطهرة ولخلفها: أحدهما، بلى وهو مروري عن سعيد بن جبير واختاره ابن جرير الطبري وغيره.

---

(١) رواه البخاري في التاريخ الكبير (٣/ ١٤٣) رقم ٤٨٥، والطيالسي في مسنده (١٥٨) رقم ١١٥٧، والطبراني في مسند الشاميين (١/ ٤٤) رقم ٣٦، وأحمد (٤/ ٩٠) رقم ١٦٨٦٥، وذكره الهيثمي (٥/ ٤٢١) رقم ٩١٨٧ وقال: رواه أحمد والطبراني ورجاله رجال الصحيح خلا خالد بن حكيم وهو ثقة.

وأخرج الخرائطي في مكارم الأخلاق عن عائشة رضي الله عنها مرسلًا أنها قالت: يا رسول الله أين عبدالله ابن جدعان؟ قال: «**في النار، فجزعت عائشة رضي الله عنها واشتد عليها، فلما رأي ذلك قال يا عائشة ما يشتد عليك من هذا؟ قالت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، كان يطعم الطعام، ويصل الرحم، قال: إنه يهون عليه بما قلت**»[١].

وخرج ابن أبي حاتم والخرائطي والبزار في مسنده والحاكم في المستدرك وقال: صحيح الإسناد والبيهقي في البعث والنشور وقال: في إسناده نظر عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما أحسن من محسن كافر أو مسلم إلا أثابه الله عز وجل في عاجل الدنيا أو ادخر له في الآخرة، قلنا: يا رسول الله، ما إثابة الكافر في الدنيا؟ قال: إن كان قد وصل رحماً أو تصدق صدقة أو عمل حسنة أثابه الله المال والولد والصحة وأشباه ذلك، قلنا: فما إثابة الكافر في الآخرة؟ قال: عذاباً دون عذاب، ثم تلا: ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]**»[٢].

قال: الحافظ ابن رجب في «التخويف»: وفيه عتبة بن يقظان تكلم فيه بعضهم. وتقدم أن الله خفف عن أبي طالب بسبب إحسانه إلى رسول الله ﷺ، وكذا خفف عن عمه أبي لهب بسبب عتقه لثويبة حين بشرته بولادة النبي ﷺ، فقد ذكر الحافظ الدمياطي رحمه الله أن أبا لهب رؤي بعد موته،

---

(١) ذكره ابن رجب في التخويف من النار (١٨١) وعزاه للخرائطي في مكارم الأخلاق وقال: هو مرسل.

(٢) رواه البزار في مسنده (٤/ ٢٨٤) رقم ١٤٥٤، والحاكم (٢/ ٢٧٨) رقم ٤٦٢١ وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وذكره الهيثمي (٣/ ٢٨٧) رقم ٤٦٢١ وقال: رواه البزار وفيه عتبة بن يقظان وفيه كلام وقد وثقه ابن حبان وبقية رجاله ثقات. قلت: وأجود منه عند مسلم وسيأتي بعد حديثين.

فقيل له: ما حالك؟ قال في النار إلا أنه يخفف عني كل ليلة اثنين وأمص من بين أصبعي هاتين - وأشار برأس أصبعيه - وأن ذلك بإعتاقي لثويبة عندما بشرتني بولادة النبي ﷺ وبإرضاعها له[١]، ونحوه في (المواهب اللدنية).

قلت: والرائي لأبي لهب هو العباس رضي الله عنه، وقد ذكرت ذلك مطولاً في كتابي تحبير الوفي في ذكر إرضاعه ﷺ، وما أحسن ما قاله الحافظ الشمس محمد بن ناصر الدين الدمشقي في ذلك:

إذا كان هذا كافر جاء ذمه	**وتبت يداه في الجحيم مخلدا**
أتى أنه في يوم الاثنين دائماً	**يخفف عنه للسرور بأحمدا**
فما الظن بالعبد الذي كان عمره	**بأحمد مسروراً ومات موحداً**

والقول الثاني: أن الكافر لا ينتفع في الآخرة بشيء من حسناته بحال، ومن حجة أهل هذا القول قوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣] وقوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ الآية [إبراهيم: ١٨].

وفي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة، يُعطي بها في الدنيا ويُجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فَيُطْعَمُ بحسنات ما عمل بها في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها**»[٢]، وفي رواية له أيضاً «**إن الكافر إذا عمل حسنة أطعم بها طعمة من الدنيا، وأما المؤمن فإن الله يدخر له حسناته في الآخرة ويعقبه رزقاً في الدنيا على طاعته**»[٣].

---

(١) انظر في ذلك البخاري رقم ٥١٠١ من كلام عروة، وذكر ذلك بطوله الغزالي في إحياء علوم الدين (٤/ ٥٠٧).
(٢) رواه مسلم رقم ٢٨٠٨.
(٣) رواه مسلم رقم ٢٨٠٨.

وفي صحيح مسلم أيضاً عن عائشة رضي الله عنها قالت قلت: «**يا رسول الله إن ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم، ويطعم المساكين، فهل ذلك نافعه؟ قال: لا ينفعه، إنه لم يقل يوماً رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين**»[1].

وقال أصحاب هذا القول في الجواب عما ورد في أبي طالب، تخفيف العذاب عنه من خصائص النبي ﷺ لا يشركه فيها غيره.

قلت: أما عذاب الكفر فإن اللّه لا يخفف عنه منه شيئاً، وأما عذاب فروع الدين فيجوز أن يخفف منه على من يشاء من عباده، وإن كفاراً فإن المعتمد أن الكفار مخاطبون بفروع الإسلام[2]، وأما ما ورد من تخفيف العذاب عن أبي طالب عم المصطفى فلأياديه مع ولد أخيه، أليس هو القائل لما تآلبت عليه القبائل بسبب حفظه للنبي ﷺ وذب أعداء اللّه عنه من قصيدة طويلة منها:

وإن فخرت يوماً فإن محمداً ... هو المصطفى من سرها وكريمها
تداعت قريش غثها وسمينها ... علينا فلم تظفر وطاشت حلومها
وكنا قديماً لا نقر ظلامة ... إذا ما ثنوا صعر الخدود نقيمها

وهو القائل:

واللّه لن يصلوا إليك بجمعهم ... حتى أوسد في التراب دفينا

---

(١) رواه مسلم رقم ٢٨٠٨.

(٢) هذه مسألة خلافية بين الأصوليين، والجمهور على أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة، وخالف في ذلك الأحناف، ويبين ذلك إمام الحرمين فيقول «ذهب بعض أصحاب أبي حنيفة إلى أن الكفار غير مخاطبين بفروع الشريعة، وظاهر مذهب الشافعي رحمه الله أنهم مخاطبون بها، وفصل فاصلون من العلماء بين المأمورات والمنهيات، وقالوا: هم معاقبون على ارتكاب المنهيات غير معاقبين على ترك المأمورات» ثم فصل هذا الكلام. راجع «البرهان في أصول الفقه» لأبي المعالي الجويني (١/ ٩٢) وما بعدها، وكذا «البحر المحيط» للزركشي (١/ ٣٩٧) وما بعدها.

فانفذ لأمرك ما عليك غضاضة   فكفى بنا دنيا لديك ودينا
ودعوتني وزعمت أنك ناصحي   فلقد صدقت وكنت ثَم أمينا
وعرضت دينا قد علمتُ بأنه   من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة   لوجدتني سمحاً بذاك مبينا

قال هذا الشعر عند وفاته، ثم دعا بني عبدالمطلب وقال: لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمد وتابعتم أمره، فاتبعوه وأعينوه ترشدوا، ثم قال لابن أخيه ربيعة ابن الحارث بن عبدالمطلب يحثه على نصر المصطفى:

اعلم أبا أروى بأنك ماجد   من صلب شيبة ما نصرت محمداً
لله درك إن عرفت مكانه   في قومه ووهبت منك له يدا
شرف القيامة والمعاد بنصره   وبعاجل الدنيا تحوز السؤددا
أكرم بمن يُفضى إليه بأمره   نفساً إذا عدا النفوس ومحتدا
وخلايقاً شرفت بمجد نصابه   يكفيك منه اليوم ما ترجوا غدا

أليس من كان هذا حثه وحفظه لهذا النبي مع كونه إذ ذاك قليل الأنصار، قد قلاه الأقارب وجفاه الأجانب، ورماه الناس عن قوس واحد، ولا ثم إلا مشرك أو جاحد، والذين اتبعوه إذ ذاك بين مخافة لا يظهر أمره، وبين دخيل على ذي قوة يسند إليه ظهره، وأبو طالب قد شمر عن ساعد الجد والاجتهاد، ونادى على رؤوس الأشهاد يقول:

فلا تحسبونا خاذلين محمدا   لدى غربة منا ولا متقرب
ستمنعه منا يد هاشمية   مركبها في المجد خير مركب

إلى قوله:

يمينا صدقنا الله فيها ولم نكن   لنحلف بطلا بالعتيق المحجب
نفارقه حتى نصرع حوله   وما بال تكذيب النبي المقرب

وقد حاربته قريش غثها وسمينها، وقاطعته كلها فاجرها وأمينها، حتى إن أخاه أبا لهب جفاه، فقام أبو طالب فالتجأ الى الشعب هو ومن والاه، أليس من كان بهذه المثابة حري بأن يخفف عنه من العذاب، ويهون عليه من العقاب؟ ومن يساوي بين أبي طالب وبين أبي جهل، وبل وبين أبي لهب؟ شتان بين مشرق ومغرب، وإنما الذي ذكرناه من أيادي أبي طالب مع رسول الله ﷺ قطرة من بحر لجي، وقد ذكرت جل صنايعه معه ﷺ في كتابي «تحبير الوفى»، ومع هذا فإني أقول لا أدري ما يفعل بي ولا بكم، والله يفعل ما يشاء، غير أني لا أتجرأ على أذية أهل بيت المصطفى، وأتبع الوارد عنه ﷺ وأقنع بهذا وكفى.

***

فصل

قال كثير من السلف في قوله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٧-٤٩] نزلت في أبي جهل، قال الأوزاعي: يؤخذ أبو جهل يوم القيامة، فيخرق في رأسه خرق، ثم يؤتي بسجل من الحميم فيصب في ذلك الخرق، ثم يقال له: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾.

قال في البغوي: وذلك أن أبا جهل كان يقول: أنا أعز من في الوادي وأكرمهم، فيقول له هذا خزنة النار على طريق الاستخفاف والتوبيخ.

وقال مجاهد في قوله: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾ النحاس الصفر يذاب ويصب على رؤوسهم يعذبون به، والشواظ اللهب الذي لا دخان فيه، وقال مجاهد: هو اللهب الأخضر المنقطع من النار.

وقال محمد بن كعب القرظي في قوله تعالى: ﴿تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾ [الهمزة: ٧] تأكله النار إلى فؤاده، فإذا بلغت فؤاده أنشئ خلقه.

وقال ثابت البناني: تحرقهم إلى الأفئدة وهم أحياء، لقد بلغ منهم العذاب، ثم بكى.

وقال صالح بن حيان عن بريدة في قوله تعالى: ﴿لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ﴾ [المدثر: ٢٨]، قال: تأكل العظم واللحم والمخ ولا تذره على ذلك.

وقال السدي: تأكل ولا تبقى من جلودهم شيئاً ولا تذرهم من العذاب.

وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾ [المعارج: ١٦] تنزع الجلد عن العظم، وعنه: تنزع ما دون العظم.

وقال غيره: تحرق كل شيء منه ويبقى فؤاده يصيح.

ومن أنواع عذابهم: سحبهم في النار على وجوههم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾﴾ [القمر: ٤٧-٤٨]. ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ [غافر: ٧٠-٧٢] في نار الجحيم، يسحبون في النار مرة بعد مرة، أولئك الذين غضب عليهم العزيز الحكيم، جزاءً وفاقاً، لا يظلم ربنا أحداً من عباده، بل كما فعل العبد لاقى.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يجأ بها في بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن قتل نفسه بِسُم فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً**»[١].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه يرفعه: «**القتل في سبل الله يكفر كل شيء أو قال يكفر الذنوب إلا الأمانة، يؤتي بصاحبها فيقال له: أد أمانتك، فيقول: أني يا رب وقد ذهبت الدنيا؟ فيقال: اذهبوا به إلى الهاوية، فيهوى فيها حتى ينتهي إلى قعرها، فيجدها هناك كهيئتها، فيحملها، فيضعها على عنقه فيصعد بها في نار جهنم، حتى إذا رأى أنه قد خرج منها زلت فهوت، وهو**

(١) رواه البخاري رقم ٥٧٧٨ بتقديم وتأخير، ومسلم رقم ١٠٩ باختلاف يسير.

في أثرها أبد الآبدين، والأمانة في الصلاة، والأمانة في الصوم، والأمانة في الحديث، وأشد ذلك الودائع»[1]، رواه عن شريك وأبو إسحاق الأزرق، ورواه جماعة موقوفاً، وقال عاصم رَحِمَهُ اللَّهُ: إذا ألقي الرجل في النار لم يكن له منتهى حتى يبلغ قعرها، ثم تجيش به جهنم، فترفعه إلى أعلى جهنم، وما على عظامه مزعة لحم، فتضربه الملائكة بمقامع الحديد، فيهوى بها في قعرها فلا يزال كذلك، أخرجه البيهقي وتقدم.

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «التخويف»: وفي هذا المعنى يقول ابن المبارك:

تهوى بساكنها طوراً وترفعه إذا رجوا مخرجاً من غمها قمعوا

***

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٣٢٣) رقم ٥٢٦٦، وفي السنن الكبرى (٦/ ٢٨٨) رقم ١٢٤٧٢، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٢٠١) والطبراني في الكبير (١٠/ ٢١٩) رقم ١٠٥٢٧ مختصراً، وذكره الهيثمي (٥/ ٥٣٢) رقم ٩٥١٥ وقال: رواه الطبراني ورجاله ثقات.

فصل

ومنهم من يدور في النار ويجر معه أمعاءه، «**وقد رأى النبي ﷺ عمرو ابن لحي يجر قُصْبَه في النار**»[١].

وفي الصحيحين عن أسامة ابن زيد رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**يؤتي بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار، فتندلق أقتابه، فيدور فيها كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه، فيقولون: أي فلان ما شأنك؟ كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه**»[٢].

وقال بعض السلف: إن في النار أقواماً يربطون بنواعير[٣] من نار تدور بهم النواعير وما لهم فيه راحة ولا فترة.

ومنهم من يُلقى في مكان ضيق، لا يتمكن فيه من الحركة لضيقه، قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [الفرقان: ١٣]. قال كعب: إن في النار تنانير، ضيقها كضيق زج رمح أحدكم، تطبق على قوم بأعمالهم، وتقدمت الإشارة إليه أولًا.

وأخرج أبو نعيم الحافظ عن شفي ابن ماتع عن النبي ﷺ قال: «**أربعة يؤذون أهل النار على ما بهم من الأذى، يسعون فيما بين الجحيم والحميم،**

---

(١) رواه البخاري رقم ٣٥٢١ .

(٢) رواه البخاري رقم ٣٢٦٧، ومسلم رقم ٢٩٨٩ .

(٣) الناعورة: الدولاب، والناعور: جناح الرحي، والناعور: دلو يستقي بها، والناعور: واحد النواعير التي يستقي بها يديرها الماء ولها صوت. لسان العرب مادة: نعر.

يدعون بالويل والثبور، ويقول أهل النار بعضهم لبعض: ما بال هؤلاء قد آذونا على ما بنا من الأذى؟ قال: فرجل معلق عليه تابوت من جمر، ورجل يجر أمعاءه، ورجل يسيل فوه قيحاً ودماً، ورجل يأكل لحمه، فيقال لصاحب التابوت: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟ فيقول: إن الأبعد مات وفي عنقه أموال الناس، ثم يقال للذي يجر أمعاءه: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟ فيقول: إن الأبعد كان لا يبالي أين أصاب البول منه لا يغسله، ثم يقال للذي يسيل فوه قيحاً ودما: ما بال الأبعد قد آذاناً على ما بنا من الأذى؟ فيقول: إن الأبعد كان ينظر إلى كلمة فيستلذها كما يستلذ الرفث، وفي رواية يعمد إلى كل كلمة خبيثة قذعة أي فاحشة فيستلذها، ثم يقال للذي يأكل لحمه: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى، قال: إن الأبعد كان يأكل لحوم الناس، زاد في رواية: ويمشي بالنميمية»[1].

قال أبو نعيم: وشفي بن ماتع مختلف فيه، فقيل: له صحبة، وقيل: لا.

وأخرج الإمام أحمد عن منصور بن زاذان رَحِمَهُ اللَّهُ قال: نبئت أن بعض من يلقى في النار يتأذى أهل النار بريحه، فيقال له: ويلك ما كنت تعمل؟ أما يكفينا ما نحن فيه من الأذي والسوء حتى ابتلينا بك ونتن ريحك؟ فيقول: كنت عالماً فلم أنتفع بعلمي.

قلت: في ذم عدم عمل العالم أحاديث جمة منها: ما رواه الطبراني في الصغير والبيهقي عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أشد**

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (٥/ ١٦٨)، والطبراني في الكبير (٧/ ٣١٠) رقم ٧٢٢٦، والطبري في صريح السنة (٢٨) رقم ٣٨، وابن أبي الدنيا في الصمت (١٢٨) رقم ١٨٦ باختصار يسير، وذكره الهيثمي (١/ ٤٩١) رقم ١٠٣٢ وقال: رواه الطبراني في الكبير وهو هكذا في الأصل المسموع ورجاله موثقون.

الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه علمه»[١].

وأخرج البزار عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**شرار الناس شرار العلماء في الناس**»[٢].

وأخرج الطبراني في الكبير عن جندب بن عبدالله البجلي صاحب رسول الله ﷺ رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**مثل الذي يعلم الناس الخير وينسى نفسه كمثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه**»[٣]، قال الحافظ المنذري: إسناده حسن إن شاء الله تعالى، والآثار في هذا كثيرة جداً.

قال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [إبراهيم: ١٧]. المعنى أنه يأتيه مثل شدة الموت وألمه من كل جزء من أجزائه حتى شعره وظفره، وهو مع هذا لا تخرج نفسه فيستريح ولا ترجع إلى مكانها من خوفه.

* * *

(١) رواه الطبراني في الصغير (١/ ٣٠٥) رقم ٥٠٧، والقضاعي في مسند الشهاب (٢/ ١٧١) رقم ١١٢٢، وذكره ابن حجر في لسان الميزان (٤/ ١٥٧) في ترجمة عثمان بن مقسم البري رقم ٣٦٤، وقال عنه: كان ينكر الميزان ويقول إنما هو العدل، تركه يحيى القطان وابن المبارك، وقال أحمد حديثه منكر، وذكره الهيثمي (١/ ٤٤٠) رقم ٨٧٢ وقال: رواه الطبراني في الصغير وفيه عثمان البري، قال الفلاس: صدوق لكنه كثير الغلط صاحب بدعة، ضعفه أحمد والنسائي والدارقطني.

(٢) جزء من حديث رواه أبو نعيم في الحلية (١/ ٢٤٢)، وفي (٥/ ٢٢٠) وقال: غريب من حديث خالد، والطبراني في مسند الشاميين (١/ ٢٥٨) رقم ٤٤٧، وذكره الهيثمي (١/ ٤٤١) رقم ٨٧٤ وقال: رواه البزار وفيه الخليل بن مرة، قال البخاري: منكر الحديث، ورد ابن عدي قول البخاري، وقال أبو زرعة: شيخ صالح.

(٣) جزء من حديث رواه الطبراني في الكبير (٢/ ١٦٧) رقم ١٦٨٥، وفي (١٦٥) رقم ١٦٨١، وأحمد في الزهد/ ١٨٢، وذكره الهيثمي (١/ ٤٤٠) رقم ٨٧١ وقال: رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثقون.

فصل

وعذاب الكفار في النار لا يفتر عنهم ولا ينقطع، بل هو متواصل أبد الآباد، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [الزخرف: ٧٤-٧٥]. وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٣٦]. وقال: ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [البقرة: ١٦٢] وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ [غافر: ٤٩-٥٠].

قال أحمد بن أبي الحواري: سمعت إسحاق بن إبراهيم على منبر دمشق يقول: لا يأتي على صاحب الجنة ساعة إلا وهو يزداد ضعفاً من النعيم لم يكن يعرفه، ولا يأتي على صاحب النار ساعة إلا وهو مستنكر لشيء من العذاب لم يكن يعرفه.

وسأل الحسن أبا بَرْزَة عن أشد أية في كتاب الله عز وجل على أهل النار قال: سمعت رسول الله ﷺ قرأ: ﴿فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبأ: ٣٠] فقال: هلك القوم بمعاصيهم لله عز وجل، خرجه ابن أبي حاتم، وفيه من هو ضعيف، وخرجه البيهقي، وقال: لم أعرفه.

وقال مجاهد: بلغني أن استراحة أهل النار أن يضع أحدهم يده على خاصرته، واعلم أن لأهل النار أنواعاً من العذاب لم يطلع الله خلقه عليها في الدنيا ثم قرأ مجاهد: ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ﴾ [ص: ٥٨].

وأعظم عذاب أهل النار حجابهم عن الله عز وجل، وبعدهم منه،

وإعراضه عنهم، وسخطه عليهم، كما أن رضوان الله على أهل الجنة أفضل من كل نعيم، كما مرت الإشارة إليه بما هو كاف، قال جل شأنه: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [المطففين: ١٤-١٧] فذكر لهم ثلاثة أنواع من العذاب، الحجاب عنه الذي هو أشد من كل عذاب وأعظم من كل عقاب، ثم صليهم الجحيم، ثم توبيخهم بتكذيبهم به في الدنيا مع ما وصفهم به من أن الران على قلوبهم، وهو صدأ الذنوب التي سودت قلوبهم، فلم يصل إليها بعد ذلك شيء من معرفة الله ولا من إجلاله ومهابته وخشيته ومحبته والالتذاذ بذكره والتفكر في آلائه. ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤]. فلما حجبت قلوبهم في الدنيا عن معرفة الله والتلذذ بذكره وكلامه، والتنعم بمحبته والتفكر في إنعامه حجبوا في الآخرة عن النظر إليه ومجاورته، فيالها من حسرة ما أعظمها، ومصيبة ما أجسمها.

قال أحمد بن أبي الحواري: حدثنا أحمد بن موسى عن أبي مريم قال: يقول أهل النار: إلهنا أرض عنا وعذبنا بأي نوع شئت من عذابك، فإن غضبك أشد علينا من العذاب الذي نحن فيه، قال أحمد: فحدثت به سليمان بن أبي سليمان فقال: ليس هذا كلام أهل النار، هذا كلام المطيعين لله، قال فحدثت به أبا سليمان فقال: صدق سليمان بن أبي سليمان، وسليمان هو ولد أبي سليمان الداراني وكان عارفاً كبير القدر، رحمه الله.

قال الحافظ ابن رجب: وما قاله حق، فإن أهل النار جهال لا يتيقظون لهذا، وإن كان في نفسه حقاً، وإنما يعرف هذا من عرف الله وأطاعه، ولعل هذا يصدر من بعض من يدخل النار من عصاة الموحدين كما أن بعضهم يستغيث بالله لا يسغيث بغيره فيخرج منها وبعضهم يخرج

منها برجائه لله وحده، وبعض من يؤمر به إلى النار يتشفع إلى الله بمعرفته فينجيه منها، وقد روي عن الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: يوقف رجل بين يدي الله عز وجل لا يكون معه حسنة، فيقول الله عز وجل له: اذهب هل تعرف أحداً من الصالحين أغفر لك بمعرفته؟ فيذهب فيدور مقدار ثلاثين سنة، فلا يرى أحداً، فيرجع إلى الله عز وجل فيقول: يا رب لا أرى أحداً، فيقول الله عز وجل: اذهبوا به إلى النار، فيتعلق به الزبانية يجرونه، فيقول: يا رب إن كنت تغفر لي بمعرفة المخلوقين فإني عارف بوحدانيتك، فأنت أحق أن تغفر لي، فيقول الله للزبانية: ردوه فإنه كان يعرفني، واخلعوا عليه خلع كرامتي، ودعوه يتبحبح في رياض الجنة، فإنه عارف بي وأنا له معروف.

قلت: وأخرج الدينوري عن صالح المري قال: بلغني أن أهل النار يعذبون بأنواع العذاب، فكلما عذبوا بنوع من العذاب نقلوا إلى نوع أشد منه، فيقولون: ربنا عذبنا كيف شئت بما شئت ولا تغضب علينا، فإن غضبك أشد علينا من العذاب، إذا غضبت ضاقت علينا الأكبال والقيود والسلاسل والأغلال.

فهذا ربما قيل فيه: إنهم ليسوا من الموحدين، لما سيأتي أن الموحدين لا يغلون بالأغلال والقيود والأنكال، وقد نطق في هذا الأثر بأنه سبحانه إذا غضب عليهم ضاقت القيود والأغلال عليهم، والله أعلم.

* * *

فصل

فيما يتحف به أهل النار عند دخولهم دار البوار، أعاذنا الله منها بمنه وكرمه

قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [الواقعة: ٥١-٦٠]، والنزل هو ما يعد للضيف عند قدومه، فدلت هذه الآيات على أن أهل النار يتحفون عند دخولهم بالأكل من شجر الزقوم، والشرب من الحميم، وهم إنما يساقون إلى جهنم عطاشا، كما قال تعالى: ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم:٨٦] وقد تقدم أنهم يبعثون عطاشا ثم يقضون مشاهد القيامة عطاشا.

وأخرج ابن المبارك عن كعب الأحبار قال: إن الله ينظر إلى عبده يوم القيامة وهو غضبان عليه، فيقول: خذوه، فيأخذه منه ألف ملك أو يزيدون، فيجمعون بين ناصيته وقدميه غضباً لغضب الله، فيسحبونه على وجهه إلى النار، قال: فالنار أشد غضباً من غضبهم سبعين ضعفاً، قال: فيستغيث بشربة يسقط منها لحمه وعظامه وعصبه، ثم يركس أو يدكس في النار فويل له من النار، وفي رواية عن غير كعب فيتفتق في أيديهم إذا أخذوه، فيقول: ألا ترحموني؟ فيقولون: كيف نرحمك ولم يرحمك أرحم الراحمين؟ وروى الأعمش عن مالك بن الحارث قال: إذا طرح الرجل في النار هوى فيها، فإذا انتهى إلى بعض أبوابها قيل: مكانك حتى تتحف،

قال: فيسقي كاساً من سم الأساود[1] والعقارب، فيتمزق الجلد على حدة، والشعر على حدة، والعصب على حدة، والعروق على حدة، خرجه ابن أبي حاتم.

والحاصل أن من دخل النار- ونعوذ برحمة الله وعفوه ومغفرته من غضبه ونقمته ومناقشته- خسر الخسارة التي لا ربح بعدها أبداً، اللهم إلا أن يكون من عصاة المؤمنين، فإنه يخرج منها كما يأتي، وأنواع العذاب أكثر من أن نذكرها هنا، واعلم أنه كما أن نعيم الجنة لا يحد ولا يحصى ولا يعد، فكذلك عذاب النار لا يحد، وقد أعد الله لأعدائه مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من العذاب، والله تعالى أعلم.

* * *

---

(١) الأساود: الحيات، قال شمير: الأسود أخبث الحيات وأعظمها وأنكاها - لسان العرب/ مادة: سود.

فصل

في بكاء أهل النار وزفيرهم وشهيقهم وصراخهم ودعائهم الذي لا يستجاب له، قال تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٠] وقال: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ [هود: ١٠٦]. فالزفير في الحلق، والشهيق في الصدر.

وقال داود عليه السلام: رب ارزقني عينين هطالتين، يبكيان بذروف الدموع من خشيتك، قبل أن تعود الدموع دما، والأضراس جمراً، وتقدم من كلام نبينا[١]، وكان عليه السلام يعاتب في كثرة البكاء، فيقول: دعوني أبكي قبل يوم البكاء قبل تحريق العظام واشتعال اللحى، وقبل أن تؤمر بي ملائكة غلاظ شداد، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

وقال عليه الصلاة والسلام: أبكى نفسي قبل يوم البكاء، أبكي نفسي قبل أن لا ينفع البكاء، ثم دعا بجمر فوضع يده عليه حتى آذاه حره، ثم رفعها، وقال: أوه لعذاب الله، أوه قبل أن لا ينفع أوه.

وذكر صفوان بن محرز كلام داود هذا، وهو قوله أوه من عذاب الله عز وجل قبل أن لا ينفع أوه، فبكى حتى غلب عليه البكاء.

وقال كعب الأحبار في قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ﴾ [هود: ٧٥]. كان إذا ذكر النار قال: أُوه من النار، أوه من النار.

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (٢/ ١٩٦ - ١٩٧، وابن أبي الدنيا في الرقة والبكاء/ ٥٧) رقم ٤٤، والطبراني في الدعاء (٤٢٩) رقم ١٤٥٧، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١١/ ١٢٠ - ١٢١)، وذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٤/ ١٦٣) وقال عنه العراقي: أخرجه الطبراني في الدعاء وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر بإسناد حسن.

وعن محمد بن كعب القرظي رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال: لأهل النار خمس دعوات، يكلمون في أربع ويسكت عنهم في الخامسة فلايكلمون، يقولون: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ [غافر: ١١]. فيرد عليهم: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟﴾ [غافر: ١٢]. ثم يقولون ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ١٢]. فيرد عليهم ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى﴾ الآيتين [السجدة: ١٣]. ثم يقولون: ﴿رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ﴾ [إبراهيم: ٤٤]. فيرد عليهم: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ [فاطر: ٣٧]. ثم يقولون: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ۝١٠٦ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٦- ١٠٧]. فيرد عليهم: ﴿قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ إلى قوله: ﴿وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٨-١١٠]. فلا يتكلمون بعد ذلك، خرجه آدم ابن أبي إياس، وابن أبي حاتم عن عبدالله بن عمرو قال: نادى أهل النار ﴿يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧] قال: فخلى عنهم أربعين عاماً ثم أجابهم: ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ فقالوا: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ [المؤمنون: ١٠٧]. فخلى عنهم مثل الدنيا ثم أجابهم: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨]. قال: فأطبقت النار عليهم ويئسوا من كل خير، ولم ينطق القوم بعد تلك الكلمة، وإن كان إلا الزفير والشهيق.

وفي رواية عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن مالكاً لم يجبهم عند قولهم ليقض علينا ربك ألف عام.

وقال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ليس بعد هذه الآية خروج: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾.

وقال بعض السلف: إذا أراد الله أن لا يخرج منها أحداً غير وجوههم وألوانهم، فيجيء الرجل من المؤمنين فيشفع فيقول: يا رب، فيقول من عرف أحداً فليخرجه، فيجيء شبيه الرجل من المؤمنين فينظر فلا يعرف أحداً، فيناديه الرجل فيقول: يا فلان أنا فلان، فيقول: ما أعرفك، قال: فعند ذلك يقولون في النار: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٧] فيقول عند ذلك: ﴿قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨] فإذا قال ذلك أطبقت عليهم فلم يخرج منهم أحد.

* * *

فصل

ثم إن أهل النار لا يزالون في رجاء الفرج، والخروج من الحرج، إلى أن يذبح الموت، فعند ذلك ينقطع الرجاء، وتعظم عليهم الحسرة، فلا يرجون مخرجاً، وفي الصحيحين عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح، فيوقف بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت، ويقال: يا أهل النار: هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم هذا هو الموت، فيؤمر به فيذبح ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت ثم قرأ** ﷺ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[(١)] [مريم: ٣٩]، وخرجه الترمذي وزاد: «**فلولا أن الله قضى لأهل الجنة بالحياة والبقاء لماتوا فرحاً، ولولا أن الله قضى لأهل النار بالحياة والبقاء لماتوا ترحا**»[(٢)]، وفي رواية في الصحيحين: «**فيزداد أهل الجنة فرحا إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم**»[(٣)].

واعلم أن بكاء أهل النار لا يجدي لهم فائدة، بل الحسرة عليهم والكآبة لم تزل زائدة، نعم ربما نفع البكاء بعض عصاة الموحدين دون أهل الشرك الملحدين، ففي الترمذي بإسناد ضعيف عن أبي هريرة رضي الله عنه أن

---

(١) رواه البخاري رقم ٤٧٣٠ بزيادة «وكلهم قد رآه» بعد قولهم «نعم هذا الموت» في الموضعين، ورواه مسلم رقم ٢٨٤٩ واللفظ له.

(٢) الترمذي (٥/ ٣١٥) رقم ٣١٥٦ وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) البخاري رقم ٦٥٤٨، ومسلم رقم ٢٨٥٠ .

رسول الله ﷺ قال: «إن رجلين ممن دخل النار اشتد صياحهما، فقال الرب عز وجل: أخرجوهما، فلما خرجا قال لهما: لأي شيء اشتد صياحكما؟ قالا: فعلنا ذلك لترحمنا، قال: رحمتي لكما أن تنطلقا فتلقيا أنفسكما حيث كنتما من النار، قال: فينطلقان، فيلقي أحدهما نفسه فيجعلها عليه برداً وسلاماً، ويقوم الآخر فلا يلقي نفسه، فيقول الرب عز وجل: ما منعك أن تلقي نفسك كما ألقى صاحبك؟ فيقول: إني لأرجو أن لا تعيدني فيها بعدما أخرجتني، فيقول الله عز وجل: لك رجاؤك، فيدخلان الجنة جميعاً برحمة الله عز وجل»(١).

وفي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يخرج من النار أربعة، فيعرضون على الله عز وجل، فيلتفت أحدهم فيقول: أي رب إذ أخرجتني منها فلا تُعدني (فيها)(٢) فينجيه الله منها»(٣).

وعند ابن حبان في صحيحه: «فيلتفت فيقول: يا رب ما كان هذا رجائي فيك، فيقول: وما كان رجاؤك فيَّ؟ قال: كان رجائي إذ أخرجتني منها أن لا تعيدني فيها، فيرحمه الله فيدخله الجنة»(٤).

* * *

---

(١) رواه الترمذي (٤/ ٧١٤) رقم ٢٥٩٩ وقال: إسناد هذا الحديث ضعيف، وابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله (٦٨) رقم ٥٩ .
(٢) ليست بالأصل.
(٣) رواه مسلم رقم ١٩٢ .
(٤) رواه ابن حبان في صحيحه (٢/ ٤٠٠) رقم ٦٣٢ .

فصل

في نداء أهل النار أهل الجنة وأهل الجنة أهل النار وكلام بعضهم بعضاً، وهذا من جملة أنواع عذاب أهل النار، قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ﴾ . الآيات إلى قوله: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: ٤٤-٥٠]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: ينادي الرجل أخاه: إني قد احترقت فأفض علي من الماء، فيقال: أجبه، فيقول: «إن الله حرمهما على الكافرين» وقال أبو بكر بن عبدالله: ينادون يعني- أهل النار- أهل الجنة: أن يا أهل الجنة فلا يجيبونهم ما شاء الله، ثم يقال: أجيبوهم وقد قطع الرحم والرحمة، فيقول أهل الجنة: يا أهل النار عليكم لعنة الله، يا أهل النار عليكم غضب الله، يا أهل النار لا لبيكم ولا سعديكم ماذا تقولون؟ فيقولون: ألم نكن في الدنيا آباءكم وأبناءكم وإخوانكم وعشيرتكم؟ فيقولون: بلى، فيقولون: أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله، قالوا: إن الله حرمهما على الكافرين.

وأخرج ابن أبي الدنيا والضياء كلاهما في «صفة النار» عن زيد بن ربيع رفعه «أن أهل النار إذا دخلوا النار بكوا الدموع زمانا، ثم بكوا القيح زمانا، فيقول لهم الخزنة: يا معاشر الأشقياء تركتم البكاء في الدنيا هل تجدونه اليوم من تسغيثون به؟ فيرفعون أصواتهم يا أهل الجنة يا معاشر الآباء والأمهات والأولاد، خرجنا من القبور عطاشا، وكنا طول الموقف عطاشا، ونحن اليوم عطاشا، فأفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله،

فيدعون أربعين سنة، ثم يجيبهم: إنكم ماكثون، فييأسون من كل خير[١].

وتقدم الكلام على قوله: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [الصافات: ٢٧]. والله تعالى الموفق.

* * *

(١) رواه ابن أبي الدنيا في صفة النار (١٣١) رقم ٢١١ وذكره ابن كثير في التفسير (٢/ ٤٩٦) وسكت عنه، والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٥٧).

الباب التاسع

في ذكر خزنة جهنم وزبانيتها

قال تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (٣٠) وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ الآيات [المدثر: ٣٠-٣١]، قال أبو العوام رحمه الله تعالى في قوله: تسعة عشر ما تقولون تسعة عشر ملكاً؟ فقيل: بل تسعة عشر ألفاً، قال: ومن أين علم ذلك؟ قيل لأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً﴾. قال أبو العوام: صدقتم، وبيد كل واحد منهم مرزبة من حديد، لها شعبتان، فيضرب بها الضربة يهوي بها سبعين خريفاً، بين منكبي كل ملك منهم مسيرة كذا وكذا.

قال الحافظ ابن رجب: فعلى قول أبي العوام ومن وافقه: الفتنة للكفار جاءت من قبل العدد الموهم للقلة، حيث لم يذكر المميز له ويشبه هذا ما روى سعيد بن بشير عن قتادة في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ أي من كثرتهم.

وروي عن عكرمة أنه قال: إن أول من وصل من أهل النار إلى النار وجدوا على الباب أربعمائة ألف من خزنة جهنم، مسودة وجوههم، كالحة أنيابهم، قد نزع الله الرحمة من قلوبهم، ليس في قلب واحد منهم مثقال ذرة من الرحمة، لو طار الطائر من منكب أحدهم لطار شهرين قبل أن يبلغ منكبه الآخر، ثم يجدون على الباب التسعة عشر، عرض صدر أحدهم سبعون خريفاً، ثم يهوون من باب إلى باب خمسمائة سنة، حتى يأتوا الباب، ثم يجدون على كل باب منها من الخزنة مثل ما وجدوا على الباب الأول، حتى ينتهوا إلى آخرها، خرجه ابن أبي حاتم وفيه الحكم بن أبان فيه ضعف.

قال الحافظ: وهذا يدل على أن كل باب من أبوابها عليه تسعة عشر خازناً، هم رؤساء الخزنة، وتحت يد كل واحد أربعمائة ألف، قال: والمشهور بين السلف والخلف أن الفتنة إنما جاءت من حيث عدد الملائكة الذين اغتر الكفار بقلتهم، وظنوا أنهم يمكنهم مدافعتهم وممانعتهم، ولم يعلموا أن كل واحد من الملائكة لا يمكن البشر كلهم مقاومته، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾.

قال في البغوي: على النار تسعة عشر من الملائكة، وهم خزنتها، مالك ومعه ثمانية عشر، جاء في الأثر أعينهم كالبرق الخاطف، وأنيابهم كالصياصي، يخرج لهب النار من أفواههم، ما بين منكبي أحدهم مسيرة سنة، نزعت منهم الرحمة، يرفع أحدهم سبعين ألفا فيرميهم حيث أراد من جهنم.

قال عمرو ابن دينار: إن واحداً منهم يدفع بالدفعة الواحدة في جهنم أكثر من ربيعة ومضر. قال في البغوي أيضاً: وقال ابن عباس وقتادة والضحاك ونقله ابن رجب الحافظ في «التخويف»: لما نزلت هذه الآية قال أبو جهل لقريش: ثكلتكم أمهاتكم، أسمع ابن أبي كبشة يخبر أن خزنة النار تسعة عشر أنتم الدهم- أي الشجعان - أفيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا بواحد من خزنة جهنم؟ قال أبو الأشد ابن كَلْدَة بن خلف الجمحي: أنا أكفيكم منهم سبعة عشر، عشرة على ظهري وسبعة على بطني، فاكفوني أنتم اثنين، روي أنه قال أنا أمشي بين أيديكم على الصراط فأدفع عشرة بمنكبي الأيمن، وتسعة بمنكبي الأيسر في النار ونمضي ندخل الجنة، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾ لا رجالًا آدميين، فمن ذا يغلب الملائكة؟

﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ﴾ أي عددهم في القلة ﴿إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي

ضلالة لهم حتى قالوا ما قالوا: ﴿لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ لأنه مكتوب في التوراة والإنجيل أنهم تسعة عشر ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ من أهل الكتاب ﴿إيمانا﴾ تصديقاً لمحمد ﷺ، إذ وجدوا ما قال موافقاً لما في كتبهم ﴿وَلَا يَرْتَابَ﴾ لا يشك ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ في عددهم: ﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ شك ونفاق ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ﴾ مشركوا مكة ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ أي شيء أراد الله بهذا الحديث، وأراد بالمثل الحديث نفسه ﴿كذلك﴾ أي كما أضل الله من أنكر عدد الخزنة وهدى من صدق ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١]. قال مقاتل: هذا جواب أبي جهل حين قال: أما لمحمد ﷺ أعوان إلا تسعة عشر؟ قال عطاء: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ يعني من الملائكة الذين خلقهم لتعذيب أهل النار، لا يعلم عدتهم إلا الله، والمعنى أن تسعة عشرهم خزنة النار، ولهم من الأعوان والجنود من الملائكة ما لا يعلمهم إلا الله عز وجل. انتهى كلام البغوي.

وفي حديث عن أنس رضي الله عنه يرفعه: «**والذي نفسي بيده خلقت ملائكة جهنم قبل أن تخلق جهنم بألف عام، فهم كل يوم يزدادون قوة إلى قوتهم، حتى يقبضوا على من قبضوا عليه بالنواصي والأقدام**»[1].

وقال أبو عمران الجوني: بلغنا أن خزنة جهنم تسعة عشر، ما بين منكبي أحدهم مسيرة خريف، ليس في قلوبهم رحمة، إنما خلقوا للعذاب، يضرب الملك منهم الرجل فيتركه طحيناً من لدن قرنة إلى قدمه. فنسأل الله سبحانه التوفيق والهداية والتحقيق والعناية وأن يعافيني من بلاء الدنيا وعذاب الآخرة، بمنه وكرمه وجوده وحلمه.

* * *

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٧٠٥) وعزاه إلى ابن مردويه والضياء المقدسي في صفة النار، وذكره كذلك الألوسي في روح المعاني (٢٧/ ١١٥).

الباب العاشر

في ذكر حال الموحدين في النار، وخروجهم منها برحمة أرحم الراحمين وشفاعة الشافعين وفي أكثر أهل النار وأصنافهم

أما حال الموحدين في النار ودخولهم دار البوار، فقد تقدم في الأحاديث الصحيحة والأخبار الصريحة أن الموحدين يمرون على الصراط فينجو منهم من ينجو ويقع من يقع، فإذا دخل أهل الجنة الجنة فقدوا من وقع في النار من إخوانهم، فابتهلوا يسألون الحق جل جلاله ويتشفعون إليه فيهم ويحاجون عنهم، واعلم أن ذلك لأمر أراده الله سبحانه وارتضاه، وإلَّا فـ ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥] إذا علمت ذلك فأخرج البخاري ومسلم واللفظ له عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال في حديث تقدم في المحشر وفيه: «.. **حتى إذا خلص المؤمنون من النار، فوالذي نفسي بيده ما من أحد منكم بأشد مناشدة لله تعالى في استيفاء الحق من المؤمنين لله تعالى يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار، يقولون:** ربنا **كانوا يصومون ويصلون معنا ويحجون، فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم، فتُحَرَّم صورهم على النار، فيخرجون خلقاً كثيراً، قد أخذت النار إلى أنصاف ساقيه وإلى ركبتيه، فيقولون: ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا به، فيقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقاً كثيراً، ثم يقولون: ربنا لم نذر ممن أمرتنا به، فيقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقاً كثيراً ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحداً، ثم**

يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقاً كثيراً، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها خيراً، وكان أبو سعيد يقول: إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرأوا إن شئتم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠] **فيقول الله عز وجل: شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار فيخرج بها قوماً لم يعملوا خيراً قط، قد عادوا - أي صاروا- حمماً- أي فحما - فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة، يقال له نهر الحياة، فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل»**[١] الحديث. قال الحافظ ابن رجب: والمراد بقوله ﷺ **«لم يعملوا خيرا قط»** من أعمال الجوارح وإن كان أصل التوحيد معهم، ولهذا جاء في حديث الذي **«أمر أهله أن يحرقوه بعد موته بالنار أنه لم يعمل خيراً قط غير التوحيد»**[٢]، خرجه الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً وعن ابن مسعود موقوفاً، ويشهد له ما جاء في حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً فأقول: **«يا رب ائذن لي فيمن قال: لا إله إلا الله فيقول: وعزتي وجلالي وعظمتي وكبريائي، لأخرجن من النار من قال لا إله إلا الله»**[٣] متفق عليه، وعند مسلم فيقول: **«ليس ذلك لك أو ليس ذلك إليك»**[٤].

وهذا يدل على أن الذين يخرجهم الله سبحانه برحمته من غير شفاعة مخلوق هم أهل كلمة التوحيد، الذين لم يعملوا معها خيراً قط بجوارحهم.

---

(١) رواه البخاري رقم ٧٤٣٩، ومسلم رقم ١٨٣ .

(٢) رواه أحمد (٢/ ٢٠٤) رقم ٨٠٢٧ من حديث أبي هريرة مرفوعاً، و(١/ ٣٩٨) رقم ٣٧٨٥ من حديث ابن مسعود موقوفاً، وله شواهد في الصحيحين.

(٣) جزء من حديث رواه البخاري رقم ٧٥١٠، ومسلم رقم ١٩٣ .

(٤) مسلم الحديث السابق.

وخرج الحاكم بسند صحيح عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ وفيه: **«فإذا فرغ الله سبحانه من القضاء بين العباد، ويفقد المؤمنون رجالًا في الدنيا كانوا يصلون بصلاتهم، ويزكون زكاتهم، ويصومون صيامهم، ويحجون حجهم، ويغزون غزوهم، فيقولون: أي رب عباد من عبادك كانوا في الدنيا يصلون بصلاتنا، ويزكون زكاتنا، ويصومون صيامنا، ويحجون حجنا، ويغزون غزونا لا نراهم؟ قال الله عز وجل: اذهبوا إلى النار فمن وجدتموه فيها فأخرجوه، قال: فيخرجونهم وقد أخذتهم النار على قدر أعمالهم، فمنهم من أخذته إلى قدميه، ومنهم من أخذته إلى ركبتيه، ومنهم من أخذته إلى أُزْرَته، ومنهم من أخذته إلى ثدييه، ومنهم من أخذته إلى عنقه ولم تغش الوجوه، قال فيستخرجونهم، فيطرحون في ماء الحياة، قيل: يا نبي الله وما ماء الحياة؟ قال: غُسْلُ أهل الجنة، فينبتون فيها كما تنبت الزرعة في غثاء السيل، ثم يشفع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في كل من كان يشهد أن لا إله إلا الله مخلصاً، فيستخرجونهم منها، ثم يتحنن الله سبحانه برحمته على من فيها، فما يترك فيها عبدا في قلبه مثقال ذرة من الإيمان إلا أخرجه منها»**[1].

وخرجاه في الصحيحين عنه مرفوعاً بلفظ: **«يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ثم يقول الله عز وجل: أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، فيخرجون منها قد اسودوا، فيلقون في نهر الحيا أو الحياة بالشك من مالك، فينبتون كما تنبت الحبة في جانب السيل، ألم تر أنها تخرج صفراء ملتوية»**[2]، هذا لفظ البخاري، وعند مسلم **«فيخرجون**

---

(١) رواه الحاكم (٤/ ٦٢٨) رقم ٨٧٣٨ وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وأحمد (٣/ ١١) رقم ١١٩٦ .

(٢) رواه البخاري رقم ٢٢ .

منها حمماً قد امتَحَشُوا»[١]، قال في النهاية: أي احترقوا، والمحش احتراق الجلد وظهور العظم، ويروي امتُحِشُوا لما لم يسم فاعله، وقد محشته النار تمحشه محشاً. انتهى.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**يجمع الله الناس يوم القيامة..**» الحديث وفيه: «**حتى فرغ الله تعالى من القضاء بين العباد، وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار، أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك باللّه شيئاً ممن دخل النار، يعرفونهم بأثر السجود، تأكل النار من ابن آدم إلا أثر السجود، حرم اللّه على النار أن تأكل أثر السجود، فيخرجون من النار قد امَتَحشُوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون فيها كما تنبت الحِبَّةُ**- أي بكسر الحاء بزر البقول والرياحين، وقيل غير ذلك، وأما ما تفتح حاؤه فهو ما يبذر، ذكره الحافظ المنذري- **في حَمِيل السيل»**[٢] أي بفتح الحاء المهملة وكسر الميم هو الزَّبد وما يلقيه على شاطئه، ومثله الغُثاء، قال في النهاية: الغُثاء بالضم والمد ما يجيء فوق السيل مما يحمله من الزَّبدِ والوسخ وغيره، قال: وفي كتاب مسلم: «**كما تنبت الغثاءة»**[٣] يريد ما احتمله السيل من البزورات، ومنه حديث الحسن: هذا الغثاء الذي كنا نحدث عنه، يريد أراذل الناس وسقطتهم.

وخرج مسلم عن أبي سعيد ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال «**أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم، أو قال بخطاياهم فأماتهم الله إماته، حتى إذا كانوا فحماً أذن في**

---

(١) مسلم رقم ١٨٤ .
(٢) رواه البخاري رقم ٦٥٧٣، ومسلم رقم ١٨٢ .
(٣) رواه مسلم رقم ١٨٤ .

الشفاعة، فجيء بهم ضبائر ضبائر- أي جماعات في تفرقة، واحدتها ضَبَارة مثل عِمَارة وعَمَائر، وكل مجتمع ضَبَارة، وفي رواية أخرى «فيخرجون ضبارات ضبارات» هو جمع صحة للضَّبارة، والأول جمع تكسير ومنه الحديث: أتته الملائكة بحريرة فيها مسك ومن ضبائر الريحان قاله في النهاية- **فَبُثُّوا على أنهار الجنة، ثم قيل: يا أهل الجنة أفيضوا عليهم من الماء، فينبتون نبات الحبة في حميل السيل»**[(١)]. وظاهر هذا- كما قال الحافظ ابن رجب- يدل على أن هؤلاء يموتون حقيقة، وتفارق أرواحهم أجسادهم ويدل له ما خرجه البزار عن أبي هريرة ﷺ مرفوعاً: «**إن أدنى أهل الجنة حظاً أو نصيباً قوم يخرجهم الله تعالى من النار، فيرتاح لهم الرب تبارك وتعالى، وذلك أنهم كانوا لا يشركون بالله شيئاً، فينبذون بالعراء، فينبتون كما ينبت البقل، حتى إذا دخلت الأرواح أجسادهم فيقولون: ربنا كما أخرجتنا من النار ورجعت الأرواح إلى أجسادنا فاصرف وجوهنا عن النار، فيصرف وجوههم عن النار»**[(٢)].

قال الإمام القرطبي في (تذكرته) في قوله ﷺ: «فأماتهم الله إماتة» هذه الموتة للعصاة موتة حقيقية، لأنه أكدها بالمصدر، وذلك تكريماً لهم، حتى لا يحسوا ألم العذاب، قال: فإن قال قائل: فأي فائدة حينئذ في إدخالهم النار وهم لا يحسون بالعذاب؟ فالجواب يجوز أن يدخلهم تأديباً لهم وإن لم يذوقوا فيها العذاب، ويكون صرف نعيم الجنة مدة كونهم فيها عقوبة لهم كالمحبوسين في السجن، فإن السجن عقوبة لهم وإن لم يكن معه غل ولا قيد، قال: ويحتمل أنهم يعذبون أولًا وبعد ذلك يموتون،

---

(١) رواه مسلم رقم ١٨٥ .

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٥٥١) وعزاه لابن مردويه، والهيثمي (١٠/ ٧٤٠) رقم ١٨٦٦٧ وقال: رواه البزار ورجاله ثقات.

ويختلف حالهم في طول التعذيب بحسب جرائمهم وآثامهم، ويجوز أن يكونوا متألمين حالة موتهم، غير أن آلامهم أخف من آلام الكفار، لأن آلام الكفار المعذبين وهم موتى أخف من عذابهم وهم أحياء، دليله قوله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ إلى قوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥-٤٦]. فأخبر أن عذابهم إذا بعثوا أشد من عذابهم وهم موتى.

وقال في «مطامح الأفهام»: يجوز أن يريد بالإماتة المذكورة أنه أنامهم: وقد سمى الله سبحانه النوم وفاة، لأن فيه نوعاً من إعدام الحس، وفي الحديث المرفوع: «**إذا أدخل الله الموحدين النار أماتهم فيها، فإذا أرادوا أن يخرجوا منها أمسهم العذاب تلك الساعة**»[١]. وأنت خبير بأن كلام القرطبي مخالف لكلام صاحب «مطامح الأفهام، وأن الإماتة حقيقية على الصواب، سيما بما صرح به في الحديث الذي قدمناه من رجوع الروح إلى الأجساد.

واعلم أن كلام الإمام القرطبي فيه الغث والسمين، والحاصل الذي نعتمده مما ذكرنا أن الإماتة حقيقية، وأنا نقول: قد عذبوا عذاباً أليماً قبل الإماتة حتى ماتوا، وهل ماتوا إلا من شدة ما ذاقوا من العذاب والآلام والأوصاب، ولله في ذلك حِكَمٌ أخر يدق فهمها عن كثير من الناس، ولطائف لا يدركها عقل ولا قياس، فنسأله سبحانه التوفيق والهداية لأقوم طريق.

* * *

---

(١) ذكره الهندي في كنز العمال (١/ ٤٦) رقم ٢٤٠ وعزاه إلى مسند الفردوس، والألباني في السلسلة الضعيفة رقم ٢٠٢٨ وقال: موضوع.

فصل

وروى مسكين أبو فاطمة قال: حدثني اليمان بن يزيد عن محمد بن حِمْيرَ عن محمد بن علي عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن أصحاب الكبائر من موحدي الأمم كلها إذا ماتوا على كبائرهم غير نادمين ولا تائبين، من دخل النار منهم في الباب الأول من أبواب جهنم، لا تزرق أعينهم، ولا تسود وجوههم، ولا يقرنون بالشياطين، ولا يغلون بالسلاسل، ولا يجرعون الحميم، ولا يلبسون القطران في النار، حرم الله تعالى أجسامهم على الخلود من أجل التوحيد، وصورهم على النار من أجل السجود، منهم من تأخذه النار إلى قدميه، ومنهم من تأخذه النار إلى حُجْزَته، ومنهم من تأخذه النار إلى عنقه، على قدر ذنوبهم وأعمالهم، ومنهم من يمكث فيها شهراً ثم يخرج، ومنهم من يمكث فيها سنة ثم يخرج منها، وأطولهم فيها مكثاً بقدر الدنيا منذ يوم خلقت إلى أن تفنى، فإذا أراد الله تعالى أن يخرجوا منها قالت اليهود والنصارى ومن في النار من أهل الأديان والأوثان لمن في النار من أهل التوحيد: آمنتم بالله وكتبه ورسله، فنحن اليوم وأنتم في النار سواء، فيغضب الله تعالى لهم غضباً لم يغضبه لشيء مما مضى، فيخرجهم إلى عين في الجنة وهو قوله عز وجل: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر: ٢]**»[1]. خرجه ابن أبي حاتم وغيره، وخرجه الإسماعيلي مطولًا.

---

(١) ذكره ابن حجر في تهذيب التهذيب (٩/ ١١٨) وقال: قال الدارقطني: لا أعرف محمد إلا من هذا الحديث وهو منكر الحديث، وابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٩٤١) وقال: هذا حديث لا يصح وفيه جماعة مجاهيل، وانظر حكم المصنف عليه.

وقال الدارقطني في كتاب المختلف هو حديث منكر، واليمان مجهول، ومسكين ضعيف، ومحمد بن حمير لا أعرفه إلا في هذا الحديث، ذكره الحافظ ابن رجب.

وأخرج أبو نعيم والضياء عن كعب قال: يقول الله للزبانية: انطلقوا بالمصرين بالكبائر من أمة محمد إلى النار، فتأخذ الزبانية بلحى الرجال وذوائب النساء فتنطلق بهم إلى النار، وما من عبد يساق إلى النار من غير هذه الأمة إلا مُسْوَد وجهه، وقد وضعت الأنكال في قدميه، والأغلال في عنقه، إلا من هذه الأمة، فإنهم يساقون بألوانهم، فإذا وردوا على مالك قال لهم: من أي أمة أنتم فما وردت عليَّ أمة أحسن وجوها منكم؟ فيقولون: نحن من أمة القرآن، فينادَي: يا مالك لا تسود وجوههم، فقد كانوا يسجدون في دار الدنيا، يا مالك لا تغلهم بالأغلال فقد كانوا يغتسلون من الجنابة، يا مالك لا تقيدهم بالأنكال فقد طافوا حول البيت الحرام، يا مالك لا تلبسهم القطران فقد خلعوا ثيابهم للإحرام، يا مالك قل للنار تأخذهم على قدر أعمالهم فالنار أعرف بهم وبمقادير استحقاقهم من الوالدة بولدها، فمنهم من تأخذه إلى كعبه، ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه ومنهم من تأخذه إلى سرته، ومنهم من تأخذه إلى صدره.

وأخرج مسلم والحاكم عن سمرة بن جندب أن النبي ﷺ قال: «**إن من أهل النار من تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه إلى حجزته، ومنهم من تأخذه إلى ترقوته**»[1].

وخرج الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن عبدا في**

---

(١) رواه مسلم رقم ٢٨٤٥، والحاكم (٤/ ٦٢٩) رقم ٨٧٤٠ باختلاف يسير في بعض الألفاظ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

جهنم لينادي ألف سنة: يا حنان يا منان، فيقول الله عز وجل لجبريل عليه السلام: اذهب فأتني بعبدي هذا، فينطلق جبريل فيجد أهل النار منكبين، فيرجع إلى الله عز وجل فيخبره، فيقول ائتني به، فإنه في مكان كذا وكذا، فيجيء به فيقفه على ربه فيقول: يا عبدي كيف وجدت مكانك؟ فيقول: يا رب شر مكان وشر مقيل، فيقول: ردوا عبدي، فيقول: يا رب ما كنت أرجو إذا أخرجتني منها أن تعيدني، فيقول (دعوا)[1] عبدي»[2]. وفيه أبو ظِلال واسمه هلال قال الحافظ ابن رجب ضعفوه.

قلت: أورده الإمام ابن الجوزي في (الموضوعات) وهو تساهل منه، ومن ثم تعقبه الجلال السيوطي والحافظ ابن حجر العسقلاني في «القول المسدد في الذب عن مسند الإمام أحمد»، وقد أخرجه الإمام أحمد وابن خزيمة في صحيحه، والبيهقي في «الأسماء والصفات»، وقال الحافظ ابن حجر في «القول المسدد» أبو ظلال علق له البخاري حديثاً وقال فيه: مقارب الحديث، وحسن له الترمذي بعض حديثه، وله شاهد من حديث الحسن أخرجه الآجري في آخر الإفك، وبما ذكرنا علم أن ذكر الإمام ابن الجوزي هذا الحديث في الموضوعات ليس بصواب، والله أعلم.

وقوله: «ما كنت أرجو إذ أخرجتني منها أن تردني، فيقول: ردوا عبدي»: أي من أخذكم له إلى النار إلى الجنة، أي ردوه إلى الجنة، لأنه ترجاني فظن بي خيراً، وأنا عند ظن عبدي بي.

---

(١) في الأصل (ردوا) والمثبت لفظ الحديث.

(٢) رواه أحمد (٣/ ٢٣٠) رقم ١٣٤٣٥، وأبو يعلى في مسنده (٧/ ٢١٤) رقم ٤٢١٠، وابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله/ ١٠٤) رقم ١١٠، والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ٢٩٢) رقم ٣٢٠، وذكره الهيثمي (١٠/ ٦٩٩) رقم ١٨٥٥٩ وقال: رواه أحمد وأبو يعلى ورجالهما رجال الصحيح غير أبي ظلال وضعفه الجمهور ووثقه ابن حبان.

وقال الحافظ ابن رجب في «التخويف»: روينا من طريق محمد بن معاوية عن الحسن قال: أهل التوحيد في النار لا يقيدون، فتقول الخزنة بعضهم لبعض: ما بال هؤلاء يقيدون وهؤلاء لا يقيدون؟ فناداهم مناد: إن هؤلاء كانوا يمشون في ظلام الليل إلى المساجد.

وعن الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: يخرج رجل من النار بعد ألف سنة. قال الحسن: ليتني ذلك الرجل. وقال أحمد بن أبي الحواري: دخلت على أبي سليمان وهو يبكي، فقلت: ما يبكيك؟ قال: لئن طالبني بذنوبي لأطالبنه بعفوه، ولئن طالبني ببخلي لأطالبنه بجوده، ولئن أدخلني النار لأخبرن أهل النار أني كنت أحبه، ثم أنشد يقول:

ما أطيب وصله وما أعذبه ... ما أثقل هجره وما أصعبه

في السخط وفي الرضى فما أهيبه ... القلب يحبه وإن عذبه

* * *

فصل
في حسن الظن بالله تعالى

روى ابن أبي الدنيا عن علي بن بكار رحمه الله تعالى أنه سئل عن حسن الظن بالله تعالى قال: أن لا يجمعك والفجار دار واحدة. ودعا رجل بعرفات فقال: لا تعذبنا بالنار بعد أن أسكنت توحيدك قلوبنا ثم بكى، وقال: ما أخالك تفعل بعفوك، ثم بكى وقال: ولئن عذبتنا بذنوبنا (لا تجمعن)[1] بيننا وبين أقوام طالما عاديناهم فيك.

وقال إبراهيم عليه السلام: اللهم لا تشمت من كان يشرك بك بمن كان لا يشرك بك.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن [أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه][2] كان إذا تلا هذه الآية: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ [النحل:٣٨] قال: ونحن نقسم بالله جهد أيماننا ليبعثن الله من يموت، أتراك تجمع بي القَسَمين في دار واحدة، ثم بكى أبو حفص الصيرفي بكاءً شديداً.

وأخرج أبو نعيم عن عون بن عبدالله أنه قال: ما كان الله لينقذنا من شيء ثم يعيدنا فيه ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ [آل عمران:١٠٣] وما كان الله ليجمع أهل القَسَمين في النار ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ

---

(١) في الأصل (لتجمعن) والمثبت هو الموافق للمعنى والسياق.

(٢) هكذا بالأصل، والذي رواه ابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله (٢٧) رقم ١٥ حدثني أبو حفص الصيرفي بلغني أن عمر بن ذر رحمه الله كان إذا... إلخ.

جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ [النحل: ٣٨]. ونحن نقسم بالله جهد أيماننا ليبعثن الله من يموت.

وقال ابن السماك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لما طلبني هارون الرشيد قال: تكلم وادع، فدعوت بدعاء فأعجبه، وقلت في دعائي: اللهم إنك قلت: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾. اللهم إنا نقسم باللّه جهد أيماننا لتبعثن من يموت، أفتراك يا رب تجمع بين أهل القَسَمين في مكان واحد؟ وهارون الرشيد يبكي.

* * *

فصل

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

وأخرج الشيخان أنه ﷺ قال مخبراً عن ذي العزة والجلال: «**أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه، إذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم**»(١).

وفي الحديث: «**إن لله مئة رحمة، كل رحمة منها تملأ طباق ما بين السماء والأرض، أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم، فبها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها تعطف الطير والوحش على أولادها، وأخر تسعة وتسعين رحمة، يرحم بها عباده يوم القيامة**»(٢)، رواه مسلم وغيره.

وفي الحديث: «**حسن الظن من العبادة**»(٣).

---

(١) رواه البخاري رقم ٧٤٠٥ وفيه «فإن ذكرني» بعد «ذكرني» الأولى، ومسلم رقم ٢٦٧٥ وفيه «حين يذكرني» بدل «إذا ذكرني». من حديث أبي هريرة.

(٢) روى مسلم رقم ٢٧٥٢ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن للَّه مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام، فبها يتعاطفون وبها يتراحمون، وبها تعطف الوحش على ولدها، وأخر اللَّه تسعاً وتسعين رحمة يرحم اللَّه بها عباده يوم القيامة» وروى نحوه رقم ٢٧٥٣، وابن حبان في صحيحه (١٤/ ١٤) رقم ٦١٤٦ .

(٣) رواه أبو داود (٢/ ٧١٦) رقم ٤٩٩٣ بلفظ: «حسن الظن من حسن العبادة» وأحمد (٢/ ٢٩٧) رقم ٧٩٤٣، و(٣٠٤) رقم ٨٠٢٣، وابن حبان في صحيحه (٢/ ٣٩٩) رقم ٦٣١ بلفظ «في» بدل «من»، والحاكم بلفظ «إن حسن الظن باللَّه تعالى من عبادة اللَّه» (٤/ ٢٦٩) رقم ٧٦٠٤ وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، كلهم من حديث أبي هريرة.

وقال ﷺ قبل موته بثلاثة أيام: «**لا يموتن أحدكم إلا وهو حسن الظن بالله**»(١)، وتقدم، وتقدم أيضاً قوله ﷺ: «**إن شئتم أنبأتكم ما أول ما يقول الله عز وجل للمؤمنين؟ قالوا نعم، قال: إن الله يقول للمؤمنين: هل أحببتم لقائي؟ فيقولون: نعم يا ربنا، فيقول: لم؟ فيقولون: رجونا عفوك ومغفرتك، فيقول: قد وجبت لكم مغفرتي ورحمتي**»(٢).

وخرج البيهقي «**أن الله عز وجل أمر بعبد إلى النار، فلما وقف على شفتها التفت، فقال: أما والله يا رب إن كان ظني بك لحسن، فقال الله عز وجل: ردوه أنا عند ظن عبدي بي**»(٣).

وفي الصحيح «**أن رسول الله ﷺ سأل الله تعالى أمته وبكى، فقال الله عز وجل: يا جبريل اذهب إلى محمد فقل له سنرضيك في أمتك ولا نسوءك**»(٤).

وقال ﷺ «**إذا كان يوم القيامة وفرغ الله من قضاء الخلق فيبقى رجلان، فيؤمر بهما إلى النار، فيلتفت أحدهما، فيقول الجبار تبارك اسمه:**

---

(١) رواه مسلم رقم ٢٨٧٧ بلفظ «يحسن»، وأحمد (٣/ ٣٢٥) رقم ١٤٥٢١ بلفظ «بربه» من حديث جابر.

(٢) رواه أحمد (٥/ ٢٣٨) رقم ٢٢١٢٥، والطبراني في الكبير (٢٠/ ١٢٥) رقم ٢٥١، وابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله (٢٣) رقم ١٠ عن معاذ، وذكره الهيثمي (٣/ ٦٢) رقم ٣٩٠٣ بأكثر من طريق حسّن أحدهما، في (١٠/ ٦٤٩) رقم ١٨٤٣٩ وقال: رواه الطبراني بسندين أحدهما حسن.

(٣) جزء من حديث رواه البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٩) رقم ١٠١٥، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ١٣٦) رقم ٥١٣٢ وقال: رواه البيهقي عن رجل من ولد عبادة ابن الصامت لم يسمه عن أبي هريرة، وذكره العجلوني في كشف الخفا (١/ ٢٣٣) عند إيراده لحديث رقم ٦١٣، وذكر له شواهد في الصحيح.

(٤) جزء من حديث رواه مسلم رقم ٢٠٢ عن عبد الله بن عمرو، وابن حبان في صحيحه (١٦/ ٢١٦) رقم ٧٢٣٤، والنسائي في السنن الكبرى (٦/ ٣٧٣) رقم ١١٢٦٩ .

ردوه، فقال له: لم تلتفت؟ فقال: كنت أرجو أن تدخلني الجنة، قال: [فيؤمر به إلى الجنة][(١)] فيقول: لقد أعطاني ربي حتى لو أطعمت أهل الجنة ما نقص ذلك مما عندي شيئاً»، خرجه ابن المبارك عن فضالة بن عبيد وعبادة ابن الصامت قالا: «وكان رسول الله ﷺ إذا ذكره يرى السرور في وجهه»[(٢)].

وروي عن مسلم بن يسار نحوه لكنه لم يرفعه كذا رأيته في الأصل الذي نقلت منه، وفيه طي إن لم يكن سقط من قلم النساخ، وفي ذكري أني رأيته في بعض الكتب أنه لما التفت وأمر برده وقال له ما قال. قال له: اذهبوا به إلى الجنة قال: وما أصنع وقد أخذ الناس منازلهم، فأعطاه اللّه ما أعطاه على ما تقدم في صفة الجنة، وأن الله أمر الملائكة برد الذي بادر إلى النار، فقال له تعالى: علام هذا البدار؟ أتدري أين أنت ذاهب؟ قال: نعم إلى النار وبادرت امتثالًا لأمرك يا رب، فغفر له سبحانه أو كلام هذا معناه[(٣)]. فنسأله سبحانه العفو والعافية وأن يعاملنا بإلطافه وكرمه وحلمه.

وفي الحديث أنه ﷺ قال: «والذي نفسي بيده ليغفرن الله يوم القيامة

---

(١) ما بين المعكوفتين ساقط من الأصل وأثبتناه من لفظ الحديث ليستقيم المعنى.

(٢) رواه ابن المبارك في الزهد (١٢٢) رقم ٤٠٩، وأحمد (٥/ ٣٢٩) رقم ٢٢٨٤٥، وفي (٦/ ٢١) رقم ٢٤٠١٠، وذكره الهيثمي (١٠/ ٦٩٨) رقم ١٨٥٥٧ وقال: رواه أحمد ورجاله وثقوا على ضعف في بعضهم.

(٣) انظر الحديث السابق.

(٤) لعله يشير إلى ما أخرجه أبو نعيم في الحلية (٥/ ٢٢٦) وابن أبي الدنيا في حسن الظن باللّه (٦٩) رقم ٦٠ عن بلال بن سعد موقوفاً «يؤمر بإخراج رجلين من النار، فإذا خرجا ووقفا قال اللّه لهما: كيف وجدتما مقيكلما وسوء مصيركما؟ فيقولون: شر مقيل وأسوأ مصير صار إليه العباد، فيقول لهما: بما قدمت أيديكما وما أنا ظلام للعبد، قال: فيأمر بصرفهما إلى النار، فأما أحدهما فيعدو في أغلاله وسلاسلة حتى يقتحمها، وأما الآخر فيمضي وهو يتلفت» إلى آخره.

مغفرة ما خطرت على قلب بشر، والذي نفس محمد بيده ليغفرن الله مغفرة يتطاول لها إبليس رجاء أن تصيبه»(١).

وقال إبراهيم بن أدهم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: خلا لي الطواف ليلة فصرت أطوف بالبيت وأقول: اللهم اعصمني، فهتف بي هاتف فقال: يا إبراهيم كلكم تسألون الله العصمة، فإذا عصمكم فعلى من يتكرم.

وقال يعقوب القاريُّ: رأيت في المنام أويس القرني فقلت: أوصني قال: ابتغ رحمة الله عند محنته، واحذر نقمته عند معصيته، ولا تقطع رجاءك في خلال ذلك.

وقال مالك بن دينار: رأيت مسلم بن يسار بعد موته في المنام فقلت له: ما لقيت بعد الموت؟ قال: لقيت- والله - أهوالًا عظاماً شداداً قلت: فما كان بعد ذلك؟ قال: وما تراه أن يكون من الكريم إلا الكرم، قبل منا الحسنات، وعفىٰ لنا عن السيئات، وضمن عنا التبعات، ثم شهق ابن دينار شهقة وسقط مغشياً عليه، ثم مات بعد أيام، وكانوا يرون أن قلبه انصدع.

ونظر أعرابي إلى الناس وهم وقوف بعرفة المشرفة فأنشد يقول:

برزوا لوجهك يا كريم بدعوة ... ألفاظها شتى بمعنى مفرد
فاسمح بمغفرة تكون لجمعنا ... زادا إليك غداة يوم المشهد

تنبيه: وثم نكتة لابد من التنبيه عليها وهي: أن كثيراً من الجهال اعتمدوا

---

(١) جزء من حديث رواه الطبراني في الأوسط (٥/ ٢٥٠) رقم ٥٢٢٧ من حديث حذيفة وفي الكبير آخره فقط (٣/ ١٦٨) رقم ٣٠٢٢، وذكره الهيثمي (١٠/ ٣٦٤) رقم ١٧٦٣٢ وقال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفي إسناد الكبير سعد بن طالب أبو غيلان وثقه أبو زرعة وابن حبان وفيه ضعف وبقية رجال الكبير ثقات.

علي سعة رحمة الله الكبير المتعال، وعطلوا أمره ونهيه، وتركوا الأعمال، وارتكبوا المحارم، وقالوا: الله هو الراحم، ونسوا المساكين قوله: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٩٨]. وأنه ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٧]. و﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [إبراهيم: ٤٧].

قال الإمام المحقق ابن القيم في كتابه «الداء والدواء»: من اعتمد على العفو مع الإصرار فهو كالمعاند، قال معروف: رجاؤك لرحمة من لا تطيعه من الخذلان والحمق، وقال بعض العلماء: من قطع عضوا منك في الدنيا بسرقة ثلاثة دراهم لا تأمن أن تكون عقوبته في الآخرة على نحو هذا.

وكثير من الناس لم يفرقوا بين الرجاء والتمني، والفرق أن الرجاء يكون مع بذل الجهد واستفراغ الطاقة في الإتيان بأسباب الظفر والفوز، والتمني حديث النفس بحصول ذلك مع تعطيل الأسباب الموصلة إليه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٨]. فطوى سبحانه بساط الرجاء إلا عن هؤلاء، وقال: المغترون الذين ضيعوا الأمر وارتكبوا نواهيه واتبعوا ما أسخطه وتجنبوا ما يرضيه، أولئك يرجون رحمته؟ وليس هذا ببدع من غرور النفس والشيطان لهم.

قال الإمام ابن القيم في كتابه «الروح الكبرى»: الرجاء لعبد قد امتلأ قلبه من الإيمان بالله واليوم الآخر، فمثل بين عينيه ما وعده الله من كرامته وجنته، فامتد القلب مائلًا إلى ذلك شوقاً إليه، وحرصاً عليه، فهو شبيه بالماد عنقه إلى مطلوب قد صار نصب عينيه، قال وعلامة الرجاء الصحيح أن الراجي لخوف فوت الجنة وذهاب حظه منها بترك ما يخاف أن يحول بينه وبين دخولها، وأما الأماني فإنها رؤوس أموال المفاليس، أخرجوها في

قالب الرجاء، وتلك أمانيهم، وهي تصدر من قلب تزاحمت عليه وساوس النفس، فأظلم من دخانها، فهو يستعمل قلبه في شهواتها، وكلما ما[(١)] فعل ذلك منَّته حسن العاقبة والنجاة، وأحالته على العفو والمغفرة والفضل، وأن الكريم لا يستوفي حقه، ولا تضره الذنوب، ولا تنقصه المغفرة، وتسمى ذلك رجاءً، وإنما هو وسواس وأماني باطلة، تقذف بها النفس إلى القلب الجاهل فيستروح إليها، قال تعالى: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٢٣].

فإذا قالت لك النفس: أنا في مقام الرجاء فطالبها بالبرهان، وقل هذا أمنية فهاتوا برهانكم إن كنتم صادقين، فالكيس يعمل أعمال البر على الطمع والرجاء، والأحمق العاجز يعطل أعمال البر ويتكل على الأماني التي يسميها رجاء.

والحاصل: أن حسن الظن إن حمل على العمل وحث عليه وساق إليه فهو صحيح ونافع، وإن دعا إلى البطالة والانهماك في المعاصي والانكباب على الضلالة، فهو غرور ضار مهلك لصاحبه وقاطع، وحسن الظن هو الرجاء، فمن كان رجاؤه حادياً له على الطاعة زاجراً له عن المعصية فهو رجاء صحيح، ومن كانت بطالته رجاء ورجاؤه بطالة وتفريطاً فهو المغرور، ذكره في «الداء والدواء» وقال: لو أن رجلا له أرض يؤمل أن يعود عليه من مغَلِّها ما ينفعه، فأهملها ولم يبذرها ولم يحرثها، وحسن ظنه بأنه يأتي من مغلها ما يأتي ممن حرث وبذر وسقى وتعاهد الأرض، لعده الناس من أسفه السفهاء، وكذلك لو حسن ظنه وقوي رجاؤه بأنه يجيئه ولد من غير جماع، أو يصير أعلم أهل زمانه من غير طلب للعلم وحرص تام

---

(١) في حاشية الأصل/ تأمل هنا تكرار (ما) مرتين.

عليه وأمثال ذلك، فكذلك من حسن ظنه وقوي رجاؤه في الفوز بالدرجات العلا والنعيم المقيم، من غير طاعة ولا تقرب إلى الله تعالى بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وبالله التوفيق.

ثم قال: ومما ينبغي أن يعلم أن من رجا شيئاً استلزم رجاؤه أموراً أحدها: محبة ما يرجوه، الثاني: خوفه من فواته، الثالث: سعيه في تحصيله بحسب الإمكان، وأما رجاء لا يقارنه شيء من ذلك فهو من باب الأماني، والرجاء شيء والأماني شيء، فكل راج خائف، والسائر على الطريق إذا خاف أسرع مخافة الفوات.

وأخرج الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «**من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة**»[1].

وهو سبحانه إنما جعل الرجاء لأهل الأعمال، فعلم أن الرجاء والخوف إنما ينفع إذا حث صاحبه على طاعة مولاه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧-٦١].

وأخرج الترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية فقلت: «**أهم الذين يشربون الخمر ويزنون ويسرقون؟ فقال: لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون ويخافون ألا يقبل منهم أولئك يسارعون في الخيرات**»[2].

---

(١) رواه الترمذي (٤/ ٦٣٣) رقم ٢٤٥٠ وقال: هذا حديث حسن غريب، والحاكم (٤/ ٣٤٣) رقم ٧٨٥١ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) رواه الترمذي (٥/ ٣٢٧) رقم ٣١٧٥، والحاكم (٢/ ٤٢٧) رقم ٣٤٨٦ باختلاف يسير وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

ولا جرم أن من تأمل أحوال السلف الصالح وتتبع سيرهم علم أن أكثر الناس أعمالًا وقرباً منه سبحانه أكثرهم خوفاً، وهذا لا ينازع فيه إلا مكابر، فقد أخبر النبي ﷺ أنه أشد الناس خوفاً[(١)].

وهذا الصديق رضي الله عنه يقول: وددت أني شعرة في جنب عبد مؤمن، ذكره عنه الإمام أحمد، وذكر عنه أيضاً أنه كان يمسك لسانه ويقول: هذا أوردني الموارد.

ولعمري إنه أورده الموارد المحمودة والمواطن المشهودة، فيا مغترا ألا تتأمل؟ من قطع له بالجنة، ومدحه في الكتاب العزيز من الجبار، حيث يقول: ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ﴾ [التوبة: ٤٠]. ومع هذا كان يبكي كثيراً ويقول: ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا، وكان إذا قام إلى الصلاة كأنه عود من خشية الله، وهذا الفاروق قرأ يوماً: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ﴾ [الطور: ٧-٨]. فبكى حتى مرض وعادوه، وقال لولده في مرض موته: ويحك ضع خدي على الأرض عساه يرحمني، ثم قال: ويل أمي إن لم يغفر لي ثلاثاً، ثم قضى رضي الله عنه، مع ما فتح الله على يده من الفتوحات العظيمة، وما كان عليه من الخيرات الجسيمة، وهذا عثمان كان إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته، وقال: لو أنني بين الجنة والنار لا أدري إلى أيتهما يؤمر بي لاخترت أن أكون رماداً قبل أن أعلم إلى أيتهما أصير.

وهذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه كان شديد الخوف، وكان يخاف كثيراً من طول الأمل واتباع الهوى، وحاشاه[(٢)] ثم حاشاه[(٢)]

---

(١) لعله يشير إلى ما أخرجه مسلم رقم ١١٠٨ عن عمر بن أبي سلمة «أما والله إني لأتقاكم لله وأخشاكم له».

(٢) في الأصل (حشاه) وفي الحاشية/ قوله (وحشاه) لعله (وحاشاه) بألف بين الحاء والشين، لأنه ليس معناهما واحد، فتأمل.

من ذلك، وجميع أكابر الصحابة على هذا المنوال، يخافون بلا قنوط، والمقصود أن من زعم أنه حسن الظن بالله مع انهماكه باللذات وانكبابه على المعاصي والشبهات وإعراضه عن الأوامر والطاعات، فهو من الحمق على جانب عظيم، وليس الذي هو عليه إلا غرورا وأماني وسفها، وبالله التوفيق.

وينبغي لذي اللُّب الحازم إذا عرض له أمر وزنه بميزان الشرع، فإنه لا يخلو من أن يكون مأموراً به فليتبعه، أو منهياً عنه فليجتنبه، فإن حدثته نفسه بعكس ذلك فليجاهدها، فإن غلبت عليه حتى وقع في المحذور فليستدرك التوبة، وليرجع إلى مولاه فإن أبت إلا الثبوت على ذلك فليذكرها هاذم اللذات ومفرق الجماعات، وليتفكر فيما يؤول إليه، وليستحضر نظر مولاه إليه، والوقوف بين يديه، وليتصور العرض عليه، وليعرض لذة المعصية على خزيها، ويتصور انفضاحه على رؤوس الأشهاد في يوم التناد، وكيف حاله إذا قرب المولى أقرانه وأبعد مكانه، ما حاله في تلك الساعة؟ وما سقط في يده من فوات تلك البضاعة، وما آل إليه من الفضيحة والفضاعة، قال الإمام ابن الجوزي في كتابه «صيد الخاطر»: تأملت شهوات الدنيا فرأيتها مصايد هلاك، وفخوخ تلف، فمن قوي عقله على طبعه وحكم عليه سلم، ومن غلب طبعه فيا سرعة هلكته، فنسأل الله سبحانه العافية والتوفيق والهداية لأقوم طريق.

وهذا الفصل ذكرناه استطراداً لما ذكرنا حال الموحدين إذا دخلوا دار البوار، وحلوا في الباب الأول من النار، ولنرجع إلى المقصود، مستمدين العون من المعبود.

***

فصل

وأما أكثر أهل النار- أجارنا الله تعالى منها بمنه وكرمه- فالنساء، كما في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال في خطبة الكسوف: «**رأيت النار ورأيت أكثر أهلها النساء، لكفرهن، قيل أيكفرن بالله؟ قال: يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئاً قالت: ما رأيت منك خيراً قط**»(١).

وفي صحيح مسلم: «**اطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء**»(٢).

واعلم أن من يدخل النار من ذرية آدم أكثر ممن يدخل الجنة، ففي الصحيحين عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**يقول الله عز وجل يوم القيامة: يا آدم فيقول: لبيك ربنا وسعديك، فينادي بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار، قال: يا رب وما بعث النار؟ قال: من كل ألف أراه قال: تسعمائة وتسعة وتسعين، فحينئذ تضع الحامل، ويشيب الولد، وترى الناس سكاري وما هم بسكاري ولكن عذاب الله شديد، فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم، فقال النبي ﷺ: من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعون ومنكم واحد، ثم أنتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور الأبيض، أو كالشعرة البيضاء في جنب الثور الأسود، إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة، فكبرنا، ثم قال: ثلث أهل الجنة فكبرنا ثم قال: شطر أهل الجنة، فكبرنا**»(٣)، وتقدم هذا الحديث

---

(١) جزء من حديث رواه البخاري رقم ١٠٥٢، ومسلم رقم ٩٠٧ .

(٢) رواه مسلم رقم ٢٧٣٧ عن ابن عباس.

(٣) رواه البخاري رقم ٣٣٤٨، ٤٧٤١، ومسلم رقم ٢٢٢ .

بتمامه والله الموفق.

واعلم أيضاً أن الذين يدخلون النار من هذه الأمة أكثر من الذين يدخلون الجنة منها، من جملتهم المنافقون، وقد وردت الأخبار وطفحت الآثار بأن هذه الأمة ستفترق على بضع وسبعين فرقة، كلها في النار إلا فرقة واحدة وهم الذين على ما كان عليه المصطفى ﷺ وأصحابه، كما أخبر ﷺ[1]، بذلك صحت الأخبار ،وصرحت الآثار بذلك، مع الذين يقترفون الذنوب المتوعد عليها من الفرقة الناجية، غير أن الخلود مجتنب فلا يخلد فيها من أمة محمد أحد، اللهم إلا أن يكون منافقاً أو كافراً ببدعته.

فالحاصل: أنه يدخل النار من ذرية آدم خلق أكثر من الجنة، والذين يدخلون النار من أمة محمد أكثر من الذين يدخلون الجنة منهم، باعتبار الدخول الأول، وأكثر من يدخل النار من أمة محمد النساء، والله أعلم.

* * *

(١) يشير إلى حديث افتراق الأمة، رواه الترمذي (٥/ ٢٥) رقم ٢٦٤٠ وقال: حديث حسن صحيح، وأبو داود (٢/ ٦٠٨) رقم ٤٥٩٦، وابن ماجه (٢/ ١٣٢٢) رقم ٣٩٩٢، وأحمد (٣/ ١٤٥) رقم ١٢٥٠١ .

فصل

وأما صفات أهل النار وأصنافهم، ففي الصحيحين أنه ﷺ قال: «**ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف مستضعف، لو أقسم على الله لأبره، ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل جواظ مستكبر**»[1]. والعتل القوي، وقيل الفاجر، وفي رواية: «**لا يدخل الجنة جواظ ولا جعظري ولا العتل الزنيم، فقال رجل من المسلمين: ما الجواظ والجعظري والعتل الزنيم؟ فقال ﷺ: الجواظ: الذي جمع ومنع [تدعوه لظى]**[2] **نزاعة للشوي، وأما الجعظري: فالفظ الغليظ قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وأما العتل الزنيم فشديد الخلق**»[3]، الحديث، وقيل: الزنيم اللئيم، وفي النهاية العتل: الشديد الجافي، والفظ الغليظ من الناس، وكأنه مشتق من العتلة وهي عمود حديد يهدم به البناء، وقيل حديدة كبيرة يقلع بها الشجر والحجر، ومنه حديث هدم الكعبة: «فأخذ ابن مطيع العتلة»[4] انتهى ملخصا، وفي البغوي: العتل الغليظ الجافي، وقال الحسن: الفاحش الخلق السيء الخلق، وقال الفراء: شديد الخصومة في الباطل، وقال الكلبي: هو الشديد في كفره، وكل شديد عند العرب عتل، وأصله من العتل وهو الدفع بالعنف، وقال عبيد بن

---

(١) رواه البخاري رقم ٤٩١٨، ومسلم رقم ٢٨٥٣ بلفظ «متضعف» بدل «مستضعف» من حديث حارثة بن وهب.

(٢) ليست بالأصل وأثبتناها من لفظ الحديث.

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٢٤٧) وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر عن عبد الرحمن بن غنم.

(٤) رواه عبد الرزاق في مصنفه (٥/ ١٢٤) رقم ٩١٤٧ .

عمير: العتل الأكول الشروب القوي الشديد، لا يزن في الميزان شعيرة، يدفع الملك من أولئك سبعين ألفاً دفعة واحدة، قال البغوي: والزنيم هو الدعي الملحق بالقوم وليس منهم، وقيل: الزنيم الذي له زنمة كزنمة الشاة. قال الجوهري: الزنمة شيء يقطع من أذن البعير فيترك معلقاً، و اللّه أعلم.

وفي صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال في خطبته: «**وأهل النار خمسة: الضعيف الذي لا زبر**- أي لا عقل- **له الذين هم فيكم تبعاً، لا يبغون أهلًا ولا مالا، والخائن الذي لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانه، ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك، وذكر البخل والكذب والشنظير الفاحش**»(١)، فبين ﷺ أن أهل النار خمسة أصناف.

الأول الضعيف الذي لا زبر له - يعني بالزبر القوة والحرص على ما ينتفع به صاحبه في الآخرة من التقوى والعمل.

وخرج العقيلي عن أبي هريرة ﷺ مرفوعاً: «**إن الله تعالى يبغض المؤمن الذي لا زبر له، فقيل له أو يكون هذا؟ قال: نعم واللّه لقد أدركتهم في الجاهلية وإن الرجل ليرعى على الحي ما به إلا وليدتهم يطؤها**»(٢).

وهذا القسم - أعني الضعيف الذي لا زبر له - شر أقسام الناس، ونفوسهم ساقطة لأنه ليس لهم هم في طلب الدنيا ولا الآخرة، وإنما همة أحدهم شهوة البطن والفرج كيف اتفقتا له، فيخدم الناس لأجلهما.

الثاني الخائن الذي لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانه، يعني لا يقدر

---

(١) جزء من حديث رواه مسلم رقم ٢٨٦٥، وأحمد (٤/ ١٦٢) رقم ١٧٥١٩ .

(٢) أخرج العقيلي أوله (٤/ ٢٤٦) في ترجمة مسمع بن محمد الأشعري رقم ١٨٤١، قال: ولا يتابع عليه بهذا الإسناد، وأخرج آخره من أول «واللّه لقد أدركتهم» مسلم رقم ٢٨٦٥، وكذا ابن حبان (١٦/ ٥٢٥) رقم ٧٤٨٢، موقوفاً على عياض بن حمار، وذكره بطوله ابن رجب في التخويف من النار (٢٧٣) .

على خيانة ولو كانت تافهة إلا بادر واغتنمها، ويدخل في ذلك التطفيف في المكيال والميزان.

قلت: وكذا الخيانة في الصلاة بأن يسرق صلاته، بل هي أسوأ سرقة، أخرج الإمام أحمد والطبراني وابن خزيمة في صحيحه والحاكم وقال صحيح الإسناد عن أبي قتادة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته، قالوا: يا رسول الله كيف يسرق من صلاته؟ قال: لا يتم ركوعها ولا سجودها، أو قال: لا يقيم صلبه في الركوع والسجود**»[١].

وأخرج الطبراني في معاجمه الثلاثة بسند جيد عن عبدالله بن مغفل رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**أسرق الناس الذي يسرق صلاته، قيل: يا رسول الله كيف يسرق صلاته؟ قال: لا يتم ركوعها ولا سجودها، وأبخل الناس من يبخل بالسلام**»[٢]. وقد قال ﷺ: «**يا معشر المسلمين لا صلاة لمن لا يقيم صلبه في الركوع والسجود**»[٣] رواه الإمام أحمد وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما، وكذا الخيانة في الأمانات القليلة كالودائع وأموال اليتامى ونحو ذلك، وهذا من جملة خصال النفاق، نسأل اللّه العافية.

قال الحافظ ابن رجب: ربما دخل في الخيانة من خان اللّه ورسوله

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٥٦) رقم ١١٥٤٩، و(٥/ ٣١٠) رقم ٢٢٦٩٥، وابن خزيمة (١/ ٣٣١) رقم ٦٦٣، وابن حبان (٥/ ٢٠٩) رقم ١٨٨٨ عن أبي هريرة، والحاكم (١/ ٣٥٢) رقم ٨٣٥ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٣/ ٣٥٥) رقم ٣٣٩٢، وفي الصغير (١/ ٢٠٩) رقم ٣٣٥، ولم أقف عليه في الكبير، وذكره الهيثمي (٢/ ٣٠١) رقم ٢٧٢٢ وقال: رواه الطبراني في الثلاثة ورجاله ثقات.

(٣) جزء من حديث رواه أحمد (٤/ ٢٣) رقم ١٦٣٤٠، وابن ماجه (١/ ٢٨٢) رقم ٨٧١، وقال: في الزوائد إسناده صحيح ورجاله ثقات، وابن خزيمة (١/ ٣٠٠) رقم) رقم ٥٩٣ كلهم عن علي بن شيبان.

في ارتكاب المحارم سرا مع إظهار اجتنابها، قال بعض السلف: كنا نتحدث أن صاحب النار من لا تمنعه خشية الله من شيء خفي له.

الثالث المخادع: وهو من جملة المنافقين كما وصفهم الله تعالى بذلك، ومعناه إظهار الخير وإضمار الشر، لقصد التوصل إلى أموال الناس وأهاليهم والانتفاع بذلك والاستمتاع به، وذا من جملة المكر والحيل المحرمة، وفي حديث ابن مسعود ﵁ مرفوعاً: «**من غشنا فليس منا، والمكر والخداع في النار**»[1]. يعني صاحبهما.

الرابع: الكذب والبخل ولم يحفظ الراوي ما قال النبي ﷺ في هذا حفظاً جيداً. والكذب والبخل خصلتان، وفي مسند الإمام أحمد في هذا الحديث الكذب أو البخل بالشك، وقيل إنه عدهما واحداً، قاله مطر الوراق وهو أحد رواة هذا الحديث، وهما ينشآن عن الشح كما جاء ذلك في الأحاديث، والشح: هو شدة حرص الإنسان على ما ليس له من الوجوه المحرمة،وينشأ عنه البخل، وهو إمساك الإنسان ما في يده والامتناع من إخراجه في الوجوه التي أمر الله سبحانه أن يخرج فيها، وسمعت بعض أشياخي ذكر أن البخيل هو الذي يبخل بما في يده عن إخراجه منها، والشح شدة تقتير المرء على نفسه حرصاً على المال مع محبته وميله إليه، وسمعت بعضهم قال: الشح هو البخل بمال الغير.

والتحقيق في الفرق بين الشح والبخل: أن الشح هو شدة الحرص على الشيء والإحفاء في طلبه والاستقصاء في تحصيله، والبخل منع انفاقه

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه (٢/٣٢٦) رقم ٥٦٧، وفي (١٢/٣٦٩) رقم ٥٥٥٩، والطبراني في الكبير (١٠/١٣٨) رقم ١٠٢٣٤، وفي الصغير (٢/ ٣٧) رقم ٧٣٨ وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١٨٩، وذكره الهيثمي (٤/ ١٣٩) رقم ٦٣٤١ وقال: رواه الطبراني في الكبير والصغير ورجاله ثقات وفي عاصم بن بهدلة نزاع لسوء حفظه.

بعد حصوله وحبه وإمساكه، فهو شحيح قبل حصوله، بخيل بعد وصوله، فالبخل ثمرة الشح، والشح يدعو إلى البخل، والشح كامن في النفس، فمن بخل فقد أطاع شحه، ومن لم يبخل فقد عصى شحه ووقي شره، وذلك هو المفلح ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]. ذكره الإمام المحقق ابن القيم في كتابه: «الكلم الطيب»، وقال: جود المرء يحببه إلى أضداده، وبخله يبغضه إلى أولاده، ثم أنشد رحمة الله عليه:

ويظهر عيب المرء في الناس بخله ... ويستره عنهم جميعاً سخاؤه
تغط بأثواب السخاء فإنني ... أرى كل عيب والسخاء غطاؤه

والسخي قريب من اللّه ومن خلقه ومن أهله، والبخيل بعيد من اللّه ومن خلقه ومن أهله، والسخي قريب من الله قريب من الجنة بعيد من النار، والبخيل بعيد عن اللّه بعيد من خلقه بعيد من الجنة قريب من النار. روى البغوي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبداً**»(١).

قال الحافظ ابن رجب: فالمخادع هو الشحيح يعني الحريص، وفسر ابن مسعود الشح بأخذ المال من غير حقه، والبخل منعه من مستحقه.

وفي أثر أن الشيطان قال: مهما غلبني ابن آدم فلن يغلبني بثلاث، بأخذ المال من غير حله، أو ينفقه في غير وجهه، أو يمنعه من حقه.

وينشأ عن الشح الكذب والمخادعة والتحيل على ما لا يستحقه الإنسان، فيتوصل إليه بالطرق الباطلة كما هو دأب الهمم العاطلة.

---

(١) رواه البغوي في معالم التنزيل (١/ ٧٦)، والنسائي (٦/ ١٣) رقم ٣١١٠، ٣١١١، ٣١١٢، وابن حبان في صحيحه (٨/ ٤٣) رقم ٣٢٥١، والبخاري في الأدب المفرد (١/ ١٠٦) رقم ٢٨١ .

وفي الصحيح عن النبي ﷺ: «**إن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار**»(١).

وفي المسند: «**إذا كذب العبد فجر، وإذا فجر كفر، وإذا كفر دخل النار**»(٢) خرجه عن عبدالله بن عمرو مرفوعاً.

الخامس: الشنظير وقد فسر بسيء الخلق، والفحاش هو الفاحش المتفحش.

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «**إن من شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من تركه الناس اتقاء فحشه**»(٣).

وفي الترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: «**إن الله يبغض الفاحش البذئ**»(٤). والبذيء الذي يجري لسانه بالسفه ونحوه من لغو الكلام.

وفي المسند أنه ﷺ قال: «**بحسب امرئ من الشر أن يكون فاحشاً** - من الشر فحشه، وأصل الفاحش مجاوزة الشيء محله- **بذيئاً بخيلًا جباناً**»(٥). والمراد بالفاحش هنا الذي يفحش في منطقة ويستقبل الرجال

(١) جزء من حديث رواه البخاري رقم ٦٠٩٤ ومسلم رقم ٢٦٠٧ من حديث عبد الله بن مسعود.

(٢) جزء من حديث رواه أحمد في المسند (٢/ ١٧٦) رقم ٦٦٤١ من حديث عبد الله بن عمرو، وذكره الهيثمي (١/ ٣٦١) رقم ٦٠٩ وقال: رواه أحمد وفيه ابن لهيعة.

(٣) رواه البخاري رقم ٦٠٥٤، ٦١٣١، ومسلم رقم ٢٥٩١ .

(٤) جزء من حديث رواه الترمذي (٤/ ٣٦٢) رقم ٢٠٠٢ وقال: حديث حسن صحيح، والبخاري في الأدب المفرد (١/ ١٦٤) رقم ٤٦٤ كلاهما من حديث أبي الدرداء.

(٥) جزء من حديث رواه أحمد (٤/ ١٤٥) رقم ١٧٣٥١ بلفظ «حسب الرجل أن يكون فاحشا بذيا بخيلا جباناً» وفي (١٥٨) رقم ١٧٤٨٢ بلفظ «وكفى بالرجل أن يكون بذيا بخيلًا فاحشاً» والطبراني في الكبير (١٧/ ٧٩٥) رقم ٨١٤ بلفظ «حسب امرئ أن يكون فاحشاً بذيئاً بخيلًا حلافاً».

بقبح الكلام من السب ونحوه، ويأتي في كلامه ما يفحش ذكره، ولا يخفي نكتة مقارنة البخل بالجبن في قوله: بخيلًا جباناً، لأن البخل الحرص على المال، والجبن الحرص على النفس، وهما عديلان، وفي دعائه ﷺ: **«اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال»**[١]، وفي لفظ: **«من ضلع الدين وغلبة الرجال»**[٢]. والله المستعان.

* * *

(١) جزء من حديث رواه البخاري رقم ٢٨٩٣، ٦٣٦٣ .
(٢) البخاري ٦٣٦٣ .

فصل

في ذكر أول من يدخل النار من سائر البشر وأول من يدخلها من عصاة الموحدين

أما أول من يدخل النار من بني آدم على الإطلاق: زية وقيل اسمها أزميل، وهي التي أمرت بقتل سيدنا يحيى الحصور عليه السلام، قال الإمام ناصر السنة ابن الجوزي في «تبصرته»: عن الربيع بن أنس قال: كان لملك بنت شابة، فكانت تأتيه فيسألها حاجتها فيقضيها، وإن أمها رأت يحيى عليه السلام وكان جميلًا، فأرادته على نفسها، فأبى، فقالت لابنتها: إذا أتيت أباك فقولي: حاجتي رأس يحيى، فجاءت، فسألت ذلك فردها، فرجعت فقال: سلي حاجتك، فقالت: رأس يحيى، فقال: لك ذلك، فأخبرت أمها فبعثت إلى يحيى إن لم تأت حاجتي قتلتك، فأبى فذبحته ثم ندمت فجعلت تقول: ويل لها ويل لها، حتى ماتت، فهي أول من يدخل جهنم، وفي حديث آخر أنها قتلت قبله سبعين نبياً، وهي مكتوبة في التوراة «مُقَتلة الأنبياء» وأنها على منبر في النار يسمع صراخها أقصى أهل النار.

في قصة قتلة سيدنا يحيى عليه السلام روايات على غير هذا الوجه[1] فاللّه أعلم بالثابت، وأيها كان، واللّه أعلم.

وأما أول من يدخل النار من عصاة الموحدين، فأخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**عرض علي أول ثلاثة يدخلون الجنة وأول ثلاثة يدخلون النار، فأما أول ثلاثة يدخلون الجنة: فالشهيد**

---

(١) للاستزادة راجع - ابن كثير - البداية والنهاية (٢/ ٥٣، ٥٤).

وعبد مملوك لم يشغله رق الدنيا عن طاعة ربه، وفقير متعفف ذو عيال، وأول ثلاثة يدخلون النار: فأمير متسلط، وذو ثروة من مال لا يؤدي حق الله تعالى من ماله، وفقير فخور»[١].

وخرج الترمذي أوله وقال: حديث حسن. قال الحافظ ابن رجب: هؤلاء الأصناف الثلاثة من أهل النار ضد الأصناف الثلاثة من أهل الجنة المذكورين، في حديث مسلم أعني قوله ﷺ: **«أهل الجنة ثلاثة، ذو سلطان مقسط متصدق، ورجل رحيم رفيق القلب لكل ذي قربى، ومسلم عفيف متعف ذو عيال»**[٢]، فإن السلطان الجائر ضد العادل المحسن، والغني الذي يمنع حق الله عز وجل ضد الرحيم الرقيق القلب بذي القربى وكل مسلم، والفقير الفخور ضد المتعفف الصابر على شدة الفقر وضره، وأوصاف هؤلاء الثلاثة هي الظلم والبخل والكبر، وهي ترجع إلى الظلم، لأن الملك المسلط يظلم الناس بيده، والبخيل يظلم الفقراء بمنع حقوقهم الواجبة في ماله، والفقير الفخور يظلم الناس بفخره عليهم بقوله، وأذاه لهم بلسانه وبشأنه.

وعن أبي هريرة مرفوعاً نحوه وفيه: **«المقاتل والقارئ والمتصدق الذين يراؤون بأعمالهم، وقال: أولئك أول خلق الله تسعر بهم النار يوم**

---

(١) رواه أحمد (٢/ ٤٢٥) رقم ٩٤٨٨، وفي (٤٧٩) رقم ١٠٢٠٨ ولكن باختلاف يسير، وكذا ابن حبان في صحيحه (١٠/ ٥١٣) رقم ٤٦٥٦، وابن خزيمة في صحيحه (٤/ ٨) رقم ٢٢٤٩، وابن أبي شيبة في المصنف (٤/ ٢٠٥) رقم ١٩٣٣٥، وأخرج الترمذي أوله (٤/ ١٧٦) رقم ١٦٤٢ وقال: هذا حديث حسن، وذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٢/ ٢٢٠) وقال عنه العراقي: أخرجه الترمذي وقال حسن وابن حبان.

(٢) جزء من حديث رواه مسلم رقم ٢٨٦٥ .

القيامة يا أبا هريرة»[١].

قال الحافظ ابن رجب: وقد يجمع بين هذا الحديث والذي قبله بأن هؤلاء الثلاثة أول من تسعر بهم النار، وأولئك الثلاثة أول من يدخل النار، وتسعير النار أخص من دخولها، فإن تسعيرها يقتضي مع الدخول تلهيبها وإيقادها، وهو زائد على مجرد الدخول، وإنما زاد عذاب أهل الرياء على سائر العصاة، لأن الرياء هو الشرك الأصغر، والذنوب المتعلقة بالشرك أعظم من المتعلقة بغيره.

قلت: فيه أن الشرك الأكبر أعظم منه فما بال هؤلاء أعني أصحاب الشرك الأصغر الذي هو الرياء تسعر النار بهم قبل أولئك؟ وقد يقال: إن المراد من أهل التوحيد، ويدفعه منطوق الحديث، فإنه قال: أولئك أول خلق اللّه تسعر بهم النار، اللهم إلا أن يخص عمومه، ويكون المراد أول خلق اللّه من أهل التوحيد، أو يقال: ذاك لحكمة دقت عن فهمنا، أو لأنه مع كونه مشركاً ظلم العباد بغرورهم به وظنهم أنه مخلص، حتى ربما اقتدوا به أو غير ذلك فليتأمل، والله تعالى الموفق.

تتمة في مسائل متفرقة:

المسألة الأولى: في خلود أهل الدارين فيهما أعني الجنة والنار.

أما خلود أهل الجنة فقد تقدم، وهذا بالإجماع لا ينازع فيه أحد من أهل الفهم والاطلاع ممن يثبت وجود الجنة، وأنها دار المعاد والجزاء من

---

(١) جزء من حديث أخرجه الترمذي (٤/ ٥٩١) رقم ٢٣٨٢ وقال: هذا حديث حسن غريب، وابن خزيمة (٤/ ١١٥) رقم ٢٤٨٢، وابن حبان في صحيحه (٢/ ١٣٥) رقم ٤٠٨، والحاكم (١/ ٥٧٩) رقم ١٥٢٧ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

سائر الأديان، فإن قلت: هذا غير مُسَلَّم مع شهرة الخلاف واطلاعك عليه أنت وذكرك له في غير موضع، وقد ذكره جماعة من الأئمة كالإمام ابن القيم في «حادي الأرواح» والعلامة في «البهجة» وغيرهما، قلت: إن ذلك كذلك، ولكني ما أعد ذلك خلافاً لوجهين، أحدهما: أن أول من ابتكر هذا القول جهم بن صفوان - إمام الجهمية - وليس له فيه سلف قط من الصحابة ولا من التابعين ولا من تابعيهم، وإذا مضت هذه القرون الثلاثة الذين هم خير هذه الملة مجمعة على أمر ثم حدث من بعدهم من ليس هو مثل أدناهم، وانتحل مقالة لا تعد مقالته خلافاً، ولهذا لم يقل به أحد من أهل السنة، وأنكره عليه وعلى أتباعه أئمة الإسلام، وكفروهم به وصاحوا به من أقطار الأرض، قال عبدالله ابن الإمام أحمد في كتاب «السنة»: عن خارجة ابن مصعب أنه قال: كفرت الجهمية بثلاث آيات من كتاب الله عز وجل، يقول الله سبحانه ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾ [الرعد: ٣٥]. وهم يقولون: لا يدوم لها أكل ولا أهل، ويقول الله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ [ص: ٥٤]. وهم يقولون: ينفذ، ويقول الله: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦] وهم يقولون: لا بقاء له.

الوجه الثاني: أنه لا دليل لهذا القول إلا مجرد توهمات وقياسات فلسفية لا نعول على شيء منها معشر المسلمين، فإن قلت أليس يقول الله: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨]، قلنا: بلى وهي دليل عليكم لا لكم، فإن قوله تعالى: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ أي غير مقطوع، ومن المعلوم أن غير المقطوع دائم لا محالة، وأما ما يخيل لكم من الاستثناء في الآية الكريمة فهو راجع للذين يخرجون من النار فيدخلون الجنة، يقول سبحانه: إنهم خالدون في الجنة ما دامت السموات والأرض إلا مدة مكثهم في النار، قاله

معمر عن الضحاك، قال المحقق: وهو يحتمل أمرين: أحدهما أن يكون الإخبار عن الذين سعدوا وقع عن قوم مخصوصين وهم هؤلاء، والثاني وهو الأظهر أن يكون وقع عن جملة السعداء، والتخصيص في المذكورين هو في الاستثناء، وقيل: المعنى خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء اللّه من الزيادة على ذلك، كما تقول: أسكنتك داري حولًا إلا ما شئت أي سوى ما شئت من الزيادة على الحول، وقيل: هو استثناء لمدة المقام في البرزخ، لأنهم محبوسون عن الجنة فيه إلى أن يصيروا في الجنة، ثم هو خلود الأبد فلم يغيبوا عن الجنة إلا بقدر إقامتهم في البرزخ.

وقال[١] فرقة: العزيمة قد وقعت لهم من الله بالخلود الدائم إلا أن يشاء اللّه خلاف ذلك، إعلام لهم بأنهم مع خلودهم في مشيئة اللّه، وهذا كما قال لنبيه: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ [الإسراء:٨٦]، وقوله: ﴿فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشورى:٢٤]، وقوله: ﴿قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ﴾ [يونس:١٦]. فهو إخبار منه سبحانه لعباده أن الأمور كلها بمشيئته، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وثم أقوال أخر ومدارها بأن يقال: أخبر سبحانه عن خلودهم في الجنة كل وقت إلا وقتاً يشاء أن لا يكونوا فيها، وذلك يتناول وقت كونهم في الدنيا وفي البرزخ وفي موقف القيامة وعلى الصراط وكون بعضهم في النار مدة، وعلى كل تقدير فهذه الآية من المتشابه، وقوله فيها: ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود:١٠٨] محكم، وكذلك قوله: ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾، ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر:٤٨].

والمقصود أن القول بفناء الجنة قول مبتدع لم يقله أحد من الصحابة والتابعين ولا أحد من أئمة المسلمين، وكل من قال به فهو ضال منحرف

(١) هكذا بالأصل.

عن الصواب، والله تعالى أعلم.

وأما خلود أهل النار ففيه نزاع، والتحقيق: خلودهم وبقاؤها، وأنها لا تفنى ولا تبيد، والحاصل: أن في بقاء الجنة والنار وفنائهما ثلاثة أقوال: خلود أهلها وبقاؤهما جميعاً وهو الصواب، فناؤهما وعدم خلود أهلهما وهو ضلال وباطل، بقاء الجنة وفناء النار وهو باطل أيضاً، على أن جماعة من العلماء ذهبوا إليه، ومن ثم قال شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه: فيه قولان معروفان عن السلف والخلف، والنزاع في ذلك معروف عن التابعين.

قال الإمام المحقق ابن القيم في «حادي الأرواح»: وثم أقوال سبعة **أحدها**: من يدخل النار لا يخرج منها أبداً، بل كل من دخلها مخلد فيها، وهذا قول الخوارج والمعتزلة.

الثاني: أن أهلها يعذبون فيها مدة ثم تنقلب عليهم وتبقى طبيعتهم نارية يتلذذون بها لموافقتها لطبيعتهم، وهذا قول ابن عربي صاحب «الفتوحات» وهو مخالف لما علم بالاضطرار من الآيات القرآنية والأخبار المحمدية.

الثالث: أن أهلها يعذبون فيها إلى وقت محدود ثم يخرجون منها ويخلفهم فيها قوم آخرون، وهذا قول حكاه اليهود للنبي ﷺ فأكذبهم ونص القرآن على كذبهم، فهو قول اليهود ومن سلك هذا المسلك فسلفه فيه اليهود أهل المكر والخداع، وقد علم فساده من الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

الرابع: قول من يقول يخرجون منها وتبقى ناراً على حالها ليس فيها أحد يعذب، حكاه شيخ الإسلام ابن تيمية طيب الله ثراه عن بعض الفرق، والكتاب والسنة يردانه.

الخامس: أنها تفنى بنفسها لأنها حادثة، وما ثبت حدوثه استحال بقاؤه، وهذا قول جهم وشيعته، ولا فرق عنده بين الجنة والنار.

السادس: أنها تفنى حركات أهلها وحياتهم ويصيرون جماداً لا يتحركون ولا يحسون بألم، وهذا قول أبي حسين العلاف إمام المعتزلة.

والسابع: قول من يقول: بل يفنيها ربها وخالقها تبارك وتعالى، فإنه جعل لها أمداً تنتهي إليه ثم تفنى ويزول عذابها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه: ونقل هذا عن عمر وابن مسعود وأبي هريرة وأبي سعيد وغيرهم ﷺ، وأخرج عبد بن حميد- وهو من أجل علماء الحديث- عن الحسن رحمه الله قال: قال عمر رضي الله عنه: لو لبث أهل النار في النار كقدر رمل عالج لكان لهم على ذلك يوم يخرجون فيه.

واعلم أن الإمام المحقق ابن القيم قدس الله روحه انتصر لهذا القول انتصاراً عظيماً، ومال إليه ميلًا جسيماً، وذكر له خمسة وعشرين دليلًا، ثم رجع القهقهري وقال: إن قيل إلى أين انتهى قدمك في هذه المسألة العظيمة؟ قيل: إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود:١٠٧].

وإلى هنا انتهى قدم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فيها، حيث ذكر دخول أهل الجنة وأهل النار وما يلقاه هؤلاء وهؤلاء، قال: ثم يفعل الله بعد ذلك ما يشاء، ثم قال: وما ذكرنا في هذه المسألة من صواب فمن الله سبحانه وهو المانُّ به، وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان، والله ورسوله بريء منه.

وأقول: الصحيح المعتمد الذي لا محيد عنه بقاء النار كالجنة جزماً، فالنار لا تفنى ولا تبيد، كما أن الجنة لا تفنى ولا تبيد بالنصوص القرآنية والأحاديث المصطفوية، ونحن نقول: إن ربك فعال لما يريد، من غير

شك ولا ترديد، نجزم بأن أهل النار الذين هم أهلها يخلدون فيها أبداً لا نهاية لأبدية ذلك، وأما ما ذكره الإمام المحقق عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فالحسن لم يأخذ عن عمر ولم يسمع منه جزما، وأيضاً لو سمع منه وثبت ذلك لم ينظر إليه، لمخالفته ما هو أصح وأثبت منه، كيف ولم يسمع من عمر ولم يذكر الحسن أن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه رفعه.

والحاصل: أن الدارين باقيتان باق ما فيهما خالد مخلد، وقد صنف في ذلك علماء الإسلام مصنفات من آخرهم الإمام العلامة الشيخ مرعي صنف جزءاً سماه [توقيف الفريقين على خلود الدراين].

والله تعالى أعلم بالصواب.

المسألة الثانية: في أصحاب الأعراف:

قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ﴾ [الأعراف: ٤٨]. وقال: ﴿وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٌ﴾ [الأعراف: ٤٦]. فالأعراف جمع عُرْف، وهو: كل مرتفع، ومنه عرف الديك، واختلف المفسرون في الأعراف، فقيل: أعالي الحجاب المضروب بين الجنة والنار، وهو السور الذي ذكره الله تعالى في قوله: ﴿فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٍ﴾ [الحديد: ١٣]. وعلى هذا معظم أهل التفسير، وقيل: الصراط، وقيل: جبل أحد، لما ورد عنه ﷺ: «**أحد جبل يحبنا ونحبه**»[(١)]، وأنه يوم القيامة يمثل بين الجنة والنار، يجلس عليه أقوام يعرفون كلًا بسيماهم، وهم إن شاء الله من أهل الجنة. وقال الحسن والزجاج معنى قوله: ﴿وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ﴾ أي الذين على معرفة أهل الجنة والنار، رجال يعرفون من أهل الجنة والنار بسيماهم، قيل للحسن هم أقوام

---

(١) رواه البخاري في عدة مواضع منها رقم ١٤٨٢، ٢٨٨٩، ٢٨٩٣، ومسلم رقم ١٣٦٥، ١٣٩٢.

استوت حسناتهم وسيئاتهم؟ فضرب على فخذه وقال: هم قوم جعلهم الله تعالى على أهل الجنة والنار، يميزون البعض من البعض، والله لا أدري لعل بعضهم الآن معنا. فإن قيل: أي حاجة إلى ضرب هذا السور بين الجنة والنار، وقد ثبت أن الجنة فوق النار، لأن النار أسفل سافلين، والجنة فوق السموات السبع وتحت العرش؟ فالجواب: أن بعد إحداهما عن الأخرى لا يقتضي منع جعل سور بينهما كما لا يخفى، قاله الفخر.

وعندي فيه وقفة: لكن أمور الآخرة لا تقاس على أمور الدنيا، والله يفعل ما يشاء.

واختلف المفسرون في أصحاب الأعراف، فقيل: هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، فما كانوا من أهل الجنة ولا من أهل النار، أوقفهم الله على الأعراف، لأنه درجة متوسطة بين الجنة والنار، ثم يدخلهم الله تعالى الجنة بفضله ورحمته، وهذا قول حذيفة وابن عباس وابن مسعود ﷺ، وهو قول ابن جبير والضحاك والشعبي رحمهم الله تعالى، أخرج أبو الشيخ والبيهقي وغيرهما عن حذيفة: أصحاب الأعراف قوم قصرت بهم سيئاتهم عن الجنة، وتجاوزت بهم حسناتهم عن النار، جعلوا هناك حتى يقضى بين الناس، فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم ربهم، فقال لهم: قوموا ادخلوا الجنة فإني غفرت لكم.

وأخرج البيهقي عن حذيفة مرفوعاً: «**يجمع الله الناس ثم يقول لأصحاب الأعراف: ما تنتظرون؟ قالوا: ننتظر أمرك. فقال: إن حسناتكم تجاوزت بكم النار أن تدخلوها، وحالت بينكم وبين الجنة خطاياكم، فادخلوا بمغفرتي ورحمتي**»[1].

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٤٦٣) وعزاه إلى البيهقي في البعث.

وقيل: إن أصحاب الأعراف ناس خرجوا للغزو بغير إذن آبائهم، فاستشهدوا فحبسوا بين الجنة والنار، أخرج البيهقي وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبو الشيخ والطبراني وغيرهم أن رسول الله ﷺ سئل عن أصحاب الأعراف فقال: «**هم أناس قتلوا في سبيل الله بمعصية أبائهم، فمنعهم من دخول الجنة معصية آبائهم، ومنعهم من دخول النار قتلهم في سبيل الله**»[1]. وقيل: أصحاب الأعراف الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، أجلسهم الله على أعالي ذلك السور تميزاً لهم على سائر أهل القيامة، وإظهاراً لشرفهم وعلو مرتبتهم، ليكونوا مشرفين في الدنيا والآخرة.

وقيل هم العباس وحمزة وعلي وجعفر ذو الجناحين عليهم السلام، يجلسون على موضع من الصراط، يعرفون محبيهم ببياض الوجوه، ومبغضهم بسواد الوجوه، رواه الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقيل: إنهم عدول القيامة الشاهدون على الناس بأعمالهم وهم من كل أمة، حكاه الزهري.

وقيل: إنهم قوم صالحون فقهاء علماء، أخرجه هناد عن مجاهد.

وقيل إنهم الشهداء.

وقيل: الملائكة.

فإن قيل: قد قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾؟ فالجواب: لا مانع من إطلاق اسم الرجال على الملائكة كما نقله الرازي وغيره.

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (١/ ٣٤٥) رقم ٣٨١ وصدّره بقوله «وروينا في حديث مرسل ضعيف» ومجاهد في تفسيره (١/ ٢٣٧)، والحارث في مسنده (٢/ ٧٢٢) رقم ٧١٣، وذكره الهيثمي (٧/ ٩٤) رقم ١١٠١٤ وقال: رواه الطبراني وفيه أبو معشر نجيح وهو ضعيف.

وقيل: أصحاب الأعراف أناس رضي عنهم أحد أبويهم دون الآخر وقيل: أولاد المشركين.

وقيل: الذين يراؤون الناس.

وقيل هم أهل الفترة.

وقيل: قوم لهم ذنوب عظام من أهل الصلاة يعفو الله عنهم ويمسكهم في الأعراف، أخرج ابن جرير والبيهقي من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: الأعراف سور بين الجنة والنار، وأصحابه رجال كانت لهم ذنوب عظام وكان أمرهم الله، يقومون على الأعراف، يعرفون أهل النار بسواد الوجوه، وأهل الجنة ببياض الوجوه، فإذا نظروا إلى أهل الجنة طمعوا أن يدخلوها، وإذا نظروا إلى أهل النار تعوذوا بالله منها، فأدخلهم الله الجنة، فذلك قوله: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ - يعني أصحاب الأعراف - ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ﴾ [الأعراف: ٤٩].

وقيل: هم أولاد الزنا، رواه صالح المري عن ابن عباس.

وقيل: هم مساكين أهل الجنة، حكي عن ابن عباس، وقيل: غير ذلك.

والحاصل: أن أصحاب الأعراف على كل قول هم سعداء ناجون من أهل الجنة وإن مآلا، وأرجح هذه الأقوال: أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، كما قال القرطبي.

وجمع العلامة في «بهجته» بين هذه الأقوال: بأنه يجوز أن الجميع ممن ورد فيهم أنهم أصحاب الأعراف، يجلسون على ذلك الجسر مع تفاوت منازلهم، على أن جملة من هذه الأقوال متداخلة كما لا يخفى، والله تعالى أعلم.

المسألة الثالثة: في أطفال المشركين:

أما أطفال المسلمين فقد تقدم الكلام عليهم أنهم في الجنة على الصحيح المعتمد، والمقصود هنا أولاد المشركين، فقيل هم في النار، وهذا قول جمهور أصحابنا، كذا في «البهجة».

وقال الإمام العلامة ابن مفلح الراميني في «فروعه»: أطفال الكفار في النار وعنه: الوقف، واختار ابن عقيل وابن الجوزي في الجنة كأطفال المسلمين، ومن بلغ منهم مجنوناً، قال: واختار شيخنا- يعني شيخ الإسلام ابن تيمية طيب الله ثراه- تكليفهم في القيامة للأخبار، ومثلهم من بلغ منهم مجنوناً، فإن جن بعد بلوغه فوجهان، قلت: أصحهما عندي أنه في النار، قال: ومن لم تبلغه الدعوة لا يعاقب، ذكره في «الفنون» عن الأصحاب، قال: وإذا منع حائل البعد شروط التكليف فأولى فيهما، وفي اختيارات شيخ الإسلام ﵁: أطفال المشركين أصح الأجوبة فيهم ما ثبت في الصحيحين أنه سئل عنهم رسول الله ﷺ فقال: **«الله أعلم بما كانوا عاملين»**[(١)]، قال: فلا يحكم على معين منهم بجنة ولا نار، ويروي أنهم يمتحنون يوم القيام، فمن أطاع دخل الجنة، ومن عصى دخل النار[(٢)]، وهذا أحسن والله أعلم.

وقال الحافظ جلال الدين السيوطي: لا تنافي بين الحديثين، بل نقول بما دل عليه حديث أنهم في المشيئة، فيمتحنون في الآخرة، فمن كتبت له السعادة أطاع بدخول النار فيرد إلى الجنة، ومن كتب له الشقاوة امتنع

(١) رواه البخاري رقم ٦٥٩٧ عن ابن عباس، ومسلم رقم ٢٦٥٩ عن أبي هريرة.
(٢) لعله يشير إلى حديث الأربعة الذين سيمتحنون يوم القيامة، والذي رواه أحمد وابن حبان والطبراني، وسيأتي قريباً.

فيسحب إلى النار، وهذا الذي ذكرنا هو الصحيح المعتمد، وثَم ستة أقوال أو أكثر، أحدها: أنهم في النار، الثاني يصيرون تراباً، الثالث: أنهم خدم أهل الجنة، وقد مر الكلام على هذا القول ونقله النسفي في «بحر الكلام» عن أهل السنة والجماعة، وفي ذلك أحاديث جمة، الرابع: في الجنة، الخامس: أنهم في برزخ بين الجنة والنار، السادس: أنهم يمتحنون، السابع: وهو المختار الوقف، والله أعلم.

* * *

مطلب
في أهل الفترة واختلاف العلماء فيهم

المسألة الرابعة في أهل الفترة ونحوهم:

وقد اختلف العلماء فيهم قديماً وحديثاً، وهم الأمم الكائنة بين أزمنة الرسل عليهم السلام الذين لم يرسل الله إليهم الرسول الأول ولم يدركوا الثاني، كالأعراب الذين لم يرسل إليهم عيسى ولم يدركوا نبينا عليهما الصلاة والسلام، فعلى هذا الفترة: ما كانت بي رسولين، كنوح وهود، لكن مقصودنا هنا ما بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام، وذكر البخاري عن سلمان أنها كانت ستمائة سنة، إذا علم هذا فأخرج الإمام أحمد والبيهقي وصححه أن النبي ﷺ قال: «**أربعة يحتجون يوم القيامة، رجل أصم لا يسمع شيئاً، ورجل أحمق، ورجل هرم، ورجل مات في الفترة، فأما الأصم فيقول: رب لقد جاء الإسلام ولا أعقل شيئاً، وأما الذي مات في الفترة فيقول: رب ما أتاني لك رسول، فيأخذ مواثيقهم ليطيعونه، فيرسل إليهم أن ادخلوا النار، فوالذي نفس محمد بيده لو دخلوها لكانت عليهم برداً**»[1]، وأخرجا أيضاً عن أبي هريرة مرفوعاً مثله غير أنه قال في آخره: «**فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً، ومن لم يدخلها يسحب إليها**»[2].

---

(١) رواه أحمد (٤/ ٢٤) رقم ١٦٣٤٤، وابن حبان في صحيحه (١٦/ ٣٥٦) رقم ٧٣٥٧، والطبراني في الكبير (١/ ٢٨٧) رقم ٨٤١، وذكره الهيثمي بعدة روايات (٧/ ٤٣٦) رقم ١١٩٣٦ وقال: رواه أحمد والبزار والطبراني بنحوه، هذا لفظ أحمد ورجاله رجال الصحيح وكذلك رجال البزار.

(٢) رواه أحمد (٤/ ٢٤) رقم ١٦٣٤٥، وانظر تخريج الحديث السابق.

وأخرج البزار وأبو يعلى عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**يؤتي بأربعة يوم القيامة بالمولود، والمعتوه، ومن مات في الفترة، والشيخ الفاني، كلهم يتكلم بحجته، فيقول الرب لعنق من النار: أبرز، ويقول لهم: إني كنت أبعث إلى عبادي رسلًا من أنفسهم، وإني رسول نفسي إليكم، ادخلوا هذه، فيقول من كتب عليه الشقاء: يا رب أندخلها ومنها كنا نفر؟ ومن كتبت له السعادة يمضي فيقتحم فيها مسرعاً، فيقول الله: أنتم لرسلي أشد تكذيباً ومعصية، فيدخل هؤلاء الجنة، وهؤلاء النار**»[(١)].

وأخرج الطبراني عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي ﷺ نحوه وفيه يقول الله: «**إني آمركم بأمر فتطيعون؟ فيقولون نعم، فيقول: اذهبوا فادخلوا النار، قال: ولو دخلوها ما ضرتهم**»[(٢)] الحديث، وأخرج البزار عن ثوبان أن النبي ﷺ عظم شأن المسألة فقال: «**إذا كان يوم القيامة جاء أهل الجاهلية يحملون أوثانهم على ظهورهم، فيسألهم ربهم، فيقولون: ربنا لم ترسل لنا رسلًا ولم يأتنا أمر، ولو أرسلت إلينا رسولًا لكنا أطوع عبادك، فيقول لهم ربهم: أرأيتم إن أمرتكم بأمر تطيعونني فيه؟ فيقولون: نعم: فيأخذ على ذلك مواثيقهم فيقول: اعمدوا لها فادخلوها، فينطلقون حتى إذا رأوها فرقوا فرجعوا، فقالوا: ربنا فرقنا منها ولا نستطيع أن ندخلها، فيقول: ادخلوها**

---

(١) رواه البيهقي في الاعتقاد (١٦٩) وأبو يعلى في مسنده (٧/ ٢٢٥) رقم وروى نحوه أحمد (٤/ ٢٤) رقم ١٦٣٤٤، وابن حبان في صحيحه (١٦/ ٣٥٦) رقم ٧٣٥٧، والطبراني في الكبير (١/ ٢٨٧) رقم ٨٤١ كلهم عن الأسود بين سريع.

(٢) جزء من حديث أخرجه الطبراني في الكبير (٢٠/ ٨٣) رقم ١٥٨ باختلاف يسير، وفي مسند الشاميين (٣/ ٢٥٧) رقم ٢٢٠٥، وفي الأوسط (٨/ ٥٧) رقم ٧٩٥٥، وذكره الهيثمي (٧/ ٤٣٨) رقم ١١٩٣٩ وقال: رواه الطبراني في الأوسط والكبير وفيه عمرو بن واقد وهو متروك عند البخاري وغيره، ورمي بالكذب، وقال محمد بن المبارك الصوري: كان يتبع السلطان وكان صدوقاً، وبقية رجال الكبير رجال الصحيح.

داخرين، فقال النبي ﷺ: «لو دخلوها أول مرة كانت عليهم برداً وسلاماً»(١)، والأحاديث في هذا الباب كثيرة جداً، وقيل: إن أهل الفترة ناجون إلا من بدل كعمرو بن لحي، وقيل: ناجون إلا من ورد أنه في النار كعمر بن لحي وامرئ القيس، وقيل: إنهم هالكون لأنهم مشركون، والجنة محرمة عليهم، وقال جمع: أهل الفترة ناجون جميعاً إلا من ورد فيه حديث صحيح من أهل الفترة بأنه في النار، فإن أمكن تأويله فذاك وإلا لزمنا أن نؤمن بهذا الفرد بخصوصه، وإن لم يوافق ما مهده أئمتنا، قال: لأن الأدلة الجزئية لا يقضى بها على الأدلة الكلية، واستدل هؤلاء بقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

قلت: وهذا الكلام لا يخفى زيفه على من حَكَّم الشريعة على آراء الرجال ونبذها خلف ظهره، وتمسك بأقوال المصطفى ﷺ وأفعاله، وعض على سنته الغراء بالنواجذ، وجعل شريعته المطهره أصلاً، وكل ما خطر بباله يعرضه على ذلك الأصل، فإن وافقه قبله، وإن خالفه نفض يديه منه، وأما من جعل ما انتحله شيخه ومتبوعه أصلاً، وما ورد من الأخبار النبوية قاسه على رأي متبوعه، فهذا يرى ما لا يرى العبد المعترف بالعبودية، الخاضع لأقوال رسول معبوده وسيده ومولاه، المعترف بقصوره وعجزه عن إدراك الحكمة الربانية، المسلم للكلمات الربانية والآثار النبوية، فيالله العجب حيث ثبت ما تلوناه من الأخبار، ونقلناه من الآثار عن المصطفى المختار، ودَوَّنه الأخيار، وقال به الأبرار، ولم يدفعه عقل صحيح ولا نقل صريح، فما وجه العدول عنه إلى القول بنجاة أهل الفترة؟! في حديث أبي

(١) جزء من حديث رواه الحاكم (٤/ ٤٩٦) رقم ٨٣٩٠ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة ووافقه الذهبي.

رزين الذين ذكرناه سابقاً ما يناقض ما زعمه هؤلا ويرده، وخبر ابن جدعان حيث سألت عائشة المصطفى عنه فقال: «**إنه في النار**»[١]، وهذا حاتم الطائي أكرم الجاهلية والذي يضرب بكرمه وبمكارم أخلاقه الأمثال، ورد الحديث بأنه في النار، وأيضاً فالأرض لم تخل من شرع وداع إلى الله تعالى منذ خلق آدم إلى أن تقوم الساعة، فالذي نختاره ونذهب إليه الوقف بأنهم في الجنة أو في النار، إلا ما ثبت عن المصطفى أنه في النار، فإنه فيها، ومن لا فنكل أمره إلى اللّه تعالى، إن شاء رب العالمين امتحنهم كما أخبر الصادق الذي لا ينطق عن الهوى، فمن أسعده اللّه سعد، ودخل النار فتكون عليه برداً وسلاماً، ثم يدخله الجنة، ومن أبى دخل النار وخلد فيها، كما نطق به الحديث الصحيح، هذا الذي ندين الله به ولا ننظر لسفساف يتشدق، ومتكلم يتونق، نعم الوالدان السعيدان نرجوا الله أن يكونا ناجيين فائزين، ببركة سيد الكونين، واللّه يفعل ما يريد ويختار، ما كان لهم الخيرة من أمره سبحانه، واللّه سبحانه وتعالى أعلم بالصواب، وأنا اعتذر إلى اللّه تعالى من سوء فهمي، وقلة علمي، وأستمد منه المعونة والعافية، والتوفيق والهداية لأقوم طريق[٢].

* * *

---

(١) تقدم ص (٤٦٠).
(٢) في حاشية الأصل/ بلغ.

خاتمة الكتاب

مطلب في التوبة إلى اللّه تعالى من الذنوب

نسأل اللّه تعالى أن يتوب علينا وعلى والدينا وأولادنا إنه التواب الرحيم.

وفيها فصلان:

الفصل الأول: في التوبة

وهي في اللغة الرجوع. يقال: تاب وأناب وآب يعني رجع، وهي في الشرع الندم على ما مضى من الذنب، والإقلاع في الحال، والعزم على أن لا يعود في المستقبل، تعظيماً للّه تعالى، وحذراً من أليم عقابه وسخطه، قاله في «المطلع».

فالتوبة هي الرجوع من الأوصاف المذمومة إلى الأوصاف المحمودة، قال في «طهارة القلوب» يقال لمن رجع عن المخالفات خوفاً من العذاب تائب، ولمن رجع حياء من الله تعالى منيب، ولمن رجع تعظيماً لجلاله سبحانه أواب، وهو معنى قول عمر رضي الله عنه : نعم العبد صهيب لو لم يخف اللّه لم يعصه - على فرض ثبوت هذا الأثر - يعني أنه يترك المعاصي تعظيماً لجلال الله ولو لم يتواعد اللّه عليهما بعقوبة، ويقال أول التوبة يقظة من اللّه تقع في القلب فيتذكر العبد تفريطه وإساءته، وكثرة جنايته، مع دوام نعم اللّه عليه، فيعلم حينئذ أن الذنوب سموم قاتلة، يخاف منها حصول المكروه وفوات المحبوب في الدنيا والآخرة، فإذا تيقن ذلك أثمرت حالته هذه الندم على ما فات، ثم يثمر الندم عملًا صالحاً، فيبادر إلى الخيرات،

وقضاء الواجبات، ورد الظلامات، والعزم على إصلاح ما هو آت، فإذا انتظمت هذه الأمور الثلاثة فلا جرم أنها التوبة، وأما قوله ﷺ: «**الندم توبة**»[(١)]. يعني معظم أركان التوبة الندم، إذا لا تحصل التوبة إلا بعد الندم، وبعضهم قال التوبة: الحياء العاصم والبكاء الدائم، وقيل: هي قود النفس الى الطاعة بخطام الرغبة، وردها عن المعصية بزمام الرهبة، وقال ابن الجوزي في «التبصرة»: التوبة ندم يورث عزماً وقصداً، وعلامة الندم طول الحزن على ما فات، وعلامة القصد والعزم التدارك لما هو آت، فإن كان الماضي تفريطاً في عبادة قضاها، أو مظلمة أداها، أو خطيئة لا توجب غرامة حزن إذا تعاطاها، قال: ومن علامات التائب أن يغضب على نفسه كما غضب ما عز والغامدية وأسلماها إلى الهلاك، وهذا مثال وإلا فالأولى الستر على نفسه، وأن تضيق الأرض عليه كما ضاقت على كعب بن مالك وصاحبيه، فيستولى عليه الحزن والبكاء، فيشغله عن اللهو والضحك.

وقال الغزالي في «منهاج العابدين»: هي ترك اختيار ذنب سبق مثله عنه منزلة لا صورة، تعظيماً لله تعالى وحذرا من سخطه، ولها إذا أربع شرائط:

إحداها ترك اختيار الذنب، وهو أن يوطن قلبه ويجرد عزمه على أن لا يعود إلى الذنب البتة، فأما إن ترك الذنب وفي نفسه أنه ربما يعود إليه، أو لا يعزم على ذلك بل يتردد، فإنه ربما يقع له العود، فإنه ممتنع عن الذنب غير تائب عنه.

---

(١) رواه ابن ماجه (٢/ ١٤٢٠) رقم ٤٢٥٢، وأحمد (١/ ٣٧٦) رقم ٣٥٦٨ ومواضع أخرى، وابن حبان في صحيحه (٢/ ٣٧٧) رقم ٦١٢، والبزار (٥/ ٣١٠) رقم ١٩٢٦، والحاكم (٤/ ٢٧١) رقم ٧٦١٢ وسكت عنه وصححه الذهبي كلهم عن ابن مسعود.

والثانية: أن يتوب عن ذنب قد سبق منه مثله، إذ لو لم يسبق منه مثله لكان متقيا غير تائب، ألا ترى أنه يصح القول بأن النبي ﷺ [كان][(١)] متقيا عن الكفر، ولا يصح القول بأنه كان تائباً عن الكفر، إذ لم يسبق منه كفر بحال، وإن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان تائباً عن الكفر، لما سبق منه ذلك.

والثالثة أن الذي سبق يكون مثل ما يترك اختياره في المنزلة والدرجة لا في الصورة، ألا ترى أن الشيخ الهرم الفاني الذي سبق منه الزنا وقطع الطريق إذا أراد أن يتوب عن ذلك تمكنه التوبة لا محالة، إذ لم يغلق عنه بابها، ولا يمكنه ترك اختيار الزنا وقطع الطريق، إذ هو لا يقدر الآن على فعل ذلك، فلا يقدر على ترك اختياره، فلا يصح وصفه بأنه تارك له ممتنع عنه وهو عاجز عنه غير متمكن، لكنه يقدر على ما هو مثل الزنا وقطع الطريق في المنزلة والدرجة، كالقذف والغيبة والنميمة، إذ جميع ذلك معاصي وإن كان الإثم يتفاوت في حق الآدمي في كل واحدة بقدرها، ولكن جميع هذه المعاصي الفرعية كلها بمنزلة واحدة، وهي دون منزلة البدعة، ومنزلة البدعة دون الكفر - أي حيث لم تكن البدعة مكفرة - فإن كانت مكفرة فهي ومنزلة الكفر واحدة، وفهمنا من هذا أن المنازل ثلاثة، منزلة المعاصي، ومنزلة البدع، ومنزلة الكفر، ثم إن المعاصي تقسم إلى صغيرة وكبيرة، فلك أن تسميها منزلتين، والكبائر منها الموبقات السبع وهي: قتل النفس، والزنا، وأكل الربا، والسحر، والقذف، وأكل أموال اليتامى، والتولي يوم الزحف، وفهم أيضاً من كلامه أن الهَرِم إنما صحت توبته عن الزنا وقطع الطريق لقدرته على ما هو مثل ذلك في المنزلة،

---

(١) ليست بالأصل ولعلها ساقطة منه، إذ بها يستقيم السياق.

يرشدك على هذا تعليل قبول توبته بذلك، حيث قال: فلذلك صحت منه- أعني- الهَرِم التوبة من الزنا وقطع الطريق وسائر ما مضى من الذنوب التي عجز عن أمثالها- والله أعلم-.

ثم عنَّ لي بحث يرد على هذا التقدير، وهو: أن لو قدرنا أن رجلًا اقترف هذه الذنوب من الزنا وقطع الطريق ونحو ذلك، ثم إنه عجز عن إتيان مثلها صورة، وهو مصر على أن لو قدر على ذلك لفعله، ثم إنه عمي وصَمَّ وبَكِم وأقعد، بحيث لا يمكنه إتيان شيء من مثل هذه الذنوب لا صورة ولا منزلة، وعنَّ له أن يتوب مما كان اقترف، فندم في نفسه وعزم على التوبة وتاب في خاطره، فهل قائل بعدم توبة هذا الرجل مع صحة عقله؟ وقد يجاب بأن لا قائل بعدم صحة توبة مثل هذا، ولكن لا نسلم أنه لا يقدر على إتيان مثل هذه الذنوب منزلة، فإنه يمكنه أن يخطر في باله خاطر سوء ويعزم عليه ويصمم، والعزم والتصميم على المعصية معصية كما هو مقرر، والله تعالى كما قبل توبته بخاطره فإذا أساء بخاطره آخذه، وهذا لم أر من نبه عليه غير أنه ظاهر لذي البصائر، والله أعلم.

قال الغزالي: **والرابعة** أن يكون تَرْكُ اختيارِ ذلك تعظيماً له سبحانه وحذرا من سخطه، لا لرغبة دنيوية، أو رهبة من الناس، أو طلب ثناء وصيت أو ضعف في النفس، أو نحو ذلك، فهذه شرائط التوبة.

وأما مقدماتها فثلاث: ذكر شدة العقوبة منه سبحانه والإعراض عن العبد ومقته، الثانية: ذكر قبح الذنب، الثالثة: ذكر ضعفك وقلة حيلتك في ذلك، فإن من لا يحتمل حر شمس وقرص نملة، وضربة سوط، لا يحتمل حر نار جهنم، وضرب مقامع الزبانية، ولسع حيات كأعناق البخت، وعقارب كالبغال، خلقت من النار في دار الغضب والبوار، عياذاً بك اللهم من سخطك، فإذا استحضر العبد هذه الحالة لم تَخْلُ له المعصية، وتاب

إلى ربه سبحانه، فإذا علمت ذلك فالحق أن التوبة واجبة من الكبائر والصغائر، أما الكبائر فالإجماع، وأما الصغائر فهو قول أصحابنا وغيرهم من الفقهاء والمتكلمين وغيرهم.

قال الحافظ ابن رجب في كتابه «شرح الأربعين النووية»: قد أمر الله بالتوبة عقب ذكر الصغائر والكبائر، فقال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣٠-٣١]. فأمر بالتوبة من الكبائر والصغائر، فالنظر صغيرة، ولا جرم أن الزنا كبيرة، وذكر التوبة بعد ذلك بصيغة الأمر التي موضوعها الوجوب، وأمر التوبة من الصغائر بخصوصها في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات١١].

وزعمت طائفة من المعتزلة عدم الوجوب من الصغائر، وقالت طائفة من المتأخرين يجب أحد أمرين: أما التوبة أو الإتيان ببعض المكفرات للذنوب من الحسنات، وحكى ابن عطية في تفسيره قولين في تكفير الصغائر باجتناب الكبائر، أحدهما نعم، وحكاه عن بعض أصحاب الحديث والفقهاء، وأنه يقطع بتكفيرها بذلك لظاهر الآية، يعني قوله: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١]. وقيل: لا يقطع بذلك، وحكاه عن الأصولين بل يظن ذلك ولا يقطع به إذ لو قطع بتكفيرها لكانت في حكم المباح الذي لا تبعة فيه وذلك نقض لعرى الشريعة.

قال الحافظ: قلت قد يقال لا يقطع بتكفيرها، لأن أحاديث التكفير المطلقة بالأعمال جاءت مقيدة بتحسين العمل، كما ورد ذلك في الوضوء

والصلاة[1]، وحينئذ فلا يتحقق وجود حسن العمل الذي يوجب التكفير، والله الموفق.

والحاصل: أن التوبة واجبة من الكبائر والصغائر على الصحيح المعتمد، ولا التفات لمن لم يوجبها من الصغائر، والله سبحانه يتوب على من تاب بمنه وكرمه.

* * *

(١) لعله يشير إلى ما رواه مسلم رقم ٢٢٨ عن عثمان عن النبي ﷺ قال: «ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم يؤت كبيرة، وذلك الدهر كله».

فصل

ونحن نتلو عليك طرفا من الأخبار النبوية والآثار المرضية في التوبة إن شاء الله تعالى، أخرج مسلم والنسائي عن أبي موسى رضي الله عنه ﷺ أنه قال: «**إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها**»[١]. وأخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**من تاب من قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه**»[٢]، وأخرج ابن ماجة بإسناد جيد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**لو أخطأتم حتى تبلغ [خطاياكم]**[٣] **السماء ثم تبتم لتاب الله عليكم**»[٤].

وأخرج الحاكم وصححه عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**من سعادة المرء أن يطول عمره ويرزقه الإنابة**»[٥].

وأخرج الترمذي وابن ماجة والحاكم وصححه عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون**»[٦]، وأخرج

---

(١) رواه مسلم رقم ٢٧٥٩ ولم أقف عليه عند النسائي.

(٢) رواه مسلم رقم ٢٧٠٣ .

(٣) ليست بالأصل وأثبتناها من لفظ الحديث.

(٤) رواه ابن ماجه (٢/ ١٤١٩) رقم ٤٢٤٨، وقال: في الزوائد هذا إسناد حسن. وذكره العجلوني في كشف الخفا (٢/ ١٠٨٤) رقم ٢٠٨٨ وقال: رواه ابن ماجه عن أبي هريرة وسنده جيد.

(٥) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٩٠) رقم ٣٤٤٢١ بلفظ «ويرزقه الله الإنابة إليه»، والحاكم (٤/ ٢٦٨) رقم ٧٦٠٢ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٦) رواه الترمذ (٤/ ٦٥٩) رقم ٢٤٩٩ وقال: هذا حديث غريب، وابن ماجه (٢/ ١٤٢٠) رقم ٤٢٥١، وأبو يعلى في مسنده (٥/ ٣٠١) رقم ٢٩٢٢، والحاكم (٤/ ٢٧٢) رقم ٧٦١٧ وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وتعقبه الذهبي بقوله: علي بن مسعدة ليّن.

البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إن عبدا أصاب ذنباً فقال: يا رب إني أذنبت ذنبا فاغفره لي، فقال له ربه: علم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به فغفر له، ثم مكث ما شاء الله، ثم أصاب ذنباً آخر، وربما قال ثم أذنب ذنباً آخر، فقال: يا رب إني أذنبت ذنباً آخر فاغفر لي، قال ربه: علم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به، فغفر له، ثم مكث ما شاء الله ثم أصاب ذنباً آخر، وربما قال: ثم أذنب ذنباً آخر، فقال: يا رب إني أذنبت ذنباً فاغفره لي، فقال ربه: علم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به فقال ربه: غفرت لعبدي فليعمل ما شاء**»[١].

قال الحافظ المنذري: معناه والله أعلم: أنه ما دام كلما أذنب ذنباً استغفر وتاب منه ولم يعد إليه، بدليل قوله: ثم أصاب ذنباً آخر فليفعل إذا كان هذا دأبه ما شاء، لأنه كلما أذنب كانت توبته واستغفاره كفارة لذنبه، فلا يضره، لا أنه يذنب الذنب فيسغفر منه بلسانه من غير إقلاع ثم يعادوه، فإن هذه توبة الكذابين. انتهى.

ولا يخفى أن الحافظ المنذري سكت عمن تاب من ذنب وأقلع عنه وعزم أن لا يعود إليه أبداً ثم عاد إليه، والحكم فيه كالذي عاد إلى مثله[٢] من القبول والغفران بلا ريب، والله أعلم.

وأخرج الترمذي وصححه والنسائي وابن ماجة في صحيحه والحاكم وصححه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن المؤمن إذا**

(١) رواه البخاري رقم ٧٥٠٧، ومسلم رقم ٢٧٥٨ .

(٢) في حاشية الأصل/ ولعل مراد الحافظ المنذري رحمه الله بقوله: عاد إلى مثله، أي مثل ذلك الذنب، يعني بأن زنا ثانياً، لأن الزنا ثانياً: مثل الأول. . . كمالا يخفى، بل هذا مراده بلا شبهة، وإنما دخل هذا على المؤلف من كلام الغزالي، حيث فسر المثل بالغير في حق الهرم الذي كان يزنى، فإنه يرجع عن مثله من نحو الغيبة، تأمل، والله أعلم.

أذنب ذنباً كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونــزع واستغفــر صقل منها، وإن زاد زادت حتى يغلف بها قلبه، فذلك الران الذي ذكر الله في كتابه: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]»[١].

وأخرج ابن ماجة والترمذي وحسنه عن عبدالله بن عمر[٢] رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله يقبل توبة العبد ما لم يُغرغِر**»[٣]- أي بمعجمتين الأولى مفتوحة والثانية مكسورة وراء مكررة، معناه: ما لم تبلغ روحه حلقومه، فيكون بمنزلة الشيء الذي يتغرغر به، ذكره المنذري وابن الأثير في النهاية وزاد: والغرغرة أن يجعل المشروب في الفم ويردد إلى أصل الحلق ولا يُبلع. انتهى.

وفي حديث معاذ رضي الله عنه مرفوعاً: «**وما عملت من سوء فأحدث له توبة، السر بالسر، والعلانية بالعلانية**»[٤]، رواه الطبراني بإسناد حسن غير أن عطاء وهو الراوي عن معاذ لم يدرك معاذاً، ورواه البيهقي وأدخل بينهما رجلًا لم يسم.

---

(١) رواه الترمذي (٥/ ٤٣٤) رقم ٣٣٣٤ بلفظ «العبد» بدل المؤمن واختلاف آخر يسير جداً وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه واللفظ له (٢/ ١٤١٨) رقم ٤٢٤٤، والبيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٤٤٠) رقم ٧٢٠٣، والحاكم (٢/ ٥٦٢) رقم ٣٩٠٨ وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) في الأصل (ابن عمرو) والمثبت هو الصواب.

(٣) رواه الترمذي (٥/ ٥٤٧) رقم ٣٥٣٧ وقال: هذا حديث حسن غريب، وابن ماجه (٢/ ١٤٢٠) رقم ٤٢٥٣، وأحمد (٢/ ١٣٢) رقم ٦١٦٠، وابن حبان في صحيحه (٢/ ٣٩٤) رقم ٦٢٨، والحاكم (٤/ ٢٨٦) رقم ٧٦٥٩ وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٤) جزء من حديث أخرجه الطبراني (٢٠/ ١٥٩) رقم ٣٣١ وفي (١٧٥) رقم ٣٧٤، وابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ٧٨) رقم ٣٤٣٢٥ باختلاف يسير جداً، وذكره الهيثمي (٤/ ٣٩٥) رقم ٧١٢٠ وقال: رواه الطبراني، وأبو سلمة لم يدرك معاذاً ورجاله ثقات، وفي (١٠/ ٧٢) رقم ١٦٧٥٣ وقال: رواه الطبراني وإسناده حسن.

وأخرج الأصبهاني عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً: «**إذا تاب العبد من ذنوبه أنسى الله حفظته ذنوبه، وأنسى ذلك جوارحه ومعالمه من الأرض، حتى يلقى الله يوم القيامة وليس عليه شاهد من الله بذنب**»[١].

وأخرج ابن ماجه والطبراني عن عبدالله رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**التائب من الذنب كمن لا ذنب له**»[٢].

قلت: أخرجه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات، وحسنه الحافظ ابن حجر بشواهد لأن في سنده أبا عبيدة بن عبدالله بن مسعود عن أبيه ولم يسمع منه، وله شواهد ضعيفة، ورواه البيهقي في شعب الإيمان وزاد عن ابن عباس: «والمستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزئ بربه»[٣].

وقال ﷺ: «**الندم توبة**»[٤] رواه ابن حبان في صحيحه عن أنس رضي الله عنه، ورواه الحاكم وصححه عن ابن مسعود رضي الله عنه. وقال (ابن الدَّيبَع)[٥] في كتابه [تميز الطيب من الخبيث فيما يدور على الألسنة من الحديث]: رواه الطبراني في الكبير وأبو نعيم في الحلية من حديث أبي سعيد الأنصاري مرفوعاً بزيادة: والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، وسنده ضعيف.

وأخرج الحاكم وصححه عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله

---

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٤/ ١٧) وفي التوبة (٣٥) رقم ١٢، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٤٨) رقم ٤٧٥٦، وصدره بصيغة التمريض.

(٢) رواه ابن ماجه (٢/ ١٤١٩) رقم ٤٢٥٠، والطبراني في الكبير (١٠/ ١٥٠) رقم ١٠٢٨١، والبيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٤٣٦) رقم ٧١٧٨، وفي السنن الكبرى (١٠/ ١٥٤) رقم ٢٠٣٤٧، وذكره الهيثمي (١٠/ ٣٣٠) رقم ١٧٥٢٦ وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح إلا أن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه.

(٣) انظر البيهقي في تخريج الحديث السابق.

(٤) سبق ص ٥٣٤ .

(٥) في الأصل (الربيع).

ﷺ: «**ما علم الله من عبد ندامة على ذنب إلا غفر له قبل أن يستغفره منه**»(١)، واعترض تصحيح الحاكم بأن فيه هشام بن زياد ساقط.

وأخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون ويستغفرون الله فيغفر لهم**»(٢).

وأخرج البخاري ومسلم عن أبي سعيد رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ قال: «**كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على راهب فأتاه، فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبة؟ فقال: لا، فقتله فكمل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على رجل عالم، فقال: إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة؟ فقال: نعم من يحول بينه وبين التوبة، انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناساً يعبدون الله فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء، فانطلق، حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاءنا تائباً مقبلًا بقلبه إلى الله، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيراً قط، فأتاهم ملك في صورة آدمي، فجعلوه بينهم، فقال: قيسوا ما بين الأرضين، فإلى أيتهما كان أدني فهو له، فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة**»(٣)، وفي رواية «**فكان إلى القرية الصالحة أقرب بشبر فجعل من أهلها**»(٤) وفي رواية

---

(١) رواه الحاكم (٤/ ٢٨٢) رقم ٧٦٤٦ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي بأن هشام بن زياد متروك.

(٢) رواه مسلم رقم ٢٧٤٩ .

(٣) رواه البخاري رقم ٣٤٧٠، ومسلم رقم ٢٧٦٦ واللفظ له.

(٤) البخاري السابق.

«فأوحى تعالى إلى هذه أن تباعدي وإلى هذه أن تقربي وقال: قيسوا ما بينهما فوجدوه إلى هذه أقرب بشبر فغفر له»[١]، وقال الحسن: ذكر لنا أنه لما أتاه ملك الموت نأى بصدره نحوها.

قلت: وأخرج ابن الجوزي هذه الزيادة في المرفوع قال: **«فخرج فأدركه الموت فنأى بصدره نحو القرية، فوجد الى القرية أقرب بشبر، فغفر له»**[٢].

وأخرج الشيخان عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله بأرض فلاة»**[٣]، أي **«وكان عليها طعامه وشرابه»**[٤] كما في رواية فيهما.

وأخرجا أيضاً عن ابن مسعود رضي الله قال: قال رسول الله ﷺ: **«لله أفرح بتوبة أحدكم من رجل خرج بأرض دَوِيَّة مهلكة، معه راحلته عليها طعامه وشرابه وزاده وما يصلحه، فأضلها، فخرج في طلبها، حتى إذا أدركه الموت ولم يجدها قال: أرجع إلى مكاني الذي أضللتها فيه فأموت فيه، فأتى مكانه فغلبته عينه فاستيقظ فإذا راحلته عند رأسه عليها طعامه وشرابه وزاده وما يصلحه»**[٥]، وأخرجاه بهذا المعنى من حديث أبي هريرة، وأخرجه مسلم من حديث النعمان بن بشير. وأخرج الطبراني بإسناد حسن

---

(١) البخاري، السابق.
(٢) البخاري السابق.
(٣) رواه البخاري رقم ٦٣٠٩، ومسلم رقم ٢٧٤٧، ولكن باختلاف يسير جداً.
(٤) البخاري رقم ٦٣٠٨ ومسلم ٢٧٤٧ .
(٥) رواه البخاري رقم ٦٣٠٨ باختلاف وزيادة ونقص، وكذا مسلم رقم ٢٧٤٤، والترمذي واللفظ له (٤/ ٦٥٨) رقم ٢٤٩٨ وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأحمد (١/ ٣٨٣) رقم ٣٦٢٧ .

عن أبي ذر رضي الله عنه مرفوعاً «**من أحسن فيما بقي غفر له ما مضى، ومن أساء فيما بقي أخذ بما مضى وما بقي**»(١).

وأخرج البزار والطبراني واللفظ له وإسناده جيد قوي أن رجلًا سأل رسول الله ﷺ فقال: «**أرأيت من عمل الذنوب كلها ولم يترك منها شيئاً، وهو في ذلك لم يترك حاجّة ولا داجّة**(٢) **إلا أتاها، فهل لذلك من توبة؟ قال: فهل أسلمت؟ قال: فأما أنا فأشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، قال: تفعل الخيرات وتترك السيئات، يجعلْهن الله لك خيرات كلهن، قال: وغدراتي وفجراتي؟ قال: نعم. قال: الله أكبر فمازال يكبر حتى توارى**»(٣).

قلت: وشاهده من كلام الله تعالى: ﴿يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍ﴾ [الفرقان: ٧٠].

واعلم أن هنا بحثاً عظيماً وهو: هل السيئات تمحى بالتوبة النصوح لقوله ﷺ: «**وأتبع السيئة الحسنة تمحها**»(٤) أو لا، لقوله تعالى: ﴿وَمَن

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٧/ ٤٦) رقم ٦٨٠٦، وفي مسند الشاميين (١/ ٣٨٢) رقم ٦٦٤، وذكره الهيثمي (١٠/ ٣٣٤) رقم ١٧٥٣٧ وقال: رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن.

(٢) ساقطة من الأصل وفي الحاشية/ تأمل هنا لعله سقط.

(٣) الحاج والحاجّة: أحد الحجاج، والدّاج والدّاجّة: الأتباع والأعوان، يريد الجماعة الحاجة ومن معهم من أتباعهم، النهاية/ مادة: حجج.

(٤) رواه الطبراني في الكبير (٧/ ٣١٤) رقم ٧٢٣٥، والخطيب في تاريخ بغداد (٣/ ٣٥٢)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٦/ ٢٠٩)، وذكره ابن حجر في الأمالي المطلقة (١٤٥) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، والهيثمي (١/ ١٨١) رقم ٧٦ وقال: رواه الطبراني والبزار بنحوه ورجال البزار رجال الصحيح غير محمد بن هارون أبي نشيط وهو ثقة.

(٥) جزء من حديث رواه الترمذي (٤/ ٣٥٥) رقم ١٩٨٧ وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأحمد (٥/ ١٥٨) رقم ٢١٤٤١ عن أبي ذر.

يَعْـمَلْ مِثْقَـالَ ذَرَّةٍ شَـرًّا يَـرَهُۥ﴾ [الزلزلة:٨] ويكون المحو لمجرد الإثم والمؤاخذة؟ قولان مشهوران أصحهما عندي أن المحو لمجرد المؤاخذة، وأنه لابد له من التوقيف عليها يوم القيامة، ليظهر له عظم منة الله عليه، وأنه سبحانه ثَمَّ يحول السيئة حسنة فيثيبه عليها، هذا ما ظهر لي من زبدة بحث طويل فيه إجمال وتفصيل، قد نبه عليه أجلاء الفحول، وأثبتوا فيه الآثار والنقول، والله أعلم بالصواب من ذلك لا رب سواه ولا معبود إلا إياه.

إذا علم ذلك فعلى الحازم أن يبادر إلى التوبة ليحصل له التوفيق للطاعة، فإن شؤم الذنوب فساد القلوب، والحرمان من مشاهدة آثار أسماء المحبوب، والخذلان لدى علام الغيوب، فقيد الذنوب يمنع من النهوض إلى طاعة علام الغيوب، وكيف يسعى إلى مولاه من أثقلته خطاياه؟! وكيف يُنَوِّر قلباً بذكره وهو مصر على عصيانه ووزره؟!وكيف يذوق حلاوة الطاعة من اتخذ معصية الله له بضاعة؟! أم كيف يُدْعَى إلى الخدمة من هو مصر على الجفوة والصدمة؟! أم كيف يقرب للمناجاة من هو متلطخ بالأقذار، حايد عن طرق النجاة؟! وفي الخبر «**إذا كذب العبد تنحى الملكان عن نتن ما يخرج من فيه**»[1].

فإذا كان هذا حال الملكين المخلوقين، وهما عبدان، يتنحيان عن نتن لسان تضمخ بالكذب فكيف هذا اللسان يناجي الحنان المنان؟! فلا جرم لا يكاد يجد المصر على العصيان توفيقاً، ولا تَحفُّ أركانه للعبادة ولا يسلك لها طريقاً، وإن انتصب للعبادة فقد سلب حلاوتها وصفو لذتها،

(١) رواه الترمذي (٤/٣٤٨) رقم ١٩٧٢ بلفظ «إذا كذب العبد تباعد عنه الملك ميلًا من نتن ما جاء به» وقال: هذا حديث حسن جيد غريب. والطبراني في الأوسط (٧/ ٢٤٥) رقم ٧٣٩٨ باختلاف يسير، وفي الصغير (٢/ ٩٨) رقم ٨٥٣ من حديث ابن عمر.

ولقد أجد في نفسي أني إذا خالطت أرباب الولايات أو أكلت من أموالهم ثقلًا، وربما منعني من إتيان حزبي تلك الليلة، فأعلم أن سبب ذلك من ذلك، فنسأل الله أن يمن علينا بتوفيقه إنه ولي التوفيق.

وكل معصية أصابت العبد فبشؤم الذنوب وترك التوبة، ولقد صدق من قال: إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك مكبول، وقد كبلتك خطيئتك.

واعلم أن العبادة ربما ردت ولم تقبل ممن لم يتب، فإن رب الدين لا يقبل الهدية، وذلك أن التوبة عن المعاصي وإرضاء الخصوم فرض لازم، ونوافل العبادة تبرع، والتبرع لا يقبل وعليك الدين قد حل، والوقت قد فات واضمحل، وكيف تترك لأجله المباح وأنت مصر على فعل المحظور بالغد والرواح؟ أم كيف تناجيه وتثني عليه باللسان وهو سبحانه وتعالى عليك غضبان؟ وفي أثر: إني أذكر من ذكرني، وإذا ذكرني من هو مصر على معصيتي ذكرته باللعن. أو معنى ذلك، هذا وداعي الرحمن ينادي على رؤوس الأشهاد، ويدعو أهل التوفيق والسداد، في كل عصر ومصر لو كانوا يسمعون ويعقلون: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]: ﴿تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨]. ﴿هُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الشورى: ٢٥]. فعلى العاقل أن يداوي ما به من الداء العضال، بالرجوع إلى حضرة ذي العزة والجلال، ويقرع باب التوبة ويرجع عن الذنب والحوبة، أوحى الله تعالى إلى داود: يا داود أنين المذنبين أحب إلي من صراخ العابدين. وقيل لرابعة: إني كثير الذنوب فإن تبت هل يتوب الله علي؟ قالت: لا بل إن تاب عليك تبت.

وقال ابن معاذ رحمه الله تعالى: ذنب بعد التوبة أقبح من سبعين قبلها، نقله في طهارة القلوب.

واعلم أن الواجب على العبد أن يتوب، ويعزم على أن لا يعود عزماً صادقاً، فإن عاد فليتب فإن الله يتوب عليه.

قال الغزالي في (منهاج العابدين) فيمن يقول: إني أعلم من نفسي أني أعود إلى الذنب ولا أثبت على التوبة فلا فائدة في ذلك: إن هذا من غرور الشيطان، ومن أين هذا العلم؟ فعسى أن تموت تائباً قبل أن تعود إلى الذنب، وأما الخوف من العود فعليك العزم والصدق في ذلك وعليه الإتمام، فإن أتم فذاك ، وإلا فقد غفرت ذنوبك السالفة كلها فتطهرت منها، وليس عليك إلا هذا الحدث، فلا يمنعك خوف العود عن التوبة، فإنك من التوبة أبداً بين إحدى الحسنيين، والله ولي التوفيق والهداية.

واعلم أن الذنوب ثلاثة أقسام: ترك واجب فعليك أن تقضيه أو ما أمكنك منه، أو ذنب بينك وبينه تعالى كشرب الخمر فتندم عليه وتوطن القلب على عدم العود إليه، أو ذنب بينك وبين العباد وهذا أشكل وأصعب، وهو أقسام، إما في المال، أو في النفس، أو في العِرض، أو في الحُرمة، أو في الدِّين، فما كان في المال فعليك أن ترده عليه إن أمكن أو الاستحلال منه، فإن عجزت عن ذلك لغيبة الرجل أو موته فتصدق به عنه إن أمكن إن لم يكن له وارث، فإن تعذر ذلك كله فعليك بتكثير حسناتك والتضرع لمولاك أن يرضيه عنك، وأما ما كان في النفس فمكنه من القِصاص أو أولياءه، فإما أن يقتص أو يعفو، فإن عجزت فالرجوع إلى الله سبحانه أن يرضيه عنك يوم القيامة، وأما العِرْض فإن اغتبته أو شتمته فعليك أن تُكَذِّب نفسك بين يدي من فعلت ذلك عنده، فإن كان ما قلت حقاً فعليك التوبة وأن تستحل من صاحبه إن أمكن، وإلا فارجع إلى الله تعالى واسأله أن يرضيه عنك واستغفر له كثيراً، وقل: اللهم اغفر لنا، وله فإن

ذلك كفارة الغيبة كما جاء عن حضرة الرسالة[١]، وأما الحُرمة بأن خنته في أهله أو ولده ونحوه، فلا وجه للاستحلال، لأنه مثار الفتنة ومعترك المحنة، فالرجوع إلى المولى في ذلك أن يرضيه عنك أحرى وأولى، وزعم بعضهم أنه يستحله إن أمن الفتنة، وأما في الدين بأن كفره أو بدعه ونحو ذلك - وهذا أصعب الأمر وأكثر هذا الداء في أهل العلم - فيحتاج إلى أن يكذب الإنسان نفسه عند من صدر منه ذلك عندهم، والاستحلال من صاحبه إن أمكن، وإلَّا فالابتهال لذي الجلال أن يرضيه عنك في المآل، والله الموفق.

وجملة الأمر فما أمكن من إرضاء الخصم عملت، وما لا رجعت إلى الله بالتضرع والصدق إلى الله ليرضيه عنك، فيكون ذلك في مشيئة الله تعالى إذا علم من عبده الصدق أرضى الخصم من خزائن فضله، ومن رضي عنه مولاه أرضى عنه خصومه وتولاه.

قال الإمام العلامة ناصر السنة ابن الجوزي في (تبصرته): اعلم أن التوبة إذا صحت قبلت بلا شك إذا وقعت قبل نزول الموت، ولو كانت عن أي ذنب كان.

واعلم أن التوبة من أعظم الأمور اهتماماً، وقد ورد عن بعض العلماء العاملين أنه قال: دعوت الله سبحانه ثلاثين سنة أن يرزقني توبة نصوحاً، ثم تعجبت في نفسي وقلت: سبحان الله، حاجة دعوت الله فيها ثلاثين

---

(١) روى البيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٣١٧) رقم ٦٧٨٦ «قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: قد روينا في حديث مرفوع بإسناد ضعيف «كفارة الغيبة أن تستغفر لمن اغتبته»، وذكره الهندي في كنز العمال (٣/ ٥٩٣) رقم ٨٠٦٤، والذهبي في تذكرة الحفاظ (٣/ ٩٦٧) في ترجمة أبي الفتح محمد بن الحسين رقم ٩٠٨ وقال: هذا حديث منكر.

سنة فما قُضيت إلى الآن، فرأيت فيما يرى النائم كأن قائلًا يقول لي: أتعجب من ذلك؟ أتدري ماذا تسأل الله تعالى؟ إنما تسأله سبحانه أن يحبك، أما سمعت قول الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

ولا ينبغي للعاقل أن يغفل عما جرى لإبليس، فإنه كان من المقربين فأصبح من الملعونين، وبلعام ابن باعورا كان من الأولياء الكبار والمطلعين على دقائق الأسرار، وكان يحفظ الاسم الأعظم، فآل به الحال إلى قول ذي العزة والجلال: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الأعراف: ١٧٥]. فكان أول أمرهما ذنباً وآخره كفراً فهلكا مع الهالكين، ومن أمثالهما خلق كثير وجم غفير، فعلى العبد المعترف بالعبودية الرجوع إلى مولاه، والإنابة إلى من يعلم سره ونجواه، فهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويهدي من أراد به خيراً إلى طريق رشاده.

قال بعض السلف: سواد القلب من الذنوب. وعلامة سواده أن لا تجد من الذنب مفزعاً، ولا للطاعة موقعاً، ولا للموعظة منجعاً، ولا يحقر العاقل من الذنوب شيئاً، فإن اللّه يقول: ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥]. وقد قال بعض السلف: أذنبت ذنباً وأنا أبكي عليه منذ أربعين سنة، قيل: ما هو؟ قال زارني أخ لي في الله فاشتريت له سمكاً فأكل، فقمت إلى حائط جاري فأخذت منه قطعة طين فغسل بها يده.

ورأيت في بعض الإسرائيليات: أن جبريل أو غيره أخبر أن رجلين يوم القيامة توزن حسناتهما وسيئاتهما، فترجح حسنات أحدهما وترجح سيئات الآخر، فيقال: انظروا هل بقي لهذا من خير قط؟ فيقال: إنه كان جزاراً وإن فلانا- أعني الذي رجحت حسناته - طلع يوماً فوضع أصبعه

على لحم له فحملت يده من الدسومة شيئاً، فأخذ بمقدار تلك الدسومة من حسنات الذي رجحت حسناته فطاشت حسناته ورجحت سيئاته ووضعت في كفة الذي رجحت سيئاته فطاشت سيئاته ورجحت حسناته. أو هذا معناه فانظر واعتبر وبادر بالرجوع عن الذنب، وسافر بالقلب إلى الرب، وانظر حال الأب[1] الأعلى وما جرى له، مع أنه سبحانه خلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وأحله دار كرامته، فأخرجه من جنته بذنب واحد، ونزع عنه تاج كرامته ثم اصطفاه ربه فتاب عليه وهدى، روي أن الله قال له: يا آدم أي جار كنت لك؟ قال: نعم الجار يا رب، قال: يا أدم أخرج من جواري، وضع عن رأسك تاج كرامتي، فإنه لا يجاورني من عصاني، فبكى على ذنبه مائتي سنة، فقيل له: يا أدم أكل هذا البكاء على الجنة؟ فيروى أنه قال: شغفت بجار لا بدار ألفتها، على الجار أبكي لا بكاي على الدار، ويروي أن هذا قاله بعد وفاته، رآه بعض الصالحين، فعاتبه على كثرة البكاء مع تحقق الرجوع فأجابه به، فهذا حاله مع صفوته من خلقه فكيف بمن هو عن ذلك بمراحل؟ وفي مهلكات الذنوب قايل؟ فيالله العجب يرهبه المقربون ولا يخافه المدحضون، يخاف على نفسه من يتوب فكيف ترى حال من لا يتوب؟ فعليك بالتوبة والندم، والرجوع إلى معدن الحلم والكرم، واطرق هاتيك الأبواب، ومرغ الخدود على التراب، والزم الوقوف لدى باب الرحيم الرؤوف، وناد بقلب حزين يا أرحم الراحمين عُبَيْدُك قد أتاك متنصلاً، وقد دعاك متأملاً، فلا ترده خائباً، يا أرحم الراحمين، ببركة محمد ﷺ، آمين.

أنا عبدك الجاني وأنت المالكُ   إن لم تسامِحْني فإني هالكُ
يا من تدارك طولَ جهلي حلمُه   ذخري لحشري عفُوكَ المتدارِكُ

---

(١) يقصد آدم عليه السلام.

مولاي أسررتُ القبيح وظاهري   حسن وأنت لحجب سِتْري هاتكُ
حَسْبِي خَسَاراً أن تراني مسرفا   ويظن هذا الخلقُ أني ناسكُ

والحاصل أنك إذا برَّأْتَ قلبك من الذنوب كلها، وجزمت على أن لا تعود إلى الذنب والحوب جزماً صادقاً، وعزماً فائقاً، وأرضيت ما أمكن من الخصوم، وقضيت الفوائت، ورجعت فيما لا يمكن إلى الحي القيوم، فاذهب فاغتسل، واغسل ثيابك وصل أربع ركعات[1] كما يجب، وضع وجهك على التراب، ومرغ خد الذل على الأعتاب، ويكون ذلك في مكان خالٍ من سوى علام الغيوب، فإن علمه محيط بالكائنات، وعبده في عينه أين كان، ثم ضع التراب على رأسك، ومرغ وجهك الذي هو أعز أعضائك بالتراب، بدمع جاري وقلب حزين وصوت عالٍ ونداء خفي، وتذكر ذنوبك ذنباً ذنباً، وتلوم نفسك العاصية عليها وتوبخها، وتقول أما تستحين يا نفس من مولاك؟ تباً لك فإلى متى أنهاك؟ جاء النذير ولم تتوبي، فارجعي وتيقني أن الرحيم يراكِ، حتى متى هذا التمادي في الهوى توبي، عسى مولى الوري يرضاك، أما آن لك أن تتوبي وترجعي، ألك طاقة بعذاب الله؟ ألك حاجة بسخط الله؟ تكثر من نحو هذا مع الدمع المسفوح، والقلب المجروح، ثم ترفع رأسك ويديك إلى أرحم الراحمين وتقول: إلهي عبدك

---

(١) ما ورد من السنة في ذلك هو ما رواه أحمد (١/ ٢) رقم ٢ عن أبي بكر عن النبي ﷺ قال: «ما من رجل يذنب ذنباً فيتوضأ فيحسن الوضوء، قال مسعر: ويصلي، وقال سفيان: ثم يصلي ركعتين فيستغفر الله عز وجل إلا غفر له» وفي (١٠) رقم ٥٦ ورواه الترمذي (٥/ ٢٢٨) رقم ٣٠٠٦ باختلاف يسير جداً وكذا ابن ماجه (١/ ٤٤٦) رقم ١٣٩٥، وابن حبان في صحيحه (٢/ ٣٨٩) رقم ٦٢٣، والطبراني في الكبير (١/ ١٨٥) رقم ٥٨٤، وروى الطبراني في الأوسط (٥/ ١٨٦) رقم ٥٠٢٦ عن أبي الدرداء قال: سمعت النبي ﷺ يقول «ما من مسلم يذنب ذنباً فيتوضأ ثم يصلي ركعتين أو أربعاً مفروضة أو غير مفروضة ثم يستغفر الله إلا غفر الله له» وذكره الهيثمي (٢/ ٣٧) رقم ١٦٧٣ وقال: رواه الطبراني في الأوسط وقال: تفرد به صدقة بن أبي سهل، قلت: ولم أجد من ذكره.

الآبق رجع إلى بابك، عبدك العاصي رجع إلى الصلح ووضع خده على أعتابك، عبدك المذنب أتاك بالعذر فاعف عني بجودك وكرمك ومَنِّكَ، وتقبلني بفضلك، وانظر إليَّ برحمتك، اللهم اغفر لي عظائم الأمور، يا منتهى همة المهمومين، يا من إذا أراد شيئاً إنما يقول له كن فيكون، أحاطت بنا ذنوبنا فأنت المذخور لها، يا مذخور لكل شدة كنت أذخرك لهذه الساعة، فتب عليَّ إنك أنت التواب الرحيم، ثم أكثر من البكاء والتذلل وقل: يا من لا يشغله سمع عن سمع، يا من لا تُغلِّطُه المسائل، يا من لا يَبْرَمُهُ إلْحاح المُلِّحين، أذِقْني بَرْد عفوك، وحلاوة مغفرتك، إنك على كل شيء قدير، ثم صل على النبي ﷺ واستغفر لجميع المؤمنين والمؤمنات، وارجع إلى طاعة الله جل جلاله، فتكون قد تبت توبة نصوحاً، وقد خرجت من الذنوب طاهراً كيوم ولدتك أمك، وأحبك الله عز وجل، ولك من الأجر والثواب، وعليك من البركة ما لا يحيط به وصف الواصفين، وقد حصل الأمن والخلاص، ونجوت من غُصَّة المعاصي وبليتها في الدنيا والآخرة، والله سبحانه وتعالى الموفق لكل خير، والمُوْقِي لكل ضر، ولا رب غيره، ولا يرجى إلا خيره.

* * *

---

(١) في حاشية الأصل/ بلغ مقابلة.

الفصل الثاني
في المحبة

لما ذكرنا التوبة وشرحنا لك معانيها وشروطها والآثار الحاثة على الرغبة فيها، أعقبناها بهذا الفصل العظيم، لكونه مرتباً عليها، وناشئاً عنها، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] وفيه مقاصد.

المقصد الأول: في لزوم المحبة له سبحانه وتعالى.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ الآية [المائدة: ٥٤]، قال الإمام الحافظ ابن رجب في كتابه «استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس»، عن أبي عبدالله محمد بن خفيف الصوفي قال: سألنا أبو العباس بن سريج بشيراز فقال لنا: محبة الله فرض أو غير فرض؟ قلنا: فرض قال: ما الدلالة على فرضها؟ فما منا من أتى بشيء يقبل، فرجعنا إليه وسألناه الدليل على محبة المولى الجليل، فقال: قوله: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ﴾ الآية [التوبة: ٢٤]، فتوعدهم الله عز وجل على تفضيل محبتهم لغيره على محبته ومحبة رسوله، والوعيد لا يقع إلا على فرض لازم وحتم واجب.

وفي الصحيحين عن أنس مرفوعاً: «**إن محبة الله تمنعه من أن**

يعصيه»[١] وقال عمر: نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه، ذكره أبو عبيد في غريبه. وقال الحسن: ابن آدم أحب الله يحبك الله، واعلم أنك لن تحب اللّه حتى تحب طاعته. وقال رجل لرابعة إني أحبك في اللّه، قالت: فلا تبغض الذي أحببتني له، وسئل ذو النون: متى أحب ربي؟ قال: إذا كان ما يبغضه عندك أمَرَّ من الصَّبرِ، وقال النهرجوري: كل من ادعى محبة الله عز وجل ولم يوافق اللّه في أمره فدعواه باطلة، وكل محب ليس يخاف الله فهو مغرور، وقال يحيى بن معاذ: ليس بصادق من ادعى محبة الله ولم يحفظ حدوده، وقال رويم: المحبة المُوَافَقَةُ في جميع الأحوال، وأنشد.

ولو قيل لي مُتْ مُتُّ سمعاً وطاعة وقلت لداعي الموت أهلًا ومرحباً[٢]

وخرج الترمذي عن النبي ﷺ أنه قال: «**من أعطى للّه ومنع للّه وأبغض لله وأحب لله فقد استكمل إيمانه**»[٣].

وخرجه الإمام أحمد وزاد فيه: «**وأنكح للّه**»[٤].

وسئل ﷺ عن أفضل الإيمان فقال: «**أن تحب لله، وتبغض للّه، وتعمل لسانك في ذكر الله**»[٥].

---

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ فيما تحت يدي من مراجع.
(٢) في الأصل بياض بعد هذا البيت بمقدار أربعة أسطر وكذا في نسخة (أ).
(٣) رواه الترمذي (٤/ ٦٧٠) رقم ٢٥٢١ وقال: هذا حديث حسن، وأبو يعلى في مسنده (٣/ ٦٠) رقم ١٤٨٥ عن أبي أمامة، وكذا الطبراني في الكبير (٨/ ١٣٤) رقم ٧٦١٣، والحاكم (٢/ ١٧٨) رقم ٢٦٩٤ من حديث أنس وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.
(٤) أحمد (٣/ ٤٣٨) رقم ١٥٦٥٥ .
(٥) رواه أحمد (٥/ ٢٤٧) رقم ٢٢١٨٣، ورقم ٢٢١٨٥، والطبراني في الكبير (٢٠/ ١٩١) رقم ٤٢٥، والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ٤١٦) رقم ٥٧٩، كلهم من حديث معاذ بن أنس، وذكره الهيثمي (١/ ٢٢٧) رقم ٢١١ وقال: رواه الطبراني في الكبير وفي إسناده ابن لهيعة.

والمحبة الصادقة الصحيحة تمنع من الإصرار على الذنوب وعدم الاستحياء من علام الغيوب، ولذا قيل:

تعصي الإله وأنت تزعم حبه هذا لعمري في القياس شنيعُ
لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب مطيعُ

واعلم أن من أعظم المطالب وأهمها سؤال الله تعالى المحبة على أكمل الوجوه وأتمها، وفي دعائه ﷺ «**وأسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقربني إلى حبك**»[١] خرجه الإمام أحمد والترمذي وصححه والحاكم وقال: صحيح الإسناد، وفي بعض الروايات: «**وحب عمل يبلغني حبك**»[٢].

وفي دعاء داود عليه السلام: اللهم إني أسألك حبك، وحب من يحبك، والعمل الذي يبلغني حبك، اجعل حبك أحب إلي من نفسي وأهلي ومن الماء البارد، رواه الترمذي وقال: حسن غريب، وفي دعاء نبينا ﷺ: «**اللهم ارزقني حبك وحب من ينفعني حبه عندك، اللهم ما رزقتني مما أحب فاجعله قوة لي فيما تحب، اللهم وما زويت عني مما أحب فاجعله فراغاً لي مما تحب**»[٣]، رواه الترمذي وقال: حسن غريب.

وذكر الحافظ ابن رجب (أن)[٤] الله تعالى أرسل إلى سليمان بن داود عليهما السلام بعد موت أبيه مَلَكا من الملائكة، فقال له الملك: إن ربي عز وجل أرسلني إليك لتسأله حاجة، قال سليمان: فإني أسأل ربي أن يجعل

---

(١) جزء من حديث رواه أحمد (٥/ ٢٤٣) رقم ٢٢١٦٣، والترمذي (٥/ ٣٦٨) رقم ٣٢٣٥ وقال: هذا حديث حسن صحيح، والحاكم (١/ ٧٠٢) رقم ١٩١٣ .

(٢) الترمذي السابق.

(٣) رواه ابن أبي شيبة (٦/ ٧٦) رقم ٢٩٥٩٢، والطبراني في الدعاء (١/ ٤١٤)، والترمذي (٥/ ٥٢٣) رقم ٣٤٩١ عن عبد الله بن يزيد الخطمي، وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٤) ليست بالأصل وأثبتناها ليستقيم السياق.

قلبي يحبه كما كان قلب أبي داود يحبه، وأسأل الله تعالى أن يجعل قلبي يخشاه كما كان قلب أبي داود يخشاه، فقال الرب تبارك وتعالى: أرسلت إلى عبدي ليسألني حاجة فكانت حاجته إليَّ أن أجعل قلبه يحبني وأجعل قلبه يخشاني، وعزتي لأكرمنه، فوهب له ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، ثم قال: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ [ص: ٣٩-٤٠].

وكان الحسن رحمه الله تعالى يقول: اللهم املأ قلوبنا إيماناً بك، ومعرفة بك، ومعرفة لك وتصديقاً لك، وحباً لك، وشوقاً إلى لقائك، وعن الحسن بن الحسن بن علي عليهم السلام أنه كان يقول في دعائه: اللهم ارزقني محبة لك تقطع بها عني محبات الدنيا ولذاتها، وارزقني محبة لك تجمع لي بها خير الآخرة ونعيمها، اللهم محبتك آثر الأشياء عندي، وأقرها لعيني، واجعلني أحبك حب الراغبين في محبتك، حباً لا يخالطه حب هو أعلى منه في صدري، ولا أكبر منه في نفسي، حتى يشتغل قلبي به عن السرور بغيره، حتى تكمل لي به عندك الثواب غداً في أعلى منازل المحبين لك يا كريم، وكان الحسن هذا من خيار أهل البيت، وكان يدعو بهذا الدعاء آخر كلامه ويبكي.

واعلم أنه لا يتصور حب إلا بعد معرفة بإدراك، وكل ما في إدراكه لذة فهو محبوب، لأن في الطبع ميلًا إليه، وقد قال عليه الصلاة والسلام: **«حبب إلي من دنياكم الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة»**(١) فجعل الصلاة أبلغ المحبوبات، قال ابن الجوزي: ومن المعلوم أنه ليس

---

(١) رواه أحمد (٣/ ١٢٨) رقم ١٢٣١٥، ١٢٣١٦، وص١٩٩) رقم ١٣٠٧٩، والنسائي (٧/ ٦١) رقم ٣٩٣٩، ٣٩٤٠، والحاكم (٢/ ١٧٤) رقم ٢٦٧٦ وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

تحظى بها الحواس، بل حس سادس مظنته القلب، وهذه الحاسة تدرك بالخمس، وبها يتميز الآدمي عن البهيمة، فجمال المعاني المدركة بالعقل والبصيرة أعظم من جمال الصورة الظاهرة للأبصار، فتكون لذة القلوب بما تدركه من الأمور الشريفة التي تجل عن أن تدركها الحواس أتم وأبلغ، فيكون مثال العقل الصحيح أقوى، فلا ينكر حب الله إلا من لم يجاوز إدراك الحواس، ومن المعلوم أن الإنسان يحب نفسه ودوام وجودها، ويحب المال لأنه سبب بقائه، ويحب ولده لأنه جزء منه، ويحب أهله ومن أحسن إليه، وليس كل جمال يدركه الحس، فإن القلب أشد إدراكاً من العين، وجمال المعاني المدركة بالعقل أعظم من جمال الصور المدركة بالأبصار، فإن من أحب أبا بكر وعلياً شاهد جمالهما وكمالهما في معانيه بعين علمه لا ببصره، وكذلك من أبغض إبليس وأبا جهل فمبشاهدة البصائر مقابحهما لا صورهما، وهذه البصيرة هي نور العقل التام المعبر بها عند القوم بالذوق[1]، فجل المعاني العظيمة إنما تدرك بالذوق لا بالحواس، فالصبي يستلذ اللعب، فإذا ترعرع رأي لذة الزينة وركوب الخيل فاحتقر ما كان فيه من اللعب، فإذا بلغ طلب النكاح فاحتقر ما كان فيه قبله، فإذا رأي الرئاسة والعلو وكثرة المال قدمه علي ذلك، فإن كان قلبه نيراً قدم حب العلوم على الكل، لأن لذة العلم تدرك بالذوق والعقل، فتزيد على اللذات

---

(١) الذوق عند الصوفية هو: نور يقذفه الحق بتجلية في قلوب أوليائه يفرقون به بين الحق والباطل من غير أن ينقلوا ذلك من كتاب ولا غيره، وقال ابن عربي: الذوق أول مبادئ التجليات الإلاهية، انظر: التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (٣٥٣)، وكذا التعريفات للجرجاني (١٤٤).

قلت: وبناء على هذا التعريف فإن بغض إبليس وأبي جهل لم يكن بالذوق بل كان قائماً على الأدلة القطعية مِن كتاب الله وسنة وسيرة رسوله ﷺ، فإن عداوة إبليس ظاهرة ومنقولة في الكتاب والسنة وكذا أبي لهب ومن على شاكلته.

الحسية، فعلى هذا لا محبوب على الحقيقة للعقول النيرة إلا الله عز وجل، لأن الحب ميل النفس إلى الشيء الموافق، والكمال والجمال الإحسان موافق، والله عز وجل منفرد بذلك، فإنه تام القدرة، كامل الصنعة، ظاهر الحكمة، خالق النفس، وبه قوامها وتكميلها، فمن أحب نفسه وجب عليه حب من أفاده الوجود وأدامه له، وهيأ له أسبابه وأحسن إليه، وحب المحسن يقع اضطراراً، قال عليه السلام: «**أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه**»(١).

فمن لاحظ جمال العزة وكمال العظمة وجزيل الفضل أحبه ضرورة، وهذه المحبة لا تحصل إلا بعد المعرفة، وقولنا الحب ميل النفس إلى الشيء الموافق هو أحد الأقوال في تعريف المحبة، وقيل: هي الميل الدائم بالقلب الهائم، وقيل: قيامك لمحبوبك بكل ما يحبه منك، وقيل: ذكر المحبوب عدد الأنفاس، كما قيل:

يراد من القلب نسيانكم   وتأبى الطباع على الناقل

وقيل: مصاحبة المحبوب على الدوام، كما قيل في ذلك:

ومن عجبي أني أحن إليهمُ   وأسأل عنهم من لقيت وهم مَعِي
وتطلبهم عيني وهم في سوادها   ويشتاقهم قلبي وهم بين أضْلُعِي

وقيل: حضور المحبوب عند المحب دائماً، وأن يكون القلب في تطلب الوصل هائماً، كما قيل:

ومن عجبي أني أحن إليكمُ   ولم يخل طرفي من سناكم ولا قلبي

---

(١) رواه الترمذي (٥/ ٦٦٤) رقم ٣٧٨٩ بزيادة في آخره وقال: هذا حديث حسن غريب، والطبراني في الكبير (٣/ ٤٦) رقم ٢٦٣٩، وفي (١٠/ ٢٨١) رقم ١٠٦٦٤، والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ٣٦٦) رقم ٤٠٨، والحاكم (٣/ ١٦٢) رقم ٤٧١٦ كلهم من حديث ابن عباس وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

وأطلب قربا من حماكم وأنتمُ   إلى ناظري والقلب في غاية القرب

وقيل: هي سكون بلا اضطراب واضطراب بلا سكون، فيضطرب القلب فلا يسكن إلا إلى محبوبه، ويضطرب شوقاً إليه ويسكن عنده، وهذا معنى قول من قال: هي حركة القلب على الدوام إلى المحبوب وسكونه عنده.

وفي اشتقاقها أقوال، قيل من حَبَّة القلب وهي سويداوه، فسميت بها لوصولها إلى حبة القلب، وقيل: مشتقة من اللزوم والثبات ومنه: أَحَبَّ البعير إذا برك فلم يقم، وقيل: من حَباب الماء - بفتح الحاء المهملة - أي معظمة أو ما يعلو عند المطر الشديد، فعلى هذا المحبة غليان القلب وثورانه عند الاهتياج إلى لقاء المحبوب، وقيل: من الحَبِّ وهو جمع حَبة، أعني لباب الشيء وخالصه وأصله، فإن الحَبَّ أصل النبات والشجر، وقيل: من حِبِّ الماء الذي يوضع فيه، لأنه يمسك ما فيه من الماء ولا يسع غيره إذا امتلأ، وكذلك قلب المحب إذا امتلأ من الحب فلا اتساع فيه لغير المحبوب، والحِبُّ بالكسر: الزير، وقيل: مشتقة من الصفاء، لأن العرب تقول لصفاء بياض الأسنان ونضارتها حبب الأسنان، وقيل غير ذلك.

وسئل الجنيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن المحبة لله فقال: عبد ذهب عن نفسه، واتصل بذكر ربه، وقام بأداء حقوقه، ونظر إليه بقلبه، فإن تكلم فبالله، وإن سكت فمع الله.

وقال بعضهم: الحب كامن في الفؤاد كالنار في الزناد، إن قدحته أورى، وإن تركته توارى، فهو ألطف من أن تدركه عبارة، وأدق من أن تتناوله إشارة، يستدل عليه بآثاره ويعرف وجوده بأنواره، وكلامهم في هذا الباب كثير جداً، والظاهر أن كل محب أخبر بحسب ما أدرك من حاله

ولذيذ وصاله، فكل محب عبر عن حاله وبلباله[1] بحسب ما أمكنه، وإلا فالحب إنما يدرك بمجرد الذوق، إذ هو لا يدرك بالحواس الخمس كما أسلفنا بل بالذوق الصحيح، والله تعالى أعلم.

واعلم أن من الأسباب المستجلبة لمحبة رب الأرباب معرفة نعمه الوافره، ومننه السافرة، وقد جبلت القلوب على حب من أحسن إليها، وهذا مروي عن ابن مسعود رضي الله عنه، ولذا قال بعضهم: إذا كانت القلوب جبلت على حب من أحسن إليها، فواعجبا لمن لا يرى محسناً غير الله كيف لا يميل بكليته إليه؟

وقال بعضهم: ذكر النعم يورث الحب لله عز وجل.

وقال الفضيل: أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: أحبني وأحب من يحبني وحببني إلى خلقي، قال: يا رب هذا أحبك وأحب من يحبك، فكيف أحببك إلى عبادك؟ قال: تذكرني ولا تذكر مني إلا حسنا.

وعن كعب: أوحى الله إلى موسى عليه السلام: يا موسى أتحب أن أحبك وملائكتي والجن والإنس؟ قال: نعم يا رب قال: حببني إلى خلقي، قال: كيف أحببك إلى عبادك؟ قال: ذكرهم آلائي ونعمائي، فإنهم لا يذكرون مني إلا كل حسنة.

وقال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله: الفكر في نعم الله أفضل عبادة، وكلام الإمام أحمد يدل على هذا، وكان أكثر عمل أبي الدرداء رضي الله عنه الاعتبار، وقال رضي الله عنه: تفكر ساعة خير من قيام ليلة.

---

(١) البَلْبَلَة والبَلابِل والبَلْبَال: شدة الهم والوسواس في الصدر، وحديث النفس. لسان العرب/ مادة: بلل.

وقال الحسن: الفكرة مرآة تريك حسناتك وسيئاتك، وأفضل العبادة التفكر والورع، ومن لم يكن كلامه حكماً فهو لغو، ومن لم يكن سكوته تفكراً فهو سهو، ومن لم يكن نظره اعتباراً فهو لهو.

قال الإمام ابن الجوزي طيب الله ثراه: وما زال أهل العلم يعودون التفكر على التذكر، وبالتذكر على التفكر، ويناطقون القلوب فإذا لها أسماع وأبصار، فنطقت بالحكمة وضربت الأمثال وأورثت العلم. وقال سفيان بن عيينة: الفكرة نور تدخله القلب، وكان رحمه الله تعالى ينشد:

إذا المرء كانت له فكرة ففي كل شيء له عبِرة

واعلم أنه كلما قويت معرفة العبد بالله قويت محبته لطاعته وحصلت له لذة العبادات من الذكر وغيره على قدر ذلك، وقد أخرج ابن أبي الدنيا عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أخبرني أهل الكتاب أن هذه الأمة تحب الذكر كما تحب الحمامة وكرها، ولهم أسرع إلى ذكر الله من الإبل إلى وردها.

وقال مالك بن دينار: ما تلذذ المتلذذون بمثل ذكر الله عز وجل.

وقال مسلم أبو عبدالله: ما تلذذ المتلذذون بشيء في صدورهم ألذ من حب الله عز وجل ومحبة أهل ذكره.

وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله: أعلى الدرجات أن يكون عندك ذكر الله أحلى من العسل، وأشهى من الماء العذب الصافي عند العطشان في اليوم الصايف.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «**إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله عز وجل تنادوا: هلموا إلى حاجتكم، فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء، قال**

فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم: ما يقول عبادي؟ قال: يقولون: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك فيقول: هل رأوني؟ فيقول: لا ما رأوك، قال: فيقول كيف لو رأوني؟ قال: يقولون: لو رأوك كانوا لك أشد عبادة وأشد لك تمجيداً وتحميداً وأكثر لك تسبيحاً»[١] - الحديث.

قال الحافظ ابن رجب في كتابه (استنشاق نسيم الإنس) وإذا كان مخلوق يقول في مخلوق:

وكنت أرى أن قد تناهى بي الهوى إلى غاية ما فوقها لي مطلب
فلما تلاقينا وعاينت حسنها علمت يقيناً أنني كنت ألعب

فكيف بالخالق جل ذكره، الملك الحق العظيم، الذي لا يقدره حق قدره أحد، ولا يحيط خلقه به علماً، ولا يحصون ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه، ولا يبلغ الواصفون صفته.

ومن الأسباب الجالبة لمحبة الله تعالى: معاملته بالصدق والإخلاص ومخالفة الهوى، فإن ذلك سبب لتفضل الله على عبده، وأن يمنحه محبته، قال فتح الموصلي: من أدام النظر بقلبه ورثه ذلك الفرح بالمحبوب، ومن أيده[٢] على هواه أورثه ذلك حبه إياه، ومن اشتاق إليه وزهد فيما سواه ورعى حقه وخافه بالغيب ورثه ذلك النظر إلى وجهه الكريم.

ويذكر عن السري السقطي رحمه الله أنه كان له دكان، فاحترق السوق الذي كان فيه الدكان ولم يحترق دكانه، فأخبر بذلك فقال: الحمد لله، ثم تفكر في ذلك فرأى أنه سر بعطب الناس وسلامته، فتصدق بما في دكانه، فشكر الله له ذلك ورقاه إلى درجة المحبة، وسئل مرة عن حاله فأنشد:

---

(١) رواه البخاري واللفظ له رقم ٦٤٠٨، ومسلم رقم ٢٦٨٩ .
(٢) هكذا بالأصل ولعلها (آثره).

من لم يبت والحب حشو فؤاده لم يدر كيف تفتت الأكباد

وبلغ من أمره أنه لما مرض رفع ماؤه إلى الطبيب، فلما رآه الطبيب قال: هذا عاشق، فصعق حامل الماء وغشي عليه.

وقال ذو النون: من شغل قلبه ولسانه بالذكر قذف الله في قلبه نور الاشتياق إليه.

قال الحسن: من عرف الله أحبه، وإذا تمكنت المعرفة أوجبت المحبة وأخرجت كل محبوب سواه من القلب، ومتى تمت المحبة تمت، فظهر على الأبدان آثارها كما يظهر على الأرض أزهارها، والله أعلم.

وفي الباب أخبار كثيرة جداً، وإنما نشير إلى بعض الأصول، فافهم معانيها وَصُول، وتهيأ للوصول.

المقصد الثاني في علامات المحبة الصادقة والْتذاذ المحبين بها.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] وقال: ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤] فوصف سبحانه أهل المحبة بخمسة أوصاف:

أحدها: أنهم أذلة على المؤمنين، والمراد لين الجانب وخفض الجناح والرأفة والرحمة للمؤمنين، كما قال لرسوله: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥] ووصف أصحابه ﷺ بمثل ذلك في سورة الفتح في قوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩] وهذا يرجع إلى أن المحبين له سبحانه يبغضون

أعداءه، ويحبون أحباءه، ويعودون عليهم بالرأفة والعطف والرحمة بهم واللطف.

الثاني: العزة على الكافرين، والمراد الشدة والغلظة عليهم، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣] وهو يرجع إلى أن المحبين له يبغضون أعداءه، وذلك من لوازم المحبة الصادقة، فقد أجرى الله العادة بأن محب المحبوب محبوب، وعدوه عدو، ومحب العدو عدو، ومغبضه محبوب، قال بعضهم:

إذا صافى صديقك من تعادي فقد عاداك وانفصل الكلام

الثالث: الجهاد في سبيله سبحانه، وهو مجاهدة أعدائه باليد واللسان، وهو من تمام معاداة أعداء المحبوب.

الرابع: أنهم لايخافون لومة لائم، والمراد أنهم يجتهدون فيما يرضي المحبوب من الأعمال، ولا يتبرمون بلوم من لام في ذلك، رضي من رضي أو غضب من غضب، إذ مطلوب المحب رضى المحبوب، وهذا من علامات المحبة الصادقة، بأن يشتغل المحب بما يرضي حبيبه ومولاه، ولا ينظر إلى من سخط سواه، ولذا قيل: من شرب من كأس المحبة وقف مع مراد مُحِبِّه، ولقد أحسن من قال:

وقف الهوى بي حيث أنتِ فليس لي مُتأخر عنه ولا متقدمُ
أجد الملامةَ في هواكِ لذيذةً حباً لذكركِ فليلمني اللُّومُ

الخامس: متابعة الرسول ﷺ: وهو طاعته وامتثال ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه، والوقوف عند هديه من غير تحريف ولا إلحاد، قال الحسن: كان ناس على عهد رسول الله ﷺ يقولون: يا رسول الله إنا نحب ربنا حباً شديداً، فأحب الله أن يجعل لحبه عَلَماً، فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ إِن

كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي﴾ الآية [آل عمران: ٣١].

والحاصل: أنه لا يُوصَل إلى الله تعالى إلا من طريق رسوله محمد ﷺ باتباعه وطاعته، كما قال الجنيد قدس الله روحه: الطرق إلى الله مسدودة إلا من اقتفى أثر الرسول ﷺ.

ومن ثَمَّ قال شيخ الإسلام قدس الله روحه: من زعم أنه يصل إلى الله من غير طريق الرسول، أو أنه لا يحتاج إلى هديه، أو أن من عرف الله لا يلزمه اقتفاء أثره فقد كفر.

ولقد وقفت على كلام أناس ممن زعم أنه عرف الله، وأنه من أهل الحقيقة، لا يشبه كلام أهل الإسلام، بل سمعت كلاماً من بعض هؤلاء لا يكاد أن يصدر ممن يتدين بدين ما، وأنا أحلف بالله أن هؤلاء أشد كفراً من اليهود والنصارى، وقد رد كلامهم جمع من أنصار دين الله، وبينوا إلحادهم وكفرهم، وأنهم لا دين لهم قديماً وحديثاً، وحذروا من الاغترار بهم، وزجروا عن الاقتفاء بسربهم نهياً حثيثاً، ولقد أحسن في عصرنا الشيخ الإمام العارف بالله سيدي مصطفى البكري، لازال يبتكر المعاني الدقيقة، ويكشف عن وجوه مخدرات الحقيقة، بتصنيف كتابه المسمى (بالسيوف الحداد في الرد على أهل الزندقة والإلحاد) فلقد أجاد وأفاد، وأتى بما فوق المراد، فجزاه الله عن دينه خيراً، فنسأل الله تعالى معرفة ندرك بها الأشياء على ما هي عليه، والله أعلم.

وقال إبراهيم بن الجنيد: علامة المحب على صدق الحب ست خصال: دوام الذكر بقلبه بالسرور بمولاه، وإيثاره محبة سيده على محبة نفسه والخلائق أجمعين، والأُنس به دون غيره، والشوق إلى لقائه، والرضى عنه في كل شدة وضر ينزل به، واتباع رسوله ﷺ.

مطلب
محبة الرسول ﷺ على قسمين: فرض وفضل

ومحبة الرسول ﷺ على درجتين: إحداهما فرض، وهي التي تقتضي قبول ما جاء به من عند الله، وتلقيه بالمحبة والتعظيم، والرضى به والتسليم، وعدم طلب الهدى من غير طريقه بالكلية، ثم حسن الاتباع له فيما بلغه عن ربه من تصديقه في كل ما أخبر به، وطاعته فيما أمر به من الواجبات، والكف عما نهى عنه من المحرمات، ونصرة دينه، والجهاد لمن خالفه بحسب القدرة، فهذا القدر لابد منه، فلا يتم الإيمان بدونه.

الثانية فضل: وهي المحبة التي تقتضي حسن التأسي به، وتحقيق الاقتداء بسنته في أخلاقه وآدابه ونوافله وتطوعاته وأكله وشربه ولباسه وحسن معاشرته لأزواجه، والاعتناء بمعرفة سيرته وأيامه، واهتزاز القلب عند ذكره وتصوره، وكثرة الصلاة عليه لما سكن في القلب من محبته وتعظيمه وتوقيره، ومحبة استماع كلامه، وإيثاره على كلام غيره من المخلوقين، فإنه لم يزل المحب يتلذذ بكلام محبوبه، ويقدمه على كل كلام.

فمحبة كلام المحبوب أمر جِبِلّي، ولذا قيل:

لم أسْعَ في طلب الحديث لسمعة ... أو لاجتماع قديمه وحديثهِ
لكن إذا فات المحبُّ لقاءَ من ... يهوى تعلل باستماعِ حديثهِ

ومن أعظم ذلك الاقتداء به ﷺ في الدنيا، والاجتزاء منها بالأدنى، مع نهوض الهمة إلى درجات العلا من الآخرة، والرغبة فيما يوصل إلى تلك المقامات الفاخرة.

مطلب

علامة حب اللّه سبحانه وتعالى حب كلامه القديم وذكره الحكيم

وقد علم مما قررنا أن من علامات محبة الله سبحانه حب كلامه القديم، وذكره الحكيم، الذي هو القرآن العظيم، وعلامة حب اللّه تعالى وحب كلامه حب رسول الله ﷺ، وعلامة حب رسوله ﷺ حب سنته وما جاء به، وأما الذين نبذوا السنة الغراء وراء ظهورهم، واعتمدوا كلام مقلديهم فما لهم وما لمحبة اللّه ورسوله، إنما يزعمون ذلك بلا برهان ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] وكيف يحبه أهل التعطيل والإلحاد؟ أم كيف يحبه أهل التشبيه والتمثيل والفساد؟ وأيم اللّه إن أهل التعطيل إذا سمعوا الأحاديث الصحيحة، والأخبار الصريحة، المخالفة لمذهبهم المرذول، لتذهب منهم العقول، واذا سمعوا الآيات القرآنية والكلمات الربانية المخالفة لنحلتهم لتنفر منها قلوبهم، ويقابلون ذلك بأنواع الإلحاد والابتكار، والتأويلات الفاسدة، والإشارات الباردة، وتارة يردونها بالطعن فيها مع عدالة ناقليها، فليس لكل هؤلاء من محبة اللّه ورسوله إلا كمثل عطشان بعث رسوله ليأتيه بالماء في غربال، فلا يصل إليه من ذلك الماء ما ينتفع به، وهو مع ذلك مشغول البال.

وحاصل مع عليه هؤلاء من محبة الله تعالى ورسوله.

أماني لا حقيقة لها في نفس الأمر ... إن الأماني والأحلام تضليل

وكل يدعي وصلًا لليلى ... وليلى لا تقر لهم بوصل

مطلب
علامة حب السنة حب الآخرة

ومن علامة حب السنة حب الآخرة، وقال بعضهم: علامة محبة الآخرة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا أن لا يأخذ منها إلا زاداً يبلغه إلى الآخرة، وقال بعضهم علامة بغض الدنيا أن لا تذكرها بمدح ولا ذم، **واعلم أن محبة الله سبحانه على قسمين**:

واجبة: وهي تقتضي محبة ما أوجب من الطاعات وامتثالها، وكراهة ما كرهه من المحرمات واجتنابها.

ومستحبة: وهو تقتضي محبة القرب إليه بالنوافل، والورع عن دقائق المكروهات، والمحبة الواجبة تقتضي مخالفة الهوى وإيثار ما يحبه ويرضاه على ما تشتهيه النفس وتهواه، فإن الإناء إنما يصلح لشراب واحد واحد، لم يجعل الله لرجل من قلبين في جوفه، فبقدر ما يدخل القلب من هم وإرادة وحب، يخرج منه هم وإرادة وحب، فهو إناء واحد، والأشربة متعددة، فبأي شراب ملأه لم يبق فيه موضع لغيره، وإنما ينبغي أن يمتلئ الإناء بأعلى الأشربة إذا صادفه خالياً، فأما إذا صادفه مملتئاً من غيره لم يساكنه حتى يخرج ما فيه، وها أنت وقلبك فاختر لنفسك ما يحلو:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى ... فصادف قلباً فارغاً فتمكنا

وقد أحسن من قال في هذا وبالغ في التحقيق لا كمن هَذَى:

لقد كان يَسْبِي القلب في كل ليلة ... ثمانون بل تسعون نفساً وأرْجَحُ
يَهِيمُ بهذا ثم يألفُ غيرَه ... ويسلوهم من فوره حين يُصْبحُ

وقد كان قلبي ضائعاً قبل حبكم ... فكان بحب الخلق يلهو ويمرح
فلما دعا قلبي هواكَ أجابه ... فلست أراه عن جنابك يبرح
حرمت مناى منك إن كنت كاذباً ... وإن كنت في الدنيا بغيرك أفرحُ
وإن شيء في الوجود سواكم ... يُقرُّ به القلبُ الجريحُ ويفرح
وإن لعبت أيدي الهوى بمحبكم ... فليس له عن بابكم متزحزح
هَوَى غيرِكم نار تلظَّى ومحبسٌ ... وُحبُّكم الفردوس أو هو أفيح
فياضيم قلب قد تعلق غيركم ... ويا رحمة مما يجول ويكدحُ

قال الإمام ابن القيم في كتابه (طريق الهجرتين ومفتاح السعادتين): إذا تمكنت المحبة في القلب وامتلأ القلب منها أخرجت محبةُ الله سبحانه كل ما يكره اللّه.

فلم يبق في قلب المحب دقيقة ... سوى حب ليلى قد تمكن في القلب
فلو نطقت الأعضاء نادت برسمها ... وسارت لحان الأُنس والوصل والقرب
فيا حبذا لما تملكني الهوى ... رقيقاً وصار القلب معترك الحب

وفي الحديث: «**فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها**»[(١)]، يعني توليته فصار نظره وسمعه وبطشه ومشيه إنما هو لي وبي، فاحذر أن تزل قدمك، ويستولي عليك ندمك، واحذر كل الحذر من كلام أهل الاتحاد والزندقة والإلحاد، واعلم أن المحبة منتهى القربة والاجتهاد، فلا يسأم المحبون من طول القيام، وإدمان الصيام، والذكر والتبتل والتوجه والتوسل، فلا يسأم المحب من ذكر محبوبه، ولا يَنْفِر طالب من قرب مطلوبه، ويجتهد المحب في تحبيبه سبحانه إلى خلقه، ويمشون بين عباده بالنصائح، ويخافون عليهم

(١) جزء من حديث رواه البخاري رقم ٦٥٠٢ عن أبي هريرة.

من أعمالهم يوم تبدو الفضائح، أولئك أولياء اللّه وأحباؤه، وأهل صفوته وأعزاؤه، فلا راحة لهؤلاء دون لقائه.

وذكر الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: نظر الله تعالى إلى داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وهو وحداني منتبذ قال: مالك وحداني؟ قال: عاديت الخلق فيك، قال: أو ما علمت أن من محبتي أن تعطف على عبادي وتأخذ عليهم بالفضل؟ هنالك أكتبك من أوليائي ومن أحبائي، فإذا كنت كذلك كتبتك في ديوان أهل المحبة.

وقال بعض العباد في مناجاته: إذا سئم البطَّالون من بطالتهم فلن يسأم محبوك من مناجاتك وذكرك.

وأوصى بعض السلف بعض المريدين فقال له:

وكن لربك ذا بر لتخدمه إن المحبين للأحباب خدام

فصاح المريد صيحة فسقط مغشياً عليه.

وقال أبو عبدالرحمن المغازلي: لا تعطى[1] طريق المحبة غافل ولا ساه، المحب للّه عز وجل طائر القلب، كثير الذكر، متسبب إلى رضوانه بكل سبيل يقدر عليها من الوسائل والنوافل.

وقال محمد بن نعيم الموصلي: إن القلب الذي يحب الله عز وجل يحب التعب والنصب لله، إنه لن يُنَال حب الله بالراحة.

وقال رجل لبعض العارفين أوصني. قال: أدمن فعل الخيرات وتوصل إلى الله بالحسنات، فإني لم أر شيئاً قط أرضى للسيد مما يحب،

---

(١) هكذا بالأصل.

فبادر بمحبته يسرع في محبتك، ثم بكى، فقال له: زدني رحمك الله، قال: الصبر على محبة الله وإرادته رأس كل بر، أو قال كل خير.

واجتمع أحمد بن أبي الحواري وجماعة من الصالحين بعد صلاة العتمة وقد خرجوا من المسجد إلى بيت رجل قد دعاهم إلى طعام صنعه لهم، فأنشدهم رجل قبل دخول الباب:

علامة صدق المستخصين بالحب — بلوغهم المجهود في طاعة الرب
وتحصيل طيب القوت من محيائه — وإن كان ذاك القوت من مرتقى صعب

فلم يزل يرددهما وهم قيام حتى أذن مؤذن الفجر ورجعوا إلى المسجد.

وخرج ابن أبي الدنيا عن مضر قال: اجتمعنا ليلة على الساحل ومعنا مسلم أبو عبدالله، فقال رجل من الأزد بيتاً من الشعر وهو:

ما للمحب سوى إرادة حبه — إن المحب بكل بر يضرع

فبكى مسلم حتى خشيت- والله- أن يموت.

وبالجملة أهل المحبة هم أهل الود والصفاء، والإقبال والوفاء.

ومن أعظم علامات المحب لله حب كلامه الذي هو القرآن، وقد أخرج ابن ماجه أنه كان رجل يقرأ قراءة عالية، فمات بالمدينة، فحملوا نعشه، فقال النبي ﷺ: «**ارفقوا به رفق الله به، إنه كان يحب الله ورسوله، وحفر حفرته فقال: أوسعوا له وسع الله عليه، فقال بعض أصحابه: يا رسول الله لقد حزنت عليه؟ قال: أجل إنه كان يحب الله ورسوله**»[١].

---

(١) رواه ابن ماجه (١/ ٤٩٧) رقم ١٥٥٩، وقال: في الزوائد وفي إسناده موسى بن عبيدة، قيل منكر الحديث أو ضعيف، وقيل: ثقة وليس بحجة، والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ٤١٧) رقم ٥٨٣، والشيباني في الآحاد والمثاني (٤/ ٣٤٨) رقم ٢٣٨٢ .

وقال ابن مسعود ﷺ: لا يسأل عبد عن نفسه إلا القرآن، فإن كان يحب القرآن فإنه يحب الله ورسوله، وفي رواية عن ابن مسعود: من كان يحب أن يعلم أنه يحب الله عز وجل فليعرض نفسه على القرآن، فمن أحب القرآن فهو يحب الله عز وجل، فإنما القرآن كلام الله عز وجل.

وقال أحمد بن أبي الحواري رحمه الله: سمعت ابن عيينة يقول: لا تبلغوا ذروة هذا الأمر حتى لا يكون شيء أحب إليكم من الله عز وجل، ومن أحب القرآن فقد أحب الله عز وجل.

وقال أحمد بن أبي الحواري عن بعض السلف: حب الله عز وجل حب القرآن، وحب رسوله ﷺ العمل بسنته.

وقال أبو سعيد الخراز: من أحب الله عز وجل أحب كلامه ولم يشبع من تلاوته.

وقال أبو طالب المكي: قال سهل بن عبدالله: علامة حب الله حب القرآن، وقال الإمام الحافظ ابن الجوزي في «تبصرته»: يا من يعاتبه القرآن وقلبه غافل، وتناجيه الأيام والآيات وفهمه ذاهل، اعرف قدر المتكلم، وقد عرفت قدر الكلام، وأحضر قلبك الغائب وقد فهمت الملام، ثم قال: مكتوب في التوراة: يا عبدي أما تستحي مني؟ يأتيك كتاب من بعض إخوانك وأنت في الطريق تمشي فتعدل معرضاً عنها، فتقعد لأجله وتقرأه، وتتدبره حرفاً حرفاً حتى لا يفوتك منه شيء، وهذا كتاب أنزلتُه إليك وأنت معرض عنه، أفكنت أهونَ عليك من بعض إخوانك؟ يا عبدي يقعد إليك بعض إخوانك فتقبلُ عليه بكلك ووجهك، وتصغي إلى حديثه بكل قلبك، وها أنا ذا مقبل عليك ومُحَدِّثٌ لك وأنت معرض بقلبك عني.

ثم ذكر عن عثمان ﷺ أنه قال: لو طَهُرَت قلوبكم ما شبعتم من

كلام ربكم، ونقل عن كهمس بن الحسن أنه كان يختم في الشهر تسعين ختمة.

والمقصود: أن من علامة محبة اللّه التلذذ بكلامه، وقد جمع بعض السلف دلائل المحبة في قوله:

لا تُخْدَعَنَّ فللمُحِب دلائلُ ... ولديه من تُحفِ الحبيبِ رسائلُ
منها تَنَعُّمهُ بِمُرِّ بَلائِه ... وسُرُورُه في كل ما هو فاعلُ
فالمنع منه عطيةٌ مقبولةٌ ... والفقر إكرامٌ وَبِرٌّ عاجلُ
ومن الدلائل أن يُرىَ من عزمه ... طوعَ الحبيبِ وإن أَلَحَّ العاذِلُ
ومن الدلائل أن يُرَى متبسماً ... والقلبُ فيه من الحبيبِ بَلَابِلُ[1]
ومن الدلائل أن يُرَى مُتَفَهِّمًا ... لكلام من يَحْظى لديه السائِلُ
ومن الدلائل أن يرى مُتَقَشِّفا ... مُتَحفظًا في كل ما هو قائلُ
ومن الدلائل أن تراه مُشَمِّرا ... في خرقتين على شطوط الساحلِ
ومن الدلائل ضحكه بين الورى ... والقلب محزون كقلب الثاكلِ

والبيتان الأخيران ألحقهما في التبصرة وهما مجروران، وقافية القصيدة بالرفع، فإن كانا من القصيدة ففيهما الإقواء[2]، وهو معيب عند الشعراء[3]، والله أعلم.

وقال بعض المريدين: وجدت حلاوة المناجاة فأدمت قراءة القرآن

---

(١) سبق تعريفها ٥٦١ .
(٢) الإقواء: هو أن يخالف بين قوافي الأبيات في القصيدة الواحدة فلا يلزم حرفاً واحداً، أو هو المخالفة بين حركات القافية رفعا ونصباً وجراً. انظر - اللباب في العروض والقافية.
(٣) في حاشية الأصل/ والذي يظهر أنهما ليسا منها لقوله في الخامس «ومن الدلائل أن يرى متبسماً والقلب فيه من الحبيب بلابل»... ومعنى البيت الأخير متحد كما هو ظاهر. مؤلف

ليلًا ونهاراً، ثم لحقتني فترة فانقطعت عن التلاوة، قال فسمعت قائلًا يقول وأنا في المنام هذين البيتين:

إن كنت تزعم حبي فلم جفوت كتابي
أما تدبرت ما فيه من لطيف عتابي

قال: فانتبهت وقد أُشْرِبَ قلبي محبة القرآن فعاودتُ إلى حالتي الأولى.

وعلى كل حال من أحب اللّه أحب كلامه بلا جدال، واللّه أعلم.

المقصد الثالث: في أُنسِ المحبين بالله تعالى وسهرهم بمناجاته وشوقهم.

ثبت في الصحيحين والسنن والمسانيد من غير وجه أن جبريل سأل النبي ﷺ عن الإحسان فقال ﷺ: «**الإحسان أن تعبد اللّه كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»[1].

قال بعض العارفين: من عمل للّه على المشاهدة فهو عارف، ومن عمل على مشاهدة اللّه إياه فهو مخلص، فهذان مقامان:

أحدهما: الإخلاص: وهو أن يعمل العبد على استحضار مشاهدة اللّه إياه، واطلاعه عليه وقربه منه، فإذا استحضر العبد ذلك في عمله وعمل على هذا المقام فهو مخلص للّه، لأن استحضاره ذلك في عمله يمنعه من الالتفات إلى غيره سبحانه بالعمل.

والثاني: المعرفة التي تستلزم المحبة الخاصة، وهو أن يعمل العبد

(١) رواه البخاري رقم ٥٠، ٤٧٧، ومسلم رقم ٨ .

على مشاهدته بقلبه ربه، وهو أن يتنور قلبه بنور الإيمان، وينفذ ببصيرته في العرفان، حتى يصير الغيب عنده كالعيان، وهذا هو مقام الإحسان المشار إليه في حديث جبريل عليه السلام، وهو الذي دندن حوله أهل الجد والاجتهاد، وحام على سرادقاته أهل المعارف والسداد، وهو يتفاوت بحسب قوة نفوذ البصائر، وقد فسرت طائفة من العلماء المثل الأعلى المذكور في قوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الروم: ٢٧] بهذا، ومثله قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآية [النور: ٣٥]، قال: أبي بن كعب[١] رضي الله عنه: المراد مثل نور الله في قلب المؤمن.

ومن هذا حديث حارثة رضي الله عنه لما قال للنبي ﷺ **«وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها، وإلى أهل النار يتعاوون فيها، فقال النبي ﷺ: عرفت فالزم، عبد نور الله الإيمان في قلبه»**[٢]، وهذا الحديث روي مسنداً ومرسلاً، وتقدم، ويتولد من هذين المقامين مقام الحياء من الله عز وجل، وقد أشار النبي ﷺ إلى ذلك في حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أنه سئل عن كشف العورة خالياً فقال: **«الله أحق أن يستحيا منه»**[٣].

وقد ندب ﷺ إلى دوام استحضار معية الله وقربه والحياء منه في غير حديث، ودل عليه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ وفي الحديث:

---

(١) في الأصل (كعب بن أبي).

(٢) تقدم ص ٢٦٦ .

(٣) رواه أبو داود (٢/ ٤٣٧) رقم ٤٠١٧، وأحمد (٥/ ٣) رقم ٢٠٠٤٦، والترمذي (٥/ ٩٧) رقم ٢٧٦٩ وقال: هذا حديث حسن، ورواه البخاري تعليقاً في ترجمة باب «من اغتسل عرياناً وحده في الخلوة» من كتاب الغسل.

«أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيث كنت»[١]، رواه الطبراني عن عبادة بن الصامت مرفوعاً.

وقال ﷺ لأبي أمامة: **«اسْتَحِ من الله استحياءك من رجلين من صالحي عشيرتك، هما معك لا يفارقانك»**[٢].

وفي هذا المعنى أنشد بعضهم وأحسن:

كان رقيباً منك يرعى خواطري … وآخرَ يرعى ناظري ولساني
فما بصرتْ عيناي بعدك منظراً … لغيرك إلا قلت قد رمقاني
ولا بدرت من فيِّ بعدك لفظة … بغيرك إلا قلت قد سمعاني
ولا خطرت من ذكر غيرك خطرة … على القلب إلا عرجاً بعناني
إذا ما تسلى القاعدون عن الهوى … بذكر فلان أو كلام فلان
وجدت الذي يسلى سواي يسوقني … إلى قربكم حتى أمل مكاني
وإخوان صدق قد سئمت لقاءهم … وغضضت طرفي عنهم ولساني
وما البغض أسلى عنهم غير أنني … أراك على كل الجهات تراني

ويتولد من ذلك الأنس به سبحانه، والخلوة لمناجاته وذكره، واستثقال ما يشغل عنه من مخالطة السوى، وقد صح ﷺ أنه قال: **«إن أحدكم إذا كان يصلي فإنما يناجي ربه، أو ربه بينه وبين القبلة»**[٣].

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٨/ ٣٣٦) رقم ٨٧٩٦، وفي مسند الشاميين (١/ ٣٠٥)، وفي (٢/ ٣١٨) رقم ١٤١٦، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٦/ ١٢٤) وقال: غريب من حديث عروة، وذكره الهيثمي (١/ ٢٢٥) رقم ٢٠٤ وقال: رواه الطبراني في الأوسط والكبير وقال: تفرد به عثمان بن كثير، قلت - أي الهيثمي - ولم أر من ذكره بثقة ولا حرج.

(٢) رواه ابن عدي في الكامل (٢/ ١٢٦) في ترجمة جعفر بن الزبير الشامي رقم ٣٣٥، قال عنه يحيى ليس بثقة وفي موضع آخر ضعيف، وقال النسائي: متروك الحديث وفي (٤/ ٨٩) في ترجمة صفدي بن سنان البصري رقم ٩٣٩ وقال عنه يحيى: ليس بشيء.

(٣) رواه البخاري واللفظ له رقم ٤٠٥، ٤١٧، ومسلم رقم ٥٥١ .

والمراد أنه معاينه سبحانه وتعالى، فهو ببصره وعلمه معه، وقد عكف العباد على العبادة في الخلوات، ليحصل لهم أنس الجلوات حتى قال قائلهم[١]: لولا الجماعة - يعني الصلاة في الجماعة- ما خرجت من بابي أبداً حتى أموت، وقال: ما يجد المطيعون لله لذة في الدنيا أحلى من الخلوة بمناجاة سيدهم، ولا أحسب لهم في الآخرة من عظم الثواب أكثر في صدورهم وألذ في قلوبهم من النظر إليه، ثم غشى عليه.

وقال إبراهيم بن أدهم: أعلى الدرجات أن تنقطع إلى ربك، وتستأنس إليه بقلبك وعقلك، وجميع جوارحك، حتى لا ترجو إلا ربك، ولا تخاف إلا ذنبك، وترسخ محبته في قلبك حتى لا تؤثر عليها شيئاً، فإذا كنت كذلك لم تبال أفي بر كنت أو في بحر، أو في سهل أو في جبل، وكان شوقك تلقاء الحبيب شوق الظمآن إلى الماء البارد، وشوق الجائع إلى الطعام الطيب، ويكون ذكر الله عز وجل عندك أحلى من العسل، وأشهى من الماء العذب الصافي عند العطشان في اليوم الصائف.

وقال الفضيل: طوبى لمن استوحش من الناس وكان الله أنيسه.

وكان ذو النون يقول: من علامة المحب لله ترك كل ما يشغله عن الله، حتى يكون الشغل بالله وحده، ثم قال: إن من علامة المحبين لله أن لا يأنسوا بسواه، ولا يستوحشوا معه، ثم قال: إذا سكن حب الله القلب أنس بالله، لأن الله أجل في صدور العارفين من أن يحبوا سواه.

وكانت رابعة - رحمها الله - تنشد:

ولقد جعلتك في الفؤاد محدثي وأبحت جسمي من أراد جلوسي

---

(١) في حاشية الأصل/ هو مسلم العابد.

فالجسم مني للجليس مؤانس[1]　　وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه كثيراً ما يتمثل في خلواته بقول القائل:

وأخرج من بين البيوت لعلني　　أحدث عنكِ القلب بالسر خالياً

قلت: والبيت لمجنون ليلى من قصيدة طويلة قد أنشدها سيدي عبدالقادر الجيلاني قدس اللّه سره في بعض مجالسه لما سئل عن المحبة منها.

لقد لامني في حب ليلى أقاربي　　أخي وابن عمي وابن خالي وخاليا
ولو كنت أعمى أخبط الأرض بالعصى　　أصم ونادتني أجبت المناديا
وأخرج من بين البيوت لعلني　　أحدث عنكِ النفس يا ليلى خالياً
واشهد عند الله أني أحبها　　فهذا لها عندي فما عندها ليا

والمحب الصادق إذا سافر طرفه في الكون لم يجد له طريقاً إلا على محبوبه، فإذا انصرف بصره عنه رجع إليه خاسئاً وهو حسير.

ويسرح طرفي في الأنام وينثني　　وإنسان عيني بالدموع غريقُ
فيرجع مردودا إليك وماله　　على أحد إلا عليك طريقُ

وقيل لبعض العارفين وقد رؤي يصلي وحده: ما معك مؤنس؟! قال: بلى، قيل له: أين هو؟ قال: أمامي وخلفي ومعي وعن يميني وعن شمالي وفوقي، قيل له: معك زاد؟ قال: نعم الإخلاص، قيل له: أما تستوحش وحدك؟ قال: إن الأنس بالله قطع عني كل وحشة حتى لو كنت بين السباع ما خفتها.

(١) في الأصل (مؤانسا).

وقال بعضهم: عجبت لمن عرف الطريق إلى الله كيف يعيش مع غيره؟ والله تعالى يقول: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾ [الزمر: ٥٤].

وقال بعض العارفين: من لزم الباب أثبت في الخدم، ومن استغنى بالله أمن من العدم.

وفي الإسرائيليات: يقول الله تعالى: ابن آدم اطلبني تجدني، فإن وجدتني وجدت كل شيء، وإن فتك فاتك كل شيء، وأنا أحب إليك من كل شيء. وأنشد أبو الحسن بن بشار الزاهد:

تنقضي الديا وتفنى　　　والفتى فيها معنى
ليس في الدنيا نعيم　　　لا ولا عيش مهني
يا غنيا بالدنانير　　　محب الله اغني

وقال غيره:

لقد كنت أخشى الفقر حتى وجدتكم　　　فصرت أدل المفلسين على الكنز

فيا من اشتغل في الدنيا بالدون، أفق من هذه الغفلة واعتبر ما أنت ومن تكون، قد خطبك من نفسك من يقول[1] للشيء كن فيكون، واشترى نفسك منك، فما الذي حملك على عدم تسليم المثمن يا مفتون، وتعرف إليك من القدم، أما تستحي منك فما الذي حملك على عدم تسليم المثمن يا مفتون، وتعرف إليك من القدم أما تستحي من بلا غطى بلا.

اشتُرِيتَ جارية مطربة بعشرين ألف درهم، فبينا هي يوماً تغني:

وحقك لا نقضت الدهر عهداً　　　ولا كدرت بعد الصفو ودا
ملأت جوانحي والقلب وجدا　　　فكيف أقر يا سكني وأهدا

(١) في الأصل (يقل).

فيا من ليس لي مولى سواه ... تراك رضيتني في الناس عبدا؟

فصاح بها الذهن من باطن القلب من تعنين وبمن تغنين؟ فانْتَبَهتْ، فعلمت أنه لا مولى سوى الحق، ولا يحسن بعد ألستُ بربكم نقض عهد، فتغيرت واختلطت، فقيل لها: مالك؟ فقالت:

خاطبني الحق من جَنَاني ... فكان وعظي على لساني
قربني منه بَعْدَ بُعْدِ ... وخصني منه واصطفاني
أَجَبْتُ لما دُعِيتُ طوعا ... ملبياً للذي دعاني
وخِفْتُ مما جنيت قِدْما ... فوقع الحبُّ بالأَمَاني

ثم رمى بها الفكر في بحر الوجد، واشتغلت عن الخلق بالذكر وجعلت تقول:

يا من رأى وحشتي فآنسني ... بالقرب من فضله وأنعشني
يا سكني لا خلوت من سكني ... دهري ويا عدتي على الزمن
أوحشني ما فقدت منه وقد ... عاد بإحسانه فقربني
وعدت أيضاً فعاد منعطفاً ... كذاك مذ كنت منه عودني
حسبي من كل من شغلت به ... أصحبه مؤنساً ويصحبني
هربت من مسكني إلى سكني ... حقاً ومن موطني إلى وطني
وكنت في غفلة فنبهني ... وكنت في رقدة فأيقظني
وكنت أخشى ما فات من زللي ... فجئت مستأمناً فأمنني
يا قوم قولوا كلا بأجمعكم ... يا ليت ما كان قط لم يكنِ

ثم اشتد بها القَلَق وأزعجها الفَرَق فكانت تصيح:

هَرَبْتُ منه إليهِ ... بَكَيْتُ منه عليهِ
وحقه وهو سُؤْلي ... لا زلت بين يديهِ
حتى أنالَ وأحظى ... بما أُرَجِّي لديه

ثم لبست خماراً من صوف ومدرعة من شعر، وصاحت من شوقها وباحت بتوقها فقالت:

يا سرور السرور أنت سروري   وحبوري وأنت نور النور
كم ترى يصبر المحب على البعد   وكم يلبث الهوى في الصدور

ثم رحلت إلى مكة فطافت حول البيت وصاحت: إلهي كم ترى تخلفي في دار لا أرى فيها أنيساً، قد طال شوقي إليك، فوقعت ميتة، رحمها الله تعالى.

واعلم أن همم هؤلاء السادة متعلقة في الآخرة برؤية رب العالمين، والنظر إلى وجهه الكريم، في دار كرامته، والقرب منه وحسن محاضرته.

قال الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لو علم العابدون أنهم لا يرون ربهم يوم القيامة لماتوا، وفي رواية لذابت أنفسهم.

وقال بعضهم: ما يسرني أن لي نصف الجنة بالرؤية، ثم تلا: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥].

وقال ذو النون: ما طابت الدنيا إلا بذكره وما طابت الآخرة إلا بعفوه، وما طابت الجنة إلا برؤيته.

وكان بعض العُبَّاد يقول: ليت ربي جعل ثوابي من عملي نظرة مني إليه، ثم يقول لي: كن تراباً، وفي هذا المعنى أنشد بعضهم وأحسن:

وحرمة الود ما لي عنكم عِوَضُ   وليس لي في سواكم سادتي غَرَضُ
وقد شرطتُ على قوم صحبتَهم   بأن قلبي لكم من دونهم فَرَضُوا
ومن حديثي بهم قالوا به مرضُ   فقلت لا زال عني ذلك المرض

وأنشد غيره في المعنى وأجاد رحمه الله تعالى:

يا حبيب القلوب مالي سواكا ارحم اليوم مذنباً قد أتاكا
أنت سؤلي ومنيتي وسروري قد أبى القلب أن يحب سواكا
يا مرادي وسيدي واعتمادي طال شوقي متى يكون لقاكا
ليس سؤلي من الجنان نعيما غير أني أريدها لأراكا

وقد قال جل شأنه: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة: ١٦] وأشرف طمع أهل الجنة رؤية مولاهم وقربه وجواره، وأعظم خوفهم حجابهم عنه، وقد أمن أهل الجنة منه.

قال حسين بن زياد: أخذ فضيل بن عياض بيدي فقال: يا حسين ينزل اللّه كل ليلة إلى سماء الدنيا فيقول: كذب من ادعى محبتي فإذا جنه الليل نام عني، أليس كل حبيب يحب الخلوة بحبيبه؟ ها أنا ذا مطلع على أحبابي، إذا جنهم الليل مثلتُ نفسي بين أعينهم فخاطبوني على المشاهدة وكلموني على حضوري، غدا أقر أعينهم في جناني، وفي لفظ: جعلت أبصارهم في قلوبهم، ومثلت نفسي بين أعينهم.

فإن قلت: كيف قال تعالى: ومثلت نفسي وهو سبحانه لا مثل له؟

قلنا: هذا كلام من لم يعلم الفرق بين المِثْل والمِثَال، وذلك جهل، فالمِثْلُ: هو المساوي في جميع الصفات، والمِثَال: لا يشترط فيه المساواة، وتأمل العقل فإنه لا يماثله غيره، وكثيراً ما يمثل بالشمس وليس بينهما المناسبة إلا بشيء واحد، وهو أن المحسوسات تنكشف بنور الشمس، كما تنكشف المعقولات بنور العقل، والمراد هنا جعلت بصائر أحبابي مشاهدة لي وناظرة لجمالي وعاكفة عليه ومخاطبة لي على الحضور والمشاهدة، ومن هنا ترك أهل المحبة المنام واستعذبوا صف الأقدام في جملة الخدام، وأسبلوا دموع الشوق والشغف، وبذلوا النفوس النفيسة، لينالوا ذلك الشرف.

قال أحمد بن أبي الحواري: دخلت على أبي سليمان فرأيته يبكي فقلت: ما يبكيك؟ قال: ويحك يا أحمد، إذا جن الليل وخلا كل حبيب بحبيبه، افترش أهل المحبة أقدامهم، وجرت دموعهم على خدودهم، أشرف الجليل جل جلاله وقال: بعيني من تلذذ بكلامي، واستروح إلى مناجاتي، وأنا مطلع عليهم في خلواتهم، أسمع أنينهم، وأرى بكاءهم وحنينهم، يا جبريل ناد فيهم ما هذا الذي أرى فيكم؟ هل أخبركم مخبر أن حبيباً يعذب أحبابه بالنار؟ بل كيف يجمل أن أعذاب قوماً إذا جنهم الليل تملقوني؟ فبي حلفت إذا وردوا القيامة عليَّ أن أسفر لهم عن وجهي، وأبيحهم رياض قدسي.

وكان لداود الطائي جارة يقال لها أم سعيد بن علقمة قالت: كان بيني وبين داود الطائي جدار قصير، فكنت أسمع حنينه عامة الليل لا يهدأ، ولربما سمعته يقول في جوف الليل: اللهم همك عطل عليَّ الهموم، وحالف بيني وبي السهاد، وشوقي إلى النظر إليك وضع مني اللذات والشهوات، فأنا في سجنك أيها الكريم مطلوب، قالت: وربما ترنم في السحر بشيء من القرآن، فأرى أن جميع نعيم الدنيا جمع في ترنمه تلك الساعة.

أحبابي أما جفن عيني فمقروح ... وأما فؤادي فهو بالشوق مجروح
يذكرني مَرُّ النسيم عهودَكم ... فأزداد شوقا كلما هبت الريحْ
أرادني إذا ما أظلمَ الليلُ أشرَقتْ ... بقلبي من نار الغَرَام مصابيحْ
أُصَلِّي بذكراكم إذا كنتُ خالياً ... ألَا إنَّ تذكارَ الأحبةِ تسبيحْ
يشح فؤادي أن يخامر سِرّه ... سواكم وبعض الشح في المرء ممدوح
وإن لاح برق بالغُوَيْر تقطع الْ ... فؤاد على وادِ به البان والشِّيحْ

ولم يزل المحبون يستروحون لنسيم الأسحار، ويترنمون على ذلك

بالأشعار، وذلك لأنها تمر على دار الحبيب، وتحمل من ذلك البرد والطيب، ولذا قيل:

تمر الصبا سفحا بساكن ذي الغضا   وتصدع قلبي إن يهب هبوبها
قريبة عهد بالحبيب وإنما   هوى كل نفس حيث حل حبيبها

قال الحافظ ابن الجوزي: قال الربيع: بت أنا ومحمد بن المنكدر وثابت البناني عند ريحانة المجنونة بالأُبلَّة، فقامت الليل وهي تقول:

قام المحبُّ إلى المُؤمَّلِ قومةً   كاد الفؤادُ من السرورِ يطيرُ

فلما كان جوف الليل سمعتها تقول:

لا تأنسن بمن توحشك نظرته   فتُمنعَنَّ من التذكارِ في الظلمِ
واجهد وكد وكن في الليل ذا شجن   يسقيك كأس وداد العز والكرم

ثم نادت واحزناه، فقلت: مماذا؟ فقالت:

ذهب الظلام بأنسه وبإلفه   ليت الظلام بأنسه يتجدد

وقيل لبعض العارفين: متى تقع الفراسة على الغايب؟ قال: إذا كان محباً لما أحب الله، مبغضاً لما أبغض الله، وقعت فراسته على الغايب، وأنشد بعضهم:

تشاغل قوم بدنياهم   وقوم تخلوا لمولاهُمُ
فألزمهم باب مرضاته   وعن سائر الخلق أغناهُمُ
فما يعرفون سوى حبه   وطاعته طول مَحْيَاهُمُ
يَصُفُّون بالليل أقْدَامَهُم   وعينُ المهيمنِ تَرْعَاهُمُ
فَطَوْراً يناجونه سجدا   ويبكون طورا خطاياهُمُ
إذا فكروا في الذي أسلفوا   أذاب القلوب وأبكاهُمُ
وإن يسكن الخوف لاذوا به   وباحوا إليه بشكواهُمُ

وأضحوا صياما على جهدهم ... تبارك من هو قَوَّاهُمُ
هم القوم أعطوا مليك الملوك ... صدق القلوب فوالاهُمُ
هم المخبتون بنياتهم ... أرادوا رضاه فأعطاهُمُ
وأكسنهم في فراديسه ... وأعلى المنازل بَوَّاهُمُ
فنالوا المراد وفازوا به ... فطوبى لهم ثم طوبى هُمُ

قال الإمام الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: قرأت بخط الشيخ عبدالله بن أحمد بن صابر السلمي أنشدنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن عقيل الشَّهْرُزوريّ لبعضهم:

قليل العزاء كثير الندم ... طويل النحيب على ما اجترمْ
جرى دمعه فبكى جفنه ... وصار البكاء بدمع ودمْ
يخاف البيات كهجر الممات ... وفقد الحياة بضر السقمْ
ويخفي محبة رب العلى ... فَتُظْهِر أنفاسُه ما كتم
وأَسْبَل من طرفه عَبرة ... على الصَّحنِ من خده فانسجَمْ
وبات محارب مِحْرَابه ... ولَمَّا تزلْ قدمٌ عن قدمْ
فلما تفتت أجساده ... من الشَّوق رق عليه الألَم
وكم ليلة رام فيها النيام ... فصاح به حبه لا تَنَمْ
وناح على جسد ناحل ... أطال النحول به فانهدمْ
أناب إلى الله مستغفرا ... وصار له من أعز الخَدَمْ

أقول: لما أشرقت القلوب بنور المحبوب اضمحل سلطان النوم، ولم يخطر ببال القوم، ومن المعلوم أنه متى أشرقت الشمس انجاب الظلام وانعكس سلطانه، وكذلك النوم متى أشرقت القلوب بالأنوار القدسية، والأسرار الأُنسية تلاشى سلطانه وانمحق برهانه.

لطيفة أخرى: النوم ينشأ عن الرطوبة والأبخرة، والمحبة نار تذهب

ذلك أو تجففه وتلاشيه وتمحقه، فالمحب قليل النوم كثير التأوه، وما أحسن ما قيل:

كيف ترضى بمقلة تَأْلَفُ النومَ ودمعٍ يصان في الآماقِ
وزمان الصبا يمر وقد أنفقِ أيامه زمان الفِراقِ
والليالي تمضي سراعا وما تقبل منها حوالة في الباقي

كانت امرأة متعبدة لا تنام في الليل إلا يسيرا، فعوتبت في ذلك فقالت: كفى بطول الرقدة في القبور رقادا، وأنشد بعضهم:

أيها العُذَّالُ لا تَعْذِلُوا إنما النصح لمن يقبل
وأرى ليلي لا ينقضي طال ليلي والهوى أطول

ويقال: الليل للمحبين سهر على كل حال، فمن كان وقته وقت فراق وهجر فهو يقول:

كم ليلة فيك لا صباح لها أفنيتها قابضاً على كبدي
قد غصت العين بالدموع وقد وضعت خدي على بنان يدي

ومن كان وقته قرب وصفاء ووصل ووفاء فهو يقول:

كم ليلة قضيتها ساهراً لما تولى هجركم معرضا
أطوف في ظلمائها مبصرا وليس ضوء مثل ضوء الرضى

والأول يقول، ولبه بالغرام مذهول، يتطلب الوصال، وقد صال عليه الغرام، فقطع الأوصال، وصاح يا صاح وليس تأمل كصاح، فهو ينشد:

سروري من الدهر لقياكم ودار سلامي مغناكم
إذا ازدحمت في فؤادي الهموم أروح قلبي بذكراكم
واستنشق الريح من أرضكم لعلي أحظى برؤياكم
فلا تنسوا العهد فيما مضى فلسنا مدى الدهر ننساكم

واعلم أن الشوق إلى لقاء رب العالمين درجة عالية رفيعة، تنشأ من قوة محبة الله سبحانه وسهر الليالي في طاعته، وأما من طلب محبة الله والشوق إلى لقائه، ونام الليل وأفطر النهار، فإنما يطلب جذوة نار في بحر من الماء ماله قرار، أو كطالب ماء من نار، وأني بذلك فما في النار للظمآن ماء.

وكان من دعائه ﷺ: «**وأسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك**»[١]، رواه الإمام أحمد وابن حبان في صحيحه والحاكم عن عمار بن ياسر رضي الله عنه عن النبي ﷺ.

وقال فتح الموصلي رحمه الله في عيد أضحى: قد تقرب المتقربون بقربانهم، وأنا أتقرب إليك بطول حزني، يا محبوب قلبي لم تتركني في هذه الدنيا محزوناً؟ ثم غشي عليه وحُمِلَ فدُفِن بعد ثلاث، رحمه الله.

فهذا حال من غلب عليه الشوق، والتهبت نار الغرام في قلبه، وغلب عليه الرجاء فتاق إلى لقاء ربه، وأما من غلب عليه الخوف فلا يتمنى الموت، وذلك لأن محبوبه تجلى على قلبه بصفات الجلال، فتلاشى طمعه وانمحق فرحه، وفشا جزعه، ورأى من نفسه غاية التقصير في جناب الملك القدير، فالحزن دثاره والخوف شعاره، والتأوه ديدنه، والتضرع أذكاره، قال كعب رحمه الله: من بكى اشتياقاً إلى الله عز وجل أباحه النظر إليه تبارك وتعالى.

وكان أبوعبيدة الخواص يمشي في الأسواق ويضرب على صدره

---

(١) جزء من حديث رواه النسائي (٣/ ٥٤) رقم ١٣٠٥، ١٣٠٦، وأحمد (٤/ ٢٦٤) رقم ١٨٣٥١، وابن حبان في صحيحه (٥/ ٣٠٤) رقم ١٩٧١، كلهم من حديث عمار.
والحاكم (١/ ٦٩٧) رقم ١٩٠٠ من حديث زيد بن ثابت، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

ويقول: واشوقاه إلى من يراني ولا أراه[1].

وكان بمكة امرأة من العابدات تصرخ وتقول: أوليس عجباً تروني حية بين أظهركم، وفي قلبي من الأشواق إلى ربي مثل شعل النار التي لا تطفأ، حتى أصير إلى الطبيب الذي بيده برداي وشفائي.

وذكر في «زبدة الأعمال وخلاصة الأفعال» الملتقطة من تاريخ مكة للأزرقي رحمه الله أن بعض العابدين قال: رأيت شابة نحيفة الجسم خفيفة الساقين في الطواف وهي تقول: هذا بيت ربي، هذا بيت معشوقي، هذا بيت من اشتقت إليه، ثم وضعت خدها على حائط البيت فوقفت ساعة، ثم أنشأت تقول:

الشوق حيرني والشوق طيرني … والشوق قربني والشوق أبعدني
والشوق قيدني والشوق أطلقني … والشوق فرق بين الجفن والوسن

فقال لها الشبلي: هل اشتقت إلى ربك؟ قالت: لا، لأن الشوق لا يكون إلا لغائب، وما غبت عنه طرفة عين، وأنشدت:

قلب شرود وعقل واله أبدا … وشربة سكرها باق إلى الأبد
يا عاذل العاشقين ارفق علي فهم … أفنوا زمانهم بالهم والكمد
أفناهم الحب والكتمان قاطبة … حتى تراهم بلا روح ولا جسد

ولقد يقوم بصدري في بعض الأحيان من الغرام ما يجرعني كأسات الحِمَام، وتضيق عليَّ الأرض بما رحبت، فأخرج إلى الفلاة وأنوح على

---

(١) في حاشية الأصل/ ولبعضهم:

يا من يراني ولا أراه … كم ذا أراه ولا يراني

يعني كم ذا أراه محسناً إليَّ ولا يراني في طاعته وحيث ما أمرت به. والله أعلم.

نفسي، وقد أوهى جسمي شوقي وحدسي، ولقد قلت في مثل هذه الحالة وأنا أتخيل أن الغرام يفني جسمي لا محالة، من قصيدة طويلة أولها.

سقاني البين كأسات الحِمَام ... وهاج بلابلي صدح الحمامِ
وفاضتْ عَبْرَتي وازداد وَجْدِي ... وغاضت زفرتي وفشا غرامي
وجَدَّ الوَجْدُ بي فغديت مما ... أكابد في الهوى محنى كلام
وزاد الشوق والتبريح حتى ... خفيت عن الورى لولا كلامِ

ومنها:

أزيد صبابة وتزيد بعدا ... تلطفْ بي بذلي وانحطامي
ترفق بي فما أبقيت مني ... سوى بثي وحزني وانعدامي
وغاض السمع وانمحق اصطباري ... وفاض الدمع واشتهر اكتتامي

وقلت: وقد طرقني مثل هذا وتيقنت أن ذا الغرام من الغرام- هذا.

مالي تحيرتُ دون الناس في أمري ... أُحِسُّ قلبي على مستوقد الجمري
أجوب في الأرض وحدي لأرى أحداً ... أشكو إليه غراماً حل في صدري

وقلت في المعنى:

فوا أسفى على بلد خليّ ... عن الأغيار مع صوب الغمام
وخِلٍ صادق في الود حتى ... أبثَّ له أحاديث الغرام

وشدة الشوق قد يُخرجُ الإنسان عن طور التكليف، ومن ثم ترى بعض هؤلاء يتكلم بكلام ليس من جنس كلام العقلاء، وما ذاك إلا من شدة اللذة والأنس، يذهب عن حواسه باستغراقه في لذة شوقه، حتى إنه يقول:

ولو أن ما بي في الحصى فلق الحصى ... وفي الريح لم يظهر لهن هبوب
ولو أنني استغفر الله كلما ... ذكرتكِ لم يكتب علي ذنوب

ويقول:

وبي من غرام لو تجسم بعضه ومر بأهل الأرض لانخبل الكل

ويقول:

سقوني وقالوا لا تغني فلو سقوا جبال حنين ما سقوني لغنتِ

وسمع الجنيد قدس الله سره في جوف الليل جارية تقول:

أبي الحب أن يخفي وكم قد كتمته فأصبح عندي قد أناخ وطنبا
إذا اشتد شوقي هام قلبي بذكره وإن رمت قربا من حبيبي تقربا
ويبدو فأفنى ثم أحيى به له ويسعدني حتى ألذ وأطربا

فقال لها: يا جارية أما تتقين الله؟ تتكلمين في مثل هذا المكان بمثل هذا الكلام - وكانا في الطواف - فالتفتت إليه وقالت: يا جنيد:

لولا التقى لم ترني أهجر طيب وسني
إن التقى شردني كما ترى من وطني
أقر من وجدي به فحبه هيمني

ثم قالت: يا جنيد تطوف بالبيت أم برب البيت؟ فقال أطوف بالبيت، فرفعت رأسها وقالت: سبحانك ما أعظم مشيئتك على خلقك، خلق كالأحجار يطوفون بالأحجار[1]، ثم قالت:

يطوفون بالأحجار يبغون قربة إليك وهم أقسى قلوبا من الصخر

---

(١) ما نقل عن هذه الجارية مخالف لما نطق به القرآن الكريم والسنة النبوية، حيث يقول تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩]، ويقول النبي ﷺ: «الطواف بالبيت صلاة» رواه النسائي (٥/ ٢٢٢) رقم ٢٩٢٢، وابن حبان في صحيحه (٩/ ١٤٣) رقم ٣٨٣٦.

وتاهوا فلم يدروا من التِّيه من هم وحلوا محل القرب في باطن الفكر
فلما أخلصوا في الود غابت صفاتهم وقامت صفات الود للحق بالذكر

فغشي على الجنيد من كلامها فلما أفاق لم يرها.

وذكر الحافظ بن رجب «في استنشاق نسيم الأنس» عن ذي النون رحمه الله تعالى أنه قال: إن المؤمن إذا آمن بالله واستحكم إيمانه خاف الله فولدت من الخوف هيبة، فإذا سكن درجة الهيبة دامت طاعته لربه، فإذا أطاع تولد من الطاعة الرجاء، فإذا سكن درجة الرجاء تولدت من الرجاء المحبة، فإذا استحكمت معاني المحبة في قلبه سكن بعدها درجة الشوق، فإذا اشتاق أداه الشوق إلى الأنس بالله، فإذا أنس بالله اطمأن إلى الله، فإذا اطمأن إلى الله كان ليله في نعيم، ونهاره في نعيم، وسره في نعيم، وعلانيته في نعيم.

قال الحافظ: ولا ريب أن الشوق يقتضي القلق، لكن قد يمنح الله بعض أهله من يسكن قلقه من الأنس به والطمأنينة إليه، كما أشار إليه ذو النون.

وعن إبراهيم بن أدهم - قدس الله سره - قال: قلت يوماً اللهم إن كنت أعطيت أحداً من المحبين لك ما سكنت به قلوبهم قبل لقائك فأعطني ذلك فلقد أضرني القلق، قال: فرأيته تعالى في النوم يوقفني بين يديه وقال لي: يا إبراهيم أما استحييت مني؟ تسألني أن أعطيك ما يسكن به قلبك قبل لقائي؟ وهل يسكن قلب المشتاق إلى غير حبيبه؟ أم هل يستريح المحب إلى غير من اشتاق إليه؟ قال: فقلت: يا رب تِهْتُ في حبك فلم أدر ما أقول.

وأخرج أبو نعيم عن عبدالعزيز بن محمد قال: رأيت في المنام قائلًا

يقول: من يحضر؟ من يحضر؟ فأتيته فقال لي: أما ترى القائم الذي يخطب الناس ويخبرهم عن أعلى مراتب الأنبياء؟ فأدرك فلعلك تلحقه وتسمع كلامه قبل انصرافه، فأتيته فإذا الناس حوله وهو يقول:

ما نال عبد من الرحمن منزلة أعلى من الشوق إن الشوق محمود

ثم سلم ونزل، فقلت لرجل إلى جانبي: من هذا؟ قال: أما تعرفه؟ قلت: لا، قال: هذا داود الطائي، فعجبت في منامي منه، فقال أتعجب مما رأيت؟ والله الذي عند الله لداود من الزلفى أكبر من هذا وأكثر.

ولا جرم أن الشوق للمحبوب مطلوب، وأن التقرب إليه بأنواع محابه مرغوب، فيالله كم من عاشق انصدع فؤاده، وأفناه الشوق وأباده مراده، وتحلى بأوصاف السقم وصار دمعه كالعَنَم[1] وهام وجالت فيه الأوهام:

فهجر الرقاد وطيب الزواد وألف السُّهَادَ وأمسى علم
إذا نام ناداه فرط الغرام أفق إن محبوبنا لم ينم
فقام يردد زفراته ويضرع لله مولى النعم
أجد به الوجد حتى غدا إذا ما غدا في الغرام انعدم
جفا جفنه يا خليلي الكرى وقام يناجي وصَفَّ القدم
فناداه مولاه طب يا فتى فأنت لنا من أعز الخدم

ويعجبني قول من قال من أهل الصبابة والحال:

هجرت الكرى في حب من جاد بالنعم وعفتُ الكرى شوقا إليه فلم أنم
وموهتُ دهري بالجنون عن الورى لأكتم ما بي من هواه فما انكتم

---

(١) العَنَمُ: شجر لين الأغصان لطيفها، واحدتها عنمة، وهو مما يستاك به، وقيل العَنَم: أغصان تنبت في سوق العِضاة رطبة لا تشبه سائر أغصانه أحمر اللون، وقيل هو ضرب من الشجر له نور أحمر تُشَبَّه به الأصابع المخضوبة. لسان العرب/ مادة: عنم.

فلما رأيت الشوق والحب بائحاً كشفت قناعي ثم قلت نعم نعم
فإن قيل مجنون فقد جنَّني الهوى وإن قيل مسقام فما بي من سقم
وحق الهوى والحب والعهد بيننا وحرمة روح الأنس في حندس الظلم
لقد لامني الواشون فيك جهالة فقلت لنطقي أفصح العذر فاحتشم
فعاتبهم طرفي بغير تكلم وأخبرهم أن الهوى يورث الصمم
فبالحلم يا ذا المن لا تبعدنِّي وقرب مزاري منك يا باري النسم

قال ابن الجوزي: ذكر ابن الجوال المغربي قال: كنت ببيت المقدس جالساً، وإذا قد طلع شاب والصبيان حوله يرمونه بالحجارة ويقولون مجنون، قد ضل المسجد وجعل ينادي: اللهم أرحني من هذه الدار، فقلت له: هذا كلام حكيم، فقال: ليس بي جنون وولق[1] بل فرق وقلق، ثم أنشأ يقول: الأبيات المتقدمة، قال: فقلت له أحسنت لقد غلط من سماك مجنوناً، فنظر إلي وبكى ثم قال: ألا تسألني عن القوم كيف وصلوا واتصلوا؟ قلت: بلى أخبرني، قال: طهروا له الأخلاق، ورضوا منه بيسير الأرزاق، وهاموا في محبته في الآفاق، واتزروا بالصدق وارتدوا بالاشفاق، وباعوا العاجل الفاني بالآجل الباق، ركضوا في ميادين السباق، وشمروا تشمير الجهابذة الحذاق، حتى اتصلوا بالواحد الخلاق، فشردهم في الشواهق عن الخلائق، لا تأويهم دار ولا يقر لهم قرار، فالنظر إليهم اعتبار، ومحبتهم افتخار، وهم صفوة الأبرار ورهبان أخيار، مدحهم الجبار، ووصفهم النبي المختار، إن حضروا لم يعرفوا، وإن غابوا لم يفتقدوا، وإن ماتوا لم يشهدوا، ثم أنشأ يقول:

---

(١) الوَلْقُ: أخف الطعن، والوَلْق أيضاً إسراعك بالشيء في أثر الشيء، كعدو في أثر عدو، وكلام في أثر كلام، والوَلْق السير السهل السريع، والاستمرار في السير وفي الكذب، والولْق والألق الاستمرار في الكذب. لسان العرب/ مادة: ولق.

كن من جميع الخلق مستوحشاً — من الورى تسري إلى الحقِ
واصبر فبالصبر تنال المنى — وارض بما يجري من الرزقِ
واحذر من النطق وآفاته — فآفة المؤمن في النطقِ
وجد في السير مُمِرًّا كما — شمر أهل السَّبقِ للسَّبقِ
أولئك الصفوة ممن سَمَا — وخيرة الله من الخلقِ

قال: فأُنسِيتُ الدنيا عن حديثه، ثم ولى هارباً، فأنا متأسف عليه.

المقصد الرابع: في رضى المحبين بمُرِّ الأقدار، والتذاذهم بما يبتليهم به العزيز الجبار، كان من دعائه عليه الصلاة والسلام: «**أسألك الرضى بعد القضاء، وبرد العيش بعد الموت، ولذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك**»[1].

وأخرج الترمذي عن أنس مرفوعاً: «**إن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضى، ومن سخط فله السخط**»[2].

وخرج الإسماعيلي عن عمر ﷺ قال: نظر رسول الله ﷺ إلى مُصْعَب بن عمير مقبلًا وعليه إهاب- يعني جلد كبش قد تنطق به، فقال ﷺ: «**انظروا إلى هذا الرجل الذي قد نور الله قلبه، لقد رأيته بين أبوين يغذوانه بأطيب الطعام والشراب، فدعاه حب الله ورسوله إلى ما ترون**»[3].

---

(١) رواه النسائي (٣/ ٥٤) رقم ١٣٠٥، وأحمد (٤/ ٢٦٤) رقم ١٨٣٥١ وتقدم ص٥٨٨ .

(٢) رواه الترمذي (٤/ ٦٠١) رقم ٢٣٩٦، وقال: هذا حديث حسن غريب، وابن ماجه (٢/ ١٣٣٨) رقم ٤٠٣١، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ١٤٤) رقم ٩٧٨٢ .

(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٥/ ١٦٠) رقم ٦١٨٩، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ١٠٨، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٦/ ٣٣٣)، وذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٤/ ٢٩٥) وقال عنه العراقي: أخرجه أبو نعيم في الحلية بإسناد حسن.

وذكر الحافظ ابن رجب عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ أنه قال: **ما من عبد يحب الله ورسوله إلا الفقر أسرع إليه من جرية السيل من رأس الجبل على وجهه، ومن أحب الله ورسوله فليعد للبلاء تجفافاً يعني الصبر»**[١] قال: وفيه ضعف لكن روي معناه من وجوه متعددة.

ولما احتضر سيدنا معاذ بن جبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وتغشاه الموت جعل يقول: اخنق خنقك فوعزتك إني أحبك.

وقال الحارث بن عميرة: إن معاذا نزع نزعاً لم ينزعه أحد، وكان كلما أفاق من غمره فتح طرفه ثم قال: اخنقني فوعزتك إنك تعلم أن قلبي يحبك، وقال حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لما نزل به الموت: هذه آخر ساعة من الدنيا، اللهم إنك تعلم أني أحب لقاءك.

وقال أبو علي الرازي: صحبت الفضيل بن عياض ثلاثين سنة، فما رأيته ضاحكاً ولا متبسماً إلا يوم مات ابنه علي، فقلت له في ذلك؟ فقال: إن الله أحب أمراً فأحببت ما أحب الله.

وقال الفضيل: درجة الرضى عن الله درجة المقربين ليس بينهم وبين الله إلا روح وريحان، وقال: أحق الناس بالرضى عن الله العارفون[٢] بالله، وقيل له: متى يبلغ الرجل غايته من حب الله تعالى؟ فقال: إذا كان عطاؤه ومنعه إياك عندك سواء فقد بلغت الغاية من حبه.

وذكر أبو القاسم الدمشقي الحافظ في تاريخه عن أبي شعيب قال

---

(١) جزء من حديث رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٦/ ٣٨٥)، وذكره الهندي (٦/ ٦١٨) رقم ١٧١١١ وقال: فيه حنش، قال البخاري: لا يكتب حديثه، وقال النسائي ليس بثقة.
(٢) في الأصل (العارفين) وفي الحاشية/ لعله (العارفون).

سألت إبراهيم بن أدهم الصحبة إلى مكة قال لي: على شريطة على أنك لا تنظر إلا لله وبالله، فشرطت له ذلك على نفسي، فخرجت معه، فبينا نحن في الطواف فإذا أنا بغلام قد افتتن الناس به لحسنه وجماله، فجعل إبراهيم يديم النظر إليه، فلما أطال ذلك قلت: يا أبا إسحاق أليس شرطت علي أن لا تنظر إلا لله وبالله؟ قال: بلى قلت: فإني أراك تديم النظر إلى هذا الغلام؟ فقال: إن هذا ابني وولدي، وهؤلاء غلماني وخدمي الذي[1] معه، ولولا شيء لقبّلته، ولكن انطلق فسلم عليه مني، قال: فمضيت إليه وسلمت عليه من والده، فجاء إلي والده فسلم عليه ثم صرفه مع الخدم، فقال: انتظر أي شيء يراد بك، وأنشأ سيدنا إبراهيم طيب الله ثراه يقول:

هجرت الخلق طُرًا في هواكا وأيتمت العيال لكي أراكا
فلو قطعتني في الحب إربا لما حَنَّ الفؤاد إلى سواكا

ذكره الحافظ في «استنشاق نسيم الأنس»، وذكر فيه عن عبدالواحد ابن زيد قال: خرجت إلى ناحية البصرة فإذا إنسان أسود مجذوم، قد تقطعت كل جارحة له من الجذام وعمي وأقعد، وإذا الصبيان يرمونه بالحجارة حتى دموا وجهه، فرأيته يحرك شفتيه، فدنوت منه لأسمع ما يقول، فإذا هو يقول: يا سيدي إنك لتعلم أنك لو قرضت لحمي بالمقاريض، ونشرت عظامي بالمناشير، ما ازددت لك إلا حباً، فاصنع بي ما شئت، أخرجه ابن أبي الدنيا.

وقال الأوزاعي: حدثني بعض الحكماء قال: رأيت رجلًا قد ذهبت يداه ورجلاه وهو يقول: اللهم إني أحمدك حمداً يوافي محامد خلقك لفضلك على سائر خلقك، إذ فضلتني على كثير ممن خلقت تفضيلًا،

---

(١) هكذا بالأصل.

فقلت له: على أي نعمة تحمد؟ فقال: أليس قد ترى ما صنع بي؟ قلت بلى، قال: فواللّه لو أن اللّه صب علي السماء ناراً فأحرقتني، وأمر الجبال فدمَّرتني، وأمر البحار فغرقتني، وأمر الأرض فخسفت بي، ما أزددت له إلا حباً، وما ازددت له إلا شكراً.

ومر بعض السلف على مجذوم وهو يقول: وعزتك وجلالك لو قطعتني بالبلاء قطعاً ما ازددت لك إلا حباً، وفي هذا المعنى قال بعضهم:

لو قطعني الغرام إرباً إرباً ما ازددت على الملام إلا حبا
لازلت بكم أسير وجد وصبا حتى أقضي على هواكم نحبا

وذكر الشيخ برهان الدين في «شرح حكم ابن عطاء الله» أن عروة ابن الزبير رضي الله عنهما ابتلي بقرحة في ساقه، فبلغت إلى نشر ساقه في الموضع الصحيح منها، فقال له الأطباء: ألا نسقيك مرقداً فلا تحس بما صنع بك؟ فقال: لا ولكن شأنكم، فنشروا منه الساق ثم حسموها بالزيت المغلي، فما حرك عضواً، ولا أنكروا منه شيئاً، حتى مسه الزيت، فما زاد على أن قال: حسِّ، وأصيب رضي الله عنه بولده محمد وكان من أحب ولده إليه، ولما رأى القدم بيد بعضهم قال: أما إن اللّه يعلم أني لم أمش بها إلى معصية قط، ثم قال: يا غلام غسلها وكفنها وادفنها في مقبرة المسلمين ثم جعل يقول:

لئن أخذت لقد أبقيتَ، ولئن ابتليتَ لقد عافيتَ، ولئن أخذتَ لطالما أعطيتَ.

وذكر الحافظ ابن رجب عن بعض العارفين قال: ليس يتحقق في الحب حتى يتلذذ بالبلاء في الحب كما يتلذذ الأغيار بأسباب النعم.

وكان عبدالصمد الزاهد يقول: أوجدهم في تعذيبه عذوبة، يشير إلى صبرهم على الضر والفقر.

وقالت رابعة: إن أولياء الله إذا قضى لهم شيئاً لم يسخطوه.

وقال يحيى بن معاذ: لو أحببت ربك ثم جوعك وأعراك لكان يجب أن تحتمله وتكتمه عن الخلق، فقد يحتمل المحب لحبيبه الأذى، فكيف وأنت تشكوه فيما لم يصنعه بك؟ وفي هذا قيل:

ويَقْبُح من سواك الفعلُ عندي وتفعله فَيَحْسنُ منك ذاكا

وكان علي بن بابويه الصوفي في الطواف فهجمت القرامطة على الناس، فقتلوهم، فأخذته السيوف فلما وقع تمثل بهذا البيت:

ترى المحبين صرعى في ديارهمُ كفتية الكهف لا يدرون كم لبثوا

واستُشهِدَ لبعض السلف ولد في الجهاد، فجاء الناس يعزونه، فبكى وقال: ما أبكى على موته إنما أبكي كيف كان رضاه عن الله حين أخذته السيوف، وفي هذا المعنى يقول القائل:

إن كان سكان الغَضَا رضوا بقتلي فَرِضَى
والله لا كنت لما يهوى الحبيب مبغضا
صرت لهم عبدا وما للعبد أن يتعرضا

وسئل يوسف بن الحسين: ما بال المحبين يتلذذون بالذل في المحبة؟ فأنشأ يقول:

ذُلُّ الفتى في الحب مكرمةٌ وخضوعه لحبيبه شرفُ

وقال آخر:

مالي تطاوعني البرية كلُّها وأطيعُهن وهن في عصياني

ما ذاك إلا أن سلطان الهوى　　　وبه قوين أعزُّ من سلطاني

وقال أيضاً:

أمَا يكفيكِ أنكِ تَملِكيني　　　وأن الناس عندي كالعبيد
وأنكِ لو قطعتِ يدي ورجلي　　　لقلتُ من الرضى أنصفتِ زيدي

فإذا كان هذا لمحبةِ مخلوقٍ فما بالك بمحبة من أوجدك من العدم وأسبل عليك غزير النعم؟.

وعلى كل حال المحب تابع لهوى محبوبه بلا محال، قال المحب:

عَذِّبْ بما شئتَ غير البعد عنك تَجِدْ　　　أوفى محبٍ بما يرضيك مُبْتَهِج
وخذ بقية ما أبقيت من رَمَقٍ　　　لا خيرَ في الحبِّ إن أبقى على المهج

وقال:

وبما شئت في هواك اختبرني　　　فاختياري ما كان فيه رضاكا

وقال:

لو قيل قف تيها على جمر الغضا　　　لوقفت ممتثلًا ولم أتوقف

هيهات ذهب الأبطال ولم يبق إلا كل بطال، فيا من رضي من الزهد بالزي، ومن الفقر بالاسم، ومن التصوف بالصوف، ومن التسبيح بالسُبَح، أين فضل الفُضَيل؟ أين جِدُّ الجنيد؟ أين سر السَّرَي؟ أين همة ابن أدهم؟ ويحك إن لم تقدر على معرفة معروف فاندب على رَبْع رابعة:

هاتيك رُبُوعُهم وفيها كانوا　　　بانوا عنها فليتهم ما بانُوا
ناديت وفي حشاشتي نيران　　　يا دار متى تحول السُّكانُ

يا من كان له قلب فانقلب، يا من كان له وقت مع الله فذهب، قيام الأسحار يستوحش لك، صيام النهار يسأل عنك، ليالي الوِصَال تعاتبك

على انقطاعك، والسنة تسأل عنك وعن حسن اتباعك:

تشاغلتم عنا بصحبة غيرنا وأظهرتم الهجران ما هكذا كنا
وأقسمتموا أن لا تحولوا عن الهوى فقد وحياة الحب[1] حلتم وما حلنا
ليالي كنا نجتلي من ثماركم فقلبي إلى تلك الليالي قد حنا

ولقد كنت قلت أبياتا في بعض الخلوات، والقلب فيه لواعج الزفرات، ولا أذكر منها الآن غير ثلاثة أبيات وهي:

كان لي قلب أعيش به بين أخداني وأترابي
باد مني في تقلبه في الغرام فصحت ياما بي
كيف يصحو غير منتبه في هواها منذ أحقابي[2]

وهكذا كان شأنهم يتلذذون بما يرضي مولاهم وإن كان صعباً، ويستريحون به وإن كان تعباً.

هجم عيد على عبدالصمد وليس عنده شيء، فجاءه رجل بدراهم فردها وقال: دعني أتلذذ بفقري كما يتلذذ الأغنياء بغناهم.

المقصد الخامس: في المحبة والأخوة في الله سبحانه وتعالى.

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ [الأنفال: ٦٢-٦٣] والتأليف الجمع على ما يشاكل، والمراد بالآية الأوس والخزرج، وهم الأنصار ﷺ.

وفي الصحيحين عن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه شيء**

(١) في السنة نهى عن الحلف بغير الله.
(٢) في حاشية الأصل/ البيت الثالث ليس هو الذي يلي الثاني.

تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر»[١].

وفيهما عن أبي موسى ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً، وشبك بين أصابعه»**[٢].

وفيهما عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «**حق المسلم على المسلم خمس، يسلم عليه إذا لقيه، ويُشَمِّته إذا عطس، ويعوده إذا مرض ويشهد جنازته إذا مات، ويجيبه إذا دعاه»**[٣].

فهذه الحقوق للاشتراك في الإسلام، ثم إن الصادقة تطلق على ما دون الأخوة، فالأخوة هي المرتبة العليا ،وإنما تقع الأخوة الصادقة إذا حصل التشاكل بين الأخوين في أصل الوضع.

وفي الصحيحين عن عائشة أم المؤمنين ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «**الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف»**[٤].

قال أبو سليمان الخطابي: معنى هذا الحديث الإخبار عن مبدأ كون الأرواح وتقدمها الأجساد، على ما روي أن الله تعالي خلق الأرواح قبل الأجساد بكذا وكذا، فأعلم النبي ﷺ أنها خلقت على ائتلاف واختلاف، فتأتلف الأجساد في الدنيا وتختلف على حسب ما وقع في مبدأ الخلقة.

قلت: وتقدم في مقدمة الكتاب الكلام على هذا وبيان ذلك مفصلاً.

واعلم أن الأخوة على ثلاثة أقسام:

---

(١) رواه مسلم واللفظ له رقم ٢٥٨٦، والبخاري رقم ٦٠١١ .
(٢) رواه البخاري رقم ٤٨١، ٢٤٤٦، ٦٠٢٦، ومسلم ٢٥٨٥ .
(٣) رواه البخاري رقم ١٢٤٠، ومسلم ٢١٦٢، باختلاف يسير جداً.
(٤) رواه البخاري رقم ٣٣٣٦، ومسلم رقم ٢٦٣٨ .

أحدها: الأخوة العامة وهي التي ذكرها الله في قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

الثانية: أخوة النسب.

الثالثة: أخوة خاصة فوق الصداقة، وهي التي عقدها رسول الله ﷺ بين أصحابه كعبدالرحمن بن عوف وسعد بن الربيع، وهذه هي التي توجب المحبة في اللّه عز وجل، وهي أوثق عرى الإيمان، أن يحب في اللّه ويبغض في اللّه، ومن ثواب المتحابين ما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**سبعة يظلهم اللّه في ظله يوم لا ظل إلا ظله، فذكر منهم رجلين تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه**»[١].

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي**»[٢].

وأخرج ابن الجوزي بسنده عن أبي إدريس الخولاني قال: أتيت مسجد أهل دمشق فإذا حلقة فيها كهول من أصحاب محمد ﷺ، وإذا شاب فيهم أكحل العين براق الثنايا، كلما اختلفوا في شيء ردوه إلى الفتى، فقلت لجليس لي من هذا؟ قال: هذا معاذ بن جبل، فجئت من العشي فلم يحضر، فغدوت من الغد فلم يجيئوا، فَرُحْتُ فإذا أنا بالشاب يصلي إلى سارية، فركعت ثم تحولت إليه قال: فسلم فدنوت منه فقلت: إني أحبك في الله قال: فمدني إليه وقال: كيف قلتَ؟ قلتُ: إني أحبك في الله، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**المتحابون في الله على منابر من نور**

---

(١) رواه البخاري رقم ٦٦٠، ومسلم رقم ١٠٣١ .

(٢) رواه مسلم رقم ٢٥٦٦ .

في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله، قال: فخرجت حتى لقيت عبادة بن الصامت ﷺ فذكرتُ له حديث معاذ بن جبل فقال: سمعت رسول الله ﷺ يحكي عن ربه عز وجل يقول: حقت محبتي للمتحابين فيَّ، وحقت محبتي للمتباذلين فيَّ، وحقت محبتي للمتزاورين في، والمتحابون في الله على منابر من نور في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله»(١)، ورواه الإمام أحمد في المسند.

وفي حديث عمرو بن عبسة عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله عز وجل يقول: حقت محبتي للذين يتحابون من أجلي، وحقت محبتي للذين يتصافَون من أجلي**»(٢).

وفي حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن للّه تعالى عباداً على منابر من نور في ظل العرش يغبطهم الشهداء، قيل من هم؟ قال: المتحابون في جلال الله عز وجل**»(٣).

وإنما يحصل هذا الثواب إذا كانت المحبة لله خالصة لا يشوبها كدر،

---

(١) رواه أحمد (٥/ ٢٣٦) رقم ٢٢١١٧، والطبراني في الكبير (٢٠/ ٨٧) رقم ١٦٧ باختصار، وابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ٤٥) رقم ٣٤١٠٠، وذكره الهيثمي (١٠/ ٤٩٣) رقم ١٨٠٠٨ وقال: رواه عبد اللّه بن أحمد والطبراني باختصار، والبزار بعض حديث عبادة فقط، ورجال عبد اللّه والطبراني وثقوا.

(٢) جزء من حديث رواه أحمد (٤/ ٣٨٦) رقم ١٩٤٥٧، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٤٨٥) رقم ٨٩٩٦، والطبراني في الأوسط (٩/ ٤٠) رقم ٩٠٨٠، وفي الصغير (٢/ ٢٣٩) رقم ١٠٩٥ بلفظ «يتصادقون» بدل «يتصافون» وذكره الهيثمي (٣/ ٨٧) رقم ٣٩٧٥ وقال: رواه الطبراني في الصغير والأوسط وفيه منبه بن عثمان ولم أجد من ترجمه.

(٣) روى الترمذي (٤/ ٥٩٧) رقم ٢٣٩٠ عن معاذ بن جبل قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «قال اللّه عز وجل: المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء» وقال: هذا حديث حسن صحيح، ورواه أحمد (٥/ ٢٣٩) رقم ٢٢١٣٣، وفي (٣٢٨) رقم ٢٢٨٣٤ بلفظ «المتحابون في اللّه تبارك وتعالى في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله، يغبطهم النبيون والشهداء».
ولم أقف على هذا اللفظ الذي ساقه المصنف.

ومتى قويت محبة الله سبحانه في القلب قويت محبة أوليائه والصالحين من عباده، ولينظر الإنسان من يؤاخي ومن يحب، ولا ينبغي أن يتخير إلا من قد سبر عَقْلَه ودينَه، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «**المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل**»[١].

وفي الصحيحين عن ابن مسعود مرفوعاً: «**المرء مع من أحب**»[٢].

فإذا أحب شخصاً فليُعْلِمه[٣].

وقال أبو زرعة بن عمر بن جرير: ما تحاب رجلان في الله تعالى إلا كان أفضلهما أشدهما حباً لصاحبه.

وكان يقال: اصحب من إذا صحبته زانك، وإن خدمته صانك، وإن أصابتك خصاصة مانك، وإن رأى منك حسنة سُرَّ بها، وإن رأى منك سقطة سترها، ومن إذا قلت صدق قولك، ومن هو فوقك في الدين، ودونك في الدنيا، وكل أخ وجليس وصاحب لا تستفيد منه في دينك خيراً فانبذ عنك صحبته، فإذا صفت المحبة وخلصت، وقع الشوق والتزاور، وصار بذلك المال أحقر الأشياء.

قال مجاهد: إذا مشى أحد المتحابين إلى الآخر فأخذ بيده فضحك إليه تحاتت خطاياهما كما يتحات ورق الشجر.

---

(١) رواه أحمد (٢/ ٣٣٤) رقم ٨٣٩٨، وأبو داود (٢/ ٦٧٥) رقم ٤٨٣٣ ولكن بلفظ «الرجل» بدل «المرء»، والترمذي (٤/ ٥٨٩) رقم ٢٣٧٨ وقال: هذا حديث حسن غريب، والحاكم (٤/ ١٨٩) رقم ٧٣٢٠ وقال: صحيح إن شاء الله ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي كلهم من حديث أبي هريرة.

(٢) رواه البخاري رقم ٦١٦٩، ومسلم رقم ٢٦٤٠ .

(٣) لما رواه أحمد (٤/ ١٣٠) رقم ١٧٢١٠ عن المقدام عن النبي ﷺ «إذا أحب أحدكم أخاه فليعلمه أنه يحبه».

واعلم أن هذه المحبة سارية من محبة اللّه سبحانه وتعالى فإذا أحب العبد ربه سرت محبته إلى كل محبوب لله سبحانه، ومحبة العبد لربه إنما سرت من محبة الرب لعبده بلا شبهة.

فإن قلت: أليس قد قدمت أن المحبة هي الميل إلى الملائم الموافق، وقد بان ذلك في محبة العبد، فهل يتهيأ ذلك في محبة الحق لعبده؟(١)

قلنا: كلا، لأن العبد إذا أحب ملائماً موافقاً فليتم به نقصه، وليحصل به كماله، والحق عز وجل منزه عن ذلك، وإنما معنى محبته لعبده أنه إذا أحب نفسه فأحب ما يصدر عنها من الأفعال الرفيعة القدر، فتأثير محبة الحق للعبد أن يقطع عنه القواطع، ويرفع عن قلبه الحجاب حتى يراه قلبه، والعبد لا يُحِبُّ حتى يُحَبَّ بلا ريب، ولا يريد حتى يراد، فإذا رأيت قصورك عن مقامات الواصلين فاعلم أنك مطرود، فليكن فرضك البكاء على إبعادك فربما أجدى، والله تعالى أعلم.

تكملة: في بعض أحوال أهل المحبة، وهي أكثر من أن تذكر في مثل هذا المختصر، وأعظم من أن تحصر أو تحد بالنظر.

قال في «زبدة الأعمال»: عن مالك بن دينار أنه قال: رأيت شابا بمنى وهو يقول: اللهم إن الناس قد ذبحوا ونحروا وتقربوا إليك، فما لي شيء أتقرب به إليك أكبر من نفسي فتقبلها مني، ثم شهق شهقة، فدنوت منه فإذا هو ميت.

وقال عبدالصمد: اجتمعت أنا وبشر الحافي في طريقي العمرة، ومعنا شاب تائب سريع الدمعة قليل الكلام كثير التفكر، فقلت له: هذا بشر

---

(١) في حاشية الأصل/ كذب المعترض، ولا يقاس لهذا الفن، واللّه أعلم.

الحافي فتبرك به، فقال له: يا أبا نصر ما جزاء من خالف محبوبه؟ قال: أن يقتل بسيوف العتاب، ثم يحرق بنار الهوى، ثم يذرى في هوى الذل، فإن شاء جمعه وإن شاء قمعه، فشهق الغلام لما سمع ذلك ووقع ولم يزل يئن ويرتعد ويشهق إلى أن مات، فندمت على ذلك، وواريناه مكانه في ثوبي إحرامه، رحمة الله تعالى عليه.

وما أحسن ما قيل:

يا سائلي كيف مات العاشقون فما ماتوا ولكن بأسياف الهوى قتلوا

وقال الفضيل رَحِمَهُ اللهُ: رأيت بالموقف شاباً ساكتاً وعليه أثر الذّلة والخشوع والناس يسألون الحوائج، فقلت: يا فتى أخرج يدك وسل حاجة، فقال لي: يا شيخ وقعت مني وحشة وليس لي ثم وجه، قلت: فإن كان الأمر كذلك فالوقت يفوت، فقال لي: لابد، فلما أراد أن يرفع يديه بالدعاء صاح صيحة وخر ميتاً.

وفي «زبدة الأعمال»: عن أبي بكر الكَتَّاني قال: رأيت فقيراً ميتاً وهو يضحك، فقلت: له: تضحك وأنت ميت؟! فقال: هكذا محبوبون اللّه.

وقال بعضهم: عاهدت الله أن لا أنظر إلى حسان الوجوه، فبينما أنا في الطواف وإذا بأمرأة حسناء، فتأملت فيها تعجباً، فإذا بسهم من الهوى قد وقع على إحدى عيني، فإذا عليه مكتوب: نظرت بعين الغيرة فرميناك بسهم الأدب، فلو نظرت بعين الشهوة رميناك بسهم القطيعة.

وحكي عن ذي النون قال: رأيت أعرابياً يطوف وقد نحل جسمه واصفر لونه ودق عظمه، فقلت له: أمحب أنت؟ قال: نعم، قلت: أحبيبك منك قريب أم بعيد؟ فقال: قريب، قلت: موافق أم غير موافق؟ قال: موافق، قلت: سبحان الله حبيبك منك قريب، ولك موافق، وأنت

على هذه الحالة!؟ فقال: يا بطال أما علمت أن عذاب القرب والموافقة أشد من عذاب البعد والمخالفة؟ وجعل يقول:

سقى الله أياماً سعدنا بقربكم فتلك طراز العمر واسطة العِقْدِ
إذا الجد سعد والزمان مساعد وأيماننا كانت مؤكدة العَقْد

وفي «استنشاق نسيم الأنس»: عن أبي معمر قال: نظرت رابعة إلى رباح القيسي يوماً وهو يقبل صبياً صغيراً من أهله، فقالت: أتحبه يا رباح؟ قال: نعم، قالت: ما كنت أحسب أن في قلبك موضعاً فارغاً لمحبة سواه، فخر مغشياً عليه ثم أفاق وهو يمسح العرق عن وجهه وهو يقول: جعلها الله في قلوب عباده للأطفال.

وكان بعض أهل المحبة يحصل له من طرقها نوع تغير.

وتكلم بعضهم يوماً في المحبة، فاصطفقت قناديل المسجد حتى تكسرت، وتكلم يوما فيها أيضاً فجاء طائر فضرب بمنقاره الأرض حتى مات، ذكر ذلك الحافظ «ابن رجب» في «استنشاق نسيم الأنس».

وذكر ابن الجوزي في «التبصرة» عن بعض السلف قال: صحبت في طريقي رجلًا أسود فكان إذا ذكَرَ اللهَ تعالى ابيض، فسبحان من منح هؤلاء الإخلاص.

وشغلت عن فهم الحديث سوى ما كان منك وعندكم شُغْلي
وأديم نحو محدثي نظري أَنِي قد فهمتُ وعندكم عَقْلي

وفيها أيضاً عن محمد بن ثابت البناني قال: ذهبت أُلَقِّنُ أبي في الموت فقلت: يا أبتِ قل لا إله إلا الله، فقال: يا بني خل عني فإني في وِرْدِي السادس أو قال السابع.

فهؤلاء غلب عليهم الشوق حتى صار قُوتهم ذكر محبوبهم.

ذِكْرُكَ لي مُؤنسٌ يُعَارضني يَعِدُني عَنْكَ مَنْكَ بالظَّفَرِ
وكيف أنساك يا مَدَى هِمَمِي وأنت مني بموضع النَّظَرِ

وذكر الحافظ ابن رجب في «استنشاق نسيم الأنس»: عن أحمد بن مخلد الخراساني قال: قال الله عز وجل: ألا قد طال شوق الأبرار إلى لقائي، وأنا إليهم أشد شوقاً، وما شوق المشتاقين إليَّ إلا بفضل شوقي إليهم، ألا من طلبني وجدني، ومن طلب غيري لم يجدني، ومن ذا الذي أَقْبَلَ إليَّ ولم أُقبِلْ إليه؟ ومن ذا الذي توكل عليَّ فلم أَكْفِه؟ ومن ذا الذي دعاني فلم أُجبه؟ ومن ذا الذي سألني فلم أعْطِه؟ وقال أحمد بن أبي الحواري: حدثني عمر بن أبي سلمة السراج عن أبي جعفر السراج عن أبي جعفر المصري قال: قال الله عز وجل: يا معشر المتوجهين إليَّ بحبي ما ضركم ما فاتكم من الدنيا إذا كنت لكم حظاً، وما ضركم من عاداكم إذا كنت لكم سلما.

شعر:

هنيئاً لمن أضحى وأنت حبيبه ولو أن لَوْعاتِ الغرام تُذِيبُهُ
وطوبى لِصَب أنت ساكن سره ولو بان عنه إلفه وقريبهُ
وما ضر صَبّاً أن يبيت وما لَه نصيب من الدنيا وأنت نَصِيُبهُ
ومن تك راضياً عنه في طيِّ غَيْبِهِ فما ضره في الناس من يستغيبهُ
فَيَا عِلَّةً في الصدر أَنتَ شفاؤها ويا مرضا في القلب أنت طبيبُهُ
عُبَيدك في باب الرجا متضرع إذا لم تجبه أنت من ذا يجيبه
بعيد عن الأوطان يبكي بِذِلَّة وهل ذاق طعم الذُّلِ إلا غريبُهُ
تصدق على من ضاع منه زمانه ولم يدرِ حتى لاحَ منه مشيبُهُ
غدا حاسراً فالعار يكفيه والعنا وقد آن من ضوء النهار مَغِيبُهُ

أواه على الاجتماع برجل من أحباب الله، تهب على القلب من

أنفاسه نسمة ربانية تحي ما مات منه.

قال السَّريّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بقيت ثلاثين سنة أدور وأجول لعلي أرى ولياً من أولياء الله سبحانه وتعالى.

وأُشْرِفُ بالغور اليِفَاعِ لعلني ... أرى نار ليلى أو يراني بصيُرها

ليتني وجدت واحداً من القوم، إنما أسمع نشدان الضُلَّال وما فيهم من يعطيني علامة، فأرجع والقلب فيه من لواعج الزفرات ما نطلب منه السلامة.

أحقاً رأيت بوادي الغضا ... من الحي أو من رآهم خبر
أما من سبيل إلى نظرة ... تعاد إلينا كلمح البصر
ألفنا خباهم إذا ما العيون ... عشقن الكرى وملكن السهر

أوَّاه من نار تهب في اللب وبلابل[1] تذهب بالقلب ولا بلل وِصَال يذهب بها عن حَشَا الصَّب:

صَبَا للصَّبا صَبٌ فصَبَّتْ دمُوعُه ... وَغرَّد قُمِرْي فَهَاجَ ولوعهُ
يحن إلى ريح الصَّبا وإنما ... هوى كل صَبٍ حيث كان ربيعُهُ

فالشوق ربما أذهب المشوق وهو جاثم عليه كاظم لديه وربما ضحك ومزح وفي قلبه بلابل البلاء، فيصيح به الوجد ألست معي؟ فيجيبه بَلَى ولكن:

أروح نفسي بالمزاح لدى العدا ... وفي مهجتي نار وقلبي بها مرمي
أُرِي عاذلي أني ضحوك لفرحتي ... وفي خلوتي جفني على رفقتي مدمي

(١) البَلابل والبَلْبَال: شدة الهم والوسواس في الصدور وحديث النفس. لسان العرب/ مادة: بلل.

يذكرني مر النسيم لياليا تقضت لنا مع جيرة والنوى مقمي[١]
تفوق ليالي العيد لولا انصرامها ولكنها قد شانها سرعة الصَّرمِ
بها النّد والكافورّ والمِسْكُ عابقٌ وكأس الهنا طِفاح من قهوة الكَرْمِ

والمحب لا يزال قلبه مع محبوبه، ولبه لدى مطلوبه، وهو مع ذلك يُجِل حِبَّه أن يشكو إليه ما لقي من الوجد بسبب الغرام والبعد، فلسان حاله ينشد على رؤوس الأشهاد ولسان قاله معتقل بالأوراد.

أُجِلُّك أن أشكو إليك الذي ألقى وأنت ترى حالي وتعلمه حَقًّا
وإن رُمْتُ أُخفي ما ألاقي من الأَسَى وَشَى الدمعُ بالشكوى فيسبقني سبقا
إذا ما تمنى الناس رَوْحا وراحةً تمنيت أن أفنى وسِرُّ الهوى يبقى
بجودك فاجبر قلب عبد قطعته إليك فلا غربا يَرومُ ولا شرقا
تَعَطَّفْ ولا تقطعه عنك فإنه مقيمَ على باب الرجا أبدا مُلْقى

روينا عن أم المؤمنين عائشة بنت الصديق رضي الله عنهما قالت كان رسول الله ﷺ إذا فرغ من حديثه وأراد أن يقوم من مجلسه يقول: «**اللهم اغفر لنا ما أخطأنا وما تعمدنا، وما أسررنا وما أعلنا، وما أنت أعلم به منا، أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت**»[٢]. حديث ضعيف وهو مسلسل بختم

---

(١) يقال: ما يقامِيني الشيء وما يقانيني أي ما يوافقني، وأقمي الرجل إذا سمن بعد هزال، وأقمي إذا لزم البيت فرارا من الفتن، وأقمى عدوه إذا أذله. لسان العرب/ مادة: قمي.

(٢) روى البخاري رقم ٦٣٩٨ عن أبي موسى عن النبي ﷺ أنه كان يدعو بهذا الدعاء «رب اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري كله، وما أنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي خطاياي وعمدي وجهلي وهزلي وكل ذلك عندي، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير» ورواه مسلم رقم ٢٧١٩، وروى أحمد (٢/ ٥١٤) رقم ١٠٦٧٨ عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان من دعائه «اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وإسرافي وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر لا إلاه إلا أنت».
ولم أقف على اللفظ الذي أورده المصنف إلا في «العجالة في الأحاديث المسلسلة لأبي الفيض المكي (١٢٢) .

المجلس بالدعاء.

وأخرج النسائي عن أبي مريم وأخرجه غيره عن أم المؤمنين عائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما قالت: «**ما جلس رسول الله ﷺ مجلساً ولا تلا قرآناً ولا صلى إلا ختم ذلك بكلمات، فقلت يا رسول الله أراك ما تجلس مجلساً ولا تتلو قرآناً ولا تصلي صلاة إلا ختمت بهؤلاء الكلمات؟ قال: نعم، من قال خيراً كن طابعاً له على ذلك الخير، ومن قال شرا كانت كفارة له: سبحانك اللهم وبحمدك، لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك**»[(١)].

وقال علي رضي الله عنه: من أحب أن يكتال له بالمكيال الأوفى فليقل آخر مجلسه أو حين يقوم: سبحان ربك رب العزة عما يصفون. وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

وفي صحيح الحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما: «**أنه لم يكن يجلس مجلساً كان عنده أحد أو لم يكن إلا قال: اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أنت أعلم به مني، اللهم ارزقني من طاعتك ما تحول به بيني وبين معصيتك، وارزقني من خشيتك ما تبلغني به رحمتك، وارزقني من اليقين ما تهون به عليَّ مصائب الدنيا، وبارك لي في سمعي وبصري واجعلهما الوارث مني، اللهم اجعل ثأري على من ظلمني، وانصرني على من عاداني، ولا تجعل الدنيا أكبر همي، ولا مبلغ علمي، اللهم لا تسلط عليَّ من لا يرحمني، فسئل عنهن ابن عمر فقال: كان رسول الله ﷺ يختم بهن مجلسه**»[(٢)].

---

(١) رواه النسائي في السنن الكبرى (٦/ ٨٤) رقم ١٠١٤٠، وفي عمل اليوم والليلة (٢٧٣).
(٢) رواه الحاكم (١/ ٧٠٩) رقم ١٩٣٤ وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه.

والحمد لله أولًا وآخراً، وعلى كل حال وفي كل حال، اللهم يا من أمر بالدعاء ووعد بالإجابة، أصلح القلب وما وعى، وارزقني الطاعة والإنابة، واستر عوراتنا، وآمن روعاتنا، واغفر زلاتنا، وضاعف حسناتنا، وعاملنا بجودك ولطفك وإحسانك وكرمك وحلمك، ولا تعاملنا بما نحن أهله، يا واسع المغفرة يا باسط اليدين بالرحمة، اللهم اجعل هذا الكتاب خالصاً لوجهك الكريم، وسبباً للفوز في جنات النعيم.

وهذا آخر ما سمحت به القَرِيحةُ، والأعضاءُ الجريحة، بتوفيق من إليه عرجت الأرواح، وسرحت في محبته الأشباح، وقد جاء بحمد الله فوق ما أَمَّلَه المريد، وأعلى مما تخيَّله الرأي السديد، فجمع من العلوم دُرَرَا فاخرة، وأحييٰ من القلوب والرسوم أعظما نَاخِرة، فوافق الاسم المسمى وأسفر عن مخدرات الفنون كل رمز معمى، فجعله الله على الطاعة موقوفاً، ولوجهه الكريم مصروفاً، ونفع به من تأمله بعين الإنصاف، وحفظه من كل حسود وسَفْسَاف، يغمص الحق لَحسدِه، ويحرف الكلم عن مواضعه لحقده، وما كان في هذا الكتاب من صواب فمن الله ورسوله، وما كان فيه من خطأ فمني ومن الشيطان، والله ورسوله بريء منه، وهو سبحانه يعامل كل إنسان بنيته، وهو مطلع على أمنيته، وها أنا أسأل بلسان التضرع والخضوع، وأبتهل إلى مولاي بعين التذلل والخشوع، أن يجعل كتابنا هذا مراداً به وجهه الكريم، مصوناً من شائبة الرياء والتعظيم، وأسأل من تصفح أبوابه، وتأمل ألفاظه وإعرابه، أن يصفح عن شينه، ولا يزدريه في عينه، وأن يبادر إلى إصلاح ما عثر عليه من السَّقْط، وأن يصحح ما وقف عليه من الغلط، فلعل القلم سبق إلى غير[1] المراد، أو تبادر الذهن

---

(١) إلى هنا آخر نسخة (أ).

معان[١] فنقص من ذلك أو زاد، فإنما أنا ناقل من الطروس[٢] المتداولة، وليس لي من ذلك إلا أجر المناولة، فهذا اعتذاري لمن تأمله، والمعترف بالذنب كمن لا ذنب له، ومن لا يقبل العذر فقد حرم التوفيق، وعدم اصطناع المعروف وحلاوة التحقيق.

شعر:

جزى الله خيراً من تأمل تأليفي … وقابلَ بالإغضاء وضعي وتصنيفي
فلما لي شيء غير أني جمعته … وحَرَّرْتُه من غير شَيْنٍ وتحريفي
وضمنته علماً نفيساً وكنت في … مناقشتي كشافاً عن كل ذي زيفي
وقمت على ساق التقشف ضارعا … إلى الله في الأسحار بالذل والخوف
عسى خالقي يمحو ذنوبي بمنه … ويمنحني الرضوان من غير تعنيفي

والحمد لله أولًا وآخراً، وظاهراً وباطناً، والحمد للّه الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وصلى الله على ينبوع الحكم الربانية، ومعدن الأسرار الروحانية، المنزل عليه في محكم كتابه الحكيم ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] وعلى آله وأصحابه وأنصاره وأحزابه ما تصاعدت الأنفاس، وما تخالطت الأغلاس، وعلى جميع إخوانه من النبيين والمرسلين، وعلى الملائكة المقربين، وعلى عباد الله الصالحين من أهل السموات وأهل الأرضين، وامنح اللهم أشياخنا الرحمة والرضوان،

---

(١) في حاشية الأصل/ قوله: «أو تبادر الذهن معان» لا ريب أن معان في كلامه منصوب بتبادر، فيجب إثبات الياء وتظهر الفتحة عليها، كجوار في قولك: رأيت جواري، ولو عدى تبادر بإلى ويكون معان مجروراً بها لكان أسلم.
قلت: ويرد المؤلف فيقول في الحاشية كذلك، تبادر فعل ماض والذهن مفعول به مقدم، ومعان فاعل مؤخر، فظهر فساد كلام المعترض كما لا يخفى على ذي فهم. مؤلف

(٢) الطِّرس: الصحيفة، ويقال هي التي محيت ثم كتبت، والجمع أطْراس وطروس. لسان العرب/ مادة: طرس.

واجزهم اللهم عنا خيراً وإحسان[1]، إنك على ما تشاء قدير، وبالإجابة جدير.

ووافق الفرغ من تبييضه نهار الخميس لثلاثة عشر بقيت من ذي القعدة المبارك، الذي هو من شهور سنة ثلاثة وأربعين ومائة وألف من الهجرة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام، آمين آمين، على يد فقير رحمة ربه، الخائف وصمة ذنبه، المعترف بتقصيره وذنوبه، الراجي لطف سيده ومطلوبه، المفتقر لمولاه العلي مؤلفها الضعيف «محمد بن أحمد بن سالم السَّفاريني الحنبلي» عامله الله بلطفه الخفي والجلي، إنه على ذلك قدير، وبالإجابة جدير، آمين.. دخل في ملك الفقيه الحنبلي.

---

(١) في حاشية الأصل/ صوابه (إحساناً) بالنصب.
قوله: «إحساناً بالنصب» بل يجوز (إحسان) بالوقف على لغة ربيعة، فإنهم يقفون على المنصوب بالنون بالسكون، والله أعلم.

فهرس مراجع التحقيق

١- القرآن الكريم.
٢- **الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة**، الإمام أبو عبدالله عبيد الله، بن محمد بن بطة العكبري الحنبلي، ط: دار الراية - الرياض، ١٤١٨ .
٣- **الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية**، عبدالرؤوف بن تاج العارفين ابن زين العابدين الحدادي المناوي القاهري، ط: مؤسسة الرسالة - لبنان.
٤- **إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربعة عشر**، البنا الدمياطي.
٥- **إثبات عذاب القبر**، الإمام أبو بكر/ أحمد بن الحسين البيهقي، ط: دار الفرقان - عمان الأردن، ١٤٠٥هـ.
٦- **الأحاديث المائة**، محمد بن علي بن طولون، ط: دار الطلائع - القاهرة.
٧- **الأحاديث الطوال**، الإمام سليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني، ط: مطبعة الأمة - بغداد، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣م .
٨- **إحياء علوم الدين**، الإمام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، ط: دار المعرفة - بيروت.
٩- **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، محمد بن محمد العمادي أبو السعود، ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
١٠- **الاستيعاب فى معرفة الأصحاب**، الإمام أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري.

١١- **الإصابة في تمييز الصحابة**، الإمام / أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي.

١٢- **الاعتصام**، الإمام / إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي الشاطبي.

١٣- **أهوال القبور**، الإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي.

١٤- **الإمتاع بالأربعين المتباينة السماع**، الإمام أحمد بن علي بن محمد بن علي بن أحمد الكناني العسقلاني.

١٥- **الأمالي المطلقة**، الإمام أحمد بن حجر العسقلاني.

١٦- **الإيضاح في علوم البلاغة**، جلال الدين أبو عبدالله محمد بن سعدالدين بن عمر القزويني، ط: المكتبة الأزهرية للتراث - القاهرة، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣م .

١٧- **البداية والنهاية**، الإمام إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء، ط: مكتبة المعارف - بيروت.

١٨- **البدور الزاهرة فى القراءات العشر المتواترة**، عبد الفتاح القاضى، ط: مكتبة أنس بن مالك - مكة المكرمة.

١٩- **البحر المحيط فى أصول الفقه**، الإمام بدر الدين محمد بن بهادر الزركشي، ط: وزارة الأوقاف - الكويت ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .

٢٠- **البرهان في أصول الفقه**، الإمام أبو المعالي عبد الملك بن عبدالله بن يوسف الجويني، ط: الوفاء - المنصورة - مصر، ١٤١٨هـ.

٢١- **بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث**، الإمام الحارث بن أبي أسامة / الحافظ نور الدين الهيثمي، ط: مركز خدمة السنة والسيرة النبوية - المدينة المنورة، ١٤١٣ هـ.
٢٢- **تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها**، الإمام أبوالقاسم بن علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر، ط: دار الفكر.
٢٣- **التاريخ الكبير**، الإمام أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري.
٢٤- **تاريخ الأمم والملوك**، الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري.
٢٥- تاريخ جرجان، حمزة بن يوسف أبو القاسم الجرجاني، ط: عالم الكتب - بيروت، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م .
٢٦- **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري.
٢٧- **التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار**، الإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، ط: مكتبة دار البيان - دمشق، ١٣٩٩هـ.
٢٨- **الترغيب والترهيب من الحديث الشريف**، الإمام أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري.
٢٩- **تذكرة الموضوعات**، محمد طاهر بن علي الصديقي.
٣٠- **التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة**، الإمام محمد بن أحمد ابن أبي بكر بن فرح القرطبي.

٣١- **تعزية المسلم عن أخيه**، الإمام أبوالقاسم بن علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر، ط: مكتبة الصحابة - جدة، ١٤١١هـ.

٣٢- **تعظيم قدر الصلاة**، الإمام أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المروزي، ط: مكتبة الدار - المدينة المنورة، ١٤٠٦هـ.

٣٣- **التعريفات**، علي بن محمد بن علي الجرجاني، ط: دار الكتاب العربي - بيروت، ١٤٠٥هـ.

٣٤- **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، الإمام أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، ط: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، ١٣٨٧هـ.

٣٥- **تهذيب التهذيب**، الإمام أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط: دار الفكر - بيروت، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

٣٦- **تلخيص الحبير في أحاديث الرافعي الكبير**، الإمام أحمد بن علي ابن حجر أبو الفضل العسقلاني، ط: المدينة المنورة، ١٣٨٤هـ.

٣٧- **التواضع والخمول**، الإمام عبد الله بن محمد أبو بكر القرشي ابن أبي الدنيا، ط: دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٣٨- **التوقيف على مهمات التعاريف**، محمد عبد الرؤوف المناوي، ط: دار الفكر المعاصر، دار الفكر - بيروت، دمشق، ١٤١٠هـ.

٣٩- **الجامع الصحيح**، الإمام أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري.

٤٠- **الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي**، الإمام محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي.

٤١- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، الإمام أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري.

٤٢- **الجامع لأحكام القرآن**، الإمام / أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي.

٤٣- **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، الإمام أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، ط دار الكتاب العربي - بيروت.

٤٤- **خزانة الأدب وغاية الأرب**، تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله الحموي، ط: دار ومكتبة الهلال - بيروت، ١٩٨٧م.

٤٥- **الدر المنثور**، الإمام عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي.

٤٦- **الدعاء**، الإمام أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، ط: دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٣هـ.

٤٧- **الرقة والبكاء**، الإمام أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن أبي الدنيا.

٤٨- **رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار**، الإمام محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، ط: المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤٠٥هـ.

٤٩- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، أبو الفضل محمود الألوسي، ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٥٠- **الزهد**، الإمام أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني.

٥١- **الزهد**، هناد بن السري الكوفي، ط: دار الخلفاء للكتاب

الإسلامي - الكويت، ١٤٠٦هـ.

٥٢- **سنن الدارقطني**، الإمام علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني، ط: دار المعرفة - بيروت، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م .

٥٣- **سنن النسائي الكبرى**، الإمام أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، ط: دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٥٤- **سنن ابن ماجه**، الإمام محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، ط: دار الفكر - بيروت.

٥٥- **سنن الدارمي**، الإمام عبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد الدارمي، ط: دار الكتاب العربي - بيروت، ١٤٠٧ هـ.

٥٦- **سنن البيهقي الكبرى**، الإمام أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، ط: مكتبة دار الباز - مكة المكرمة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٥٧- **سنن أبي داود**، الإمام سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، ط: دار الفكر.

٥٨- **السنة**، عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، ط: دار ابن القيم - الدمام، ١٤٠٦ هـ.

٥٩- **سنن سعيد بن منصور**.

٦٠- **السلسلة الضعيفة**، محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف - الرياض.

٦١- **السيرة النبوية**، أبو محمد عبد الملك بن هشام، ط: إدارات البحوث العلمية - الرياض.

٦٢- **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة**، الإمام أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي.

٦٣- **شرح الصدور**، الإمام / عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي.

٦٤- **شعب الإيمان**، الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، ط: دار الكتب العلمية - بيروت.

٦٥- **الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية**، الإمام أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، ط: مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، ١٤١٢ هـ.

٦٦- **صحيح مسلم**، الإمام مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٦٧- **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، الإمام محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، ط: مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤١٤ - ١٩٩٣ .

٦٨- **صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته**، محمد ناصر الدين الألباني.

٦٩- **الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة**، الإمام أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي، ط: مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٩٩٧م.

٧٠- **الضعفاء الكبير**، الإمام أبو جعفر محمد بن عمر بن موسى

العقيلي، ط: دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٧١- **الطبقات الكبرى**، الإمام محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري، الناشر: دار صادر - بيروت.

٧٢- **العجالة في الأحاديث المسلسلة**، الإمام أبو الفيض محمد ياسين ابن محمد عيسى الفاداني المكي، ط: دار البصائر - دمشق.

٧٣- **العظمة**، الإمام أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني، ط: دار العاصمة - الرياض، ١٤٠٨هـ .

٧٤- **العقوبات**، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن أبي الدنيا.

٧٥- **العلل ومعرفة الرجال**، عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، الناشر: المكتب الإسلامي، دار الخاني - بيروت، الرياض، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

٧٦- **العلل الواردة في الأحاديث النبوية**، الإمام علي بن عمر بن أحمد ابن مهدي أبو الحسن الدارقطني البغدادي، ط: دار طيبة - الرياض، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

٧٧- **العلل المتناهية في الأحاديث الواهية**، الإمام عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٣ هـ .

٧٨- **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، الإمام أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، ط: السلفية.

٧٩- **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**،

محمد بن علي الشوكاني.
٨٠- **الفتن**، الإمام نعيم بن حماد المروزي، ط: مكتبة التوحيد - القاهرة، ١٤١٢ هـ.
٨١- **الفرج بعد الشدة**، الإمام أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن أبي الدنيا.
٨٢- **الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية**، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، ط: دار الآفاق الجديدة - بيروت.
٨٣- **الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة**، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ط: المكتب الإسلامي - بيروت، ١٤٠٧هـ .
٨٤- **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، عبد الرؤوف المناوي، ط: المكتبة التجارية الكبرى - مصر.
٨٥- **القول المسدد في الذب عن مسند الإمام أحمد**، الإمام أبو الفضل/ أحمد بن علي العسقلاني، ط: مكتبة ابن تيمية - القاهرة، ١٤٠١هـ.
٨٦- **القاموس المحيط**، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي.
٨٧- **كتاب التهجد وقيام الليل**، الإمام أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن أبي الدنيا، ط: مكتبة الرشيد - الرياض، ١٩٩٨م .
٨٨- **كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل**، الإمام أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، ط: مكتبة الرشيد - الرياض.
٨٩- **كتاب العين**، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، ط:

دار ومكتبة الهلال.

٩٠- **كتاب العيال**، الإمام عبدالله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس أبو بكر ابن أبى الدنيا، ط: دار إبن القيم - الدمام.

٩١- **كتاب المجروحين**، الإمام أبو حاتم محمد بن حبان البستي، ط: دار الوعي - حلب.

٩٢- **الكامل في ضعفاء الرجال**، الإمام / عبدالله بن عدي بن عبدالله ابن محمد أبو أحمد الجرجاني، ط: دار الفكر - بيروت، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

٩٣- **كشف الخفا ومزيل الإلباس**، إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي ابن عبد الغني العجلوني.

٩٤- **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، علي بن حسام الدين المتقي الهندي، ط: مؤسسة الرسالة - بيروت ١٩٨٩ م.

٩٥- **لسان العرب**، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، ط: دار صادر - بيروت.

٩٦- **لسان الميزان**، الإمام أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، ط: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٩٧- **المجتبى من السنن**، الإمام أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، ط: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.

٩٨- **مجمع الأمثال**، أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري،

ط: دار المعرفة - بيروت.

٩٩- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، الإمام نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، ط دار الفكر، بيروت - ١٤١٢ هـ.

١٠٠- **محاسبة النفس**، الإمام أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا.

١٠١- **المحلى بالآثار**، الإمام أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، ط: دار الفكر.

١٠٢- **مختار الصحاح**، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، ط: مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

١٠٣- **المرض والكفارات**، الإمام عبد الله بن محمد أبو بكر القرشي ابن أبى الدنيا، ط: الدار السلفية - بومباي، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

١٠٤- **المستدرك على الصحيحين**، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

١٠٥- **المسند**، الإمام أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، ط: مؤسسة قرطبة - القاهرة.

١٠٦- **مسند أبي يعلى**، الإمام أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي، ط: دار المأمون للتراث - دمشق، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

١٠٧- **مسند الشهاب**، الإمام محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله القضاعي، ط: مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

١٠٨- **مسند أبي داود الطيالسي**، الإمام سليمان بن داود أبو داود الفارسي البصري الطيالسي، ط: دار المعرفة - بيروت.

١٠٩- **مسند البزار**، الإمام أبو بكر البزار.

١١٠- **مسند إسحاق بن راهويه**، الإمام إسحاق بن إبراهيم بن مخلد ابن راهويه، ط: مكتبة الإيمان - المدينة المنورة، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م .

١١١- **مسند الشاميين**، الإمام سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، ط: مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤٠٥هـ .

١١٢- **مشكاة المصابيح**، محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، ط: المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

١١٣- **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي**، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، ط: المكتبة العلمية - بيروت.

١١٤- **المصنف**، الإمام أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، ط: المكتب الإسلامي - بيروت، ١٤٠٣هـ.

١١٥- **المصنف في الأحاديث والآثار**، الإمام أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، ط مكتبة الرشد - الرياض.

١١٦- **معجم البلدان**، ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله، ط: دار الفكر - بيروت.

١١٧- **المعجم الكبير**، الإمام سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، ط: مكتبة العلوم والحكم - الموصل ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م.

١١٨- **المعجم الأوسط**، الإمام أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، ط: دار الحرمين - القاهرة، ١٤١٥هـ.
١١٩- **المعجم الصغير**، الإمام سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، ط: المكتب الإسلامي، دار عمار - بيروت، عمان، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
١٢٠- **معالم التنزيل**، الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي .
١٢١- **المنامات**، الإمام أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي ابن أبي الدنيا، ط: مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣م .
١٢٢- **من عاش بعد الموت**، الإمام عبد الله بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا، ط: مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، ١٤١٣هـ.
١٢٣- **المنتخب من مسند عبد بن حميد**، الإمام أبو محمد عبد بن حميد بن نصر، ط مكتبة السنة - القاهرة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
١٢٤- **الموضوعات**، الإمام عبد الرحمن بن علي بن الجوزي.
١٢٥- **الموطأ**، الإمام مالك بن أنس أبو عبدالله الأصبحي، ط: دار إحياء التراث العربي - مصر.
١٢٦- **الموافقات في أصول الشريعة**، الإمام / إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي الشاطبي، ط: دار المعرفة - بيروت.
١٢٧- **نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عزوجل من التوحيد**، الإمام أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي.

الفهرس

تم الصف والإخراج
بشركة غراس للطباعة
هاتف: ٤٨١٩٠٣٧ - فاكس: ٤٨٣٨٤٩٥